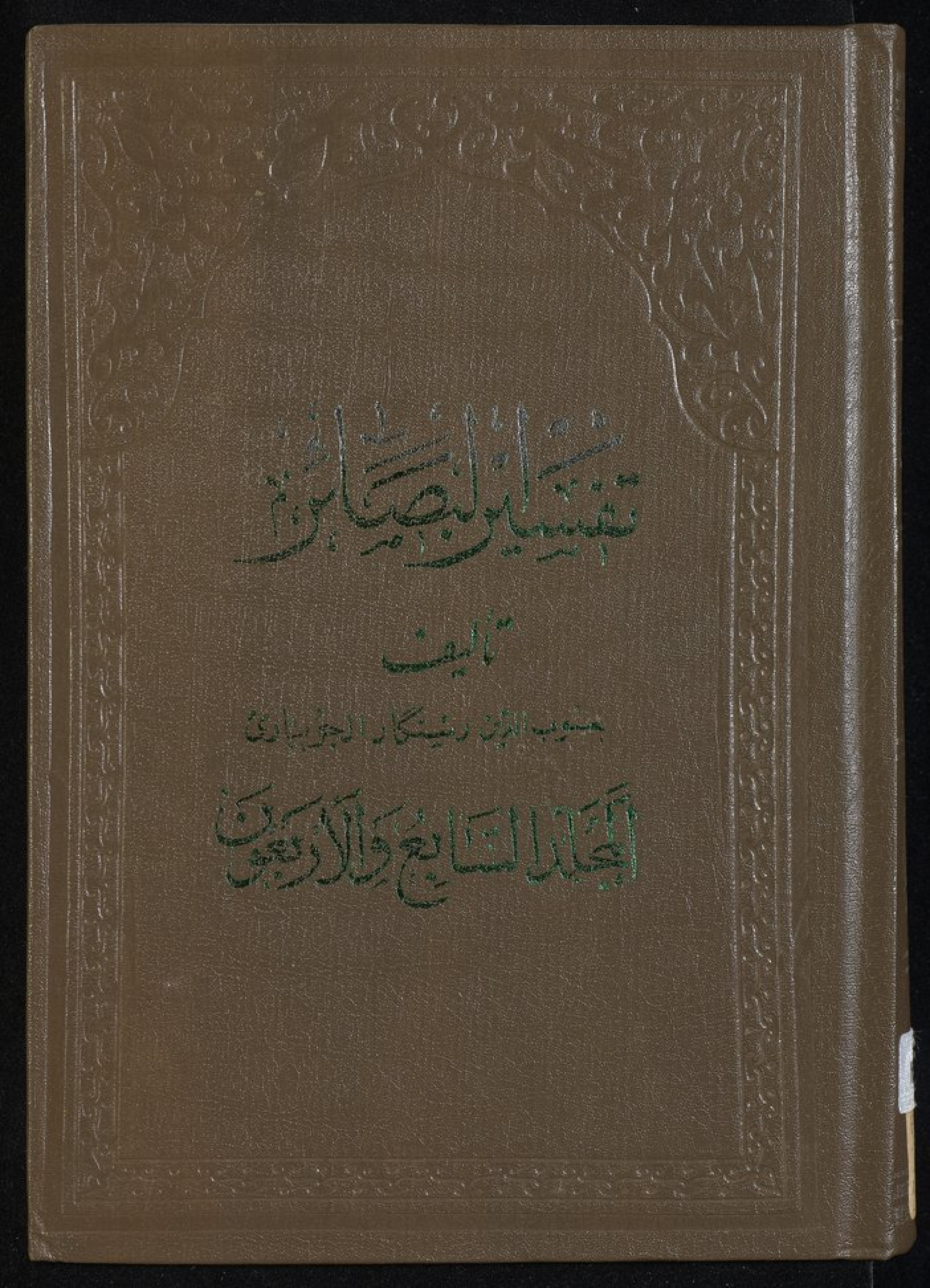

تفسير البصائر
تأليف
يعسوب الدين رستگار الجويباري
المجلد التاسع والأربعون



Juybari ...

المجلد السابع والأربعون

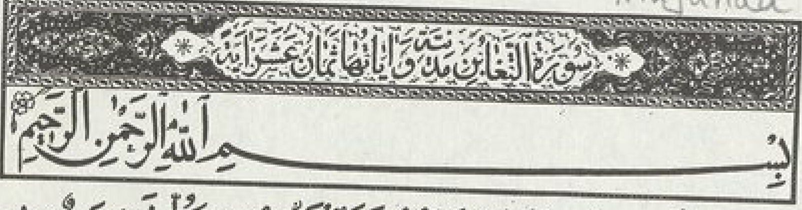
من كتاب

تفسير البصائر

تأليف

يعسوب الدين رستگار الجويباري

ايران - قم



يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ١ هُوَ
الَّذِي خَلَقَكُمْ فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ٢ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ
بِالْحَقِّ وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ ٣ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ
وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ٤ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَبْلُ فَذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ٥ ذَٰلِكَ
بِأَنَّهُ كَانَت تَّأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالُوا أَبَشَرٌ يَهْدُونَنَا فَكَفَرُوا وَتَوَلَّوا وَّاسْتَغْنَى اللَّهُ وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ٦
زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَن لَّن يُبْعَثُوا قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ٧
فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالنُّورِ الَّذِي أَنزَلْنَا وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ٨ يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْجَمْعِ ذَٰلِكَ يَوْمُ
التَّغَابُنِ وَمَن يُؤْمِن بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ
خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ٩ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ خَالِدِينَ
فِيهَا وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ١٠ مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَمَن يُؤْمِن بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ



شيء عليم ﴿١١﴾ وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول فإن توليتم فإنما على رسولنا البلاغ المبين ﴿١٢﴾ الله لا إله
إلا هو وعلى الله فليتوكل المؤمنون ﴿١٣﴾ يا أيها الذين آمنوا إن من أزواجكم وأولادكم عدوا لكم فاحذروهم و
إن تعفوا وتصفحوا وتغفروا فإن الله غفور رحيم ﴿١٤﴾ إنما أموالكم وأولادكم فتنة والله عنده أجر عظيم ﴿١٥﴾
فاتقوا الله ما استطعتم واسمعوا وأطيعوا وأنفقوا خيرا لأنفسكم ومن يوق شح نفسه فأولئك هم
المفلحون ﴿١٦﴾ إن تقرضوا الله قرضا حسنا يضاعفه لكم ويغفر لكم والله شكور حليم ﴿١٧﴾ عالم
الغيب والشهادة العزيز الحكيم ﴿١٨﴾

﴿ فضلها وخواصها ﴾

روى الصدوق رضوان الله تعالى عليه في ثواب الأعمال باسناده عن أبي بصير عن أبي عبدالله عليه السلام قال : من قرأ سورة التغابن في فريضته كانت شفيعة له يوم القيامة ، وشاهد عدل عند من يجيز شهادتها ثم لاتفارقه حتى تدخله الجنة .

أقول : رواه الطبرسي في المجمع ، والبحراني في البرهان ، و الحويزي في نور الثقلين ، والمحدث الشيخ الحر العاملي ، في وسائل الشيعة والمجلسي في البحار .

وذلك لان من قرأ هذه السورة متدبراً فيما تحويه ـ من ذكر طائفتي الكفر والايمان ومآل أمرهما إلى الجنة والنار ، وتفكر في خلق السموات والارض وفي خلق نفسه ، فعرف طريقي الحق والباطل ، طريقي النور والظلمة ، طريقي السعادة و الشقاء ، طريقي الطاعة و العصيان ، طريقي الصلاح و الفساد ، طريقي النجاة و الهلاك ، و طريقي الجنة والنار ، فآمن بالله تعالى واليوم الاخر ، وأطاع رسوله صلى الله عليه وآله وسلم وعمل صالحاً ـ كان القرآن الكريم شفيعاً وشاهد عدل له يوم القيامة ، فيكفّر عنه سيئاته ، ويدخله الله تعالى جنة النعيم بلاريبة .

قال الله تعالى : « وتبارك الذي له ملك السموات والارض وما بينهما وعنده علم الساعة وإليه ترجعون ولايملك الذين يدعون من دونه الشفاعة الا من شهد بالحق » الزخرف : ٨٥ ـ ٨٦)

وقال : « وما تكون في شأن وما تتلوا منه من قرآن ولاتعملون من عمل الا كنا عليكم شهوداً اذتفيضون فيه وما يعزب عن ربك من مثقال ذرة في الارض

ولا فى السماء ولاأصغر من ذلك ولا أكبر الا فى كتاب مبين ألا ان اولياء الله لا خوف عليهم ولاهم يحزنون الذين آمنوا و كـانوا يتقون لهم البشرى فى الحياة الدنيا وفى الاخرة لاتبديل لكلمات الله ذلك هوالفوز العظيم » يونس : ٦١ـ٦٤)

وقال : « فاقرؤا ما تيسّر منه واقيموا الصلاة وآتوا الـزكاة و اقرضوا الله قرضاً حسناً وما تقدموا لانفسكم من خير تجدوه عندالله هـو خيراً وأعظم اجراً» المزمل : ٢٠)

وقال : « فامنوا بالله ورسوله والنور الذى أنزلنا والله بما تعملون خبير يوم يجمعكم ليوم الجمع ذلك يوم التغابن ومن يؤمن بالله و يعمل صالحاً يكفّر عنه سيئاته ويدخله جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها أبداً ذلك الفوزالعظيم» التغابن : ٨ ـ ٩)

و فى ثواب الاعمال : باسناده عن جابر قال : سمعت أباجعفر عليه السلام يقول من قرأ بالمسبّحات كلها قبل أن ينام لم يمت حتى يدرك القائم عليه السلام وإن مات كان فى جوار النبى صلى الله عليه وآله وسلم .

اقول : ولعمرى من كان مؤمناً حقاً فهو لن يموت حتى يدرك القائم عليه السلام روحى له الفداء .

وفى البرهان: روى عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم انه قال : من قرأ هذه السورة دفع الله عنه موت الفجأة ، ومن قرأها ودخل على سلطان يخاف بأسه كفاه الله شرّه .

وفيه: وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : من قرأها دفع الله عنه موت الفجأة ، و من قرأها ودخل على سلطان جابر يخافه كفاه الله شره و لم يصل إليه سوء .

وفيه: و قال الصادق عليه السلام من خاف من سلطان أو مـنَ أحد يدخل عليه يقرأها ، فان الله يكفيه شره باذن الله تعالى .

اقول : وفى سند الروايات الاخيرة مالا يخفى على القارى الخبير ، ولكن مضامينها غير بعيدة والله تعالى هو أعلم .

﴿ الغرض ﴾

غرض السورة دعوة السامعين - اطلاقاً - إلى الايمان بالله تعالى و رسوله ﷺ وماجاء هم، و باليوم الاخر، و ترغيبهم إلى طاعة الله جل وعلا، وطاعة رسوله ﷺ وإلى صالح الاعمال، و فضائل الاخلاق بذكر مآلها من الجنة و نعيمها.

وتحذيرهم عن الكفر والطغيان وذميم الصفات، وموجباتها من حب الدنيا وأعراضها، بذكر وبالها من النار وعذابها، وتنبيههم بنكال الله تعالى في الكافرين السابقين، مع التقرير لعظمة الله جل وعلا و كمال قدرته، واحاطة علمه بكل شيء، ومطلق تصرفه في الكون، ومع الاشارة الى اتقان خلق السموات والارض وإلى تصوير الانسان على أحسن الصور، فانها مظاهر العظمة والقدرة والتصرف والعلم والحكمة... لو تفكّر فيها السامع لامن بلامراء.

بعد التقرير لخضوع كل شيء له سبحانه، و استحقاقه و حده للتسبيح و التقديس، والحمد مع استغنائه عن ذلك، فلا ينفعه الايمان وصالح العمل والتسبيح والحمد كما لايضرّه الكفر والعصيان، ولا الشرك والطغيان.

النزول

سورة التغابن مدنية ، نزلت بعد سورة الجمعة ، و قبل سورة الفتح على الأصح وقيل : نزلت بعد سورة التحريم ، و هى السورة العاشرة و المأة نزولاً ، والرابعة والستون مصحفاً ، وتشتمل على ثمان عشرة آية ، سبقت عليها /٥٩٣٧ آية نزولاً ، و / ٥١٩٩ آية مصحفاً على التحقيق .

و مشتملة على / ٢٤١ كلمة و / ١٠٧٠ حرفاً على مافى بعض التفاسير .

فى الدر المنثور : عن ابن عباس قال : نزلت هذه الاية : « يا أيها الذين آمنوا ان من أزواجكم وأولادكم عدواً لكم فاحذروهم » فى قوم من أهل مكة أسلموا و أرادوا أن يأتوا النبى صلى الله عليه وآله وسلم فأبى أزواجهم و اولادهم أن يدعوهم،فلما أتوا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فرأوا الناس قد فقهوا فى الدين همّوا أن يعاقبوهم،فأنزل الله : « يا أيها الذين آمنوا ان من أزواجكم . . . » الاية .

وفى أسباب النزول للواحدى : قال ابن عباس : كان الرجل يسلم فاذا أراد أن يهاجر منعه أهله و ولده ، و قالوا : ننشدك الله أن تذهب فتذهب أهلك و عشيرتك ، و تصير إلى المدينة بلا أهل و لامال ، فمنهم من يرق لهم و يقيم و لايهاجر ، فأنزل الله هذه الاية : « يا ايها الذين آمنوا ان من أزواجكم واولادكم عدواً لكم »

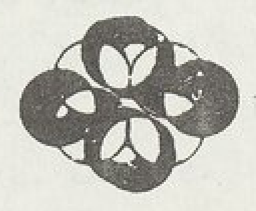
وفى أسباب النزول للسيوطى : عن عطاء بن يسار قال: نزلت سورة التغابن كلها بمكة الا هؤلاء الايات : « يا أيها الذين آمنوا ان من أزواجكم » نزلت فى عوف بن مالك الاشجعى كان ذا أهل و ولد ، فكان إذا أراد الغزو بكوا إليه ،

و و قفوه ، فقالوا : إلى من تدعنا ؟ فيرق و يقيم فنزلت هذه الاية وبقية الآيات إلى آخر السورة بالمدينة .

ولا يخفى : ان الآية تعم لكل معصية يرتكبها الانسان بسبب الاهل والولد فخصوص السبب لايمنع عموم الحكم .

و فى البرهان : عن عبد خير سئلت علي ابن أبيطالب عليه السلام عن قوله تعالى: « اتقوا الله حق تقاته » قال : والله ما عمل بها غير أهل بيت رسول الله نحن ذكرنا الله ، فلاننساه و نحن شكرناه ، فلن نكفره و نحن أطعناه فلم نعصه ، فلما نزلت هذه قالت الصحابة : لانطيق ذلك ، فأنزل الله تعالى : « فاتقوا الله ما استطعتم »

و فى أسباب النزول للسيوطى : عن سعيد بن جبير قال : لما نزلت : « اتقوا الله حق تقاته » اشتد على القوم العمل ، فقاموا حتى و رمت عراقيبهم و تقرحت جباههم ، فأنزل الله تخفيفاً على المسلمين « فاتقوا الله ما استطعتم » .



﴿القراءة﴾

قرأ البصرى « رسلهم » باسكان السين ، والباقون بالضم .

و قرأ أبوجعفر و نافع و ابن عامر « نكفر » و « ندخله » بنون العظمة ، والباقون بياء الغيبة .

و قرأ المكى والشامى « يضعّفه » بتشديد العين من باب التفعيل ، والباقون « يضاعفه » بالالف من باب المفاعلة .



﴿الوقف والوصل﴾

« فى الارض ج » لاختلاف الجملتين و « الحمدز » لنوع اختلاف و هو تقديم الخبر على المبتداء فى الاول و « مؤمن ط » لتمام الكلام و « صوركم ج » لعطف المختلفين و « تعلنون ط » لتمام الكلام و « من قبل ز » لتناهى الاستفهام إلى الاخبار مع صدق الاتصال بالفاء و « يهدو تناز » لاعتراض الاستفهام بين المتفقين و « استغنى الله ط » لتمام الكلام و « لن يبعثوا ط » كالمتقدم و « عملتم ط » كذلك و « انزلنا ط » و « التغابن ط » و « أبداً ط » و « قلبه ط » و « فيها ط » و « المصيرى ع » الاول علامة العشر وتوضع عند انتهاء عشر آيات والثانى علامة انتهاء الركوع ، و هو الحصة اليومية لمن يريد حفظ القرآن فى عامين.

« باذن الله ط » و « قلبه ط » لتمام الكلام و « الرسول ج » لمكان الفاء و تمام الكلام و « الاّ هو ط » لتمام الكلام و « فاحذروهم ج »

« فتنة ط » لتمام الكلام و « لانفسكم ط » كالمتقدم ، « يغفر لكم ط » كذلك و « حليم لا » لكون « عالم الغيب » نعت من « الله »

﴿ اللغة ﴾

٢٢ - الذوق - ٥٢٧

ذاق الشيىء يذوقه ذوقاً و ذواقاً ومذاقاً - من باب نصر نحو قال - : إختبر طعمه ، فأدرك طعمه فى فمه . يقال : ذقت فلاناً : خبرته ، وذقت القوس :جذبت وترها لأنظرما شدتها .

الذائقة : قوة يدرك بها اللسان ما يرد عليه من الطعوم ، و منه حديث الصائم : « يذوق المرق » أى يتطعم فيه . والذوق : قوة الذائقة والطبع ، يقال فلان حسن الذوق للشعر أى مطبوع عليه .

و من صفاته عليه السلام : « يدخلون عليه رواة الرواد لا يفترون الا عن ذوق» أى الا عن علوم يذوقون عن حلاوتها ما يذاق من الطعام المشهّى ، والمستذاق : المجرّب المعلوم .

و قد صار يستعمل فى الاحساس العام الذى تشترك فيه جميع قوى الحس، فهو ذائق ، و هى ذائقة وهم ذائقون .

قال الله تعالى : « فلما ذاقا الشجرة بدت لهما سوآتهما » الاعراف : ٢٢) و هى من الذوق فى الفم .

و كل ما جاء غيرهذه الاية من تصريف هذا الفعل ، فهو من الاحساس العام ذاق العذاب والمكروه : نزل عليه .

قال الله تعالى : « فذا قوا وبال أمرهم » التغابن : ٥)

أذاقه الشيء : جعله يذوقه او يحسّه احساساً عاماً ، ولم يرد في القرآن الكريم المعنى الاول الاصلي ، و كل ماورد فهو من الثاني ، وهو الاحساس العام هذا ، و قد استعمل في العذاب بكثرة ، و في الرحمة بقلة ، فيكون الذوق فيما يكره و يحمد، قال الله تعالى: « فأذاقها الله لباس الجوع والخوف » النحل :١١٢)

ان استعمال الجوع مع اللباس من أجل انه اريد به التجربة والاختبار أى فجعلها بحيث تمارس الجوع والخوف ، وقيل : ان ذلك على تقدير كلامين كأنه قيل : أذاقها طعم الجوع والخوف ، وألبسها لباسها .

وقال : « ثم اذا أذاقهم منه رحمة اذا فريق منهم بربهم يشركون » الروم:٣٣)

وفي حديث احد: « ان أباسفيان لما رأى حمزة مقتولا مغفّراً قال له : ذق عقق » أى ذق طعم مخالفتك لنا، وتركك دينك الذى كنت عليه يا عاق قومه ، فجعل أبوسفيان لعنه الله تعالى اسلام حمزة عقوقاً ، و هذا من المجاز أن يستعمل الذوق ـ وهو مما يتعلق بالاجسام ـ في المعاني كقوله تعالى : « ذق انك انت العزيز الكريم » الدخان : ٤٩)

و منه الحديث : « ان الله لا يحبّ الذوّاقين والذواقات » يعني السريعي النكاح ، والسريعي الطلاق أى لا يطمئن ولا تطمئن كلها تزوّج او تزوجت كرهاً و مدّا أعينهما إلى غيرهما .

في المفردات : الذوق: وجود الطعم بالفم ، و أصله فيما يقلّ تناوله دون ما يكثر ، فان ما يكثر منه يقال له الاكل ، و اختير في القرآن لفظ الذوق في العذاب لان ذلك و إن كان في التعارف للقليل فهو مستصلح للكثير ، فخصّه بالذكر ليعمّ الامرين و كثر استعماله في العذاب نحو : « ليذوقوا العذاب » وقد جاء في الرحمة نحو : « و لئن اذقنا الانسان منه رحمة » .

وفي النهاية : الذواق : الماكول والمشروب، فعال بمعنى مفعول من الذوق يقع على المصدر والاسم .

وفي القاموس و شرحه : الذوق مباشرة الحاسة الظاهرة او الباطنة ولا

يختص ذلك بحاسة الفم فى لغةالقرآن ، ولا فى لغة العرب ، و فى الحديث : «ذاق طعم الايمان من رضى بالله رباً و بالاسلام ديناً و بمحمّد رسولا »

فاخبر ان للايمان طعما ، و ان القلب يذوقه كما يذوق الفم طعم الطعام و الشراب ، وقد عبّر النبى صلّى الله عليه وآله وسلّم عن ادراك حقيقة الايمان والاحسان حصوله للقلب و مباشرته له بالذوق تارة و بالطعام و الشراب تارة ، و بوجدان الحلاوة تارة كما ذاق طعم الايمان الحديث ، و قال : « ثلاث من كنّ فيه وجد حلاوة الايمان »



٢ - الغبن - ١٠٧١

غبن الثوب يغبنه غبناً و غبناً - بسكون الباء و فتحها - من باب ضرب - : ثناه ثم خاطه ليضيق اويقصر.

الغبن - بالتحريك - : ما قطع من أطراف الثوب فاسقط ، و غبن الدلو : نقص من طوله ، وغبن فلاناً في البيع والشراء :خدعه وغلبه ، فهو غابن والمخدوع مغبون ، وغبن فلاناً: نقصه في الثمن اوغيره ،والمغبون : الذى يبيع الكثير بالقليل

الغبن : أن تبخس صاحبك في المعاملة بضرب من الاخفاء ، و ان كان فى المال يقال : غبن فلان - من باب ضرب - وان كان فى الرأى يقال : غبن - من باب علم - : نقص ، وغبن الرجل : مرّ به وهومائل فلم يره ولم يفطن له ، و يقال هذا يغبن عقلك : أى ينقصه ، والغابن ايضاً : الفاتر عن العمل .

من الحسى : كل متن من الاعضاء كاصول الفخذين والمرافق مغابن ، مفرده : مغبن كمنزل للينهاوضعفهااولاستتارهايقال، للمرأة: انها طيبة المغابن .

والغبن : الموضع الذى يخفى عليه الشىء ومغابن البدن : الارفاغ - وهى المواضع المنخفضة من الجسم تتجمع فيها الاوساخ - والاباط ، و منه حديث الميت : « فامسح بالكافور جميع مغابنه » .

الغبين: من قلّت فطنته وذكائه .

تغابن القوم : غبن بعضهم بعضاً ، والمغابنة : الغبن فى البيع .

التغابن : تفاعل ، و سمى به يوم القيامة لنزول سعداء الدنيا فيه منازل الاشقياء ، ونزول اشقياء الدنيا فيه منازل السعداءعلى أن الغبن : هو الوكس و

البخس في البياعات من معنى اللين والضعف في مدار المادة، وأما على مدارها الخفاء، فقيل: يوم التغابن تبدو الاشياء لهم بخلاف مقاديرهم في الدنيا، و على الوجهين فان مافي التفاعل - التغابن - من معنى المشاركة لا يزال يحتاج إلى فضل بيان، و لعل هذا التفاعل و المشاركة تتضح من صنيع القرآن في غير موضع إذ يصف ما يكون بين طبقتي المجتمع من المستكبرين والمستضعفين يتبادلون الاتهام بالغبن الخادع او المخفي للحقيقة حين «يقول الذين استضعفوا للذين استكبروا لولا انتم لكنا مؤمنين فيقول الذين استكبروا للذين استضعفوا: أنحن صددناكم عن الهدى بعد اذ جاءكم بل كنتم مجرمين» سباء: ٣١ - ٣٢) و هذا هو التغابن المتبادل بكل معانيه يوم الجمع، وورد منه يوم التغابن ليوم القيامة مرة في سورة التغابن: «يوم يجمعكم ليوم الجمع ذلك يوم التغابن» ٩)

١٧ - الحذر - ٣٠٥

حذر الموت يحذره حذراً - بكسر الحاء وسكون الذال - و حذراً - بفتحهما من باب علم - : خشيه وتحرّزمنه على خيفة فهو حاذر، و اسم المفعول محذور.

الحذر: احتراز عن مخيف وهو امتناع القادر من الشيء لما فيه من الضرر قال الله تعالى: «ان من أزواجكم وأولادكم عدواً لكم فاحذروهم» التغابن: ١٤)

وفي الدعاء: «اعوذبك مما اخاف واحاذر» هو تعوّذ من وجع و مكروه هو فيه، ومما يتوقع حصوله في المستقبل من الحزن والخوف، فان الحذر: هو الاحتراز عن مخوف.

قال الله تعالى: «يحذر الاخرة» الزمر: ٩)

يقال: أخذ فلان حذره: أعدّ نفسه، وتنبه لما يخشاه قال تعالى: «ياأيها الذين آمنوا خذوا حذركم» النساء: ٧١) أي ما فيه الحذر من السلاح وغيره،

و بمعنى : خذوا طريق الاحتياط ، واسلكوه و اجعلوا الحذر ملكة فى دفع ضرر الاعداء عنكم .

المحذور : ما يحترز منه قال تعالى : « ان عذاب ربك كان محذوراً » الاسراء : ٥٧)

و يقال : و قاك الله كل محذور ، والمحذورة : الفزع بعينه ، والداهية التى تحذر والحرب « صحبتهم المحذورة » و هى الخيل المغيرة او الصيحة .

حذّره كذا تحذيراً: خوّفه اياه ، وخوّفه منه، ونبّهه ، والتحذير التخويف قال الله تعالى: « ويحذّركم الله نفسه » آل عمران : ٢٨)

حذار - فعال - : اسم فعل بمعنى أحذر كقوله : « وحذار ثم حذار منه محارباً » نحو : مناع بمعنى امنع .

الحذير : النذير ، يقال : أنا حذيرك منه .

رجل حذر - بسكون الذال و كسرها - متيقظ شديد الحذر ، و هو مما لا يعمل الفعل الاّ فى ندور .

حاذر - من باب المفاعلة - : خاف كل من الاخر .

الحاذر : المتأهب المستعدّ كأنه يحذر أن يفاجاء كقوله حكاية عن قوم : « وانا لجميع حاذرون » الشعراء : ٥٦) أى مستعدّون .

فى اللسان: الحذر - بكسر الحاء ثم السكون - و الحذر - بفتحهما - : الخيفة والتحرز .

٦٤ - العفو - ١٠٢٩

عفا عنه يعفو عفواً - واوى - من باب نصر نحو دعا - : ترك عقوبته ، وهو يستحقها ، واعرض عن مؤاخذته ، وعفا الله تعالى عن فلان :محى ذنوبه . قال الله تعالى « وإن تعفوا وتصفحوا و تغفروا » التغابن : ١٤) ومن اسماء الله تعالى : « العفوّ »

وهو فعول من العفو ، وهو الجاوز عن الذنب وترك العقاب عليه ، وأصله : المحو والطمس ، وهو من أبنية المبالغة .

قال الله تعالى : « فاولئك عسى الله أن يعفو عنهم و كان الله عفواً غفوراً» النساء : ٩٩)

وقد يستعمل عفا الله تعالى عنكم فيما لم يسبق به ذنب ولا يتصور كماتقول لمن تعظمه : « عفا الله عنك ما صنعت في أمري »أي أصلحك الله وأعزّك .

عفا عن الحق : اسقطه كأنه محاه عن الذي هو عليه ، وعن الشيء : امسك عنه ، وتنزّه عن طلبه ، عفت الريح المنزل : درسته ومحته لاأثر له ، وفي الحديث « انه أقطع من أرض المدينة ما كان عفاء » أي ماليس فيه لاحد أثر، وهو من عفى الشيء اذا درس ولم يبق له أثر.

وفي الحديث : « احفوا الشوارب واعفوا اللحى »

أدار الراغب في المفردات المادة على معنى القصد في تكليف لا يسهل الاطمئنان إليه مع ان من الحسّي في هذه المادة العفو والعفا : الارض الغفل لم توطأ ، ولاأثر لاحدفيها بملك ، وأرض عافية: لم يرع نبتها ،والماء العافي : الذي لم يطأه شيء يكدّره ، ومن هذه المعاني الحسية الدوحدة الملاحظ ، و من أشباه لها في الحيوان وغيره ، تقال معان مادية واضحة القرب ، مثل عفا النبت والشعر وغيره : كثر وطال ، وعفا القوم : كثروا ، ومن هذاالعافية بمعنى السلامة، كما يقال : العفو من المال : ماطال و كثر ، ومافضل ولم يشق على صاحبه او العفومن أخلاق الناس : السهل الميسر ،والعفو : ما اتى بغير مسئلة وأعفى : اذا أنفق العفو من ماله .

وقد ورد في القرآن الكريم العفو من المال والخلق ، والعفو من التجاوز وترك العقاب في قوله تعالى : « ويسئلونك ماذا ينفقون قل العفو » البقرة : ٢١٩)

أي من فضل المال وأجلّه وأطيبه ، قال الصادق عليه السلام : « العفو هو الوسط من غير اسراف ولااقتار »

وقوله : « خذالعفووأمر بالمعروف » الاعراف :١٩٩) أى الميسّر من اخلاق الناس ، ولاتستقص عليهم.

وفى الحديث : « تعافواالحدودفيمابينكم » أى تجاوزوا عنها ، ولاترفعوها إلىّ فانى متى علمتهاأقمتها ، وفى الحديث : « امرالله نبيه أن يأخذ العفومن أخلاق الناس » أى أمره أن يحتمل أخلاقهم، ويقبل منها ماسهل وتيسّر ولايستقصى عليهم

عافاه الله تعالى من المكروه معافاة وعفاءاً وعافية ، وقيل :العافية اسم منه وهب له العافية من العلل والبلاء ، ومحى عنه الأسقام ، ودفع عنه كل سوء .

وفي الحديث : « سلوالله العفووالعافية والمعافاة » المعافاة : هىأن يعافيك الله من الناس ، ويعافيهم منكاى يعنيك عنهمويغنيهم عنك ، ويصرف أذاهمعنك وأذاك عنهم .

وفى حديث الزكاة : « قد عفوت عن الخيل والرقيق فادّوا زكاةاموالكم أى تركت لكم أخذ زكاتها وتجاوزت عنه .

قيل : الصفح : ترك التأنيب وهو أبلغ من العفو فقد يعفو ولا يصفح ، وأما العفو فهو القصد لتناول الشيء هذا هو المعنى الا صلى وعليه تدور معانيه .

العفاء : الدرس والهلاك ، وعفت الدار : غطاها التراب فاندرست وعفى على قبره : محى أثره ، ومنه حديث على عليه السلام : « انه دفن فاطمة عليها السلام سراً وعفى على قبرها » وفيحديث على عليه السلام : « وعفى عن سيدةالنساءتجلدى » أى درس وانمحى

والعفاء ـ بالفتح والمد ـ : التراب ، ومنه قول الامام سيد الشهداءالحسين بن على فى ابنه المقتول عليه السلام : « على الدنيا بعدك العفاء »

والعفاء : المطر لانه يمحو آثار المنازل ، والعفاء : الشعر الطويل الوافى والعفاء : البياض على الحدقة .

وأبو العفاء : الحمار ، والعفاء : جمع عفو و هو الجحش .

الطائر العافى : المستوفى الجناحين يذهب حيثشاء .

عفى الشعر يعفيه عفيا ـ يأتى ـ : تركه حتى يكثر ويطول .

في المفردات : العفو : القصد لتناول الشيء يقال : عفاه واعتفاه أي قصده متناولا ماعنده ، وعفت الريح الدار قصدتها متناولة آثارها ـ وعفوت عنه: قصدت إزالة ذنبه صارفاً عنه ، فالمفعول في الحقيقة متروك و« عن » متعلّق بمضمر، فالعفو هو التجافي عن الذنب .

٣١ - الصفح - ٨٦١

صفح عن فلان ويصفح صفحاً ـ من باب منع ـ : أعرض عنه بصفحة وجهه، و ولاّه قفاه إهمالاً ، وصفحه عن حاجته و أصفحه : ردّه عنها ، وصفح عن ذنبه : أعرض عن مؤاخذته ، والوصف منه :صفوح وهو أبلغ من العفو وأعلى منه درجة فقد يعفو الانسان ولايصفح واذا وصف بالجمال في القرآن الكريم صار أبلغ عفواً كقوله تعالى : « فاصفح الصفح الجميل » الحجر : ٨٥) أي اعرض عنهم اعراضاً جميلا بحلم واغضاء .

وقد يفسّر الصفح بالاعراض والاهمال على انه مصدر من صفح عنه اذاأعرض او على انـه اسم بمعنى الجانب كقوله تعالى : « أفنضرب عنكم الذكر صفحاً » الزخرف : ٥) أي أفنضرب عنكم الذكر جانباً .

صفح كل شيء : جانبه ، الوجه ، والعنق ، والسيف ، وصفح الوجه ـبالضم كذلك ـ : جانبه .

وبمعنى الاعراض عن الذنب يمكن أن يفسّر كل ما ورد منه في القرآن الكريم ومنه قـوله تعالى :« وإن تعفوا وتصفحوا وتغفروا » التغابن : ١٤) و في الحديث : « قلب المؤمن مصفح على الحق » أي ممال عليه كأنه قد جعل صفحه : جانبه عليه ، و منه حديث حذيفة والخدري : « القلوب اربعة منها قلب مصفح اجتمع فيه النفاق والايمان » المصفح : الذى له وجهان يلقى أهل الكفر بوجه ، وأهل الايمان بوجه .

الصفيح: وجه كل شيء عريض، والصفيحة: السيف العريض، والحجر العريض وصفيحة الوجه: بشرة جلده، والصفحان والصفحتان: الخدان.

الصفح والصفيح: من أسماء السماء، و منه «ملائكة الصفح الاعلى» أي ملائكه السماء العليا، ومنه حديث الامام علي عليه السلام: «الصفيح الاعلى من ملكوته وجمع الصفح: الصفاح والاصفاح.

الصفوح - من أبنية المبالغة - الكريم العفو عن ذنوب العباد.

صفائح الروحاء: جوانبها، وهي ممر الانبياء حين يقصدون البيت الحرام ومنه حديث موسى عليه السلام «وقد مرّ في سبعين نبياً على صفائح الروحاء عليهم العباء القطوانية يقول: لبيك عبدك وابن عبديك» وصفائح الباب: ألواحه.

صفّح الشيء - من باب التفعيل - جعله عريضاً وطوّله، وبيديه: صفّق.

في حديث الصلاة: «التسبيح للرجال والتصفيح للنساء» التصفيح والتصفيق واحد، وذلك اذا سها الامام نبّهه المأموم، فان كان رجلا قال: سبحان الله وإن كان امرأة ضربت كفّها على كفّها عوض الكلام.

صافحه: وضع صفح كفّه في صفح كفّه كما يفعل عند الملاقات والتسليم وصفحا الكفين: وجهاهما، والمصافحة: الافضاء بصفحة اليد، و أصفح السائل و غيره: خيّبه وحرمه وردّه، وتصاحفت الأجفان: انطبق بعضها على بعض، وتصفّح الشيء - من باب التفعل -: تأمله، ونظر في صفحاته، وتصفّح القوم نظر في أحوالهم و تعرّف أمرهم، أو نظر في خلالهم هل يرى فلاناً، ومنه حديث ملك الموت مع بني آدم عليه السلام: «أنا أتصفحهم في كل يوم خمس مرّات» أي انظر إليهم وأتأملهم و استصفحه ذنبه: استغفره اياه، لقاه صفاحاً أي مفاجأة، واستقبله بصفح وجهه.

في اللسان: الصفح: الجنب، وصفح الانسان: جنبه، وصفح القوم صفحا: عرضهم واحداً واحداً، وصفح الرجل: سئله فمنعه وصفحه عن حاجته: ردّه، و صفح عنه: أعرض عن ذنبه، وصفحت الناقة: ذهب لبنها.

والصفوح من صفات الله عز وجل: العفو عن ذنوب العباد معرضاً عن مجازاتهم بالعقوبة تكرماً، وصفح الرجل: سقاه أي شراب كان ومتى كان.

﴿ النحو ﴾

١- (يسبح لله مافى السموات ومافى الارض له الملك وله الحمد وهو على كل شىء قدير)

« يسبح » فعل مضارع من باب التفعيل و« لله » متعلق به ، و « ما » موصولة فى موضع رفع على الفاعلية ، و « فى السموات » متعلق بمحذوف وهو الصلة ، و « ما فى الارض » عطف على « مافى السموات » و « له » متعلق بمحذوف وهو الخبر المقدم ، و « الملك » مبتداء مؤخر ، وقدّم الظرف لمكان الاختصاص أى لاملك فى الحقيقة الا له جل وعلا ، و كذلك قوله : « وله الحمد » اذلا يليق أحد للحمد فى الحقيقة الا هو لانه حميد بذاته .

قيل : لوعكس الترتيب لافاد الخصوصية أيضاً ولكن بوجه آخر : وهو ان هذا الجنس ، وهذه الطبيعة لله تعالى وحده كما سبق فى سورة الفاتحة .

« هو » مبتداء و « على كل شىء » متعلق بقوله : « قدير » وهو الخبر ، وقدّم المتعلق لضرورة النظم .

٢- (هو الذى خلقكم فمنكم كافر ومنكم مؤمن والله بما تعملون بصير)

« هو » مبتداء و « الذى » موصولة ، و « خلقكم » الفعل ماض ، و فاعله الضمير المستتر فيه الراجع إلى الله تعالى ، وضمير جمع الخطاب فى موضع نصب مفعول به ، والجملة صلة الموصول ، والجملة تمامها خبر المبتداء .

« فمنكم » الفاء انشعابية ـ لا التفريعية على ما توهم بعض ـ بان الخلق انشعبوا بعدما خلقوا اذا فطرة سليمة فريقين : باختيارهم فريق كافر ، وفريق مؤمن

و « من » تبعيضية مع مجرورها متعلق بمحذوف، وهو الخبر المقدم، و« كافر» مبتداء مؤخر، و« منكم مؤمن » عطف على ما قبله .

« و » استينافية و « الله » مبتداء و « بما » موصولة مع جارها متعلقة بقوله « بصير » وهو الخبر، « وتعملون » صلة الموصول على حذف العائد أى والله بصير بما تعملونه، والكلام فى التقديم هو الكلام فى المتقدم .

٣- (خلق السموات و الارض بالحق و صوركم فاحسن صوركم و اليه المصير)

« خلق» فعل ماض ، فاعله الضمير المستتر فيه ، الراجع إلى الله تعالى ، و « السموات » مفعول بها ، و « الارض » عطف على « السموات » و « بالحق » الباء للمصاحبة على ان فعل الله تعالى وخلقه ملازم للحق ومصاحب له، و الجار مع مجروره متعلق بفعل الخلق ، والجملة نعت من « الله » تقدم ذكره و« و صوركم »الواو للعطف والفعل ماض من باب التفعيل ، وضمير الخطاب فى موضع نصب مفعول به « فاحسن » الفاء للعطف تفيد اموراً ثلاثة : الترتيب والتعقيب والسببية ،وتحتمل التفريع ، ومدخولها فعل ماض من باب الافعال، و« صوركم » جمع الصورة اضيف إلى ضمير الخطاب .

« وإليه » الواو للعطف، ومدخولها متعلق بمحذوف وهو خبر مقدم، و« المصير» مبتداء مؤخر، والالف واللام نابت مناب الضمير أى مصيركم والجملة عطف على « خلق السموات » من قبيل عطف الجملة الاسمية على الفعلية .

٤- (يعلم مافى السموات والارض ويعلم ماتسرون وما تعلنون والله عليم بذات الصدور)

« يعلم » فعل مضارع ، فاعله ضمير مستتر فيه راجع إلى الله تعالى، و« ما» موصولة فى موضع نصب ، مفعول به ، والجملة نعت من « الله » جل وعلا ، « وفى السموات » متعلق بمحذوف ، وهو صلة الموصول ، « ويعلم » عطف على ماقبله ، و « ما » موصولة ، و « تسرون » فعل مضارع لخطاب الجمع المذكر من باب

الافعال ، صلة للموصول على حذف العائد أى تسرّونه « و ماتعلنون » عطف على ماقبله ، والكلام فيه هو الكلام فيما قبله .

« و » للاستيناف ، و « الله » مبتداء ، و « عليم » خبره ، و « بذات الصدور » متعلق بـ « عليم » .

٥- (ألم يأتكم نبؤا الذين كفروا من قبل فذاقوا و بال أمرهم و لهم عذاب أليم) .

الاستفهام انكارية توبيخية ، وضمير الخطاب في موضع نصب ، مفعول به ، و « نبؤا » فاعل الفعل ، اضيف إلى « الذين » و « قبل » مبنى لحذف المضاف إليه و كونه منوياً للمتكلم أى من قبل هؤلاء الكفار .

« فذاقوا » الفاء تفريعية ، و مدخولها فعل ماض لغيبة الجمع المذكر ، « و بال » مفعول به اضيف إلى « أمرهم » و « لهم » متعلق بمحذوف و هو خبر مقدم ، و « عذاب » مبتداء مؤخر ، و « أليم » نعت من « عذاب »

٦- (ذلك بانه كانت تأتيهم رسلهم بالبينات فقالوا أبشر يهدوننا فكفروا وتولوا واستغنى الله والله غني حميد)

« ذلك » مبتداء يشير إلى ماتقدم أى ذلك الوبال الدنيوى والعذاب الاخروى و « بانه » الضمير للشأن والامر ، و « كانت » فعل ماض من أفعال الناقصة ، واسمه ضمير مستتر فيه أى كانت القصّة ، و « تأتيهم » الفعل لغيبة المضارع جيء بالتأنيث باعتبار جماعة فاعله ، وهو « رسلهم » جمع الرسول ، وضمير الجمع الغائب الاول فى موضع نصب ، مفعول به ، والضميران الغائبان راجعان إلى الكافرين المتقدم ذكرهم ، و « بالبينات » جمع البينة متعلق بفعل الاتيان ، والجملة فى موضع نصب خبر لفعل الناقص ، والجملة بتمامها فى موضع رفع ، خبر لحرف التأكيد ، و الجملة كلها بعد الانسباك إلى المصدر خبر للمبتداء .

« فقالوا » الفاء تعقيبية ، و « أبشر » الاستفهام انكارية و مدخولها مبتداء جيىء بالنكرة لتقدم الاستفهام عليها نحو : هل فتى فيكم .

« يهدوننا » خبر المبتداء ، وجمع الفعل لان البشر اسم يصلح للواحد و الجمع ، والمراد به ههنا الجمع ، كقوله تعالى: « ما أنتم الا بشر مثلنا » يس : ١٥)

وقيل : يجوز أن يكون فاعلا أى أيهدينا بشر ، فيفسّره قوله : « يهدوننا» فكأنه قيل : أيهدينا بشر يهدوننا ، وانما اضمر الفعل لان الاستفهام بالفعل أولى

و « فكفروا » الفاء تفريعية ، و« تولوا » فعل ماض من باب التفعّل عطف على كفروا

و « واستغنى » الواو حالية ، و الفعل ماض من باب الاستفعال ، و« الله » فاعله ، والتقدير : وقد كان الله تعالى مستغنياً قديماً أو والحال وجود استغناء الله جل و علا فى وجودكم .

« و » استينافية ، و« الله » مبتداء ، و « غنى » خبره ، و « حميد » خبر بعد خبر

٧- (زعم الذين كفروا أن لن يبعثوا قل بلى وربى لتبعثن ثم لتنبؤن بما عملتم وذلك على الله يسير)

« زعم » فعل ماض من أفعال القلوب يتعدى إلى مفعولين الا انه سدّت الجملة وهى قوله : « أن ان يبعثوا » مسدّ المفعولين لما فيها من ذكر الحديث والمحدث عنه كقوله تعالى : « أحسب الناس أن يتركوا » العنكبوت : ٢) والتقدير: انهم ان يبعثوا ، ولما كان « لن » دليل الاستقبال تعينت « أن » قبلها أن تكون مخففة من الثقيلة لان « ان » يمنعها من أن تكون ناصبة للفعل لعدم جواز اجتماع أداتى الاستقبال .

« الذين » فى موضع رفع ، فاعل لفعل الزعم ، و« كفروا » صلة الموصول .

و « يبعثوا » فعل مضارع مبنى للمفعول ، منصوب بحرف النفى للتأبيد ، و « قل » فعل أمر خطاب للنبى صلى الله عليه وآله وسلم و « بلى » كلمة للجواب تقع بعد النفى لاثبات ما بعده كما وقع فى الاية ، و « و ربى » الواو للقسم ، و« لتبعثن » اللام للتأكيد ، و مدخولها فعل مضارع لجمع الخطاب مؤكد بنون الثقيلة ، و« ثم » للعطف على التراخى ، و « لتنبؤن » فعل مضارع - من باب التفعيل - مبنى للمفعول مؤكد بنون الثقيلة ، و« بما » موصولة مع جارها متعلق بفعل التنبيه ، و « عملتم » صلة

الموصول على حذف العائد أى عملتموه .

« و » استينافية و « ذلك » مبتداء ، و « على الله » متعلق بقوله تعالى: « يسير » وهوالخبر ، وقدّم الظرف لضرورة النظم .

٨ـ (فامنوا بالله ورسوله والنور الذى أنزلنا والله بما تعملون خبير)

الفاء للفصيحة ، و مدخولها فعل أمر لخطاب الجمع من باب الأفعال ، و « الذى » موصولة ، و « أنزلنا » فعل ماض للتكلم ، صلة الموصول على حذف العائد ، و الجملة في موضع جرّ نعت من « النور » و « و » استينافية و « الله » مبتداء ، و « بما » موصولة مع جارها ، متعلق بقوله : « خبير » وهوخبر المبتداء و « تعملون » صلة الموصول على حذف العائد أى تعملونه ، والكلام فى تقديم المتعلق هو الكلام فى المتقدم .

٩ـ (يوم يجمعكم ليوم الجمع ذلك يوم التغابن ومن يؤمن بالله ويعمل صالحاً يكفر عنه سيئاته ويدخله جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها أبداً ذلك الفوز العظيم)

« يوم » ظرف لقوله : « لتبعثن » او « لتنبؤن » مبنى للاضافة إلى الجملة ، وقيل : ظرف لقوله : « خبير » وقيل : لما دل عليه الكلام أى تتفاوتون يوم يجمعكم وقيل : التقدير : اذكروا يوم يجمعكم ، وقيل : يجوز أن يكون « يوم » مبنياً على الفتح ، ومحله ابتداء ، وخبره جملة قوله : « ذلك يوم التغابن »

ان قلت: ما الفائدة فى زيادة قوله : « ليوم الجمع » ؟

قلت : إن كان الخطاب فى « يجمعكم » لكفّار مكة فظاهر ، أى اذكروا وقت جمعكم الواقع فى وقت يجمع فيه الاولون والاخرون ، وإن كان لعموم الناس فاللام فى الجمع للمعهود الذى سلف فى نحو قوله : « يوم يجمع الله الرسل وحشرناهم فلم نغادر منهم أحداً قل ان الاولين والاخرين لمجموعون إلى ميقات يوم معلوم »

« ذلك » مبتداء ، و « يوم التغابن » خبره « و » استينافية ، و « من » اسم

شرط و « يؤمن » فعل مضارع من باب الافعال مجزوم بالشرط ، و « يعمل صالحاً » عطف على « يؤمن » و « يكفر » فعل مضارع من باب التفعيل جواب الشرط ، و « سيئاته » جمع السيئة مفعول بها لفعل التكفير ، و « يدخله » فعل مضارع من باب الافعال عطف على « يكفر » وضمير المستقبل في موضع نصب مفعول به الاول و « جنات » مفعول ثان ، و « تجري » في موضع نصب ، نعت من « جنات » و « خالدين » حال من معنى « من » و « أبداً » منصوب على الظرفية .

« ذلك » مبتداء و « الفوز » خبره ، و « العظيم » نعت من « الفوز » ويحتمل أن يكون خبراً بعد خبر.

١٠- (والذين كفروا وكذبوا بآياتنا اولئك أصحاب النار خالدين فيهاو بئس المصير)

الواو للعطف ، و « اولئك » مبتداء ، و « أصحاب النار » خبره و « خالدين » حال من الكافرين المكذبين ، و « بئس » فعل ذم على حذف المخصوص أي بئس المصير مصيرهم إلى النار .

١١- (ما أصاب من مصيبة الا باذن الله ومن يؤمن بالله يهد قلبه والله بكل شيء عليم)

« ما » نافية و « أصاب » فعل ماض من باب الافعال ، و « من مصيبة » نائب مناب الفاعل على حذف المفعول أي أحداً ، والواو للاستيناف و « من » شرطية و « يؤمن » فعل الشرط ، و « يهد » جزاء الشرط ، و « قلبه » مفعول به .

« و » استينافية و « الله » مبتداء ، و « بكل شيء » متعلق بقوله : « عليم » وهو خبره .

١٢- (واطيعوا الله واطيعوا الرسول فان توليتم فانما على رسولنا البلاغ المبين)

الواو للعطف على الأمر بالايمان : « فامنوا » و « اطيعوا » فعل أمر لجمع الخطاب المذكر من باب الافعال ، و « الله » مفعول به و « اطيعوا الرسول » عطف

على ماقبله ، « فان » الفاء تفريعية ، و مدخولها حرف شرط و « توليتم » فعل ماض لجمع الخطاب المذكر من باب التفعّل « فانما » الفاء جزائية ومدخولها كلمة حصر ، و « على رسولنا » متعلق بمحذوف خبر مقدم ، و « البلاغ » مبتداء مؤخر ، و « المبين » نعت من « البلاغ » والجملة جزاء الشرط .

١٣- (الله لااله الا هو وعلى الله فليتوكل المؤمنون)

« الله » مبتداء ، و « لا » حرف نفي للجنس ، و « اله » اسمها و « الا » استثنائية ، و « هو » خبرها ، والجملة خبر المبتداء ، و « على الله » متعلق بقوله « فليتوكل » الفاء تفريعية ، ومدخولها فعل أمر ، مجزوم بلام الأمر من باب التفعّل و « المؤمنون » فاعل الفعل .

١٤- (يا ايها الذين آمنوا ان من ازواجكم و اولادكم عدواً لكم فاحذروهم وان تعفوا وتصفحوا وتغفروا فان الله غفوررحيم)

« إن » حرف تأكيد ، و « من » تبعيضية ، و « أزواج » جمع زوج اضيف إلى « كم » والجار والمجرور متعلق بمحذوف وهو خبر لحرف التأكيد ، و « اولادكم » عطف على ما قبله ، و « عدواً » اسم لحرف التاكيد ، و « لكم » متعلق بـ « عدواً » وقيل : متعلق بمحذوف ، « فاحذروهم » الفاء للتفريع ، ومدخولها فعل أمر لخطاب الجمع ، وضمير جمع الغيبة فى موضع نصب ، مفعول به .

« إن » حرف شرط ، و « تعفوا » فعل مضارع لجمع الخطاب المذكر ، مجزوم بحرف الشرط ، و « تصفحوا وتغفروا » عطفان على « تعفوا » « فان » الفاء للجزاء و مدخولها حرف تاكيد ، و « الله » اسمها ، و « غفور » خبرها ، و « رحيم » خبر بعد خبر .

١٥- (انما أموالكم واولادكم فتنة والله عنده اجر عظيم)

« انما » كلمة حصر ، و « أموالكم » جمع المال ، اضيف إلى ضمير جمع الخطاب : مبتداء ، و « اولادكم » عطف على ما قبله ، و « فتنة » خبر المبتداء .

« و » استينافية ، و « الله » مبتداء ، و « عنده » متعلق بمحذوف ، وهو خبر

مقدم، و« أجر »مبتداء مؤخر،و« عظيم » نعت من « اجر » والجملة خبر للمبتداء الاول .

١٦ـ **(فاتقوا الله مااستطعتم واسمعوا واطيعوا وانفقوا خيراً لانفسكم ومن يوق شح نفسه فاولئك هم المفلحون)**

الفاء تفريعية ، ومدخولهافعل امر لخطاب الجمع المذكر من باب الافتعال أصله : إوتقيوا ، فانقلبت الواو تاءاً ، ثم ادغمت فى الاخرى ، فصار اتقيوا ، و لثقل الضمة على الياء نقلت إلى القاف بعد حذف حركتها ، فصار اتقوا:و« الله » مفعول بهو « ما » مصدرية زمانية ، ويحتمل الموصول على حذف العائد أى الذى استطعتموه ، و « استطعتم » فعل ماض لجمع الخطاب المذكر من باب الاستفعال على حذف عين الفعل .

« واسمعوا » الواو للعطف و « اسمعوا » فعل امر لجمع الخطاب المذكر على حذف المفعول به أى واسمعوا ما يتلوا عليكم الرسول ﷺ من آيات الله تعالى وما يعظكم به ،و كذلك « اطيعوا » أى اطيعوا الله ورسوله ﷺ حذفت المفاعيل لدلالة السياق عليها من قوله تعالى :« والنور الذى أنزلنا ـ واطيعوا الله و اطيعوا الرسول » التغابن : ٨ ـ ١٢)

« خيراً » منصوب بمحذوف على تقدير : آمنوا خيراً لانفسكم ، و يحتمل أن يكون « انفقوا » مضمّنا معنى قدّموا او ما يقرب منه بقرينة المقام ،وقيل: على تقدير: انفقوا خيراً من أموالكم لانفسكم نحو قوله تعالى : « انتهوا خيراً لكم» النساء : ١٧١) وقيل : « خيراً »بمعنى « مالا » وقيل :انفقوا إنفاقاً خيراً .وقيل: وآتوا خيراً وقيل : « خيراً » خبر لكان مقدراً .

« و » استينافية و « من » شرطية ، و « يوق » فعل مضارع مبنى للمفعول ، مجزوم باسم الشرط ، و«شح نفسه »مفعول ثان اقيم مقام مفعول به الاول،«فاولئك» الفاءجزائية ، ومدخولهامبتداء ، و« هم »مبتداء ثان، ويحتمل الفصل و«المفلحون» خبر والجملة جزاء للشرط .

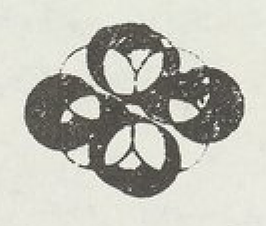
١٧ـ (ان تقرضوا الله قرضاً حسناً يضاعفه لكم ويغفر لكم والله شكور حليم)

« إن » حـرف شرط ، و « تقرضوا » فعل مضارع لجمع الخطاب المذ كر من باب الافعال ، مجزوم بحرف الشرط ، و « الله » مفعول به ، الاول ، و«قرضاً» مفعول ثان وقيل مفعول :مطلق،و « حسناً »نعت من «قرضاً »و« يضاعفه » فعل مضارع من باب مفعول المفاعلة ، مجزوم بأداة الشرط ، والجملة جزاء الشرط ، و ضمير المتصل في موضع نصب ،مفعول به ، و « لكم » متعلق بـ« يضاعفه » و « يغفر لكم» عطف على «يضاعفه »

« و » استينافية ، و « الله » مبتداء ، و « شكور » خبره ، و « حليم » خبر بعد خبر.

١٨ـ (عالم الغيب والشهادة العزيز الحكيم)

« عالم الغيب » نعت من « الله » جل جلاله ، و «الشهادة » عطف على«الغيب» و « العزيز » نعت ثان ، و «الحكيم» نعت ثالث .



﴿البيان﴾

١- (يسبح لله ما فى السموات و ما فى الارض له الملك و له الحمد و هو على كل شىء قدير)

تقرير تسبيحى وتنزيهى من كل من السموات وما فيها ، و من الارض وما فيها و ما بينهما لله تعالى ، و إشارة إلى خضوع كل شيء له ، و استحقاقه وحده للحمد والتقديس ، وتقرير لعظمة ملك الله تعالى ، وتعميم قدرته على ما سواه .

وفى ايثار المضارع « يسبح » دلالة على استمرار التسبيح ، وفى مجيىء «ما» دون « من » تغليب للاكثر كما ان فى تكرير « ما » زيادة تقرير و تنبيه على استقلال كل من الفريقين بالتسبيح .

وفى اطلاق « له الملك » وعدم محدوديته بحد ، و اطلاق « له الحمد » و عدم تقييده بقيد ، وتعميم القدرة « على كل شيء » دلالة على شمول التسبيح لله تعالى من نفس السموات والارض .

وقوله جل وعلا : « له الملك و له الحمد » فى موضع تعليل لما تقدم ، و قوله : « وهو على كل شيء قدير » تعليل فى تعليل .

و فى تذييل الاية بأداة التعميم فى القدرة تمهيد لذكر مظاهرها فيما سواه اطلاقاً .

٢- (هوالذى خلقكم فمنكم كافر ومنكم مؤمن والله بما تعملون بصير)

تقرير لمظاهر عظمة الله تعالى و قدرته فى الكون والخلق ، و شمول علمه

جل و علا ، و إن كان الخطاب للسامعين و لكن اسلوب الاية عام هادىء موجه الى القلب والعقل معاً .

قوله تعالى : « فمنكم كافر ومنكم مؤمن » تقرير لتشعب المكلفين إلى ما تقتضيه الفطرة و هو الايمان ، وإلى خلافه وهوالكفر مما قال رسول الله ﷺ : « كل مولود يولدعلى الفطرة حتى يكون أبواه يهوّدانه أو ينصّرانه أو يمجّسانه » فالفاء هنالا تعنى تفريع الكفرو الايمان على الخلق انهما من خلق الله كسائر الخلق ، و انما تعنى تأخرهما عن الخلق: الخلق والايمان الاختيارى منذالتكليف سواء وجدت الاسباب قبل التكليف ام بعده ؟ .

وفى تقديم الكافر على المؤمن فى الذكر إشارة إلى كثرتهم فى العدد ، أو إشارة إلى ان الكفر خلاف ما تقتضيه الخليقة الانسانية ، فقدّمه ذماً و تهديداً على من خالفه .

وقيل : ان الواو لاتعطى رتبة ، ولا تقتضى ترتيباً كما قال تعالى : « فمنهم شقى وسعيد » هود : ١٠٥) و قال : « لا يستوى أصحاب النار و أصحاب الجنة » الحشر : ٢٠) وقال : « فمنهم ظالم لنفسه و منهم مقتصد و منهم سابق بالخيرات » الفاطر: ٣٢) وقال: « يهب لمن يشاء اناثاً ويهب لمن يشاء الذكور »الشورى:٤٩)

قوله تعالى : « والله بما تعلمون بصير» تذكرة بعلمه تعالى بدقائق أعمالهم ليتأكدبه الامر الاتى فى قوله: « فامنوا » وتنبيه على ان الايمان والكفرمن أعمال الخلق لامن خلق الله سبحانه وفيه ردّ على من زعم من العامة : ان الكفروالايمان من خلق الله جل وعلا وان العمل يعمّم عمل القلب والقالب فالله تعالى بصير بهما.

٣ ـ (خلق السموات والارض بالحق و صوركم فاحسن صوركم و اليه المصير)

تقرير لمطلق تصرّفه جل و علافى الكون ، واتقان خلق الانسان وتصويره على أحسن الصور ، و تذكير الانسان بما ميّزه الله على غيره من خلقه بالميزات

المتنوعة : الظاهرة والباطنة ، و تنبيهه بما يوجب على الانسان من الاعتراف بفضل الله تعالى عليه ، والاستجابة إلى دعوته .

ان تسئل : كيف أحسن الله تعالى صورة الانسان و ميزه على غيره ؟

تجيب : بدليل انالانسان لا يتمنى أن تكون صورته على خلاف مايرى من سائر الصور كماان المؤمنوالشيعيوالسيد والرجل . . . لايتمنون أنيكونوا كافرا وعامياً وإمرأة . . . بخلاف العكس .

و فى قوله تعالى : « وإليه المصير » إنذاروتخويف وتحذير من يوم القيامة اذ يحاسب كل فيه بما قدموا من كفر أو ايمان ، من خير أوشر ، و من صالح العمل او فساده . . .

٤ - (يعلم ما فى السموات والارض و يعلم ما تسرون وما تعلنون والله عليم بذات الصدور)

تقرير لاحاطة علمه تعالى ببماقي الكون من ظواهره و خفاياه ، و فى قوله جل وعلا : « و يعلم ما تسرون وما تعلنون » تأكيد للوعد والوعيد وتشديدلهما والفرق بين الاسرار والاخفاء ان الاخفاءاعم لانه قد يخفى شخصهو يخفى المعنى فىنفسه، والاسرار يكون فى المعنى دون الشخص .

وقوله سبحانه : « والله عليم بذات الصدور » اعتراض تذييلى مقرر لماقبله من شمول علمه عزوجل لسرهم و علنهم ، واظهار الجلالة للاشعار بعلة الحكمو تأكيد لاستقلال الجملة .

٥ - (الم ياتكم نبوءا الذين كفروا من قبل فذاقوا وبال أمرهم ولهم عذاب أليم)

خطاب توبيخى و تعجيبى للمشركين والكافرين و تهديدهم بحال كفار الامم الماضية ، وتنبيههمعلى قصصهم وتذكيرهم بنكالالله تعالى فيهم لماكفروابه.

و فى الاية من تعليق الحكم على الوصف اشعاراً للعلية ، كما يدل على ذلك ايضاً وبال الامر إلى أنفسهم ، سواء قلنا بسببية الفاء أم كونها للنتيجة أو

التفريع اضافة مالا يخفى على المتأمل الخبير.

قوله تعالى: «فذاقوا وبال أمرهم» إشارة إلى مانزل على الامم السالفة الهالكة من عذاب الاستئصال الدنيوى، وقوله: «ولهم عذاب أليم» إشارة إلى عذابهم الاخروى.

٦ - (ذلك بانه كانت تاتيهم رسلهم بالبينات فقالوا أبشريهدوننا فكفرواو تولوا واستغنى الله والله غنى حميد)

تقرير لسبب ما حلّ بالامم الماضية الهالكة من النقمة، وتعذيبهم بعذاب الاستئصال و عذاب الاخرة، و حكاية لتكذيبهم برسل الله تعالى وتوليهم عن آيات الله جل و علا، و موقفهم من الرسل حيث كانوا يستنكرون أن يكون الرسل والداعون إليه بشراً.

ولذلك جيىء بالفصل دون الوصل بالعطف كأنه جواب لسؤال مقدر: كأن سائلاً يسئل: لم أصابهم ما أصابهم من العذاب الدنيوى، و يصيبهم من العذاب الاخروى؟

فاجيب: «ذلك بانه كانت تأتيهم رسلهم» و فى ايثار المضارع، و جمع الرسل دلالة على استمرارهم فى كفرهم.

و فى الاية: تنديد بالكافرين برسالة النبى الكريم صلى الله عليه وآله وسلم الذين كان يصدر منهم مثل قول هؤلاء الكافرين السابقين.

قوله: «فكفروا وتولوا» تفريع على استكبارهم اذقالوا: «أبشر يهدوننا» فبنوا عليه كفرهم و إعراضهم، وفى تنكير «بشر» تحقير، والاستفهام للانكار على سبيل الاستكبار.

ان تسئل: قوله تعالى: «وتولوا واستغنى الله» يوهم وجود التولى والاستغناء معاً بعد مجيىء رسلهم إليهم والله تعالى لم يزل غنياً؟

تجيب: معناه و ظهر استغناء الله تعالى عن ايمانهم وعبادتهم حيث لم يلجئهم إلى الايمان، ولم يضطرّهم إليه مع قدرته جل وعلا على ذلك.

قيل : ولم يذكر المستغنى عنه فى قوله تعالى : « و استغنى الله » ليتناول كل شيء ، و من جملته ايمانهم و طاعتهم .

وقوله : « والله غنى حميد» فى موضع تعليل لمضمون الاية .

٧ - (زعم الذين كفروا أن لن يبعثوا قل بلى لتبعثن ثم لتنبؤن بما عملتم و ذلك على الله يسير)

حكاية لزعم الكفار باستحالة بعثهم بعد الموت ، وتقريع لهم ، و أمر للنبى الكريم صلى الله عليه وآله وسلم بتوكيد ذلك و سهولته على الله تعالى .

قوله تعالى : « قل » ردّ عليهم و ابطال لزعمهم باثبات مانفوه « بلى وربى » تاكيد لتكذيبهم ، « لتبعثن ثم لتنبؤن بما عملتم » جملة مستقلة داخلة تحت الامر ، واردة لتأكيد ماأفاده كلمة «بلى » من اثبات البعث ، وبيان تحقيق أمر آخر متفرع عليه ، منوط به ، ففيه تأكيد لتحقق البعث بوجهين ، و « لتبعثن » تاكيد لليمين بأداتى اللام والنون .

« ثم لتنبؤن بما عملتم » إشارة إلى غاية البعث ، و هو الحساب ، و يمكن أن يقال : ان غاية البعث هو الجزاء بعد البعث .

« و ذلك على الله يسير » فى اظهار اسم الجلالة ايماء إلى التعليل لما تقدم والمفاد ان ذلك يسير عليه جل و علا لان الله تعالى ، والكلام حجة برهانية لا دعوى مجرّدة .

٨ - (فامنوا بالله ورسوله والنور الذى أنزلنا والله بما تعملون خبير)

الفاء فصيحة تفصح عن شرط قد حذف ثقة بغاية ظهوره أى اذا كان الامر كذلك فآمنوا .

و قيل : الفاء للتفريع على مضمون الاية السابقة . . أى اذا كنتم مبعوثين لا محالة منبئين بما عملتم فقد وجب عليكم أن تؤمنوا الخ .

قوله تعالى: « والنور » هذه استعارة ، والمراد بالنور ههنا القرآن الكريم وانما سمّى نوراً لان به يهتدى فى ظلم الكفر والضلال كما يهتدى بالنور الساطع

والشهاب اللامع ، وضياء القرآن أشرف من ضياء الانوار لان القرآن يعشو إليه القلب ، والنور يعشو إليه الطرف .

« انزلنا » فى الالتفات من الغيبة إلى التكلم مع الغير ـ نون العظمة ـ ابراز لكمال العناية بأمر الانزال ، و تتميم للحجة على طريق الشهادة ، و هى أقطع للعذر ، فكم فرق بين القول : « والنور الذى أنزل » على سبيل الاخبار ، والقول « والنور الذى انزلنا » على سبيل الشهادة منه جل وعلا ، على ان القرآن الكريم كتاب سماوى نازل من عنده بشهادته جل وعلا ، على ذلك ، و ان الشهادة آكد من الاخبار المجرد .

ان تسئل : ما ذا ينفع ذلك ، وهم كانوا ينكرون لكون القرآن من كلام الله تعالى النازل من عنده ، ولو صدقوا ذلك للكفاهم مامر من الحجة على البعث والحساب ، و أغنى عن التمسك بذيل الالتفات المذكور ؟

تجيب : كفاك فى ابطال انكارهم لكون القرآن من كلام الله تعالى ماجاء فيه من آيات التحدى المثبتة لكونه كلام الله ، و الشهادة على أى حال آكد و أقوى من الاخبار و ان كان مدللاً .

وقوله تعالى : « والله بما تعملون خبير » اعتراض تذييلى مقرر لما قبله من الامر ، موجب للامتثال به بالوعد والوعيد ، والالتفات إلى الاسم الجليل لتربية المهابة ، وتأكيد لاستقلال الجملة ، و فيها تذكرة بعلمه تعالى بدقائق أعمالهم ليتأكد به الامر فى قوله : « فآمنوا » و المعنى : آمنوا وجدّوا فى ايمانكم ، فانه تعالى عليم بدقائق أعمالكم لا يغفل عن شئى منها ، و هو مجازيكم بها لامحالة .

٩ ـ (يوم يجمعكم ليوم الجمع ذلك يوم التغابن ومن يؤمن بالله ويعمل صالحاً يكفرعنه سيئاته و يدخله جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها أبداً ذلك الفوز العظيم) .

مستأنف بيانى جواب عن سؤال يتردد على الخاطر ممن سمع قوله تعالى « والله بما تعلمون خبير » و هو : ماوراء هذا العلم الذى يعلمه الله تعالى من

أعمالنا ؟ اجيب : ستعلمون ما وراء هذا العلم يوم تردّون إلى الله تعالى : يوم يجمعكم ليوم الجمع ، و هو يوم القيامة ، فيجزى المحسنين جميل الجزاء والمسيئين ما يخزيهم من عذاب و هوان .

مع كونه استطراداً انذارياً بذكر يوم القيامة ، و ماسوف يظهر للكافرين فيه من مقدار الغبن العظيم الذى وقعوا فيه فى الحياة الدنيا باصرارهم على الكفر وعدم استجابتهم إلى دعوة الحق والهدى ، و تقريراً لمصير الناس فى ذلك اليوم حيث يتجاوز الله تعالى عن سيئات المؤمنين الصالحين و يكون لهم الخلود فى الجنة و نعيمها .

قوله تعالى : « ذلك يوم التغابن » فى تخصيص التغابن بذلك اليوم ايذان بان التغابن فى الحقيقة هو الذى يقع فى يوم القيامة ، لا مايقع فى امور الدنيا .

فى تلخيص البيان للسيد الرضى رضوان الله تعالى عليه قال : « فذكر التغابن ههنا مجاز ، والمراد به والله أعلم تشبيه المؤمنين والكافرين بالمتعاقدين و المتبايعين ، فكأنّ المؤمنين ابتاعوا دار الثواب ، و كأن الكافرين اعتاضوا منها دار العقاب ، فتفاوتوا فى الصفقة و تغابنوا فى البيعة ، فكان الربح مع المؤمنين والخسران مع الكافرين و يشبه ذلك قوله تعالى : « هل ادلكم على تجارة تنجيكم من عذاب تؤمنون بالله ورسوله » الاية انتهى كلامه رفع مقامه .

وقوله تعالى : « و من يؤمن بالله و يعمل صالحاً - إلى - وبئس المصير » بيان لكيفية التغابن بان التغابن الذى يترتب عليهم بسوء اختيار المغبون ، والفوز ينال به الفائز بحسن اختيار الفائز ، و فى الاية الاولى دلالة على ان تكفير السيئة ونيل الفوز ، و دخول الجنة منوط بأمرين : الايمان وصالح العمل معاً ، فلا يفيد أحدهما منفكاً عن الاخر .

وقوله تعالى : « و من يؤمن بالله - إلى - ذلك الفوز العظيم » دفع لما قد يتوهم : ان هذا اليوم يوم سوء لجميع الناس ، وانهم جميعاً واقعون تحت مشاعر الغبن التى من شأنها أن تملأ النفس حسرة وألماً فجاء قوله تعالى : « ومن يؤمن

بالله الخ . . . » ليقيم نفوس المؤمنين الصالحين على الرضا والحمد لما هداهم الله جل وعلا إليه من الايمان ، ولما وفقهم إليه من صالح الاعمال ، و انه لابأس عليهم من سيئ الاعمال عملوها إلى جانب صالحها يسؤهم أن يروها في يومهم هذا فقد كفرها الله تعالى عنهم ومحاها من صحفهم حتى يبدولهم كتابهم أبيض ناصعاً بحيث لايدخل معهم من أعمالهم الا ما كان صالحاً ، يسعى بين أيديهم وبأيمانهم، نوراً يضيء ،لهم الطريق إلى الجنة .

« ذلك الفوز العظيم » فلتقر أعينهم به ، و ليهنؤا بما آتاهم الله تعالى ، و لا عليهم مما كان لهم من أعمال سيئة في الدنيا . . و اذن فلا غبن ، و لاآثار غبن الا لاهل الكفر والضلال .

١٠- (والذين كفروا وكذبوا باياتنا اولئك أصحاب النارخالدين فيها وبئس المصير)

تقرير لمصير الكافرين يوم القيامة و خلودهم في النار ، وبيان للغبن الملازم للكافرين ، و للآثار المرتبة عليه . . انهم هم المغبونون حقاً ، وهم المتجرعون لغصص هذا الغبن بما فاتهم في الحياة الدنيا من الايمان و صالح الاعمال ، و انهم مع هذا العذاب والخلود فيه - في حسرة دائمة على ان لم يكونوا من المؤمنين.

١١ - (ما أصاب من مصيبة الا باذن الله ومن يومن بالله يهد قلبه والله بكل شيء عليم)

تقرير لما يصيب الانسان من المصائب والبلاياء في شؤون حياته في الدنيا بانها باذن الله تعالى العليم بكل شيء ، و دعوة الانسان إلى الايمان وتفويض أمره إلى خالقه المتعال ، فيهدى قلبه لليقين والاطمئنان ، فيرضى ويصبر على ما يقع عليه من البأساء والضراء كلها من أسباب الكمال الانساني .

قال الله تعالى : «والصابرين في الباساء والضراء وحين البأس اولئك الذين صدقوا واولئك هم المتقون » البقرة : ١٧٧)

ان تسئل : كيف قال الله تعالى : « ومن يؤمن بالله يهد قلبه » مع أن

الهداية سابقة على الايمان ، اذ لولاسبق الهداية لما وجد الايمان؟

تجيب : ان المراد بهداية القلب ههنا حصول اليقين والطمأنينة له عند نزول البلاء والمصائب بانها كلها باذن الله جل وعلا ، و هذان لا يحصلان الا بالايمان بالله سبحانه .

قوله تعالى : « والله بكل شيء عليم » في موضع تعليل لما تقدم باعتبار ، وتأكيد المدعوة إلى الايمان واليقين باعتبار آخر ، وتهديد من جهة ثالثة ، ووعد من وجهة رابعة فتأمل جيداً .

١٢ - (و اطيعوا الله و أطيعوا الرسول فان توليتم فانما على رسولنا البلاغ المبين)

تعقيب على الخبر المتقدم ، و أمر موجه للمسلمين بوجوب طاعة الله تعالى و طاعة رسوله صلى الله عليه وآله وسلم في كل حال ، وايذان لمن يستمع لهذا التلقين والعظة ، و يتولى عن واجب الطاعة بانه ليس على الرسول صلى الله عليه وآله وسلم الا التبليغ والامر والارشاد والبيان ، و قد انطوى في الايذان معنى الانذار .

و تكرير الامر للتأكيد والايذان بالفرق بين الطاعتين في الكيفية ، على ان المراد با طاعة الله تعالى : الانقياد له فيما شرّعه لهم من شرائع الدين ، والمراد باطاعة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم : الانقياد له و امتثال ما يأمر به بحسب ولايته للامة على ما جعلها الله تعالى له .

وتوضيح مورد التولي في قوله تعالى : « فان توليتم فانما على رسولنا البلاغ المبين » تعليل للجواب المحذوف أي فلا بأس عليه اذ ما عليه صلى الله عليه وآله وسلم الا التبليغ المبين ، و قد فعل ذلك بما لامزيد عليه .

و إظهار الرسول صلى الله عليه وآله وسلم مضافاً إلى نون العظمة في مقام الاضمار لتشريفه صلى الله عليه وآله وسلم والاشعار بمدار الحكم الذي هو كون وظيفته صلى الله عليه وآله وسلم محض البلاغ ، و لزيادة تشنيع التولي عنه صلى الله عليه وآله وسلم ، و لقطع حجة المعتذرين ، وفي الجملة تهديد شديد للذين يتولون ، وتسلية للنبي الكريم صلى الله عليه وآله وسلم كيلا يحزن . . .

١٣ـ (الله لا اله الا هو وعلى الله فليتوكل المؤمنون)

بيان و تعليل لو جوب اطاعة الله تعالى بانها من شئوون العبودية، والامر من شئوون الالوهية ، فطاعة المطيع بالنسبة إلى المطاع نوع عبادة له ، و اذلا معبود الا الله جل وعلا ، فلا طاعة الا لله تعالى أو من أمر بطاعته ، وبذلك يظهر لك وجه تخصيص صفة الالوهية التي تفيدمعنى المعبودية بالذكر دون صفة الربوبية والرحمة . . . فلم يقل : الله لارب غيره أو : الله لارحمن غيره . . .

قوله تعالى : « وعلى الله فليتوكل المؤمنون » تأكيد لمعنى الجملة السابقة و في إظهار الجلالة موضع الاضمار إشعار بعلة التوكل ، والامر به ، فان الالوهية مقتضية للتبتل إليه جل و علا بالكلية ، وقطع التعلق عما سواه بالتمام .

وفي تقديم الظرف ايماء إلى أن المؤمن لا يعتمد الا على الله ، ولايتقوى الا به لانه يعتقد انه لاقادر في الحقيقة الا هو جل و علا ، فيجب على المؤمنين أن يجعلوا اتكالهم على الله تعالى وحده دائماً ، فكأن الجملة تشير إلى أن من لايتوكل على الله فليس بمؤمن ، وهي كالخاتمة والفذلكة لما تقدم ، وتنطوي على علاج نفساني قوي يستمد منه المؤمن قوة و صبراً و سكينة و طمأنينة و إسلاماً لله جل و علا ، واتكالاً عليه في الازمات والملمات الطارئة او المتوقعة التي لاتخلو حياة الناس منها في كل وقت ومكان . . .

ولايخفى على القارىء الخبير : ما في الالتفاتين ـ من الخطاب والتكلم إلى الغيبة ـ من النكتة فتأمل و اغتنم .

١٤ـ (ياأيها الذين آمنوا ان من أزواجكم واولادكم عدواً لكم فاحذروهم و ان تعفوا وتصفحوا و تغفروا فان الله غفور رحيم)

إلتفات من الغيبة إلى الخطاب والتكلم ، و في الختام إلتفات من التكلم إلى الغيبة ، و تنبيه للمؤمنين ، و موجه إلى جميعهم على سبيل العظة بأن من أزواجهم و أولادهم من يكون عدواً لهم يجب الحذر منه، ودعوة لهم الى أن يعطوا هذا الايمان حقه ،ووصية لهم على كل حال بالعفو و الصفح والغفران تأسياً بالله

تعالى الغفور الرحيم، دعوة إلى الرفق فى الحذر، والتلطف فى لقاء المكروه الذى يجيىء إلى المؤمن من زوجه اوولده، وندب إلى كمال الاغماض عنهم اذا ظهر منهم شيء من آثار المعاداة مع الحذر أن يفتتن بهم.

و ان الاية وما بعدها بهذا التعميم و الاطلاق مستمرة التقلين والمدى من جميع النواحى بالنسبة إلى جميع المسلمين فى كل ظرف و مكان فى المناسبات والمواقف المماثلة...

قيل: سياق الخطاب بلفظ «يا أيها الذين آمنوا» و تعليق العداوة بهم يفيد التعليل أى انهم يعادونهم بما أنهم مؤمنون، والعدواة من جهة الايمان لاتتحقق الاّ باهتمامهم أن يصرفوهم عن أصل الايمان او عن الاعمال الصالحة كالانفاق فى سبيل الله، و الهجرة من دار الكفر، او أن يحملوهم على الكفر او المعاصى الموبقة كالبخل عن الانفاق فى سبيل الله شفقة على الاولاد والازواج والغصب و اكتساب المال من غير طريق حلّه.

فالله سبحانه يعدّ بعض الا ولاد والازواج عدواً للمؤمنين فى ايمانهم حيث يحملونهم على ترك الايمان بالله او ترك بعض الاعمال الصالحة او اقتراب بعض الكبائر الموبقة، وربما أطاعوهم فى بعض ذلك شفقة عليهم وحباً لهم فامرهم الله بالحذر منهم.

١٥ - (انما أموالكم و اولادكم فتنة والله عنده أجر عظيم)

تنبيه للمؤمنين على طريق العظة بان أموالهم و أولادهم دهى بوجه عام: امتحان لهم فى الاختيار بين واجبهم نحو الله تعالى والمصلحة العامة، وبين أموالهم واولادهم، و بان ما عند الله تعالى من الاجر العظيم هو أعظم و أجدى، و بان من مصلحتهم أن يختاروا ما فيه رضاه الله حتى ينالوا ما عنده من جزيل الثواب و جميل الجزاء.

و ان الاخبار بكون الاموال والا ولاد فتنة كناية عن انجذاب النفس اليهما و التلهى بهما، والتفريط فى جنب الله جل وعلا باللى إليهما، و يؤكده

قوله تعالى : « والله عنده اجر عظيم » ولايخفى على القارىءالخبير وجه الحصر . .

١٦ - (فاتقوا الله ما استطعتم واسمعوا واطيعوا و انفقوا خيراً لانفسكم و من يوق شح نفسه فاولئك هم المفلحون)

تفريع على ماتقدم ، وحث للمؤمنين على التقوى فى اتباع أوامر الله تعالى و اجتناب نواهيه جهد استطاعتهم ، واستماع آيات الله جل وعلا ، وتحريص على الطاعة لله و رسوله صلى الله عليه وآله وسلم وبذل المال والانفاق فى سبيل الله سبحانه و وجوه البر، و تحذير من الشح والضن بالبذل ، و فى هذا خاصة خير ونفع لهم و ان المفلح هو الذى ينجو من شح النفس و البخل ، فمن وقى نفسه من شر هذا داء الشح كان من المفلحين .

١٧- (ان تقرضوا الله قرضاً حسناً يضاعفه لكم و يغفرلكم والله شكور حليم) .

استعارة لالتزام الله تعالى ثواب القرض فهو يشبه القرض من هذه الجهة ، والمراد بالاقراض : الانفاق فى سبيل الله و اعلاء كلمته ، سماه الله تعالى اقراضاً لنفسه ، و سمى المال المنفق قرضاً حسناً حثاً و تنويهاً وترغيباً لهم فيه ،وبشرى لهم بما يبذلونه من أموالهم فى وجوه البر ، وترفيعاً لقدرهم واعلاء لشأنهم حيث يقف المقرض بين يدى الله جل و علا الغنى الحميد موقف الدائن فما أعظم فضل الله تعالى ، و ما أوسع احسانه . . انه يعطى ثم يستقرض مما أعطاه ! !

والله جل وعلا غنى غنى مطلقا عن هذا القرض الذى يقترضه ، و هوملك له ، و فضل منه ، واوكان فى حاجة إلى الاقتراض لا مسك ما يقترضه تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً .

و لكن هذا العطاء ثم الاقتراض منه هو تكريم للانسان ، و إحسان إليه حتى ينال بما ينفق من مال الله ثواب الاخرة و حسن الجزاءفى الدنيا بما يضاعف للمنفق ما أنفق و غفران الله ورضوان الله اكبرمن ذلك .

قوله : « يضاعفه لكم ويغفر لكم » فى تكرير الظرف ايماء إلى الامرين

المستقلين و إشارة إلى حسن الجزاء فى الدنيا وجميل الصّواب فى الآخرة .

و قوله : « شكور حليم » تعليل للمضاعفة ، و ترغيب فى النفقة .

١٨- (عالم الغيب و الشهادة العزيز الحكيم)

مبالغة و زيادة ترغيب فى الانفاق ، و استغناء عن انفاق المنفقين و عون المعينين ، و تكنه تعالى استقرض لحكمة و مصلحة للمقرض خاصة وللمجتمع البشرى عامة .



﴿ الاعجاز ﴾

لما وجدت أكثر آيات هذه السورة مكررة في طوال السور القرآنية ـ كذكر التسبيح واحاطة علم الله تعالى وكمال قدرته، وخلق الانسان و تصويره و تشعبه بفريقين : الكافر و المؤمن و مآل أمرهم، وخلق السموات والارض، والتنبيه إلى الامم السالفة الهالكة، والاشارة إلى يوم البعث و الجزاء، و إلى ما يصيب الانسان في الحياة الدنيا، والامر باطاعة الله تعالى ورسوله ﷺ، والتوكل على الله جل وعلا، والتحذير من الازواج والاولاد لعداوتهم، والتحريض على العفو والصفح والغفران، وكون الاموال والاولاد فتنة، والامر بالتقوى ما في جهد الانسان، والحث على الانفاق والاقراض وغيرها . . . جعلت الكلام في اعجاز هذه السورة حول التكرار .

ولقد ثبت : ان إعجاز القرآن الكريم لايقصر في اسلوبه ونظمه، ولا في فصاحته وبلاغته، ولا في حسن تأليفه والتئام كلمه وايجازه . . .

وانما القرآن معجزة في أنحاء عديدة وطرق مختلفة :

منها : تكريره القصص والايات والكلمات، تكريره خلق الانسان و خلق السموات والارض، تكريره الاحكام والادلة، تكريره الحجج والبراهين، تكريره المعارف والحكم، تكريره المواعظ والاخلاق، وتكريره الامور السياسية والاجتماعية . . . وغيرها مما تكرر . . .

لتصوير طبيعة الاسلام وطبيعة الكفر، لتصوير طبيعة الايمان وطبيعة النفاق لتصوير طبيعة الطيب وطبيعة الخبيث، لتصوير طبيعة الاخلاص وطبيعة الرياء،

لتصوير طبيعة الطاعة وطبيعة الطغيان ،لتصوير طبيعة البخل والضن وطبيعة الجود والسخاء ، ولتصوير طبيعة الحب وطبيعة العداء فى نفس الانسان .

فيعرض القرآن نموذجاً مكرراً للقلوب المستعدة للايمان ، و تصور معالم التبليغ ، وطريقته ، وطبيعة استقبال القوم لها واستكبارهم ، وطبيعة العقيدة حقيقة مشاعر الرسول تحقق النذير .

ومن غير مراء : ان اسلوبه هذا أقرب الاساليب إلى حصول النتيجة المقصودة فان القارىء لبعض سور القرآن يمكنه أن يحيط بكثير من أغراضه وأهدافه فى أقرب وقت ، وأقل كلفة ، فيتوجه نظره إلى المبدإ والمعاد ، ويطلع على أحوال الماضين فيعتبر بهم ، ويستفيد من الاخلاق الفاضلة ، والمعارف العالية ، ويتعلم جانباً من أحكامه فى عباداته ومعاملاته كل ذلك مع حفظ نظام الكلام، وتوفية حقوق البيان ، ورعاية مقتضى الحال .

وان البلاغة تقتضى القدرة على ايراد المعنى الواحد بطرق مختلفة فى وضوح الدلالة كالاطناب تارة ،والايجاز تارة اخرى ، والمساواة ثالثة وان الاطناب للفهم والايجاز للاعتبار والتذكرة ، فالاساليب القرآنية لايدركها الا من درس وتعلم علوم البلاغة بان الكلام قد يختصر ليحفظ وقد يطنب ليفهم ، وذلك لتصل مقاصد الدين من طريق عديدة لترسخ فى الاذهان ،و كلما كانت الطرق أكثر عدداً كان ثبات المعنى فى النفس أطول وأقوى وأرسخ، كما ان الله تعالى ذكر مثلا خلق الانسان فى مواضع كثيرة ، وله فى موضع : مقام غيره فى موضع آخر ، ويفهم الانسان فى موضع مالايفهم فى موضع آخر . . .

وهذه الفوائد لايمكن حصولها من القرآن اذا كان مبوباً لان القارى لايحيط باغراض القرآن الكريم الا حين يتم تلاوة القرآن جميعه ، وقد يعوقه عائق عن الاتمام ، فلا يستفيد الا من باب اوبابين .

وحقاً - ان التكرار إحدى الجهات المحسنة لاسلوب القرآن الذى حازبه الجمال والبهاء فانه مع انتقاله من موضوع إلى موضوع يتحفظ على كمال الربط

بينهما كأن كل جملة منه درة فى عقد منتظم ، ولكن بغض الاسلام أعمى بصر بعض الكافرين وأصم سمعه حتى توهم الجمال قبحاً ، والمحاسن مساوىء ، على أن القرآن قد كرر بعض القصص والاحكام والايات والمعارف والحكم . . . مراراً بعبارات مختلفة ، حسب المناسبة المقتضية للتكرار ، فلو جمعت تلك العبارات كلها فى باب واحد لانتفت تلك الفائدة الملحوظة ، وكان التكرار بلا فائدة ملموسة للقارى .

مع أن إتصالات النبى الكريم صلى الله عليه وآله وسلم بمختلف طبقات الناس ، والمناسبات والاوقات لم تنقطع ، وكانت متنوعة فى ظروفها وأشخاصها ، فمن الطبيعى ان تتماثل الفصول القرآنية التى كانت تتلى بوحى الله جل وعلا على مختلف الطبقات وفى مختلف المناسبات والاوقات بسبيل تدعيم الدعوة ، ومع جلالة قدرة النبوة وصاحبها صلى الله عليه وآله وسلم يمكن أن يقال : ان مثل الرسول صلى الله عليه وآله وسلم فى ذلك مثل الواعظ أو المدرس والمعلم الذى يلقى دروسه على طلابه ، ومستمعيه ، فهؤلاء يتجددون من آن لآخر ، فمن الطبيعى أن يكرر المعلم والواعظ دروسه و مواعظه بناء اً على ذلك ، وقصارى مايمكن أن يحدث هوشىء من التبدل ، والتنوع فى طريقه العرض والاسلوب والالفاظ .

وهو نفس الشىء الذى كان بالنسبة للفصول القصصية والتدعيمية الاخرى المتكررة ، حيث كانت حكمة التنزيل تقتضى ذلك ، ويلحظ انه كل مرة تكررت فيها هذه الفصول جاء فيها شىء جديد استكمالا للعبرة والموعظة والتمثيل والانذار والتسلية والتطمين والتثبيت . . . .

فليس القرآن الكريم قانوناً وكتاباً فنياً ، ولا كتاباً تاريخياً او فقهياً أو اخلاقياً أوما يشبه ذلك ليعقد لكل من هذه الجهات باباً مستقلا ، فيذكر المسئلة مرة واحدة ، فيرجع إليها حافظها اذا أراد العمل بها .

وانما هو كتاب هداية وارشاد يسوق المجتمع البشرى إلى الكمال الانسان تتبعه السعادة الدنيوية والاخروية ، وانما ترجى الهداية والارشاد بايراد المعانى

التى يراد ايداعهافى النفوس فى كل سياق بعدها ، ويهيئوها لقبول المعنى المراد وانما يتم ذلك بتكرار المقاصد الاساسية ، ولايمكن أن تتمكن دعـوة عامة الا بالتكرار ، ولذلك نرى أهل المذاهب الدينية و السياسية الذين هم عرفوا سنن الاجتماع ، وطبائع البشر وأخلاقهم ، يكررون مقاصدهم فى خطبهم و مقالاتهم التى ينشرونها فى صحفهم و كتبهم .

ولكن أين هذا من ذاك ؟

فانك لوعرفت بشأن الكلام من خطبه وشعره ونثره وأراجيزه وسائر أنواعه لرأيت ان الخطبة الوحيدة او القصيدة الفريدة او المقالة السامية فى شأو البلاغة اذا كـررت على السمع ثلاثاً اوأربعاً مجتها ، واذا امليت على الطبع ملّها و استمجها حتى قيل : انالطبع موكل بمعادات واستكراه المكررات...

وهذا القرآن المجيد كلما كرّرته تعالى وتعاظم وتفاخر وتفاخـم يتلى على جميع الالسنة فىغضون القرون المتطاولةفى عموم الامم المتداولة ، و كلما تلوته وجدته غضاً جديداً ، ومهمابلوته لم تبل الا حميداً ، واذا وازنت به كلامه شالفى ميزانه ، وعنى لعنوانه ، وخفّ فى عياره ، وبخس لديه قدره ، وإنغاليت بمقداره

فى احقاق الحق : من كلام الامام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام حين قيل له : لم صار الشعر ، والخطب يمل ما اعيد منها ـ والقرآن لايمل ؟ فقال : لان القرآن حجة على أهل الدهر الثانى كماهو حجة على الدهر الاول ، فكل طائفة تتلقاه غضاً جديداً ـ ولان كل امرء فى نفسه متى أعاد ، وفكّر فيه تلقى منه فى كل مدة علوماً غضة ، وليس هذا كله فى الشعر والخطب .

﴿ التكرار ﴾

سورتان تشتملان لثمان عشرة آية : وهما سورتا الحجرات والتغابن .

وان السور التى ابتدأت بالتسبيح لله جل و عـلا على صيغه سبع : أحدها بالمصدر ،وهى سورة الاسراء ، وثلاثة منهابالمضارع ،وهى سور الحديدوالجمعة والتغابن ، وثنتان منها بالماضى ، وهما سورتا الحشر والصف ، واخراهابالامر، وهى سورة الاعلى استيعاباً لجميع الازمنة الثلاثة وتنبيها باستمرار التسبيح فى جميع الاوقات ، وعدم خلوها عنه .

ونشير فى المقام إلى صيغ خمس لغات ـأوردنا معانيها اللغوية علىسبيل الاستقصاء فىبحث اللغة ـ جائت فى هذهالسورة وفى غيرها من السور القرآنية:

١ـ جاءت كلمة (الذوق) على صيغها فى القرآن الكريم نحو : ٦٣ مرة :

٢ـ » » (الغبن) » » » » مرة واحدة و هى فى سورة التغابن : ٩)

٣ـ » » (الحذر) » » » » : ٢١ مرة :

٤ـ » » (العفو) » » » » : ٣٥ » :

٥ـ » » (الصفح) » » » » : ٨ » :

١ـ الزخرف : ٥) ٢ـ الحجر : ٨٥) ٣ـ النور : ٢٢) ٤ ـ التغابن : ١٤) ٥ ـ المائدة : ١٣) ٦ ـ الزخرف : ٨٩) ٧ـ الحجر : ٨٥) ٨ ـ البقرة :١٠٩)

قوله تعالى : « يسبح لله مافى السموات وما فى الارض » وبعده : « يعلم ما فى السموات والارض ويعلم ماتسرون ومـا تعلنون » انما كرّر « ما » فى اول

السورة لاختلاف تسبيح أهل الارض ، وتسبيح أهل السماء في الكثرة والقلة ، و في البعد والقرب من المعصية والطاعة ، وكذلك « ماتسرون وماتعلنون » فانهما ضدان ، ولم يكرر معها « يعلم » لان الكل بالاضافة إلى علم الله تعالى جنس واحد لايخفى عليه شيء .

قوله تعالى : « ومن يؤمن بالله و يعمل صالحاً يكفر عنه سيئاته و يدخله جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها ابداً » التغابن : ٩) ومثله فى سورة الطلاق : ١١)

لكنه زاد فى المقام قوله : « يكفر عنه سيئاته » لان ما فى هذه السورة جاء بعد قوله : « أبشر يهدوننا » الايات فاخبر عن الكفار سيئات تحتاج إلى تكفير اذا آمن بالله تعالى ، السيئات ههنا : انكار الهداية من البشر و انكار البعث ، ولم يتقدم الخبر عن الكفار بسيئات فى الطلاق فلم يحتج إلى ذكرها .



﴿ التناسب ﴾

أن البحث في المقام على جهات ثلاث :

أحدها ـ : التناسب بين هذه السورة وما قبلها نزولاً .

ثانيها ـ : التناسب بينها وماقبلها مصحفاً .

ثالثها ـ : التناسب بين آيات هذه السورة نفسها.

أما الاولى : فان هذه السورة نزلت بعد سورة الجمعة على التحقيق، فلما جاء في سورة الجمعة ذكر صلاة الجمعة ، وترغيب الناس إليها ، جاء في هذه السورةدعوتهم إلى الايمان بالله تعالى ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم وما يتلوا عليهم من آيات الله جل وعلا وباليوم الاخر ، والى الطاعةوصالح الاعمال ومكارم الاخلاق ،وتحذيرهم عن الكفر والعصيان ، وذميم الاخلاق وموجباتها من حب الدنيا و أعراضها لئلا تكون الجمعة خالية عن الروح .

ولما نهى الله تعالى في سورة الجمعة عن التجارة وقت النداء ، أشارفي هذه السورة إلى أن الغبن في الحقيقة ما كان في أمر الاخرة لافي متاع الدنيابتركها وقت النداء .

أما الثانية : فمناسبة هذه السورة بما قبلها مصحفاً فبامور أهمها أمران :

أحدهما ـ لما جاء في السورة السابقة تفصيل حال المنافقين وذبذبتهم ، وامتناعهم عن طاعة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ومنعهم الناس من الانفاق في سبيل الله وصدّهم عن طريق السواء . . . كل ذلك لحبهم متاع الحياة الدنيا ، وغفلتهم عن ذكر الله تعالى اشير في هذه السورة إلى أن الناس تجاه الدعوة المحمدية صلى الله عليه وآله وسلم فريق كافر وفريق

مؤمن تنبيها بان المنافق والكافر فى شرع سواء لما عليه هذان التوأمان من الكفر والشراد وفساد العمل والعداوة وحب الدنيا والغفلة ظاهراً وخفاءاً . . .

ثانيهما - لما نهى الله تعالى المؤمنين فى السورة السابقة عن تلهيهم بالاموال والاولاد فصّل فى هذه السورة علة النهى ، وهى كون الازواج و الاولاد عدواً و كون الاموال والاولاد فتنة يمتحن بها الناس لامحالة ، فلا بد من الحذر من غير تركهم تماماً ، ولا الخوض فيها تماماً ، وأمرهم بالايمان والطاعة و حثهم على بذل المال فى وجوه البر على رغم المنافقين ، وفى ذكر التغابن تأكيد على ذلك .

أما الثالثة : فلما افتتحت السورة بتنزيه الكون خالقه عما لا يليق بساحة قدسه ، و بذكر السطوة و التصرف و القدرة على كل شيء ، أشارت إلى بعض آثار قدرته جل وعلا بقوله : « هو الذى خلقكم ... الخ »

و قدّم خلق الانسان على خلق السموات و الارض تشريفاً وتكريماً ، وإن كان قليل منهم شكوراً ، ثم جاءت بذكر احاطة علم الله تعالى بما فى هذا العالم الشاسع وباعمال الانسان وما فى صدره خاصة بقوله تعالى : « يعلم مافى السموات . . . الخ »

ثم اشارت إلى كفر الامم الماضية ، وتكذيبهم و مآل أمرهم بقوله : « ألم يأتكم نبؤا الذين كفروا ... الخ »

لتحذير الحاضرين واللاحقين من وخامة أمر السابقين مع إبطال ما كانوا عليه من الشك والزعم فى أمر البعث والحساب والجزاء .

ثم أمر الناس بالايمان و حثهم على حسن عاقبة الايمان والطاعة و صالح الاعمال بقوله : « فامنوا بالله ورسوله . . . الخ »

ثم أشارت إلى يوم التغابن ، و إلى الغابن و المغبون بقوله تعالى : « يوم يجمعكم ليوم الجمع ذلك يوم التغابن . . . الخ »

ثم أخذت بذكر ان الانسان فى عرضة الامتحان بالخير و الشر ، فالغابن الرابح من آمن وأطاع وتوكل على الله تعالى ، والمغبون من تولى وكفر ، وعلى

الرسول ﷺ بلاغ بقوله تعالى : « مـا أصاب من مصيبة الا باذن الله . . . الخ »

ثم أشارت إلى موجبات الغبن من حب الازواج والاولاد الذى يوجب الغفلة عن ذكر الله تعالى ، وعن ذكر الاخرة ، فعلى العاقل ، الحذر من حد الاعتدال، وإلى موجبات الربح من الايمان والتقوى والطاعة وبـذل الأموال فى سبيل الله تعالى ، والاعتدال من حب الازواج والاولاد . . . فمن جاوز عنه كانوا و بالا و أعقبوا آثاماً . . .



﴿الناسخ والمنسوخ والمحكم والمتشابه﴾

فى تفسير القمى : فى قوله تعالى : « فاتقوا الله مااستطعتم » التغابن: ١٦) قال : ناسخة لقوله : « ياأيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولاتموتن الا وانتم مسلمون » آل عمران : ١٠٢)

وفى تفسير النعمانى : عن الصادق عليه السلام فى حديث ـ قال : « ونسخ قوله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولاتموتن الا وانتم مسلمون » نسخها قوله تعالى : « فاتقوا الله ماستطعتم »

و فى رسالة المحكم و المتشابه للسيد المرتضى رضوان الله تعالى عليه قال : « و من المنسوخ قوله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولاتموتن الا وانتم مسلمون » نسخها قوله تعالى : « فاتقوا الله ماستطعتم »

و فى البرهان : روى ذلك عن أبى جعفر و أبى عبدالله عليهما السلام من انها ناسخة لقوله : « اتقوا الله حق تقاته »

و فى تفسير الطبرى : عن قتادة قوله : « فاتقوا الله ما استطعتم و اسمعوا واطيعوا » هذه رخصة من الله والله رحيم بعباده ، وكان الله جل ثناؤه أنزل قبل ذلك « اتقوا الله حق تقاته » و حق تقاته أن يطاع فلايعصى ، ثم خفف الله تعالى ذكره عن عباده ، فأنزل الرخصة بعد ذلك ، فقال : « فاتقوا الله ما استطعتم و اسمعوا و اطيعوا » فيما استطعت ياابن آدم عليها بايع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على السمع والطاعة فيما استطعتم .

قال الطبرى : « و ليس فى قوله : « فاتقوا الله ما استطعتم » دلالة و اضحة

على انه لقوله : « اتقوا الله حق تقاته » ناسخ إذكان محتملاً قوله : « اتقوا الله حق تقاته فيما استطعتم » و لم يكن بانه له ناسخ عن رسول الله ﷺ فاذا كان ذلك كذلك فالواجب استعمالهما جميعاً على مايحتملان من وجوه الصحة »

و فى المجمع : قال فى قوله تعالى : « فاتقوا الله مااستطعتم » : ولاتنافى بين هذا و بين قوله : « اتقوا الله حق تقاته » لان كل واحد منهما الزام لترك جميع المعاصى فمن فعل ذلك ، فقد اتقى عقاب الله لان من يفعل قبيحاً ،ولاأخل بواجب ، فلاعقاب عليه الا ان فى أحدالكلامين تبييناً ان التكليف لايلزم العبد الا فيما يطيق ، و كل أمر أمر الله به ، فلابد أن يكون مشروطاً بالاستطاعة ، و قال قتادة قوله : « فاتقوا الله ما استطعتم » ناسخ لقوله : « اتقوا الله حق تقاته » و كأنه يذهب إلى أن فيه رخصة لحال التقية ، و ماجرى مجراها مما يعظم فيه المشقة، وإن كانت القدرة حاصلة معه وقال غيره: ليس هذا بناسخ ، وانماهومبين لامكان العمل بهما جميعاً .

قال الطبرسى قدس سره : وهو الصحيح .

و فى الجامع لاحكام القرآن : قال : ذهب جماعة من أهل التأويل إلى أن هذه الاية ناسخة لقوله تعالى: « اتقوا الله حق تقاته » منهم قتادة والربيع بن أنس والسدى ، و ابن زيد . ذكر الطبرى : وحدثنى يونس بن عبد الاعلى قال : أخبرنا ابن وهب قال : قال ابن زيد فى قوله تعالى : « ياأيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته » قال: جاء أمر شديد ، قالوا : ومن يعرف قدر هذا أويبلغه ؟ فلما عرف الله انه قداشتد ذلك عليهم نسخها عنهم ، و جاء بهذه الاية الاخرى فقال : « فاتقوا الله مااستطعتم » .

وقيل : هى محكمة لانسخ فيها ، و قال ابن عباس : قوله تعالى : « اتقوا الله حق تقاته » انها لم تنسخ، ولكن حق تقاته أن يجاهد لله حق جهاده ، ولايأخذهم فى الله لومة لائم ، ويقوموا لله بالقسط ، ولو على أنفسهم وآبائهم وأبناء هم .

فان قيل : فاذا كانت هذه الاية محكمة غير منسوخة ، فما وجه قوله فى

سورة التغابن : « فاتقوا الله ما استطعتم » و كيف يجوز اجتماع الامر باتقاء الله حق تقاته ، والامر باتقائهما استطعنا ، والامر باتقائه حق تقاته ايجاب القرآن بغير خصوص ولا وصل بشرط ، والامر باتقائهما استطعنا أمر باتقائه موصولا بالشرط؟

قيل له : قوله : « فاتقوا الله ما استطعتم » بمعزل مما دلّ عليه قوله تعالى : « اتقوا الله حق تقاته » وانما عنى بقوله : » فاتقوا الله ما استطعتم » فاتقو الله أيها الناس وراقبوه فيما جعل فتنة لكم من أموالكم واولادكم أن تغلبكم فتنتهم ، و تصدّكم عن الواجب لله عليكم من الهجرة من أرض الكفر إلى أرض الاسلام ، فتتركوا الهجرة ما استطعتم بمعنى وأنتم للهجرة مستطيعين .

وذلك ان الله جل ثناؤه قد كان عذر من لم يقدر على الهجرة بتركها بقوله تعالى : « ان الذين توفّاهم الملائكة ظالمى أنفسهم ـ إلى قوله ـ فاولئك عسى الله أن يعفو عنهم » فأخبر انه قد عفى عمن لايستطيع حيلة ولايهتدى سبيلا بالاقامة فى دار الشرك ، فكذلك معنى قوله : « فاتقوا الله مااستطعتم » فى الهجرة من دار الشرك إلى دار الاسلام أن تتركوها بفتنة أموالكم واولادكم ، و مما يدل على صحة هذا أن قوله: « فاتقوا الله مااستطعتم » عقيب قوله : « يا أيها الذين آمنوا ان من أزواجكم واولادكم عدواً لكم فاحذروهم » ولا خلاف بين السلف من أهل العلم بتأويل القرآن ان هذه الايات نزلت بسبب قوم كفار تأخّروا عن الهجرة من دار الشرك إلى دار الاسلام بتثبيط اولادهم اياهم عن ذلك ، حسب ما تقدم ، و هذا كله اختيار الطبرى .

وقيل : « فاتقوا الله مااستطعتم » فيما تطوّع به من نافلة اوصدقة ، فانه لما نزل قوله تعالى : « اتقوا الله حق تقاته » اشتدّ على القوم فقاموا حتى ورمت عراقيبهم ، وتقرّحت جباحهم، فانزل الله تعالى تخفيفاً عنهم: « فاتقوا الله مااستطعتم» فنسخت الاولى قاله ابن جبير .

قال الماوردى : و يحتمل إن لم يثبت هذا النقل ان المكره على المعصية غير مؤاخذ بها لانه لايستطيع اتقاءها .

اقول: ان التدبر فى الآيتين يلهمنا بعدم التنافى بينهما ، وذلك لان تقوى الله تعالى حق تقاته لاتتضمن تحميلاً للمسلم ماليس له به طاقة فيما نرى ، مع ان الاختلاف بينهما من قبيل الاختلاف فى الكمية والكيفية اذ قوله تعالى : «اتقوا الله حق تقاته » أمر بالتلبس فى كل مورد من موارد التقوى حق تقاته دون شبحها وصورتها ، وقوله تعالى : « فاتقوا الله ما استطعتم » أمر باستيعاب جميع موارد التقوى التى تسعها الاستطاعة بالتقوى ، فتدبر واغتنم جداً .



﴿ تحقيق فى الاقوال ﴾

٢ - (**هوالذى خلقكم فمنكم كافر ومنكم مؤمن والله بما تعلمون بصير**)

فى قوله تعالى : « هو الذى خلقكم » قولان : أحدهما - عن الجبائى قال: أى أنشأكم و أوجدكم عن عدم كما أراده ، و ان الخطاب لجميع المكلفين ، والكلام متصل بما بعده ، فالمعنى : ان الكفر والايمان من الخلق ، و قد ذهب إليه أكثر العامة .

ثانيهما - قال اكثر المحققين من المفسرين : ان الخطاب عام ، و قدتمّ الكلام هنا ثم ابتدأ بقوله تعالى: « فمنكم كافر الخ » فالمعنى: ظهر الكفر والايمان - بعد الخلق و كونهم مفطورين على الايمان - باختيارهم و ذهب إليه الشيعة الامامية الاثنى عشرية .

اقول : والثانى هو الحق المؤيد بالكتاب والسنة والعقل .

وفى قوله تعالى : « فمنكم كافر ومنكم مؤمن » أقوال :

١ - عن الضحاك انه قال : أى فمنكم كافر فى السرّ مؤمن فى العلانية كالمنافق ، و منكم مؤمن فى السرّ كافر فى العلانية كعمار و ذويه .

٢ - قيل : أى فمنكم كافر فى حياته مؤمن فى العاقبة ، و منكم مؤمن فى حياته كافر فى العاقبة .

٣ - عن عطاء بن أبى رباح قال: فمنكم كافر بالله مؤمن بالكواكب ، ومنكم مؤمن بالله كافر بالكواكب يعنى فى شأن الانواء .

٤ - قيل : أى فمنكم كافر فى أصل الخلقة ، ومنكم مؤمن بتقدير الله تعالى

ثم يميتكم و يعيدكم على ذلك ، و ذهب إليه اكثر العامة .

٥ ـ عن الحسن انه قال : فى الكلام محذوف و التقدير : فمنكم مؤمن و منكم كافر و منكم فاسق ، فحذف لدلالة الكلام عليه .

٦ ـ عن الزجاج قال : فمنكم كافر لم يقرّ بان الله خلقكم كالدهرية ، ومنكم مقرّ بان الله خلقكم .

٧ ـ عن الحسين بن الفضل قال : ان الله تعالى خلق الخلق ثم كفرت طائفة منهم باختيارهم ، و آمنت طائفة آخرون باختيارهم اذقال : « هو الذى خلقكم» ثم وصفهم بقوله : « فمنكم كافر ومنكم مؤمن » كقوله تعالى : « والله خلق كل دابة من ماء فمنهم من يمشى على بطنه » النور : ٤٥)

فالله تعالى خلقهم والمشى فعلهم .

أقول : و إلى السابع ذهب جمهور المحققين من الشيعة الامامية الاثنى عشرية ، فقالوا : لو خلق الناس كافرين ومؤمنين لما وصفهم بفعلهم فى قوله تعالى: « فمنكم كافر و منكم مؤمن » و لما هدّدهم بأعمالهم فى قوله : « والله بما تعملون بصير » فلا يجوز حمل الاية على انه سبحانه خلق الناس كافرين و مؤمنين لانه لم يقل كذلك بل أضاف الكفر والايمان إليهم و إلى فعلهم .

٣ - (خلق السموات و الارض بالحق و صوركم فاحسن صوركم و اليه المصير) .

فى قوله تعالى : « خلق السموات والارض بالحق » أقوال : ١ ـ قيل : أى خلقهما حقاً يقينياً لا ريب فيه .

٢ ـ قيل : أى خلقهما للحق على أن الباء بمعنى اللام .

٣ ـ قيل : أى خلقهما بالعدل والانصاف و باحكام الصنعة و صحة التقدير .

٤ ـ قيل : أى خلق العقلاء تعريضاً اياهم للثواب العظيم ، و خلق ماعداهم تبعاً لهم لما فى خلقهما لهم من اللطف .

٥ ـ قيل : أى خلق السموات والارض بالحكمة البالغة المتضمنة لمنافع

الدنيا والاخرة، فالمراد بالحق خلاف الباطل ، و هو خلقهما من غير غاية ثابتة و غرض ثابت لقوله تعالى : « و ما خلقنا السموات والارض و ما بينهما لاعبين ما خلقناهما الا بالحق » الدخان : ٣٨ ـ ٣٩)

٦ ـ قيل : أى عدل بين المخلوقات ، و أقام كل مخلوق بالمكان المناسب له فى هذا الوجود .

أقول : والخامس هو المؤيد بآيات كثيرة من غير تناف بينه و بين بعض الاقوال الاخر فتدبر .

فى الخطاب فى قوله تعالى : « وصوّركم » قولان: أحدهما ـ عن ابن عباس و مقاتل : أى خلق آدم عليه السلام بيده كرامة له. ثانيهما ـ قيل :خطاب لجميع الناس

أقول : و ظاهر السياق يؤيد الثانى .

قوله تعالى : « فاحسن صوركم » فى الصورة أقوال : ١ ـ قيل : أى فاحسن سيرتكم حيث اودع فيكم القوى والمشاعر الظاهرة والباطنة ، و جعلكم صفوة جميع مخلوقاته ، و خصّكم بخلاصة خصائص مبدعاته ، فالانسان يضمّ روحاً هو من عالم الارواح ، وبدناً هومن عالم الاشباح . . .

٢ ـ قيل : أى أحسن صوركم الظاهرة على ما اقتضته الحكمة الالهية ، و قبول العقل لا قبول الطبع لان فى جملتهم من ليس على هذه الصفة .

٣ ـ قيل : أى فاحسن صوركم من حيث قبول الطبع لان ذلك هوالمفهوم من حسن الصورة فهو كقوله تعالى : « لقدخلقنا الانسان فى أحسن تقويم »التين : ٤)

و إن كان فى جملتهم من هو مشوّه الخلق لان ذلك عارض لايعتدبه فى هذا الوصف فالله تعالى خلق الانسان على أحسن صور الحيوان كله ، والصورة عبارة عن بنية مخصوصة ، والتخطيط والتشكيل ، فجعلهم أحسن الحيوان و أبهاه صورة و من حسن صورته انه خلق منتصباً غير منكب .

٤ ـ قيل : ان المراد بالتصوير اعطاء الصورة ، و صورة الشىء قوامه و نحو وجوده ، و حسن الصورة :تناسب تجهيزاتها بعضها لبعض ، والمجموع لغاية وجودها

و ليس حسن الصورة : بمعنى صباحة المنظر ، و ملاحته بل الحسن العام السارى في الاشياء كما قال تعالى : « الذى أحسن كل شيء خلقه » السجدة : ٧)

أقول: سياق الامتنان على الانسان يؤيد الثالث من الاقوال ، فليس بسياق عام على ماتوهم بعض .

٥- (الم يأتكم نبؤا الذين كفروا من قبل فذاقوا و بال أمرهم و لهم عذاب أليم)

في الخطاب أقوال : ١ـ قيل: خطاب لمشركي قريش. ثانيها ـ قيل : خطاب لجميع الكفار . ٣ ـ قيل : خطاب لجميع الناس : مؤمنين و كافرين ، وفيه عبرة وعظة للمؤمنين ، وتثبيت على الايمان ، ووعيد وزجر وتهديد على الكافرين .

أقول: وعلى الاول اكثر المفسرين ولكن ظاهر السياق يؤيد الاخير .

٦- (ذلك بانه كانت تاتيهم رسلهم بالبينات فقالوا أبشر يهدوننا فكفروا وتولوا واستغنى الله والله غني حميد)

في ذكر التولى بعد الكفر أقوال : ١ـ قيل : انهم كفروا وقالوا : أبشر يهدوننا منكرين الهداية ، ثم أعرضوا بالكلية ، فالكفر تحقق بسبب الانكار ثم اعرضوا عن الهداية .

٢ـ قيل : أى كفروا بالرسل ، وأعرضوا عن الموعظة والبرهان .

٣ـ قيل : أى كفروا باصول الدين ، وتولوا عن الادلة التي تثبتها .

٤ـ قيل : أى انهم لم يكفروا بالله تعالى وحده ، ولم يكذبوا الرسل فحسب بل تولوا معرضين عن الحق الذى كان من شأنه أن يهتدوا إليه لووقفوا عليه ولم يستبد بهم العناد واللجاج ، ولم يبنوا عليهما كفرهم وإعراضهم .

أقول: ان السياق يؤيد الثاني .

وفي قوله تعالى : « واستغنى الله » أقوال : ١ـعن مقاتل قال : أى واستغنى الله بسلطانه عن طاعة عباده أزلا وأبداً لانه غني بالذات .

٢ـ قيل :أى استغنى الله بماأظهره لهم من البرهان ، واوضحه لهم من البيان

عن زيادة ترعو إلى الرشد وتقود إلى الهداية .

٣ـ قيل : أي انهم بكفرهم وتوليهم هذا كانهم قد استغنوا عن الله تعالى و قطعوا صلة تصلهم به جل وعلا سواء كان ذلك عن دعوة رسول من عندالله او عن دعوة من عقولهم ، ولهذا استغنى الله تعالى عنهم وطردهم من مواقع الايمان به .

وفى التعبير عن اعراض الله جل وعلا عنهم واطرادهم بالاستغناء انماهومن باب الرد عليهم بمثل منطقهم ، وانهم لما استغنوا عن الله تعالى استغنى الله جل وعلا عنهم، فلا يخذل الله أحداً من عباده الا من خذل نفسه، ولا يطرد من رحمته الامن عمل على طرد نفسه وإلى ذلك يشير قوله تعالى: « نسوا الله فانساهم أنفسهم» الحشر ١٩) و كما يكون هذا فى حال الردع والعقاب يكون فى مقام الفضل والاحسان كما يقول سبحانه: « فاذكرونى اذكركم » البقرة : ١٥٢) و منه قوله تعالى : « ادعونى استجب لكم » غافر : ٦٠)

٤ ـ قيل : اريد باستغناء الله تعالى عنهم : استئصالهم المدلول عليه بقوله : « فذاقوا وبال أمرهم »

و ذلك : ان الاستغناء هوطلب الغنى و هومن الله تعالى ـ و هو غنى بالذات: اظهار الغنى ، و ذلك انهم كانوا يرون ان لهم من العلم والقوة والاستطاعة والعدد والعدة ما يدفع عن جمعهم الفناء ، و يضمن لهم البقاء كأنه لا غنى للوجود عنهم كما حكى الله تعالى عن قائلهم : « قال ما اظن أن تبيد هذه أبداً » الكهف :٣٥) و قال : « و لئن أذقناه رحمة منامن بعد ضراء مسته ليقو لن هذا لى وما اظن الساعة قائمة » السجدة : ٥٠)

و مآل هذا الظن بالحقيقة إلى ان لله سبحانه حاجة إليهم وفيهم ، فاهلاكهم و افناء هم إظهار منه جل وعلا لغناه عن وجودهم .

٥ ـ قيل : ان المراد باستغناء الله جل و علا عن الكافرين مجموع ما افيد بقوله : « فذاقوا وبال أمرهم و لهم عذاب أليم »

و ذلك لان الانسان معجب بنفسه بالطبع،فيرى ان له على الله كرامة كأن

من الواجب على الله سبحانه أن يحسن إلى الانسان أينما كان و كيفما يكون كأن لله سبحانه حاجة إلى إسعاد الانسان و الاحسان إليه كما يشير إليه قوله تعالى: « و ما اظن الساعة قائمة و لئن رجعت إلى ربى ان لى عنده للحسنى » السجدة : ٥٠) و قوله : « و ما اظن الساعة قائمة و لئن رددت إلى ربى لاجدن خيراً منها منقلباً » الكهف : ٣٦)

و مآل هذا الزعم بالحقيقة إلى أن من الواجب على الله سبحانه أن يسعدهم كيفما كان كأن له إليهم حاجة فاذاقته لهم وبال أمرهم ، و تعذيبهم فى الاخرة اظهار منه جل و علا لغناه عنهم .

اقول : فى حذف المستغنى عنه دلالة على التعميم ، و من جملته ايمانهم و طاعتهم .

٨ - (فامنوا بالله و رسوله والنور الذى أنزلنا والله بما تعملون خبير)

فى الخطاب أقوال : ١ - خطاب للكافرين المكذبين للبعث والجزاء ففيه دعوة لهم إلى الايمان بالله تعالى و رسوله صلى الله عليه و آله و سلم و بما جاء هم .

٢ - خطاب للمؤمنين من قبيل قوله تعالى : « يا ايها الذين آمنوا آمنوا بالله و رسوله » النساء : ١٣٦)

٣ - خطاب لجميع المكلفين .

اقول : و على الاول جمهور المفسرين و هو الانسب بظاهر السياق .

٩ - (يوم يجمعكم ليوم الجمع ذلك يوم التغابن و من يؤمن بالله و يعمل صالحاً يكفر عنه سيئاته و يدخله جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها أبداً ذلك الفوز العظيم)

فى يوم الجمع أقوال : ١ - قيل : أى يوم يجمع الله الاولين والاخرين ، و يجمع الانس والجن ، و يجمع أهل السماء و أهل الارض .

٢ - قيل : هو يوم يجمع الله بين كل عبد و عمله .

٣ - قيل : أى يوم يجمع الله تعالى كل نبى معه امته .

٤ ـ قيل : أى يجمع الله فيه بين ثواب أهل الايمان و طاعتهم و عقاب أهل الكفر و معا صيهم .

اقول : و الاول هو المروى .

وفى التغابن أقوال : ١ ـ قيل : الغبن : النقص ، والتغابن : تفاعل من الغبن فى المعاملات ، يقال : غبنه يغبنه إذا أخذ الشيء منه بدون قيمته او بنقصها و أما التغابن فان قوماً يوم القيامة يعذّبون فى النار ، و قوماً آخرين يتنعمون فى الجنة .

٢ـ فى الكشاف قال : التغابن مستعار من تغابن القوم فى التجارة ، وهو أن يغبن بعضهم بعضاً لنزول السعداء منازل الاشقياء التى كانوا ينزلونها لو كانوا سعداء الأشقياء منازل السعداء ونزول التى كانوا ينزلونها لو كانوا اشقياء .

اقول: وذلك لماورد : ان لكل عبد منزلا فى الجنة لو أطاع الله لدخله ، و منزلا فى النار لوعصى الله لدخله ، يوم القيامة يعطى منازل أهل النار فى الجنة لاهل الجنة ، ويعطى منازل أهل الجنة فى النار لاهل النار فيكون أهل الجنة ، وهم المؤمنون غابنين لاهل النار وهم الكفار ، والكفار هم المغبونون .

٣ـ قيل : يوم التغابن : يوم التناسى أى نسيان غير المؤمنين من الرحمة و النعمة لان التغابن يطلق على الخسران ، وعلى التناسى ، وعلى الضعف والحسرة فيوم التغابن : يوم غبن غير المؤمن وخسارته وحسرته .

٤ ـ عن مجاهد وقتادة : يوم التغابن : أن يغبن أهل الجنة أهل النار ، أهل الحق أهل الباطل ، أهل الهدى أهل الضلالة ،واهل الايمان أهل الكفر يوم القيامة فلا غبن أبين من هذا ، وان الغبن وإن كان فى البيع والشراء ولكنه يجرى فى الاعتقاديات ، فمن اشترى حياة الدنيا بالاخرة ، والضلالة بالهدى فغبن نفسه،ومن جعل الاخرة همّه وجعل الدنيا وسيلة لنيله بنعيم الجنة فقد ربح .

وذلك لان الغبن أن تبخس صاحبك فى معاملة بينه وبينك بضرب من الاخفاء ويوم التغابن : يوم القيامة لظهور الغبن فى المعاملة المشار إليها بقوله تعالى :

« و من الناس من يشرى نفسه ابتغاء مرضات الله » و قوله : « إن الله اشترى من المؤمنين » وبقوله : « الذين يشترون بعهدالله و ايمانهم ثمناً قليلا » فعلموا انهم غبنوا فيما تركوامن المبايعة ، وفيما تعاطوه من ذلك جميعاً فما ربحت تجارتهم

قيل : وهذا مبني على تفسير التغابن بسريان المغبونية بين الكفار بأخذهم لمعاملة خاسرة وتركهم معاملة رابحة ، وهومعنى حسن غيرانه لايلائم معنى باب التفاعل الظاهر في فعل البعض في البعض .

والجواب عنه : و هـذا من باب التمثيل كما قال تعالى : « اولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى » وان الكفار لما اشتروا الضلالة بالهدى فما ربحوا في تجارتهم بل خسروا وغبنوا وذاك ان أهل الجنة اشتروا الاخرة بترك الدنيا ، و اشترى أهل النار الدنيا بترك الاخرة ، وهذانوع مبادلة ومعاملة اتساعاً ومجازاً و الامثال موضوعة للبيان في حكم اللغة و القرآن ، و قد يخبر عن هذا التبادل بالوراثة في قوله تعالى : « اولئك هم الوارثون الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون » المؤمنون : ١٠ـ ١١)

٥ ـ عن الزجاج انه قال : أي يغبن من ارتفعت منزلته في الجنة من كان دون منزلته ، فان المغبون : من غبن أهله ومنازله في الجنة ، ويظهر يوم القيامة غبن كل كافر بترك الايمان ، وغبن كل مؤمن بتقصيره في الاحسان و تضييعه الايام . . .

فان الله تعالى كتب الغبن على الخلق اجمعين فلا يلقى أحد ربه الا مغبوناً لانه لايمكنه الاستيفاء للعمل حتى يحصل له استيفاء الثواب .

وفي الحديث قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « لايلقى الله احد الا نادماً إن كان مسيئاً إن لم يحسن وإن كان محسناً إن لم يزدد »

٦ ـ قيل : الغبن هو أخذشر وترك خير ، أو أخذ خير وترك شر ،فالمؤمن ترك حظه من الدنيا وأخذ حظه من الاخرة ، فترك ماهو شرله ، وأخذ ما هو خير فكان غابناً ، والكافر يفعل عكس ذلك، فكان مغبوناً ، فيظهر يوم القيامة الغابن

والمغبون إذ يأخذالجنة أهلهاويأخذ النار أهلهاعلى طريق المبادلة ، فوقع الغبن لاجل مبادلتهم الخير بالشر ، والجيد بالردى، والنعيم بالعذاب .

٧ ـ قيل : الغبن يوم القيامة : هو أخذ المظلوم حسنات الظالم وحمل الظالم خطايا المظلوم ، وإن صح مجيىء التغابن بمعنى الغبن ، فذلك واضح فى حق كل مقصّر صرف شيئاً من استعداده الفطرى فى غير ما اعطى لاجله .

٨ ـ قيل : التغابن يوم القيامة: مابين أهل الضلال وأتباعهم ، فالمتبوعون هم المستكبرون يغبنون أتباعهم ، وهم الضعفاء حيث يأمرونهم بأخذ الدنيا ، و ترك الاخرة ، فيضلون والتابعون يغبنون المتبوعين حيث يعينونهم فى استكبارهم باتباعهم فيضلّون فكل من الفريقين غابن لغيره ، ومغبون من غيره .

٩ ـ عن بعض المفسرين قال : فسّر التغابن فى ذيل الاية والاية التالية : « من يؤمن بالله ـ إلى قوله ـ وبئس المصير »

١٠ ـ قيل : التغابن : أن تبدو الأشياء للناس بخلاف مقاديرهم فى الدنيا ، ويؤيده قوله تعالى : « فلا تعلم نفس ما اخفى لهم من قرّة أعين » السجدة : ١٧) و قوله تعالى : « لهم مايشاؤن فيها ولدينا مزيد » ق : ٣٥) وقوله : « و بدالهم من الله مالم يكونوا يحتسبون » الزمر : ٤٧)

قيل : ومقتضى هذا الوجه عموم التغابن لجميع أهل الجمع من مؤمن وكافر وأما المؤمن فلما انه لم يعمل لاخرته أكثر مما عمل ، وأما الكافر فلانه لم يعمل أصلا ، والوجه المشترك بينهما أنهما لم يقدّرا اليوم حق قدره .

اقول: والرابع هو المؤيد بالروايات الاتية فانتظر ،وفى تداخل بعض الاقوال فى بعض وعدم التنافى بين أكثرها مالايخفى .

١١ـ (ما أصاب من مصيبة الا باذن الله ومن يؤمن بالله يهد قلبه والله بكل شيء عليم)

فى قوله تعالى : « باذن الله » أقوال : ١ ـ عن الفراء انه قال : أى بامر الله تعالى . ٢ ـ قيل : أى بارادته ومشيئته . ٣ ـ قيل : أى بتقدير الله وقضائه بحسب

ما وضع من السنن فى نظام الكون ، فعلى المرء أن يعمل و يجدّ و يسعى لجلب الخير ودفع الضر عن نفسه اوعن غيره ما استطاع إلى ذلك سبيل ثم لايحزن ،ولا يغتمّ لما يصيبه بعد ذلك لانه قد فعل ما هو فى طاقته ، و ما هو فى مقدوره ، و ما بعد ذلك فليس له من أمره شىء .

٤ ـ قيل : أى بعلمه و قضائه ، فلا تصيب مصيبة أحداً الاّ والله عالم بها

٥ ـ عن البلخى انه قال : أى بتخلية الله تعالى بينكم وبين من يريدفعلها

٦ ـ قيل : أى لا مصيبة الاّ ما أذن الله تعالى فى وقوعه او التمكن منه ،و ذلك اذن للملك الموكل به كأنه قيل : لا يمنع من وقوع هذه المصيبة ، و قد يكون ذلك بفعل التمكين من الله فكانه ياذن له بان يكون .

وقال بعضهم : المصيبة :صفة شاع استعمالها فى الحوادث السوء التى تصحب الضر والاذن : الاعلام بالرخصة ، و عدم المانع ، و يلازم علم الآذن بما أذن فيه، و ليس هو العلم كما قيل .

فظهر بما تقدّم أوّلاً ان اذنه تعالى فى عمل سبب من الاسباب هو التخلية بينه و بين مسبّبه برفع الموانع التى تتخلل بينه وبين مسبّبه ، فلا تدعه يفعل فيه ما يقتضيه بسببيته كالنار تقتضى إحراق القطن مثلا لولاالفصل بينهما والرطوبة فرفع الفصل بينهما والرطوبة من القطن مع العلم بذلك إذن فى عمل النار فى القطن بما تقتضيه ذاتها أعنى الاحراق .

و قدكان استعمال الأذن فى العرف العام مختصاً بما اذا كان المأذون له من العقلاء لمكان أخذ معنى الاعلام فى مفهومه ، فيقال : أذنت لفلان أن يفعل كذا، ولايقال : أذنت للنار أن تحرق ، ولا أذنت للفرس أن يعدو لكن القرآن الكريم يستعمله فيما يعمّ العقلاء وغيرهم بالتحليل كقوله : «و ما أرسلنا من رسول الاّ ليطاع باذن الله » النساء : ٦٤) و قوله : « والبلد الطيب يخرج نباته باذن ربه » الاعراف : ٥٨)

ولا يبعد أن يكون هذا التعميم مبنيّا على ما يفيده القرآن من سريان

العلم والادراك فى الموجودات كما قدّمناه فى تفسير قوله : « قالوا انطقنا الله الذى أنطق كل شىء » حم السجدة : ٢١)

و كيف كان فلا يتمّ عمل من عامل ، ولا تأثير من مؤثر الاّ باذن من الله سبحانه فما كان من الأسباب غير تام له موانع لو تحقّقت منعت من تأثيره فاذنه تعالى له فى أن يؤثر رفعه الموانع ، و ما كان منها تاماً لامانع له يمنعه فاذنه له عدم جعله له شيئاً من الموانع ، فتأثيره يصاحب الاذن من غير انفكاك .

و ثانياً ان المصائب و هى الحوادث التى تصيب الانسان فتؤثرفيه آثاراً سيئة مكروهة انما تقع باذن من الله سبحانه كما ان الحسنات كذلك لاستيعاب اذنه تعالى صدور كل أثر من كل مؤثر .

و ثالثاً أن هذا الاذن إذن تكوينىّ غير الاذن التشريعى الذى هو رفع الحظر عن الفعل فاصابة المصيبة تصاحب اذناً من الله فى وقوعها ، و إن كانت من الظلم الممنوع فان كون الظلم ممنوعاً غير مأذون فيه انما هو من جهة التشريع دون التكوين .

و لذا كانت بعض المصائب غير جائزة الصبر عليها ولا مأذوناً فى تحملها و يجب على الانسان أن يقاومها ما استطاع كالمظالم المتعلقة بالاعراض والنفوس .

و من هنا يظهر ان المصائب التى ندب إلى الصبر عندها هى التى لم يؤمر المصاب عندها بالذبّ والامتناع عن تحملها كالمصائب العامة الكونية من موت ومرض مما لا شأن لاختيار الانسان فيها ، وأما ما للاختيار فيها دخل كالمظالم المتعلقة نوع تعلق بالاختيار من المظالم المتوجهة إلى الاعراض فللانسان أن أن يتوقاها ما استطاع .

٧ ـ قيل : انه خاص فيما يفعله الله تعالى أو يأمر به .

أقول : ولكل وجه من غير تناف بينها . واما الاقوال فى نفس « مصيبة » فقد سبقت فى سورة الحديد : ٢٢) فراجع وفى قوله تعالى : « و من يومن بالله يهد قلبه » أقوال : ١ ـ عن الكلبى و مجاهد : معناه اذا ابتلى صبر ، و اذا أنعم

عليه شكر ، و اذا ظلم غفر .

٢ - قيل - أى و من يعلم ان ما من مصيبة الا باذن الله تعالى فيوفقه الله تعالى قلبه بالتسليم لامره والرضا لقضائه والصبر عليها .

٣ - قيل : أى يحكم بهداية قلبه .

٤ - قيل : أى يشرح صدره للايمان ، و للازدياد من الطاعة والخير فان نور الايمان ينبسط كل يوم بسبب الرسوخ والثبات و تكامل المغيبات و تزايد المعارف والطاعات إلى أن يحيط النور لجميع القلب .

٥ - عن ابن جبير انه قال : أى يهدقلبه بان المصيبة باذن الله تعالى ، ويعلم أنها من عندالله ، فيقول : « انالله و انا إليه راجعون » فيسلم و يرضى ، فيصبر عليها ولا يجزع لينال الثواب والاجر .

٦ - قيل : أى يسكن قلبه .

٧ - عن الضحاك انه قال : أى يهد قلبه حتى يعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه و ما أخطأه لم يكن ليصيبه .

قيل : وقوله : « و من يؤمن بالله يهد قلبه » كان ظاهر سياق قوله : « ما أصاب من مصيبة الا باذن الله » يفيد ان الله سبحانه في الحوادث التي تسوء الانسان علما و مشيئة ، فليست تصيبه مصيبة الا بعد علمه تعالى و مشيئته فليس لسبب من الاسباب الكونية أن يستقل بنفسه فيما يؤثره فانما هو نظام الخلقة لا رب يملكه الا خالقه ، فلا تحدث حادثة ولاتقع واقعة الا بعلم منه و مشيئة ، فلم يكن ليخطئه ما أصابه ولم يكن ليصيبه ما أخطأه .

وهذه هي الحقيقة التي بينها بلسان آخر في قوله : « ما أصاب من مصيبة في الارض ولافي أنفسكم الا في كتاب من قبل أن نبرأها ان ذلك على الله يسير » الحديد : ٢٢)

فالله سبحانه رب العالمين ، ولازم ربوبيته العامة ان وحده يملك كل شيء لا مالك بالحقيقة سواه ، والنظام الجاري في الوجود مجموع من أنحاء تصرفاته في

خلقه فلا يتحرك متحرك ولا يسكن ساكن الا عن إذن منه ، ولا يفعل فاعل ولا يقبل قابل إلا عن علم سابق منه و مشيّة لا يخطىء علمه و مشيته ولا يرد قضاؤه .

فالاذعان بكونه تعالى هو الله يستعقب اهتداء النفس إلى هذه الحقيقة و اطمئنان القلب وسكونه وعدم اضطرابه ،قلقه من جهة تعلّقه بالاسباب الظاهرية و إسناده المصائب والنوائب المرّة إليها دون الله سبحانه و هذا معنى قوله تعالى : « و من يؤمن بالله يهد قلبه »

٨ ـ قيل : أى قلبه عند الموت إلى القرار بعد الاضطراب .

٩ ـ قيل : أى يهد قلبه عند الفقر إلى الإيمان .

١٠ ـ قيل : أى يهد قلبه عند القحط إلى الاطمئنان بعد الشك .

١١ ـ عن ابن عباس انه قال : هو أن يجعل الله فى قلبه اليقين ليعلم ان ما أصابه لم يكن ليخطئه وأن ما أخطأه لم يكن ليصيبه .

١٢ ـ قيل : أى يهديه إلى حقيقة الايمان و يثبته عليه .

١٣ ـ قيل : أى من صحّ ايمانه يهد الله قلبه لاتباع السنة .

١٤ ـ قيل : أى يهد قلبه إلى نيل الثواب فى الجنة .

١٥ ـ قيل : أى من يؤمن بالله عند النعمة ، فيعلم انها فضل من الله يهد قلبه للشكر ، و من يؤمن بالله عند البلاء ، فيعلم انه عدل من الله يهد قلبه للصبر ، و من يؤمن بالله عند نزول القضاء يهد قلبه للاستسلام .

١٦ ـ عن ابن عباس أيضاً قال : من يؤمن بتوحيد الله ، ويصبر لامر الله يعنى عند نزول المصيبة يهد قلبه للاسترجاع حتى يقول : « انا لله و انا اليه راجعون » و فيه إدخال الصبر فى معنى الايمان .

اقول : و السادس من الاقوال هو المروى وقريب منه الثانى و الرابع و الحادى عشر والثانى عشر منها .

١٤ - (يا أيها الذين امنوا ان من ازواجكم و اولادكم عدواً لكم فاحذروهم و ان تعفوا و تصفحوا و تغفروا فان الله غفور رحيم)

في الازواج قولان: أحدهما - قيل: هي جمع الزوج وهوالذكر. ثانيهما قيل: الازواج هنا يعم الزوج و الزوجة اذ قد يكون الزوج عدواً لزوجته في سبيل الايمان و صالح الاعمال كما ان الزوجة قد تكون عدوة لزوجها في ذلك

اقول: و على الاول جمهور المحققين من المفسرين.

وفي كون الازواج والاولاد عدواً للازواج والاباء أقوال: ١ - عن مجاهد انه قال: معناه: انكم تريدون طاعة الله تعالى وهم يشغلونكم و يمنعونكم عنها، و انتم تريدون صلة الارحام، و هم يحملونكم على قطعها و على معصية الله تعالى و يخاصمونكم في أمر الدين.

٢ - قيل: أي أنتم تريدون الاخرة وهم يخاصمونكم في أمر الدنيا فيطلبون منكم الدنيا و متاعها، و ما من عدو أعدى ممن يحملك على ضرك لمنفعته.

٣ - عن القاضي أبي بكر بن العربي قال: هذا يبين وجه العدواة، فان العدو لم يكن عدواً لذاته، و انما كان عدواً بفعله، فاذا فعل الزوج والولد فعل العدو كان عدواً، ولا فعل أقبح من الحيلولة بين العبد وبين خالقه بالكفر والطغيان.

٤ - قيل: و ذلك لان من الازواج من يتمنى موت الزوج ليتزوج غيره، ومن الا ولاد من يتمنى موت الوالد ليرث ماله، و ما من عدو أعدى ممن يتمنى موت غيره ليأخذ ماله او لغرض آخر.

٥ - قيل: ان تعليق العداوة بهم يفيد التعليل أي انهم يعادونهم بما أنهم مؤمنون، والعداوة من جهة الايمان لاتتحقق الا باهتمامهم أن يصرفوهم على أصل الايمان، اوعن الاعمال الصالحة كالانفاق في سبيل الله تعالى، و الهجرة من دار الكفر او أن يحملوهم على الكفر اوالمعاصي الموبقة كالبخل عن الانفاق في وجوه الخير شفقة على الازواج و الاولاد، والغصب و أكل المال بالباطل، فالله تعالى يعد بعض الازواج و الا ولاد عدواً للمؤمنين في ايمانهم حيث يحملونهم على ترك الايمان بالله جل وعلا، أوعلى ترك بعض صالح الاعمال، أو على اقتراف بعض الكبائر الموبقة ...

و ربما أطاعوهم فى بعض ذلك شفقة عليهم وحباً لهم ، فأمر الله تعالى بالحذر منهم ، فمن الازواج : أزواج يعادين بعو لتهن ، و من ثم : قيل : أعدى عدوك هى التى تضاجعك ، وهل يستلذ الوسنان اذا كان فى مضجعه ثعبان ، و من الاولاد : اولاد كيد زائدة ، قطعها مؤذ ، وفى ابقاعها عيب .

٦ - عن ابن زيد انه قال : أى عدواً لكم فى دينكم فاحذروهم على دينكم فالمراد بالعداوة اخروية حيث تمنع الازواج والاولاد عن الايمان وصالح الاعمال بل يحملونهم على ارتكاب المحارم واكتساب الحرام لمنفعة أنفسهم .

٧ - قيل: ان المراد بالعداوة عداوة دنيوية حيث ان الازواج والاولاد يؤذون الازواج والاباء وجر عوهم الغصص والالام حتى قد يجر ذلك إلى وضع السم - فى الدسم او إلى قتلهم .

اقول: ان التعميم يظهر من اطلاق السياق ، فتشمل العداوة لامر الدنيا وأمر الاخرة .

وفى قوله تعالى: « فاحذروهم » اقوال : ١ - عن قتادة انه قال : أى فاحذروهم أن تطيعوهم فيما يأمرونكم به وينهونكم عنه ، فانهم يبطئونكم عن الهجرة إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وينهونكم عن الجهاد ، و هم كافرون يصدونكم عن الاسلام و الايمان وصالح الاعمال .

٢ - قيل : أى فخفوهم من الله تعالى وعقابه فلا تطردوهم عنكم .

٣ - قيل : أى احذروا على أنفسكم منهم ، وجنبوها عنهم لانهم فتنة تفتنكم .

٤ - عن مجاهد انه قال : ماعادوهم فى الدنيا ، ولكن حملتهم مودتهم على ان أخذوا لهم الحرام فاعطوهم إياه .

٥ - قيل : أى لاتأمنوا غوائلهم ، وان الحذر على النفس بكون بوجهين : إما لضرر فى البدن ، و إما لضرر فى الدين ، وضرر البدن يتعلق بالدنيا وضرر الدين يتعلق بالاخرة .

اقول: والاول هو المؤيد بالرواية الاتية .

وفي قوله تعالى : « وان تعفوا وتصفحوا وتغفروا » قولان : أحدهما ـ عن الجبائي : أي أن تعفوا عمن أساء لكم، وتصفحوا عمن أذاكم ، وتغفروا عمن ظلمكم سواء كان من الازواج والاولاد أم من غيرهم .

ثانيهما ـ قيل : هذا خاص بالازواج والاولاد للنزول ، وذلك لان الرجل من المؤمنين اذا هاجر ورأى الناس قد سبقوه بالهجرة و فقهوا في الدين هم أن يعاقب زوجته و ولده الذين ثبطوه عن الهجرة و أن يلحقوا به في دار الهجرة لم ينفق عليهم فامرالله تعالى بالعفو والصفح والغفران .

أقول: والتعميم هو الظاهر والمورد ليس بمخصّص .

وقوله تعالى :« فان الله غفور رحيم » تفريع على المتقدم على سبيل التعليل فان كان المراد خصوص مغفرته ورحمته للمخاطبين « إن تعفوا وتصفحوا وتغفروا» كان وعداً جميلا لهم تجاه عملهم الصالح كما في قوله تعالى : « وليعفوا وليصفحوا ألا تحبّون أن يغفروا لكم » النور : ٢٢)

وإن اريد مغفرته ورحمته العامتان من غير تقييد بمورد الخطاب أفاد ان المغفرة والرحمة من صفات الله تعالى فان عفوا وصفحوا وغفروا فقد اتصفوا بصفات الله تعالى وتخلّقوا باخلاقه .

١٥- (انما أموالكم واولادكم فتنة والله عنده أجر عظيم)

في « فتنة » أقوال : ١ ـ عن قتادة انه قال : أي بلاء و اختبار يحملكم على كسب المحرّم و منع حق الله تعالى فلا تطيعوهم في معصية الله جل وعلا .

و ذلك لان الفتنة : ما يمتحن به الانسان ، و كون الاموال والا ولاد فتنة لكونهما زينة الحياة الدنيا التي تنجذب النفس إليهما انجذاباً فتفتتن وتلهو بهما عمايهمّها من أمر آخرته و طاعة ربه قال تعالى : « المال والبنون زينة الحياة الدنيا » الكهف : ٤٦)

٢ ـ قيل : أي شاغلة عن امور الآخرة . . .

٣ ـ قيل : الفتنة : الاختبار و الابتلاء والامتحان سواء كانت في خير ام

فى شر .

٤ ـ عن القتيبى انه قال : فتنة أى إغرام يقال : فتن الرجل بالمرأة أى شغف بها .

٥ ـ قيل : الفتنة : المحنة وشدة التكليف عليكم ، والشغل عن أمر الاخرة، فان الانسان بسبب المال والولد يقع فى الجرائم .

أقول : والثالث هو المؤيد بالروايات الآتية من غير تناف بينه وبين غيرها من الاقوال . . .

و فى « والله عنده اجر عظيم » قولان ، احدهما ـ عن قتادة ، يعنى الجنة فانها الغاية ، ولا أجر أعظم منها ، فلاتعصوه بسبب الاموال والا ولاد ، ولا تؤثروهم على ما عند الله من الاجر والذخر فلا تفوتوه باشتغالكم بها .

ثانيهما ـ ، قيل ، يعنى رضوان الله فانه غاية الآمال ، ولا أجر اكبر منه .

أقول ، و على الاول اكثر المفسرين .

١٦ ـ (فاتقوا الله مااستطعتم و اسمعوا واطيعوا و انفقوا خيراً لانفسكم و من يوق شح نفسه فاولئك هم المفلحون)

فى قوله تعالى : « وانفقوا » أقوال ، ١ ـ عن ابن عباس انه قال : اريد بالانفاق الزكاة . ٢ ـ قيل : هو النفقة فى النفل ، ٣ ـ عن الضحاك : هو النفقة فى الجهاد .

٤ ـ عن الحسن : هو نفقة الرجل لنفسه ، قال ابن العربى : و انما أوقع قائل هذا قوله : « لانفسكم » وخفى عليه ان نفقة النفل و الفرض فى الصدقة هى نفقة الرجل على نفسه قال الله تعالى : « إن أحسنتم أحسنتم لانفسكم وان أسأتم فلها » و كل ما يفعله الرجل من خير فانما هو لنفسه .

٥ ـ قيل : انها عامة .

أقول: والاخير هو الانسب بظاهر الاطلاق .

وفى قوله تعالى : « ومن يوق شح نفسه » أقوال : ١ ـ قيل : أى من يحفظ حرص نفسه بالجاه والمقام . ٢ ـ قيل : أى من يمنع نفسه عن البخل وبذل المال

فى سبيل الله ٣ ـ قيل : أى من يخالف هواه فى الوله وحب المال والولد والاشتهار يقال : فلان شحيح بالمال ، وشحيح بالجاه ، وشحيح بالاشتهار ، و شحيح بالولد.

أقول: والثانى هو المؤيد بالروايات الاتية وبظاهر السياق .

١٧- (ان تقرضوا الله قرضاً حسناً يضاعفه لكم ويغفر لكم والله شكور حليم)

فى قوله تعالى : « ان تقرضوا الله قرضاً حسناً » أقوال : ١- قيل : الاقراض الانفاق فى سبيل الله تعالى ، و اطلاق اسم القرض هنا تلطف فى الاستدعاء إلى الانفاق ، فسمّاه الله اقراضاً لله ، و سمى المال المنفق قرضاً حسناً حثاً و ترغيباً لهم فيه .

٢ ـ قيل : القرض هو الدين .

٣ ـ قيل : القرض: هو الصدقة ، فالمعنى: إن تتصدقوا عن طيب قلب صدقة حسنة . . .

أقول: وعلى الاول جمهور المفسرين قديماً وحديثاً ، وهو المؤيد بظاهر السياق .

١٨- (عالم الغيب والشهادة العزيز الحكيم)

فى « عالم الغيب والشهادة » أقوال : ١ ـ قيل : « عالم الغيب » : السرّ « والشهادة » : العلانية . ٢ ـ قيل : « عالم الغيب » : عالم المعدوم « والشهادة » : عالم الموجود .

٣ـ قيل: «عالم الغيب » أى عالم غير المحسوس « الشهادة » أى عالم المحسوس

٤ ـ قيل : « عالم الغيب » أى عالم المستقبل المغيب « والشهادة » أى عالم الحاضر .

٥ ـ قيل : « عالم الغيب » أى ما غاب عنكم « و الشهادة » أى ما حضر و تشهدونه فكل ما تعملون فهو محفوظ لديه فى ام الكتاب لايعزب عنه مثقال ذرة وسيثيبكم عليه ويجازيكم به أحسن الجزاء .

٦ ـ قيل : « عالم الغيب » أى عالم بما انفقتموه « و الشهادة » أى عالم بما بخلتموه .

أقول: والرابع هو المروى وقد مر في تفسير سورة الحشر فراجع من غير تناف بينه وبين الاقوال الأخر فتدبر جيداً .



﴿التفسير والتأويل﴾

١ - ﴿ يسبح لله ما فى السموات و ما فى الارض له الملك و له الحمد و هو على كل شىء قدير ﴾

ينزه الله تعالى دائماً عما لا يليق بساحة قدسه كل ما فى السموات من العلويات، و كل ما فى الارض من السفليات، اذ كل ما فى السموات والارض و نفساهما متوجه إلى ربه، مسبّح بحمده، فان قلب هذا الوجود مؤمن بالله جل وعلا، و روح كل شىء فى هذا الوجود مؤمنة بخالقها، و كل شىء شاعر بهذه الحقيقة، و خاضع خاشع لديها.

قال الله تعالى: «و يسبح الرعد بحمده والملائكة من خيفته ـ ولله يسجد من فى السموات والارض طوعاً و كرها وظلالهم بالغدو والاصال» الرعد: ١٣ـ١٥)

«له الملك»: لله تعالى وحده السطوة والسلطان، فانه منفرداً دون غيره مالك كل شىء حقيقة، والمتصرف فيه كيف يشاء من غير شريك ولا ندّ له.

«وله الحمد»: ولله جل وعلا وحده الثناء على الجميل الاختيارى فانه محمود بذاته ممجد من مخلوقاته، و هو وحده يليق للحمد من كل مخلوق فى أيّة صورة كان خلقه، و على اىّ حال كان وضعه.

«و هو على كل شىء قدير» لا تقيّد قدرته سبحانه بقيد، ولا حدود يخلق كيفما يشاء، و يميت متى يشاء، و يغنى من يشاء و يفقر من يشاء، و يعز من يشاء و يذلّ من يشاء، و يغيّر الاحوال كما يشاء وحيثما يريد فلا يتعذر عليه شىء أراده فلا يعجزه شىء.

قال الله تعالى : « الم تر ان الله يسبح له من فى السموات والارض والطير صافات كل قد علم صلاته و تسبيحه والله عليم بما يفعلون و لله ملك السموات والارض و إلى الله المصير » النور : ٤١ ـ ٤٢)

وقال : « الذى له ملك السموات والارض ولم يتخذ ولداً ولم يكن له شريك فى الملك و خلق كل شيء فقدّره تقديراً » الفرقان : ٢)

و قال : « لله ملك السموات والارض يخلق ما يشاء يهب لمن يشاء اناثاً و يهب لمن يشاء الذكور او يزوّجهم ذكراناً واناثاً و يجعل من يشاء عقيماً انه عليم قدير » الشورى : ٤٩ ـ ٥٠)

وقال : « وتبارك الذى له ملك السموات والارض وما بينهما » الزخرف:٨٥)

وقال : « له ملك السموات والارض يحيي و يميت وهو على كل شيء قدير » الحديد : ٢)

٢ - (هوالذى خلقكم فمنكم كافر ومنكم مؤمن والله بما تعملون بصير)

الله تبارك وتعالى هوالذى خلقكم أيها الناس ذا فطرة سليمة : فطرة التوحيد، و فطرة الايمان بالله تعالى اذ قال : « فطرة الله التى فطر الناس عليها لاتبديل لخلق الله » الروم : ٣٠) و قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حكاية عن الله جل وعلا : « خلقت عبادى كلهم حنفاء »

ولن يرضى الله تعالى لعباده الكفر و فساد العمل اذ قال : « ولا يرضى لعباده الكفر و إن تشكروا يرضه لكم » الزمر : ٧)

و قال : « و وصينا الانسان بوالديه احساناً ـ قال رب او زعنى أن أشكر نعمتك التى أنعمت على و على والدى و أن أعمل صالحاً ترضاه » الاحقاف : ١٥)

و أودع الله تعالى فى الانسان ماجعله مختاراً فى الكفر والايمان ، فى الطاعة والعصيان ، فى الصدق والكذب ، فى العدل والظلم ، فى الاساءة والاحسان ، و فى الصلاح والفساد . . . فمن شاء فليؤمن و يعمل صالحاً ، و من شاء فليكفر ويفسد فى الارض بعد ما هداه إلى سبيل الرشاد و نهاه عن طريق الفساد .

قال الله تعالى: « اناهديناه السبيل اما شاكراً و اما كفوراً » الانسان :٣)

و قال : « وقل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر »الكهف:٢٩)

و قال : « قل يا ايها الناس قد جاء كم الحق من ربكم فمن اهتدى فانما يهتدى لنفسه و من فعل فانما يضل عليها » يونس : ١٠٨)

وقال : « قل هذه سبيلى ادعوا إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعنى » يوسف:١٠٨)

و قال : « قل انى نهيت ان اعبد الذين تدعون من دون الله قل لا أتبع أهواءكم قد ضللت اذاً وما أنا من المهتدين » الانعام : ٥٦)

« فمنكم كافر و منكم مؤمن » فمال أكثركم إلى الكفر على خلاف ما تقتضيه الفطرة من الأسباب الخارجية فاتبعوا الاهواء ، و اختار قليل منكم الايمان بمقتضى الفطرة ، و قدكانت هى وحدها كفيلة أن تختاروا كلكم الايمان مضافاً إلى الادلة الكونية فى الانفس والافاق والايات التدوينية و دعوة الرسل .

قال الله تعالى : « فان لم يستجيبوا لك فاعلم انما يتبعون أهواءكم »القصص:٥٠)

و قال : « و اذ قال ابراهيم لابيه و قومه اننى برآء مما تعبدون الا الذى فطرنى » الزخرف : ٢٦ ـ ٢٧)

وقال : « سنريهم اياتنا فى الافاق وفى أنفسهم حتى يتبين لهم انه الحق او لم يكف بربك انه على كل شيء شهيد » فصلت : ٥٣)

« والله بما تعملون بصير » والله تعالى عالم بما فى قلوبكم من الكفر والايمان، و بما يظهر من قالبكم من صالح الاعمال و فسادها ، فلا يخفى عليه خائنة فاتقوه أن تخالفوه فى أمره و نهيه اذ يجازى كلاً حسب عمله .

قال الله تعالى : « يعلم مافى السموات والارض ويعلم ما تسرون وماتعلنون والله عليم بذات الصدور » التغابن : ٤)

و قال: «ولكل درجات مما عملوا وما ربك بغافل عما يعملون »الانعام:١٣٢)

و قال : « فليحذر الذين يخالفون عن أمره ـ و يوم يرجعون إليه فينبئهم بما عملوا والله بكل شئ عليم » النور : ٦٣ ـ ٦٤)

و قال : « ولاتعملون من عمل الا كنا عليكم شهوداً » يونس : ٦١)

و قال : « ولكل درجات مما عملوا و ليوفينهم أعمالهم و هم لا يظلمون » الاحقاف : ١٩) وماورد من الروايات : ان الايمان والكفر بالولاية يوم أخذ الميثاق فمن باب التأويل وناظر إلى بطن الآية فليست بمفسرة لها .

٣- (خلق السموات والارض بالحق وصوركم فاحسن صوركم واليه المصير)

خلق الله تعالى السموات والارض ملازماً للحق و مصاحباً له ، ولم يخلقهما لاعباً بلاغرض ولا باطلا بلاغاية لما يترتب عليهما من الغايات والفوائد ، فانها غايات حقيقية منتظمة تترتب على خلقة ماخلق ، فليست بلغو باطل ولاصدفة اتفاقية.

قال الله تعالى : « هو الذى جعل الشمس ضياء والقمر نوراً و قدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب ماخلق الله ذلك الا بالحق يفصل الايات لقوم يعلمون ان فى اختلاف الليل والنهار وماخلق الله فى السموات والارض لايات لقوم يتقون» يونس : ٥ ـ ٦)

وقال : « خلق الله السموات و الارض بالحق ان فى ذلك لاية للمؤمنين » العنكبوت : ٤٤)

وقال : « اولم يتفكروا فى أنفسهم ماخلق الله السموات والارض و ما بينهما الا بالحق وأجل مسمى » الروم : ٨)

وقال : « الذين يذكرون الله قياماً و قعوداً و على جنوبهم و يتفكرون فى خلق السموات والارض ربنا ماخلقت هذا باطلاً » آل عمران : ١٩١)

وقال : « وما خلقنا السماء والارض وما بينهما لاعبين » الانبياء : ١٦) فلا تزال الخلقة تقع مرحلة بعد مرحلة ، وتنال غاية بعد غاية حتى تتوقف فى غاية لاغاية بعد وذلك رجوعها إلى الله تعالى قال: « وان إلى ربك المنتهى » النجم :٤٢)

« و صوركم فاحسن صوركم » أيها الناس ورتبكم على هذا الترتيب فى ارحام امهاتكم وركبكم على تلك الهيئة المايزة لتدبير شوون حياتكم واصلاح امور معادكم فهو ربكم الذى يملك أمركم و يدبر شأنكم « و اليه المصير »

مصير كم ومصير الامور كلها ...

قال الله تعالى : « هو الذى يصوّركم فى الارحام كيف يشاء » آل عمران:٦)

وقال : « الذى خلقك فسوّاك فعدلك فى أىّ صورة ماشاء ركبك » الانفطار: ٧ـ٨) .

و قال : « له ما فى السموات و ما فى الارض ألا إلى الله تصير الامـور » الشورى : ٥٣)

٤ـ (يعلم ما فى السموات والارض ويعلم ماتسرون وماتعلنون والله عليم بذات الصدور)

إلى الله جل و علا مرجعكم هو الذى « يعلم ما فى السموات و » مـا فى « الارض » من الامـور كلّيها و جزئيها ، و جلىّ الاحوال و خفيّها « و يعلم ماتسرون » تخفونه فيما بينكم اوفى صدور كم « وما تعلنون » تظهرونه وتصرحون به من الامور « و الله عليم بذات الصدور » لانه جل وعلا علاّم الغيوب ، محيط بجميع الضمائر و مستكناتها من الاسرار و المعتقدات ، فلايخفى على الله تعالى خافية ، فليحذر الذين يخالفون عن أمره .

قال الله تعالى : « إلى الله مرجعكم وهو على كل شيء قدير ألاانهم يثنون صدورهم ليستخفوا منه ألاحين يستغشون ثيابهم يعلم مايسرّون و ما يعلنون انه عليم بذات الصدور » هود : ٤ـ٥)

و قال : « ألم يعلموا ان الله يعلم سرّهم و نجواهم و ان الله علام الغيوب » التوبة : ٧٨)

و قال : « قل ان تخفوا ما فى صدور كم او تبدوه يعلمه الله و يعلم ما فى الارض » آل عمران : ٢٩)

وقال : « يعلم خائنة الاعين وماتخفى الصدور » غافر : ١٩)

٥ـ (الم ياتكم نبؤا الذين كفروا من قبل فذاقوا و بال أمرهـم و لهم عذاب أليم)

ألم يأتكم الناس خبر كفار الامم الماضية الهالكة كقوم نوح وعاد وثمود، وقوم ابراهيم ولوط ، وأصحاب الايكة والرس و المؤتفكات الذين كانوا يصرون على الكفر و العناد « فذاقوا و بال أمرهم » وخيم عاقبة كفرهم ، و تبعة سيئ أعمالهم ، وثقل أمرهم بما نالهم من العذاب بالاهلاك والاستئصال « ولهم» في الاخرة « عذاب أليم » موجع .

قال الله تعالى : « ألم يأتكم نبؤا الذين من قبلكم قوم نوح و عاد و ثمود و الذين من بعدهم لايعلمهم الا الله جائتهم رسلهم بالبينات فردوا أيديهم فى افواههم وقالوا انا كفرنا بما ارسلتم به وانالفى شك مما تدعوننا اليه مريب قالت رسلهم أفى الله شك فاطر السموات و الارض يدعوكم ليغفرلكم من ذنوبكم و يؤخركم إلى أجل مسمى قالوا ان انتم الا بشر مثلنا تريدون أن تصدونا عما كان يعبد آباؤنا فاتونا بسلطان مبين قالت لهم رسلهم إن نحن الا بشر مثلكم ولكن الله يمن على من يشاء من عباده وما كان لنا أن ناتيكم بسلطان الا باذن الله وعلى الله فليتوكل المؤمنون و مالنا الا نتوكل على الله وقد هدا ناسبلنا و لنصبرن على ما اذيتمونا و على الله فليتوكل المتوكلون و قال الذين كفروا لرسلهم لنخرجنكم من أرضنا او لتعودن فى ملتنا فاوحى اليهم ربهم لنهلكن الظالمين و لنسكننكم الارض من بعدهم ذلك لمن خاف مقامى و خاف وعيد و استفتحوا وخاب كل جبار عنيد من ورائه جهنم ويسقى من ماء صديد يتجرعه ولايكاد يسيغه و يأتيه الموت من كل مكان و ما هو بميت و من و رائه عذاب غليظ » ابراهيم : ٩-١٧)

٦- (ذلك بانه كانت تاتيهم رسلهم بالبينات فقالوا أبشر يهدوننا فكفروا وتولوا واستغنى الله والله غنى حميد)

ذلك الاستئصال والدمار و الهلاك فى الحياة الدنيا ، و عذاب النار لهم فى الاخرة بان الشأن كانت القضية أن تجيئهم رسل الله تعالى من قومهم- «وماأرسلنا من رسول الا بلسان قومه ليبين لهم » ابراهيم : ٤) ـ بالدلائل الواضحة و

البراهين القاطعة ، فانكروا أن يكون الرسول من البشر « فقالوا » لهم : « أبشر يهدوننا » قال الله تعالى حكاية عنهم : « قالوا إن انتم الا بشر مثلنا تريدون أن تصدّونا عما كان يعبد اباؤنا » ابراهيم : ١٠)

وقال : « فقال الملؤا الذين كفروا من قومه ما هذا الا بشر مثلكم يريد أن يتفضّل عليكم ولوشاء الله لانزل ملائكة » المؤمنون : ٢٤) .

وقال : « اذجاءتهم الرسل من بين أيديهم ومن خلفهم الا تعبدوا الا الله قالوا لو شاء ربنا لانزل ملائكة فانا بما ارسلتم به كافرون » فصلت : ١٤)

« فكفروا » بالرسل ولم يعلموا ان الله تعالى يبعث من يشاء من عباده، ولو أرسل ملائكة رسلاً إليهم لما كانوابهم مؤمنين .

قال الله تعالى : « ومامنع الناس أن يؤمنوا اذجاءهم الهدى الا أن قالوا أبعث الله بشراً رسولاً قل لوكان فى الارض ملائكة يمشون مطمئنين لنزّلناعليهم من السماء ملكا رسولاً » الاسراء : ٩٤-٩٥).

و قال : « ولكن الله يجتبى من رسله من يشاء فامنوا بالله و رسله » آل عمران : ١٧٩)

وقال : « ولواننا نزّلنا إليهم الملائكة ـ ما كانواليؤمنوا » الانعام:١١١)

و من العجيب : انهم كانوا ينكرون أن يكون الرسول بشراً وقد كانوا يتخذون الاحجار والاخشاب وما اليها آلهة لهم .

« وتولّوا » : وأعرضوا عن الوقوف عند الدلائل، وعن التفكر فى البراهين وآيات الله تعالى ...

« و استغنى الله » عنهم وعن ايمانهم وطاعتهم وصالح أعمالهم ...

« والله غنى » عن العالمين فضلاً عنهم وعن فعالهم لانه جل وعلاغنى بذاته.

قال الله تعالى : « ان تكفروا أنتم و من فى الارض جميعاً فان الله لغنى حميد » ابراهيم : ٨)

و قال : « و من جاهد فانما يجاهد لنفسه ان الله لغنى عن العالمين »

العنكبوت: ٦) وقال: «إن تكفروا فان الله غنى عنكم» الزمر: ٧)

«حميد» يحمده كل مخلوق كل بحسبه مع كونه تعالى يليقاً للحمد بذاته و إن لم يحمده حامد، مضافاً إلى انه محمود فى فعله، فمافعل بالكافرين الشاردين من إذاقهم وخيم عاقبة كفرهم وعنادهم ولجاجهم فى الدنيا، وتعذيبهم بعذاب النار فى الاخرة باعراضهم عن آيات الله تعالى فمن غناه وعدله لانه مقتضى عملهم المردود إليهم.

قال الله تعالى: «فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين» الانعام: ٤٥)

٧ـ (زعم الذين كفروا أن لن يبعثوا قل بلى و ربى لتبعثن ثم لتنبؤن بما عملتم وذلك على الله يسير).

ظن الذين كفروا بالله و رسله و كتبه، وباليوم الاخر: «أن لن يبعثوا» بعد موتهم للحساب و الجزاء «قل» أيها الرسول لمنكرى البعث: «بلى وربى لتبعثن» لتخرجن من قبوركم احياء وتحشرون يوم القيامة «ثم» بعد بعثكم يومئذ «لتنبؤن» لتخبرن «بما عملتم» فى الدنيا من العقيدة الباطلة والاعمال الفاسدة و تجزون عليها «و ذلك» البعث و الانباء «على الله يسير» سهل هيّن لاتلحقه مشقة ولامعاناة فيه لتحقق القدرة الكاملة و قبول المادة، ولان الاعادة أهون من الابتداء.

قال الله تعالى: «اولم يروا كيف يبدىء الله الخلق ثم يعيده ان ذلك على الله يسير قل سيروا فى الارض فانظروا كيف بدأ الخلق ثم الله ينشىء النشأة الاخرة ان الله على كل شىء قدير» العنكبوت: ١٩ـ٢٠)

وقال: «وهو الذى يبدؤا الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه» الروم: ٢٧)

و قد ذكر بعض المفسرين: ان الاية التى نحن فيها ثالثة آيات أمر الله تعالى نبيه صلى الله عليه وآله وسلم أن يقسم بربه على وقوع البعث و منها قوله تعالى: «و يستنبؤنك أحق هو قل اى وربى انه لحق وما انتم بمعجزين» يونس: ٥٣).

ومنها قوله جل وعلا : « و قال الذين كفروا لاتأتينا الساعة قل بلى وربى لتاتينكم عالم الغيب لايعزب عنه مثقال ذرة فى السموات ولا فى الارض ولاأصغر من ذلك ولا أكبر الا فى كتاب مبين » سباء : ٣) .

٨- (فامنوا بالله ورسوله والنور الذى أنزلنا والله بما تعملون خبير)

اذاكان امر البعث والانباء والجزاء حقاً « فامنوا » أيها الكافرون المنكرون لذلك « بالله و رسوله والنور الذى أنزلنا » . و هو هذا القرآن الكريم الذى أنزله الله تعالى على نبيه محمد صلى الله عليه وآله وسلم .

حقاً ان القرآن الكريم نور يخرج الانسان من ظلمات الكفر والضلالة ، ومن ظلمات الجهل والطغيان اذا استضاء به الى نور الهدى والعلم والطاعة .

قال الله تعالى : « قدجاء كم من الله نور و كتاب مبين يهدى به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات إلى النور باذنه ويهديهم إلى صراط مستقيم » المائدة : ١٥- ١٦) .

و قال : « ياأيها الناس قد جاء كم برهان من ربكم و أنزلنا إليكم نوراً مبينا فاما الذين آمنوا بالله واعتصموابه فسيدخلهم فى رحمة منه وفضل ويهديهم إليه صراطاً مستقيماً » النساء : ١٧٤ - ١٧٥) .

« و الله بما تعملون » من الكفر و العصيان او الطاعة و الايمان « خبير » فيجازيكم عليه .

قال : « وان كلاً لما ليوفينهم ربك أعمالهم انه بما يعملون خبير » هود: ١١١) و ماورد فى البينات و النور ستقرأه فى - بحث روائى - فمن باب البطن و التأويل .

٩- (يوم يجمعكم ليوم الجمع ذلك يوم التغابن ومن يؤمن بالله ويعمل صالحاً يكفر عنه سيئاته و يدخله جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها أبداً ذلك الفوز العظيم) .

ان المراد من يوم الجمع : يوم القيامة الذى يجمع الله تعالى فيه الاولين

والاخرين للحساب والجزاء :

قال الله تعالى : « الله لااله الا هو ليجمعنكم إلى يوم القيامة لاريب فيه » . النساء : ٧٨) .

وقال : « ذلك يوم مجموع له الناس وذلك يوم مشهود » هود : ١٠٣)

و قال : « قل ان الاولين و الاخرين لمجموعون إلى ميقات يوم معلوم » الواقعة : ٤٩ ـ ٥٠)

وقال : « ان يوم الفصل ميقاتهم أجمعين » الدخان : ٤٠)

يجمعهم الله جل وعلا يوم القيامة للقضاء و الحكم و الفصل بين عباده فيما كانوا فيه يختلفون .

قال الله تعالى : « ان ربك يقضى بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون» الجاثية : ١٧) .

وقال: « فالله يحكم بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون» البقرة:١١٣)

وقال : « هذا يوم الفصل جمعنا كم والاولين » المرسلات : ٣٨)

وقال : « ان ربك هو يفصل بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون » السجدة : ٢٥) .

« ذلك » البعث وجمع الناس كلهم و جزاء هم « يوم التغابن » سمّى يوم القيامة بيوم التغابن لظهور الغبن فى المبايعة المشار إليها بقوله تعالى : « و من الناس من يشرى نفسه ابتغاء مرضات الله » البقرة : ٢٠٧)

و بقوله : « ياأيها الذين آمنوا هل ادلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم » الصف : ١٠) .

و بقوله : « ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم و اموالهم ان لهم الجنة » التوبة : ١١١) .

و بقوله : « ان الذين يتلون كتاب الله و أقاموا الصلاة و انفقوا مما رزقنا هم سراً و علانية يرجون تجارة لن تبور ليوفيهم اجورهم و يزيدهم من فضله انه

غفور شكور » فاطر : ٢٩-٣٠) .

و بقوله : « اولئك الذين إشتروا الضلالة بالهدى فما ربحت تجارتهم و ما كانوا مهتدين » البقرة : ١٦) .

وبقوله : « ان الذين يشترون بعهدالله وأيمانهم ثمناً قليلا اولئك لاخلاق لهم فى الاخرة » آل عمران : ٧٧) .

فعلم انهم غبنوا فيما تركوا من المبايعة ، وفيما تعاطوه من ذلك جميعاً ، وأهل الغبن : أهل النقص فى المعاملة والمبايعة والمقاسمة وان التغابن من الغبن الذى يكون فى البيع والشراء وما اليهما وهو النقصان والخسران لان المغبون هو الذى زاد غابنه عليه ورجح ، ولما كان يوم القيامة يبين فيه مستحق الثواب و دخول الجنة و التعظيم فيها من مستحق العقاب و دخول النار ، صار مستحق الثواب ودخول الجنان كأنه غابن لمستحق العقاب و دخول النار لانهما جميعاً عرّضا بالتكليف لاستحقاق الثواب .

ففعل أحدهما ما استحق به ذلك وقصّر الاخر فى هذه الغاية ، و عدل إلى فعل ما استحق به العقاب ، وجريا مجرى المتبايعين فاز أحدهما بما هو أجدى عليه و أنفع و أصلح ، و اختص الاخر بما هو ضارّ هوله و وبال عليه ، فيسمّى الفائز بالخير والصلاح غابناً والاخر مغبوناً ، فتسمية يوم القيامة بانه يوم التغابن من أفصح الكلام وأبلغه وأوجزه .

« ومن يؤمن بالله » وصدّق رسوله صلى الله عليه وآله وسلم وآمن بالبعث والحساب والجزاء « ويعمل صالحاً يكفر عنه سيئاته » فان الحسنات يذهبن السيئات وان الله تعالى يبدل سيئات المحسنين حسنات ...

قال الله تعالى : « والذى جاء بالصدق وصدّق به اولئك هم المتقون لهم ما يشاؤن عند ربهم ذلك جزاؤا المحسنين ليكفّر الله عنهم أسوأ الذى عملوا و يجزيهم أجرهم باحسن الذى كانوا يعملون » الزمر : ٣٣-٣٥) .

و قال : « أن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا فلاخوف عليهم ولاهم

يحزنون - اولئك الذين نتقبل عنهم احسن ماعملوا و نتجاوز عن سيئاتهم فى أصحاب الجنة وعد الصدق الذى كانوا يوعدون » الاحقاف : ١٣-١٦)

و قال : « من تاب و آمن و عمل عملاً صالحاً فاولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات » الفرقان : ٧٠) .

وقال : « ان الحسنات يذهبن السيئات ذلك ذكرى للذاكرين واصبرفان الله لايضيع أجر المحسنين » هود : ١١٤-١١٥) .

« خالدين فيها أبداً » مؤبدين فى الجنة لايفنى ماهم فيه من النعيم أبداً « ذلك » الايمان وصالح الاعمال وتكفير السيئات وإدخال الجنة وخلودها« الفوز العظيم » النجاح الذى ليس وراءه شيء من العظمة ، فوز لافوز ورائه لانطوائه على النجاة من أعظم الهلكات والظفر بأجل الطلبات ...

قال الله تعالى : « ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزاً عظيماً » الاحزاب: ٧١)

وقال: « من يصرف عنه يومئذ فقد رحمه وذلك الفوز المبين » الانعام: ١٦)

وقال: « فمن زحزح عن النار وادخل الجنة فقد فاز » آل عمران: ١٨٥)

١٠- (والذين كفروا وكذبوا باياتنا اولئك اصحاب النار خالدين فيها وبئس المصير)

والذين كفروا بالله ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم وباليوم الاخر « و كذبوا باياتنا » : القرآن الكريم وجحدوا حججنا ودلائلنا « اولئك أصحاب النار خالدين فيها» : ماكثين فيها أبداً لايموتون فيها ، ولايخرجون منها .

قال الله تعالى : « ان المجرمين فى عذاب جهنم خالدون لايفتر عنهم وهم فيه مبلسون و ما ظلمناهم ولكن كانواهم الظالمين و نادوايا مالك ليقض علينا ربك قال انكم ماكثون لقد جئناكم بالحق ولكن أكثرهم للحق كارهون » الزخرف : ٧٤-٧٨)

و قال : « و الذين كفروا لهم نارجهنم لايقضى عليهم فيموتوا ولايخفف عنهم من عذابها كذلك نجزى كل كفور وهم يصطرخون فيها ربنا اخرجنا

نعمل صالحاً غير الذى كنا نعمل اولم نعمّر كم مايتذكرفيه من تذكر وجاء كم النذير فذوقوا فما للظالمين من نصير » الفاطر : ٣٦-٣٧)

و قال : « فالذين كفروا قطعت لهمْ ثياب من نار يصبّ من فوق رؤسهم الحميم يصهر به ما فى بطونهم و الجلود ولهم مقامع من حديد كلما أرادوا أن يخرجوا منها من غم اعيدوا فيها وذوقوا عذاب الحريق » الحج : ١٩- ٢٢)

وقال: « ان الذين كفروا لو ان لهم ما فى الارض جميعاً ومثله معه ليفتدوا به من عذاب يوم القيامة ماتقبل منهم و لهم عذاب اليم يريدون أن يخرجوا من النار وماهم بخارجين منها ولهم عذاب مقيم » المائدة : ٣٦-٣٧)

« وبئس المصير » مصيرهم إلى النار وخلودها .

قال الله تعالى فى المنافقين و الكافرين : « فاليوم لايؤخذ منكم فدية ولامن الذين كفروا ماواكم النار هى مولاكم وبئس المصير » الحديد : ١٥)

١١- (ما أصاب من مصيبة الا باذن الله ومن يؤمن بالله يهد قلبه والله بكل شىء عليم) .

ما أصاب من مصيبة فى الارض من جدب وقحط وقلة نبات و نقص ثمار و بلاء ، ولامن مصيبة فى أنفسكم من أمراض و أسقام و غرق ... سواء كانت تلك المصائب امتحاناً ام استحقاقاً بما قدمت يدا الانسان الاّ بقضاء الله تعالى وتقديره فيعلم بها قبل وجودها .

قال الله تعالى : « ما أصاب من مصيبة فى الارض ولا فى أنفسكم الاّ فى كتاب من قبل أن نبرأها ان ذلك على الله يسير » الحديد : ٢٢)

وقال : « ولنبلونكم بشىء من الخوف والجوع ونقص من الاموال والانفس والثمرات وبشرالصابرين الذين اذا أصابتهم قالوا انالله وانا اليه راجعون»البقرة: ١٥٥_ ١٥٦) .

وقال : « فكيف اذا أصابتهم مصيبة بما قدمت أيديهم » النساء : ٦٢)

« « من يؤمن بالله » « يعلم ان المصيبة باذن الله « يهد قلبه » يسكن و

يطمئن « الذين آمنوا و تطمئن قلوبهم بذكر الله ألا بذكر الله تطمئن القلوب» الرعد : ٢٨)

« و الله بكل شيء عليم » لايخفى عليه تسليم من انقاد ، و سلّم لامره ، ولاكراهة من كرهه ، فيجازى كل امرىء بما في قلبه وعمل به .

١٢ - (و اطيعوا الله واطيعوا الرسول فان توليتم فانما على رسولنا البلاغ المبين) .

وهوّنوا على أنفسكم المصائب ، وانقادوا لله تعالى فيما شرّعه لكم من شرائع الدين ، و اشتغلوا بطاعته ، و اعملوا بكتابه جل و علا ، و أطيعوا رسوله صلى الله عليه وآله وسلم فيما يأمركم به ، وماينهاكم عنه ، فان طاعة الرسول هي طاعة الله تعالى على طريق تلازم الفرع على الاصل من غير افتراق بينهما الا من حيث كون طاعة الله أصلاً ، وطاعة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم فرعاً اذما أرسل رسولاً الا ليطاع .

قال الله تعالى : « و ما أرسلنا من رسول الا ليطاع باذن الله - من يطع الرسول فقد أطاع الله ومن تولى فما أرسلناك عليهم حفيظاً » النساء : ٦٤-٨٠)

وقال : « قل أطيعوا الله واطيعوا الرسول فان تولوا فانما عليه ما حمّل و عليكم ما حملتم و ان تطيعوه تهتدوا و ما على الرسول الا البلاغ المبين » النور : ٥٤)

« فان توليتم » أعرضتم عن اطاعة الله تعالى مستكبرين عنها ، وعن اطاعة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم مكذبين به وبما جاء هم « فانما على رسولنا البلاغ المبين» فليس على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الا التبليغ الظاهر البين وانذار الناس بوخامة مآل الاستكبار والتكذيب وتبشيرهم بعاقبة الايمان وصالح الاعمال ...

قال الله تعالى : « فان أعرضوا فما أرسلناك عليهم حفيظاً ان عليك الا البلاغ » الشورى : ٤٨)

وقال : « واوحي إلىّ هذا القرآن لانذركم به ومن بلغ » الانعام : ١٩)

وقال : « هذابلاغ للناس ولينذروا به وليعلموا انما هواله واحد وليذّكّر

او لوا الالباب» ابراهيم: ٥٢)

وقال: «فهل على الرسل الا البلاغ المبين» النحل: ٣٥)

١٣- (الله لااله الا هو وعلى الله فليتوكل المؤمنون)

«لااله الا هو»: لامعبود بحق سواه، ولاخالق غيره، ولاقادر اطلاقاً الا هو، وهو على كل شيء وكيل «الله خالق كل شيء وهو على كل شيء وكيل» الزمر: ٦٢)

«وعلى الله فليتوكل المؤمنون» في جميع امورهم وشؤونهم وأحوالهم، ويفوّضوها إلى الله تعالى، ويستمدوا منه، ويجعلوا اتكالهم عليه، وثقتهم به دائماً، ويرضوا بتقديره وقضائه مما يقع عليهم من خير او شر، فان التوكل من لوازم الايمان وآثاره باعتبارين..

قال الله تعالى: «ان كنتم آمنتم بالله فعليه توكّلوا» يونس: ٨٤)

وقال: «وعلى الله فتوكلوا ان كنتم مؤمنين» المائدة: ٢٣)

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «اول العلم معرفة الجبار وآخر العلم تفويض الامر إليه» وفي المقام حث على النبي الكريم صلى الله عليه وآله وسلم على التوكل على الله تعالى في أمر الرسالة والتقوّي به في أمر التبليغ ودعة أذاهم حتى ينصره على من كذبه وتولى عنه كقوله تعالى: «فان تولوا فقل حسبي الله لااله الا هو عليه توكلت» التوبة: ١٢٩)

وقال: «ولاتطع الكافرين والمنافقين ودع أذاهم وتوكل على الله وكفى بالله وكيلاً» الاحزاب: ٤٨)

١٤- (ياأيها الذين آمنوا ان من أزواجكم واولادكم عدواً لكم فاحذروهم وان تعفوا وتصفحوا وتغفروا فان الله غفور رحيم)

«ياأيها الذين آمنوا» بالله ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم وباليوم الآخر «ان من»: بعض «أزواجكم و» بعض «اولادكم عدواً لكم» اذ يصدونكم عن سبيل الله جل وعلا ويثبطونكم عن طاعة الله تعالى، وصالح الاعمال «فاحذروكم» أن تقبلوا منهما

يأمرونكم به ، وما ينهونكم عنه ، فانهم يمنعونكم من الهجرة والجهاد والانفاق في سبيل‌الله تعالى ويحرضونكم بأكل الحرام ، و ارتكاب محارم الله جل وعلا .

« و إن تعفوا » عنهم اذا اطلعتم منهم على معاداة ، و عن ذنوبكم بترك المعاقبة والطرد عنكم ، « وتصفحوا » بالاعراض و ترك التثريب عليها ثم عظوهم وأنصحوهم، « وتغفروا » باخفاء ماقالوا ، و تمهيد معذرتهم فيها ، فتتجاوزواعنهم، وتستروا ماسبق منهم إن عادوا إلى الحالة الجميلة ، « فان الله غفور » يغفرلكم ذنوبكم « رحيم » يرحمكم .

قال الله تعالى : « وليعفوا وليصفحوا ألاتحبون أن يغفر الله لكم والله غفور رحيم » النور : ٢٢) .

و قال : « و هو الذى يقبل التوبة عن عباده و يعفواعن السيئات و يعلم ما تفعلون » الشورى : ٢٥)

١٥ (انما أموالكم و اولادكم فتنة والله عنده أجر عظيم)

« انما اموالكم » أيها الناس « و اولادكم فتنة » تمتحنون بها ، واجعلوها ذريعة لنيلكم بمرضاة الله تعالى ، فادّوا حق‌الله فى أموالكم ، و خالفوا أولادكم فى طاعة ربكم قال الله تعالى : « ولا تمدّنّ عينيك إلى ما متعنا به أزواجاً منهم زهرة الحياة الدنيا لنفتنهم فيه » طه : ١٣١)

و قال : « انا جعلنا ما على الارض زينة لها انبلوهم أيهم أحسن عملا. » الكهف : ٧)

و قال : « لتبلون فى أموالكم وأنفسكم ـ و ان تصبروا و تتقوا فان ذلك من عزم الامور » آل عمران : ١٨٦)

و قال : « و هو الذى جعلكم خلائف الارض و رفع بعضكم فوق بعض درجات ليبلوكم فيها آتاكم » الانعام : ١٦٥)

و قال : « ما كان الله ليذر المؤمنين على ما أنتم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب ـ و إن تؤمنوا و تتقوا فلكم أجر عظيم ولايحسبن الذين يبخلون بما

آتاهم الله من فضله هو خير لهم بل هو شر لهم سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة ولله ميراث السموات والارض والله بما تعملون خبير » آل عمران : ١٧٩-١٨٠)

١٦ - (فاتقوا الله ما استطعتم و اسمعوا و أطيعوا و أنفقوا خيرا لانفسكم و من يوق شح نفسه فاولئك هم المفلحون)

فاتقوا الله مبلغ استطاعتكم اذ لكل نفس طاقة من الاحتمال ، و قدر من القوة ، و ان الله تعالى لايكلف نفساً الا وسعها ، فلا تدعوا من الاتقاء شيئاً تسعه طاقتكم وجهدكم ، و هذا هو التقوى حق تقاته لاشبحها و صورتها .

قال الله تعالى : « لايكلف الله نفساً الا ما آتاها » الطلاق : ٧)

و قال : « يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن الا و انتم مسلمون » آل عمران : ١٠٢)

« و اسمعوا » : اصغوا إلى ما ينزل عليكم من كتاب الله تعالى ، و هو الاصل في السماع ، و استجيبوا لله تعالى و لرسوله صلى الله عليه وآله وسلم و اقبلوا ما تسمعونه ، و هو في مقام الالتزام القلبي ، و عبّر عنه بالسماع لانه فائدته .

قال الله تعالى : « ان تسمع الا من يؤمن بآياتنا فهم مسلمون » النمل : ٨١)

و قال : « انما يستجيب الذين يسمعون » الانعام : ٣٦)

و قال : « ولا تكونوا كالذين قالوا سمعنا وهم لا يسمعون » الانفال : ٢١)

« و اطيعوا » الله و رسوله صلى الله عليه وآله وسلم و انقادوا له فيما يأمركم به وينهاكم عنه ، و هو في مقام العمل .

قال الله تعالى : « من يطع الرسول فقد أطاع الله » النساء : ٨٠)

و قال : « و ما آتاكم الرسول فخذوه و مانهاكم عنه فانتهوا » الحشر : ٧)

« و أنفقوا » حق ما آتاكم الله جل وعلا من الاموال في وجوه البر ، و هو بذل المال في سبيل الله تعالى انفاقاً « خيراً لانفسكم » اذ تجدونه عندالله سبحانه .

قال الله تعالى : « و ما انفقتم من شيء فهو يخلفه و هو خير الرازقين » سباء : ٣٩)

وقال : « الذين ينفقون أموالهم فى سبيل الله ثم لا يتبعون ما انفقوا مناً ولا أذى لهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون » البقرة : ٢٦٢)

وقال : « ان الذين يتلون كتاب الله و أقامو الصلاة و انفقوا مما رزقناهم سراً و علانية يرجون تجارة لن تبور ليوفيهم اجورهم و يزيدهم من فضله انه غفور شكور » الفاطر : ٢٩ ـ ٣٠)

« و من يوق شح نفسه » و من يحفظ حرص نفسه ، و يمنع بخلها ، ويخالف هواه من حب المال ، و بغض الانفاق بمعونة الله تعالى و توفيقه ، فيعطى حق الله جل و علا من ماله « فاولئك هم المفلحون » : المنجحون الفائزون بثواب الله تعالى و نعيم جنته .

قال الله تعالى : «الذين آمنوا و هاجروا و جاهدوا فى سبيل الله باموالهم و أنفسهم أعظم درجة عند الله و اولئك هم الفائزون يبشرهم ربهم برحمة منه و رضوان و جنات لهم فيها نعيم مقيم خالدين فيها أبداً ان الله عنده أجر عظيم » التوبة : ٢٠ ـ ٢٢)

١٧ ـ (ان تقرضوا الله قرضاً حسناً يضاعفه لكم و يغفر لكم والله شكور حليم)

ان تنفقوا أيها المؤمنون بعض ما آتاكم الله تعالى فى سبيله ، و فى وجوه البر ابتغاء لوجه الله جل وعلا ، فكأنكم تقرضون الله سبحانه قرضاً حسناً سوف يردّه عليكم مضاعفاً ، و يعطى بدله اضعاف ذلك من واحد إلى سبعمأة إلى مالا يتناهى فان ثوابه يدوم مع غفران مايلمون به من ذنوب ، و هو تعالى شكور لفاعلى الخير الذى يعامل عباده بالحلم والعطف و التسامح ، فلا يعاجل العباد بالعقوبة على خطاياهم و هذا غاية اكرام .

قال الله تعالى : « من ذا الذى يقرض الله قرضا حسناً فيضاعفه له أضعافاً كثيرة » البقرة :٢٤٥)

و قال : « و أقرضتم الله قرضاً حسناً لاكفرن عنكم سيئاتكم ولادخلنكم

جنات تجرى من تحتها الانهار » المائدة : ١٢)

و قال : « و اقرضوا الله قرضاً حسنا و ما تقدّموا لانفسكم من خير تجدوه عند الله هو خيراً و أعظم أجراً واستغفروا الله ان الله غفور رحيم » المزمل:٢٠)

١٨ (عالم الغيب والشهادة العزيز الحكيم)

عالم غيب السموات والارض ، يعلم بما كان و ما يكون ، يعلم بما يرى و يحسّ و يخفى و يكنّ في الصدور ، يعلم باعمال عباده ، ظاهرها و خفيها ، صغيرها و كبيرها ، يعلم سرّهم و نجواهم ، و يعلم بما في صدورهم .

قال الله تعالى : « قل لا يعلم من فى السموات والارض الغيب الاّ الله » النمل : ٦٥)

و قال : « ان الله عالم غيب السموات والارض انه عليم بذات الصدور » فاطر:٣٨)

وقال : « ان الله يعلم غيب السموات والارض والله بصير بما تعملون » الحجرات: ١٨) و قال : « يعلم ما يلج فى الارض و ما يخرج منها وما ينزل من السماء و ما يعرج فيها » سباء : ٢)

و قال : « ألم يعلموا ان الله يعلم سرّهم و نجواهم و ان الله علام الغيوب » التوبة : ٧٨)

و قال : « عالم الغيب لا يعزب عنه مثقال ذرة في السموات ولا فى الارض ولا أصغر من ذلك ولا اكبر الا فى كتاب مبين » سباء : ٣)

« العزيز » القادر الغالب، المستغن عن عون المعينين ، و عن انفاق المنفقين « الحكيم » في تدبير خلقه ، و فى إقامة موازين أعمالهم و يأمر بما فيه الحكمة و الصواب ، و ينهى عما فيه مصالح العباد .

﴿ جملة المعانی ﴾

٥٢٠٠ - (يسبح لله مافی السموات وما فی الارض له الملك وله الحمد و هو علی كل شیء قدیر)

ینزه الله تعالی و یقدّسه عما لا یلیق بساحة قدسه كل ما فی السموات، و كل ما فی الارض، اذ له جل و علا وحده حقیقة السلطان، و غایة السطوة، و له وحده الثناء علی الجمیل الاختیاری، فانه محمود بذاته، و هو الله علی كل شیء قدیر، لاتقیّد قدرته بقید ولا محدودة بحد.

٥٢٠١- (هو الذی خلقكم فمنكم كافر ومنكم مؤمن والله بما تعملون بصیر)

الله تعالی هو الذی خلقكم أیها الناس ذا فطرة سلیمة، فمال أكثر كم إلی الكفر علی خلاف ما تقتضیه الفطرة، واختار قلیل منكم الایمان بمقتضی الفطرة والله تعالی عالم بما فی قلوبكم من الكفر والایمان، و ما یظهر منكم من الطاعة و العصیان.

٥٢٠٢- (خلق السموات والارض بالحق و صوركم فاحسن صوركم و إلیه المصیر)

خلق الله تعالی السموات والارض مصاحباً للحق، فلم یخلقهما باطلا بلاغایة، و صوّركم أیها الناس، فاحسن صوركم اذ ركّبكم علی أحسن تركیب وأجمل هیئة، و إلی الله تعالی مصیر كم للحساب والجزاء.

٥٢٠٣ - (یعلم ما فی السموات والارض ویعلم ماتسرون وماتعلنون والله علیم بذات الصدور)

الله تعالی هو الذی یعلم ما فی السموات ویعلم ما فی الارض من الامر والخلق،

و يعلم ما تخفونه فيما بينكم و ما في صدوركم ، و يعلم ما تظهرونه من الاقوال و الاعمال ، والله تعالى عالم بما في الضمائر: خيرها و شرّها .

٥٢٠٤ - (الم يأتكم نبؤا الذين كفروا من قبل فذاقوا وبال أمرهم و لهم عذاب اليم)

ألم يأتكم أيها الناس خبر الذين كفروا وقد كانوا من قبلكم من الامم السالفة ، فذاقوا وخيم عاقبة كفرهم و عصيانهم من الهلاك والدمار في الحياة الدنيا ، و لهم في الآخرة عذاب موجع .

٥٢٠٥ - (ذلك بانه كانت تأتيهم رسلهم بالبينات فقالوا أبشر يهدوننا فكفروا و تولوا و استغنى الله والله غني حميد)

ذلك الاستئصال و الهلاك في الحياة الدنيا ، وعذاب النار لهم في الآخرة بان الشأن والقصة كانت ان تجيئهم رسل الله تعالى من أنفسهم بالادلة القاطعة والبراهين الساطعة ، فانكروا أن يكون الرسول من البشر مثلهم ، فقالوا لهم : أبشر مثلنا يهدوننا ، فكفروا بالرسل ، و أعرضوا عن الوقوف عند الدلائل و عن التفكر في البراهين ، ولا حاجة لله سبحانه إليهم و إلى ايمانهم و طاعتهم و صالح أعمالهم ، والله تعالى غني عن العالمين فضلا عن خليقته ، و عن فعالهم ، و حميد بذاته ، و إن لم يحمده حامد .

٥٢٠٦ - (زعم الذين كفروا أن لن يبعثوا قل بلى و ربي لتبعثن ثم لتنبؤن بما عملتم و ذلك على الله يسير)

ظن الذين كفروا بالله و كذّبوا رسله وأنكروا اليوم الاخر : أن لن يبعثوا بعد موتهم للحساب والجزاء قل أيها الرسول لهم : بلى أقسم بربي لتخرجن من قبوركم احياء و تحشرون يوم القيامة ثم بعد بعثكم لتخبرن بما عملتموه في الدنيا و تجزون عليه ، و ذلك البعث والانباء سهل هيّن على الله تعالى .

٥٢٠٧ - (فامنوا بالله ورسوله والنور الذي أنزلنا والله بما تعملون خبير)

اذا كان أمر البعث والانباء والجزاء حقاً فآمنوا بالله تعالى و رسوله

وبالقرآن الذى أنزلناه على نبينا محمد ﷺ ، والله جل وعلا بما تعملونه من الكفر و العصيان ، او الطاعة والايمان عليم لايخفى عليه خافية فيجازيكم عليه .

٥٢٠٨ - (يوم يجمعكم ليوم الجمع ذلك يوم التغابن و من يؤمن بالله و يعمل صالحاً يكفر عنه سيئاته ويدخله جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها أبداً ذلك الفوز العظيم)

يوم يجمعكم الله تعالى فيه والاولين والاخرين للقضاء والحكم والفصل بين عباده ذلك البعث ، و جمع الناس كلهم و جزاءهم ، يوم يظهر فيه الغبن لفريق و الربح للآخرين ، و من يؤمن بالله ، و صدّق رسوله ﷺ و بيوم الاخر ، و يعمل عملا صالحاً يمحو عنه سيئاته ، و يدخله الله تعالى جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها دائماً لا يفنى ماهم فيه من النعيم قطّ ، ذلك الايمان و صالح الاعمال ، و تكفير السيئات و إدخال الجنة و خلودها فوز ، لافوز ورائه لعظمه .

٥٢٠٩ - (و الذين كفروا وكذبوا باياتنا اولئك اصحاب النار خالدين فيها وبئس المصير)

والذين كفروا بالله تعالى و رسوله ﷺ و باليوم الاخر ، و كذّبوا بالقرآن الكريم وجحدوا دلائلنا، اولئك أصحاب النار ماكثين فيها أبداً وبئس المصير مصيرهم إلى النار والخلود فيها .

٥٢١٠ - (ما أصاب من مصيبة الا باذن الله و من يؤمن بالله يهد قلبه والله بكل شىء عليم)

ما أصاب من مصيبة فى الارض من جدب وقحط وبلاء ، ولا فى أنفسكم من أمراض وأسقام وغرق . . . استحقاقاً كانت ام امتحاناً الا بقضاء الله تعالى وتقديره و علمه ، و من يؤمن بالله ، و يعلم ان المصيبة بتقدير الله يسكن قلبه و يطمئن ، والله بكل شىء عليم لا يخفى عليه تسليم من انقاد و امتناع من كفر وتولى .

٥٢١١ - (واطيعوا الله و اطيعوا الرسول فان توليتم فانما على رسولنا البلاغ المبين)

و أطيعوا الله تعالى فيما شرّعه لكم من شرائع الدين ، و أطيعوا الرسول

ﷺ فيما يأمركم به وينهاكم عنه، فان أعرضتم عن إطاعة الله مستكبرين عنها، و عن اطاعة الرسول ﷺ مكذبين به، فليس على الرسول ﷺ الا التبليغ البيّن.

٥٢١٢ - (الله لا اله الا هو و على الله فليتوكل المؤمنون)

الله الذى لا معبود بحق سواه، و على الله تعالى فليتوكل المؤمنون فى جميع شؤنهم، فيفوّضوها إليه، و يستمدّوا منه، و يجعلوا اتكالهم عليه، و ثقتهم به، و يرضوا بتقديره و قضائه مما يقع عليهم من خير او شر.

٥٢١٣ - (يا أيها الذين آمنوا ان من ازواجكم و اولادكم عدواً لكم فاحذروهم و ان تعفوا و تصفحوا و تغفروا فان الله غفور رحيم)

يا أيها الذين آمنوا بالله تعالى و رسوله ﷺ و باليوم الاخر ان بعض أزواجكم و بعض اولادكم عدو لكم اذ يصدونكم عن سبيل الله و الطاعة و صالح الاعمال، فاحذروهم أن تقبلوا منهم ما يأمرونكم به، وما ينهونكم عنه، و ان تعفوا عنهم اذا اطلعتم منهم على معاداة، و عن ذنوبهم بترك المعاقبة والطرد عنكم و تغضوا عنهم، وعظوهم، وتغفروا لهم ما علمتموه منهم، فان الله غفور لكم و يرحمكم.

٥٢١٤ - (انما أموالكم و اولادكم فتنة والله عنده أجر عظيم)

انما أموالكم ايها الناس و اولادكم فتنة تمتحنون بها، فاجعلوها ذريعة لنيلكم بمرضاة الله تعالى فحينئذ كان لكم عند الله أجر عظيم، و ثواب جميل.

٥٢١٥ - (فاتقوا الله ما استطعتم و اسمعوا و أطيعوا و انفقوا خيراً لانفسكم ومن يوق شح نفسه فاولئك هم المفلحون)

فاتقوا الله جل و علا مبلغ استطاعتكم، و اصغوا إلى ما ينزل عليكم من كتاب الله تعالى و أطيعوا الله و رسوله ﷺ و أنفقوا حق ما آتاكم الله تعالى من الاموال فى وجوه البر انفاقاً خيراً لانفسكم اذ تجدونه عند الله تعالى، و من يحفظ حرص نفسه، و يخالف هواه، فاولئك هم الفائزون بثواب الله و نعيم جنته.

٥٢١٦- (ان تقرضوا الله قرضاً حسناً يضاعفه لكم و يغفرلكم و الله شكورحليم)

ان تنفقوا أيها المؤمنون بعض ما آتاكم الله تعالى فى سبيله ابتغاء لوجهه فكأنكم تقرضون الله سبحانه قرضاً حسناً سوف يردّه عليكم مضاعفة ، ويغفرلكم ذنوبكم والله تعالى شكور لفاعل الخير ، و يعامل عباده بالحلم ، فلا يعاجل العباد بالعقوبة على خطاياهم .

٥٢١٧- (عالم الغيب والشهادة العزيزالحكيم)

عالم غيب السموات والارض ، و يعلم بما كان و ما يكون ، القادر الغالب غير العاجز المغلوب ، الحكيم فى تدبير خلقه و فى التشريع و فى إقامة موازين الاعمال . . .



﴿بحث روائی﴾

فی الکافی : باسناده عن الحسین بن نعیم الصحاف قال : سئلت أباعبدالله علیه السلام عن قول الله تعالی : « فمنکم کافر و منکم مؤمن » فقال : عرف الله عزوجل ایمانهم بولایتنا و کفرهم بها یوم اخذ علیهم المیثاق فی صلب آدم وهم ذرّ .

و فی تفسیر القمی : باسناده عن الحسین بن نعیم الصحاف قال : سئلت الصادق علیه السلام عن قوله : « فمنکم کافر و منکم مؤمن » قال : عرف الله عزوجل ایمانهم بولایتنا و کفرهم بترکها یوم اخذ علیهم المیثاق فی صلب آدم.

وقال علی بن ابراهیم : هذه الایة خاصة فی المؤمنین والکافرین .

وفی المجمع : قال : ولایجوز حمله علی انه سبحانه خلقهم مؤمنین و کافرین لانه لم یقل کذلک بل أضاف الکفر والایمان الیهم وإلی فعلهم، ولدلالة العقول علی انذلك یقع علی حسب قصودهم وأفعالهم ، ولذلك یصحّ الامروالنهی والثواب والعقاب ، وبعثة الانبیاء علی انه سبحانه لوجاز أن یخلق الکفروالقبائح لجاز أن یبعث رسولاً یدعو إلی الکفر و الضلال ، ویؤیّده بالمعجزات تعالی عن ذلك وتقدّس هذا ، وقد قال تعالی : « فطرة الله التی فطر الناس علیها » .

وقال النبی صلی الله علیه وآله وسلم : کل مولود یولد علی الفطرة تمام الخبر وقال صلی الله علیه وآله وسلم حکایة عن الله سبحانه : خلقت عبادی کلهم حنفاء ونحو ذلك من الاخبار کثیر.

و فی نور الثقلین : بالاسناد عن محمد بن الفضیل قال : قال أبوجعفر علیه السلام : حبنا ایمان وبغضنا کفر .

وفیه : بالاسناد عن علی بن جعفر عن أبی الحسن موسی علیه السلام قال : قال

أبوعبدالله عليه السلام : ان الله عزوجل خلقنا فاحسن خلقنا وصورنا فاحسن صورنا و جعلنا خزائنه فى سمائه وارضه ، ولنا نطقت الشجرة و بعبادتنا عبدالله عزوجل و لولانا ما عبدالله .

و فى تفسير القمى : باسناده عن على بن سويد السائى قال : سئلت العبد الصالح عن قول الله : « ذلك بانه كانت تاتيهم رسلهم بالبينات » قال : البينات هم الائمة عليهم السلام .

و قال على بن ابراهيم : ثم حكى الله سبحانه أهل الدهرية فقال : « زعم الذين كفروا أن لن يبعثوا قل بلى وربى لتبعثن ثم لتنبؤن بما عملتم و ذلك على الله يسير » .

وفى الكافى : باسناده عن أبى حالد الكابلى قال : سئلت أباجعفر عليه السلام عن قول الله عزوجل: « فامنوا بالله ورسوله والنور الذى انزلنا » فقال : ياباخالد والله الائمة من آل محمد صلى الله عليه وآله إلى يوم القيامة ، وهم والله نور الله الذى أنزل، وهم و الله نور الله فى السموات و فى الارض والله ياباخالد لنور الامام فى قلوب المؤمنين أنور من الشمس المضيئة بالنهار ، و هم و الله ينورون قلوب المؤمنين و يحجب الله عزوجل نورهم عمن يشاء فنظلم قلوبهم ، والله ياباخالد لايحبنا عبد ويتولانا حتى يطهر الله قلبه ، ولا يطهر الله قلب عبد حتى يسلم لنا ويكون سلماً لنا ، فاذا كان سلماً لنا سلمه الله من شديد الحساب و آمنه من فزع يوم القيامة الاكبر .

و فى معانى الاخبار: باسناده عن حفص بن غياث عن أبى عبدالله عليه السلام قال : « يوم التلاق » يوم تلتقى أهل السماء و الارض و « يوم التناد » يوم ينادى أهل النار أهل الجنة « افيضوا علينا من الماء او مما رزقكم الله » و «يوم التغابن» يوم يغبن أهل الجنة أهل النار و « يوم الحسرة » يوم يؤتى بالموت فيذبح .

وفى المجمع: و قد روى عن النبى صلى الله عليه وآله فى تفسير هذا قوله : مامن عبد مؤمن يدخل الجنة الا ارى مقعده من النار لو أساء ليزداد شكراً ، ومامن

عبد يدخل النار الآ ارى مقعده من الجنة لو أحسن ليزداد حسرة.

و فى نهج البلاغة : قال الامام امير المؤمنين على عليه السلام - فى خطبة -: و ذلك يوم يجمع الله فيه الاولين و الاخرين لنقاش الحساب و جزاء الاعمال، خضوعاً قياماً قد ألجمهم العرق، و رجفت بهم الارض، فأحسنهم حالاً من وجد لقدميه موضعاً ولنفسه متسعاً.

قوله عليه السلام : « لنقاش الحساب » النقاش : مصدر ناقش أى استقصى فى الحساب وفى الحديث : « من نوقش الحساب عذّب » و « ألجمهم العرق » : سال منهم حتى بلغ إلى موضع اللجام من الدابة وهو الفم، و « رجفت بهم »: تحركت و اضطربت، ثم وصف الامام عليه السلام الزحام الشديد الذى يكون هناك، فقال : أحسن الناس حالاً هناك من وجد لقدميه موضعاً، ومن وجد مكاناً يسعه.

و فى عدة الداعى : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : انه يفتح للعبد يوم القيامة على كل يوم من أيام عمره أربع وعشرون خزانة عدد ساعات الليل و النهار، فخزانة يجدها مملوة نوراً وسروراً فيناله عند مشاهدتها من الفرح والسرور مالو وزع على أهل النار لادهشهم عن الاحساس بالم النار وهى الساعة التى أطاع فيها ربه، ثم يفتح له خزانة اخرى فيراها مظلمة منتنة مفزعة، فيناله منها عند مشاهدتها من الفزع والجزع مالو قسم على أهل الجنة لنقص عليهم نعيمها، وهى الساعة التى عصى فيها ربه، ثم يفتح له خزانة اخرى فيراها خالية ليس فيها مايسره ولايسوئه، وهى الساعة التى نام فيها او اشتغل فيها بشىء من مباحات الدنيا فيناله من الغبن والاسف على فواتها حيث كان متمكناً من أن يملأها حسنات مالايوصف ومن هذا قوله تعالى : « ذلك يوم التغابن ».

وفى نهج البلاغة : قال الامام أمير المؤمنين على عليه السلام : « عباد الله إن أنصح الناس لنفسه أطوعهم لربه، وان أغشهم لنفسه أعصاهم لربه، والمغبون من غبن نفسه »

اقول : قوله عليه السلام : « ان أنصح الناس لنفسه أطوعهم لربه » و ذلك لانه

صان نفسه عن العقاب، وأوجب لها الثواب، و ذلك غاية مايمكن من نصيحتها و نفعها، وقوله عليه السلام: «وانأغش الناس لنفسه أعصاهم لربه» لانه ألقاهافي العذاب الدائم، وذلك أقصى مايمكن من غشها والاضرار بها، وقوله عليه السلام: «والمغبون من غبن نفسه» أى أحق الناس أن يسمى مغبوناً من غبن نفسه حيث ان هذا الغبن لايستدرك أبداً، وأماغبن الدنيا فيستدرك اما برد في بعض الاحوال، وإما بربح في بيع آخر واما من خسر الجنة فلادرك له قط.

و في تحف العقول: قال الامام على عليه السلام: ياأيها الناس سلوا الله اليقين وارغبوا إليه في العافية، فان أجل النعم العافية، وخير مادام في القلب اليقين، والمغبون من غبن دينه.

وفيه: قال الامام على عليه السلام: «والمغبون من غبن نصيبه من الله»

وفي رواية: «نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس: الصحة والفراغ»

اقول: المغبون: الذي يبيع الكثير بالقليل، وان المكلف لاشتغاله أيام الصحة والفراغة بالامور الدنيوية يكون مغبوناً اذباع أيام الصحة و الفراغة التي لاقيمة لها بشيء لاقيمة له من الامور الحقيرة الفانية المنغضة بشوائب الكدورات...

وسئل الحسن عن قوله تعالى: «ذلك يوم التغابن» فقال: غبن أهل الجنة النار أى استنقصوا عقولهم باختيارهم الكفر على الايمان.

ونظر الحسن إلى رجل غبن آخر في بيع فقال: ان هذا يغبن عقلك أى ينقصه.

و في رواية: ان التغابن في ثلاثة أصناف: رجل علم علماً فعلمه و ضيعه هو، لم يعمل به فشقى به، وعمل به من تعلمه منه فنجى به، ورجل اكتسب مالاً من وجوه يسئل عنها وشح عليه، وفرط في طاعة ربه بسببه، ولم يعمل فيه خيراً، وتركه لوارث لاحساب عليه فيه، فعمل ذلك الوارث فيه بطاعة ربه، ورجل كان له عبد فعمل العبد بطاعة ربه فسعد، وعمل السيد بمعصية ربه فشقى.

وفي رواية: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ان الله تعالى يقيم الرجل و المرأة

يوم القيامة بين يديه، فيقول الله تعالى لهما قولا فما انتما بقائلين فيقول الرجل: يارب أوجبت نفقتها على فتعسفتها من حلال و حرام، وهؤلاء الخصوم يطلبون ذلك، ولم يبق لي ما أوفي به، فتقول المرأة: يارب وماعسى أن أقول: اكتسبه حراماً واكلته حلالاً، وعصاك في مرضاتي ولم ارض له بذلك فبعداً له وسحقاً، فيقول الله تعالى قد صدقت فيؤمر به إلى النار، ويؤمر بها إلى الجنة فتطلع عليه غبناك من طبقات الجنة وتقول له: غبناك غبناك سعدنا بما شقيت انت به فذلك يوم التغابن.

وفي الكافي: باسناده عن أبي بصير عن أبي عبدالله عليه السلام قال: ان القلب ليرجج فيما بين الصدر والحنجرة حتى يعقد على الايمان، فاذا عقد على الايمان قر، وذلك قول الله عزوجل: «ومن يؤمن بالله يهد قلبه» قال: يسكن.

وفي تفسير القمي: في قوله تعالى: «ومن يؤمن بالله يهد قلبه» قال: أي يصدق الله في قلبه، فاذا بين الله له واختار الهدى يزيده الله كما قال: «والذين اهتدوا زادهم هدى»

وفي رواية: «عجباً للمؤمن: لايقضى الله له قضاء الا كان خيراً له، إن أصابته ضراء صبر فكان خيراً له، و إن أصابته سراء شكر فكان خيراً له، و ليس ذلك لاحد الا للمؤمن».

وفي رواية: أن رجلاً أتى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال: يارسول الله أي العمل أفضل؟ قال: ايمان بالله و تصديق به وجهاد في سبيله، قال: اريد أهون من هذا يارسول الله، قال: لاتتهم الله في شيء قضى لك به.

وفي الكافي: باسناده عن الحسين بن نعيم الصحاف عن أبي عبدالله عليه السلام قال: سئلته عن قوله: «و اطيعوا الله و اطيعوا الرسول فان توليتم فانما على رسولنا البلاغ المبين» فقال: أما والله ماهلك من كان قبلكم وماهلك من هلك حتى يقوم قائمنا عليه السلام الافي ترك ولايتنا و جحود حقنا، و ما خرج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من الدنيا حتى الزم رقاب هذه الامة حقنا و الله يهدى من يشاء إلى صراط مستقيم.

في تفسير القمى : عن أبى الجارود عن أبى جعفر عليه السلام فى قوله تعالى : « ان من ازواجكم و اولادكم عدواً لكم فاحذروهم » وذلك ان الرجل اذا أراد الهجرة تعلّق به ابنه وامرأته ، و قالوا : ننشدك الله أن تذهب عنّا فنضيع بعدك فمنهم من يطيع أهله فيقيم فحذّرهم الله أبناءهم ونساءهم ونهاهم عن طاعتهم ، و منهم من يمضى ويذرهم ويقول : أما والله لئن لم تهاجروا معى ثم جمع الله بينى وبينكم فى دار الهجرة لا أنفعكم بشىء أبداً ، فلما جمع الله بينه وبينهم أمر الله أن يتوقّ بحسن وصله فقال : « وإن تعفوا وتصفحوا وتغفروا فان الله غفور رحيم » وقال على بن ابراهيم : « انما اموالكم واولادكم فتنة » أى حبّ .

وفى المحاسن: باسناده عن عبدالله بن محمد بن عبيد عن أبى الحسن على بن محمد بن الرضا عن آبائه عن على عليه السلام قال ـ فى حديث ـ : ان من الغرّة بالله أن يصرّ العبد على المعصية ، ويتمنّى على الله المغفرة ، قال : وسمع رجلاً يقول : اللهم انى اعوذبك من الفتنة فقال : أراك تتعوّذ من مالك و ولدك ، يقول الله عزوجل : « انما أموالكم واولادكم فتنة » ولكن قل : اللهم انى اعوذبك من مضلات الفتن .

و فى نهج البلاغة : قال الامام أمير المؤمنين على عليه السلام ـ فى خطبة ـ : لايقولنّ أحدكم : اللهم انى اعوذبك من الفتنة لانه ليس أحد الاّ و هو مشتمل على فتنة ولكن من استعاذ فليستعذ من مضلات الفتن ، فان الله سبحانه يقول: « و اعلموا انما اموالكم واولادكم فتنة » .

وفى الدر المنثور : فى قوله تعالى : « انما اموالكم و اولادكم فتنة » عن ابن مردويه عن عبادة بن الصامت و عبدالله بن ابى أوفى عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم : لكل امة فتنة وفتنة امتى المال .

وفى المجمع : و روى عبدالله ابن بريدة عن أبيه قال : كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يخطب فجاء الحسن و الحسين عليهما السلام وعليهما قميصان أحمران يمشيان و يعثران فنزل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إليهما فأخذهما فوضعهما فى حجره على المنبر

و قال : صدق الله عزوجل : « انما اموالكم و اولادكم فتنة » نظرت إلى هذين الصبيين يمشيان ويعثران، فلم أصبر حتى قطعت حديثي ورفعتهما ثم أخذ في خطبته

قال بعض أعلام المفسرين : والرواية لاتخلو من شيء وأنى تنال الفتنة من النبي صلى الله عليه وآله وسلم وهو سيد الانبياء المخلصين معصوم مؤيد بروح القدس ؟

اقول : ان التدبر في الرواية يلهمنا بعدم التنافي بينها وبين سيادة نبينا واخلاصه وعصمته، وخاصة اذا كانت الفتنة بمعنى الحب كما قال علي بن ابراهيم رضوان الله تعالى عليه في تفسيره .

مع ان الفتنة : مايمتحن به الانسان خيراً كان او شراً قال الله تعالى : « و نبلوكم بالشر والخير فتنة ـ وان ادرى لعله فتنة لكم ومتاع إلى حين » الانبياء : ٣٥ ـ ١١١) .

و من فتنة الخير الولد الخيّرون، فينبغي للمؤمن أن يجعل أمواله و أولاده، وحياته كلها ذريعة للوصول إلى مرضاة الله تعالى .

وفي البرهان : عن ابن شهر آشوب عن تفسير وكيع حدثنا سفيان بن مرّة الهمداني عن عبد خير سئلت علي بن ابيطالب عليه السلام عن قوله تعالى: « اتقوا الله حق تقاته » قال : و الله ما عمل بها غير أهل بيت رسول الله نحن ذكرناه فلاننساه ، و نحن شكرناه فلن نكفره ، و نحن اطعناه فلم نعصه ، فلما نزلت هذه قالت الصحابة لانطيق ذلك فانزل الله تعالى : « فاتقوا الله ما استطعتم » .

قال وكيع : يعني ماطعتم ثم قال : واسمعوا ماتؤمرون به ، وأطيعوا يعني وأطيعوا الله ورسوله وأهل بيته فيما يامرونكم به .

وفي التوحيد : باسناده عن سهل بن محمد المصيصيّ عن أبي عبدالله جعفر بن محمد بن علي عليه السلام قال : لايكون العبد فاعلاً و لامتحركاً الاّ و الاستطاعة معه من الله عزوجل ، و انما وقع التكليف من الله تبارك و تعالى بعد الاستطاعة ولايكون مكلفا للفعل الاّ مستطيعاً .

وفيه : باسناده عن هشام بن سالم عن أبي عبدالله عليه السلام قال : ما كلف الله

العباد كلفة فعل ، ولانهاهم عن شيء حتى جعل لهم الاستطاعة ثم أمرهم ونهاهم ، فلايكون العبد آخذاً و لاتاركاً الا باستطاعة متقدمة قبل الامر و النهى ،وقبل الاخذ والترك ، وقبل القبض والبسط .

و في تفسير القمي : حدثني أبى عن الفضل بن أبى قرة قال : رأيت أباعبدالله عليه السلام يطوف من أول الليل إلى الصباح ، و هو يقول : اللهم قنى شح نفسى ، فقلت : جعلت فداك ماسمعتك تدعو بغير هذا الدعاء قال : وأى شيء أشد من شح النفس وان الله يقول : « ومن يوق شح نفسه فاولئك هم المفلحون »

وفي المجمع : وقال الصادق عليه السلام : من أدى الزكاة فقد وقى شح نفسه .

وفي الكافي : باسناده عن الفضل بن أبى قرة قال : قال لى أبوعبدالله عليه السلام : تدرى ماالشحيح؟ قلت: هوالبخيل قال: الشح هوأشد من البخل ان البخيل يبخل بما في يده ، و الشحيح يشح بما في أيدى الناس ، و على مافي يده حتى لايرى مما في أيدى الناس شيئاً الا تمنى أن يكون له بالحل والحرام، ولايقنع بما رزقه الله .

و في رواية : ولايشبع ولايقنع بما رزقه الله عزوجل .

وفيه : باسناده عن الاصبغ بن نباتة عن حارث الاعور ، قال : فيما سئل على عليه السلام ابنه الحسن أن قال له : ما الشح ؟ قال : الشح أن ترى ما في يديك شرفاً وماأنفقت تلفاً .

وفيه : باسناده عن زرارة قال : سمعت أباعبدالله عليه السلام يقول : انما الشحيح من منع حق الله وأنفقه في غير حق الله عزوجل .

﴿بحث فقهي﴾

استدل بعض المحققين من المفسرين بقوله تعالى: «ذلك يوم التغابن» التغابن: ٩) على حرمة الغبن في المعاملات...

فقال: وذلك لان الله تعالى خصّص التغابن بيوم القيامة اذ قال: «ذلك يوم التغابن» و هذا الاختصاص يفيدانه لاغبن في الدنيا، فمن اطلع على غبن في مبيع فانه مردود اذا زاد على مالا يعتنى به عرفاً.

و تبعه الفقهاء، فقالوا: ان الغبن حرام بالاجماع لانه خديعة ممنوعة شرعاً و لكن اليسير منه لايمكن الاحتراز عنه لاحد، إذلو حكمنا بردّه لما نفذبيع قطّ لانه يخلومنه.

أقول: ينبغي البحث في المقام على سبيل الاختصار و فيه امور:

الاول: في تعريف الغبن وهو في الاصل: الخديعة، و في اصطلاح الفقهاء تمليك ماله بما يزيد على قيمته مع جهل الاخر، و تسمية المملّك غابناً والاخر مغبوناً مع انه قد لا يكون خدع أصلاً كما لوكانا جاهلين لاجل غلبة صدور هذه المعاوضة على وجه الخديعة، والمرادبما يزيد او ينقص العوض مع ملاحظة ما انضمّ إليه من الشرط، فلو باع ما يساوى مأة دينار باقلّ منه مع اشتراط الخيار للبايع فلاغبن لان المبيع ببيع الخيار ينقص ثمنه عن المبيع بالبيع اللازم، و هكذا غيره من الشروط، و الظاهر ان كون الزيادة مما لا يتسامح به شرط خارج عن مفهوم الغبن بخلاف الجهل بقيمته.

الثاني: في الادلة التي يستدل بها على حرمة الغبن:

منها : قوله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا لاتأكلوا أموالكم بينكم بالباطل» النساء : ٢٩) و ذلك لان أكل المال على وجه الخدع ببيع ما يساوى درهماً بعشرة مع عدم تسلط المخدوع بعدتبيّن خدعه على رد المعاملة و عدم نفوذ ردّه أكل المال بالباطل قطعاً، أما مع رضاه بعد التبين بذلك فلا يعدّ أكلا بالباطل.

ومنها : قوله تعالى : « الاّ أن تكون تجارة عن تراض منكم»النساء:٢٩)

و ذلك لان المغبون لو عرف الحال لم يرض ، فان رضا المغبون يكون ما يأخذه عوضاً عما يدفعه مبنيّ على عنوان مفقود ، و هو عدم نقصه عنه فى المالية فكأنه قال : اشتريت هذا الذى يساوى درهماً بدرهم ، فاذا تبيّن انه لا يساوى درهماً تبيّن انه لم يكن راضياً به عوضاً .

ومنها : فى الكافى باسناده عن الحسين بن يزيد قال : سمعت أبا عبد الله عليه السلام و قد قال له أبو حنيفة : عجب الناس منك أمس ، و أنت بعرفة تماكس ببدنك أشد مكاس قال : فقال له أبو عبدالله عليه السلام : و مالله من الرضا أن أغبن فى مالى .

ومنها : فى الفقيه : باسناده عن أبى جعفر عليه السلام قال : ماكس المشترى فانه أطيب للنفس ، و ان اعطى الجزيل ، فان المغبون فى بيعه و شرائه غير محمود ولا مأجور .

و يظهر من الرواية عدم الفرق فى ذلك أن يكون الغبن فى طرف البايع كما اذ اباع باقل من القيمة السوقية ، و أن يكون فى طرف المشترى كما اذا اشترى بازيد منها .

ومنها : فى عيون الاخبار : باسناده عن الرضا عليه السلام عن آبائه عليهم السلام قال : المغبون لا محمود ولا مأجور .

ومنها : فى وسائل الشيعة : بالاسناد عن ميسّر عن أبى عبدالله عليه السلام قال: غبن المؤمن حرام .

ومنها : وفيه : بالاسناد عن اسحق بن عمارعن أبى عبدالله عليه السلام قال :غبن

المسترسل سحت .

الاسترسال : الاستيناس و الطمأنينة إلى الانسان ، و الثقة فيما يحدثه و أصله : السكون والثبات .

ومنها : و فيه بالاسناد عن زرارة عن أبي جعفر عليه السلام في حديث - « ان رسول صلى الله عليه وآله قال : لا ضرر ولاضرار »

وفي رواية : « لا ضرر ولا ضرار في الاسلام »

وفي رواية : لا ضرر ولا ضرار على مؤمن »

و ذلك لان لزوم مثل هذا البيع و عدم تسلّط المغبون على فسخه ضرر عليه و اضرار به ، فيكون منفياً ، فحاصل الرواية : ان الشارع لم يحكم بحكم يكون فيه ضرر ، و لم يسوّغ اضرار المسلمين بعضهم بعضاً ، ولم يمض لهم من التصرفات ما فيه ضرر على الممضى عليه .

الثالث : يشترط في الغبن أمران : أحدهما - جهل المغبون القيمة وقت العقد بلا خلاف ، ضرورة تسلّط الناس على أموالهم ، فله أن يقدم على بيع ما يساوي مأة بواحد ، فمع العلم والاقدام لاخيار قطعاً كحدوث الزيادة والنقيصة بعده .

ثانيهما - الزيادة و النقيصة التي لا يتسامح الناس بمثلها عادة ، فلا يقدح التفاوت اليسير ، والمرجع في ذلك ما لم يكن له مقدّر في الشرع إلى العرف ، و هو مختلف بالنسبة إلى المكان والزمان و نحوهما .

والظاهر ثبوت خيار الغبن من حين العقد لاوقت ظهور الغبن لتغيّر السعر بتغيّر الزمان .

الرابع : في مسقطات خيارالغبن و هي امور : أحدها - إسقاطه بعدالعقد ، و هو قد يكون بعد العلم بالغبن ، فلا اشكال في صحة اسقاطه بلا عوض مع العلم بمرتبة الغبن ، ولا مع الجهل بها .

ثانيها - : اشتراط سقوط الخيار في متن العقد .

ثالثها ـ : تصرف المغبون باحد التصرفات المسقطة للخيارات بعد علمه بالغبن .

رابعها ـ : تصرف المشترى المغبون قبل العلم بالغبن تصرفاً مخرجاً عن الملك على وجه اللزوم كالبيع والعتق و نحوهما . . .



﴿ بحث مذهبي ﴾

استدلت الأشاعرة بقوله تعالى : « هو الذى خلقكم فمنكم كافر و منكم مؤمن » التغابن : ٢) على خلق الكفر و الايمان فى الإنسان من غير اختيار له فيهما ، فقالوا : ان الكفر و الايمان مخلوقان فى الكافر والمؤمن ، و هما بمعزل عن اختيارهما ، و لو شاء الله لما كفر الكافر ، ولا عصى العاصى .

اقول : ان الاية الكريمة لاتدل على ان الله سبحانه خلقهم كفاراً و مؤمنين، و الا لكان الواجب ـ حسب قواعد الأدب ـ النصب « فمنكم كافراً و منكم مؤمناً» فلما ذكر الله تعالى بالرفع دلّ على ان الكفر و الايمان من فعلهم لا من خلق الله سبحانه فيهم ، فالمعنى : فمنكم من كفر و منكم من آمن ، لان الرفع يدل على فعلية النسبة حال التكلم اذالم تقم قرينة قطعية على خلافها ، و قد سبق ردّ هذا التوهم السخيف فى خلال هذا التفسير بكرّات . . .

كيف خلق الله سبحانه الكفر فى الانسان مريداً منهم الكفر ـ حسب تعبير الاشعرى ـ والله تعالى لا يرضى لعباده الكفر ؟ !

و قد قال الله جل و علا : « ان تكفروا فان الله غنى عنكم ولا يرضى لعباده الكفر » الزمر : ٧) وقال : « ولكن الله حبّب اليكم الايمان و زيّنه فى قلوبكم و كرّه إليكم الكفر والفسوق والعصيان » الحجرات : ٧)

و قال : « فامنوا بالله و رسوله والنور الذى أنزلنا ـ و اطيعوا الله و أطيعوا الرسول ـ فاتقوا الله ما استطعتم و اسمعوا و اطيعوا وانفقوا » التغابن : ٨ ـ ١٦)

ما هذا الأمر بالايمان ، ما هذا طلب الطاعة ، ما هذا الأمر بالتقوى على

مبلغ الاستطاعة ، ما هذا طلب الاستماع لآيات الله تعالى ، و ما هذا الامر بالانفاق لوكان الكفر والايمان ، لو كان الطاعة والعصيان ، لوكان الاستماع والاعراض ، و لوكان البخل والانفاق خارجة عن تحت قدرة الانسان ، و هو لا يستطيع الايمان ولا الكفر . . . الا اذا خلق الله سبحانه ذلك فيه فهل هذا الا طلب ما لا يقدر العباد على فعله ؟ ! و ان الايات القرآنية التى جاء فيها ذكر الوعد و الوعيد ، والامر والنهى ، والتكليف والتشريع ، والمثوبة والجزاء ، والدعوة إلى الايمان و الخروج عن طاعة الشيطان ، و مدح المؤمنين و ذم الكفار والمنافقين تسند الكفر والايمان ، الرياء والاخلاص، الطاعة والطغيان ، الصدق والكذب ، الامانة و الخيانة ، و سائر أفعال العباد إلى أنفسهم و اختيارهم إن شاؤوا فعلوا ، و إن شاؤوا تركوا ، وقد أرجعت تبعات أعمالهم إلى أنفسهم بالذات من خير اوشر ، صلاح اوفساد . . . وتشهد بذلك العقول السليمة ، و يعترف به كل ذى لب .

قال الله تعالى : « انا خلقنا الانسان من نطفة أمشاج نبتليه فجعلناه سميعاً بصيراً انا هديناه السبيل اما شاكراً و اما كفوراً » الانسان : ٢ ـ ٣)

و قال : « قل الحق من ربكم فمن شاء فليومن و من شاء فليكفر » الكهف: ٢٩) وفى الاية دلالة قاطعة على ان الكفر والايمان كليهما واقعان تحت اختيارنا وليسا مخلوقين فينا من غير جهة ارادتنا ، و الا لم يصح هذا الكلام .

و قال : « لا اكراه فى الدين قد تبيّن الرشد من الغى » البقرة : ٢٥٦)

فان اعتناق الايمان والكفر يأبى الاكراه والاجبار ، مادام الاعتقاد بشىء رهن وضوح الحق و اقتناع النفس به .

و قال : « كيف تكفرون بالله و كنتم امواتاً فاحياكم » البقرة : ٢٨)

لوكان الله سبحانه خلق الكفر فى الكافر لم يتوجه هذا التوبيخ كما لاتوبيخ على الصحة والمرض والموت والحياة .

و قال : « و ما منع الناس أن يؤمنوا إذ جاء هم الهدى » الاسراء : ٩٤)

ما هذا الاستفهام الانكارى اذاكان الله سبحانه هو الذى منعهم عن الايمان؟!

و قال : « و ما لكم لا تؤمنون بالله » الحديد : ٨)

فلولا ان الايمان موقوف على اختيارنا لم يستقم هـذا الكلام ، و لجرى مجرى أن يقول لهم : لم لاتطول قوائمهم ولا تبيض أبدانهم ، و نحو ذلك و لكان للممتنع عن الايمان أن يقول : أنت الذى منعتنى عن الايمان ، ولم تخلقه فيّ ، فكيف توبخنى عليه ؟ !

و قال : « و ما خلقت الجن والانس الاّ ليعبدون » الذاريات : ٥٦)

و فيه دلالة واضحة على ان الله جل وعلا لا يريد من العباد جميعاً سوى الا طاعة و الانقياد ، ارادة تشريع و حكم ، فكيف يخلق فيهم الكفر والعصيان بارادة تكوينية ، ثم يطلب منهم الاطاعة والانقيا: تشريعاً ؟ !

وأما قوله تعالى:« قل فلله الحجة البالغة فلو شاء لهداكم أجمعين »الانعام: ١٤٩) فالمشيئة هناهى المشيئة التكوينية ، أما المشيئة التشريعة فقد شاء ها الله جل و علا بلاشك ، لانه تعالى وجه دعوته إلى عامة الناس اذقال : « يا أيهاالناس اعبدوا ربكم » البقرة : ٢١)

شبهات العرب كانت مقصورة فى الشبهتين :

أحدهما ـ جحد بعث الرسل من البشر .

ثانيهما ـ انكار البعث بعد الموت .

أشار تعالى إليهما فى هذه السورة بقوله : « فقالوا أبشر يهدوننا فكفروا و تولوا ـ زعم الذين كفروا أن لن يبعثوا قل بلى و ربى لتبعثن » التغابن:٦-٧)

و كان إنكارهم لبعث الرسول ﷺ فى الصورة البشرية أشد ، و اصرارهم على ذلك أبلغ قال الله تعالى حكاية عنهم : « و ما منع الناس أن يؤمنوا اذا جاءهم الهدى الاّ أن قالوا أبعث الله بشراً رسولاً » الاسراء : ٩٤)

و قال : « و قالوا مال هذا الرسول يأكل الطعام و يمشى فى الا سواق لولا انزل اليك ملك فيكون معه نذير » الفرقان : ٧)

و قال : « و لئن أطعتم بشراً مثلكم انكم اذاً لخاسرون أيعدكم انكم اذامتم

و كنتم تراباً و عظاماً انكم مخرجون هيهات هيهات لما تو عدون ان هی الا حیاتنا الدنيا نموت ونحيا وما نحن بمبعوثين » المؤمنون : ٣٤ - ٣٧)

و قال : « و كانوا يقولون ائذا متنا و كناتراباً و عظاماً ء انا لمبعوثون » الواقعة : ٤٧)

و فی أشعارهم قال بعضهم :

حياة ثم موت ثم نشر حديث خرافة يا ام عمر و

و لبعضهم فی مرثية أهل بدر من المشركين :

فماذا بالقليب قليب بدر من الشيزى تكلل بالسنام .

يخبرنا الرسول بأن سنحيا و كيف حياة أصداء وهام .

و قد دفع الله تعالى الشبهة الاخيرة - قبل ذكرها - لمنكرى البعث المبنية على الاستبعاد ، و هی انه كيف يمكن اعادة الموجودات ، وهی فانية بائدة ، و حوادث العالم لاتحصى ، والاعمال والصفات لا تعد . . . منها ظاهرة علنية ، ومنها باطنة سرية ، و منها مشهودة ، و منها مغيبة بقوله تعالى : « يعلم ما فی السموات والارض و يعلم ما تسرون وما تعلنون والله عليم بذات الصدور » التغابن : ٤)

و بقوله تعالى : « و صوركم فاحسن صوركم » التغابن : ٣) على أن هذه الصورة الحسنة ، و تناسب تجهيزاتها بعضها لبعض ، والمجموع لغاية وجودها التی هی الرجوع إلى الله تعالى فقال : « و اليه المصير » التغابن : ٣)

فتكون الجملة من جملة المقدمات المسوقة لاثبات البعث ، فبهذه الاية تتم المقدمات المنتجة للزوم البعث ، و رجوع اليه جل و علا ، فانه جل وعلا لما كان ملكاقادراً على الاطلاق له أن يحكم بما شاء ، ويتصرف كيف ما أراد ، و هومنزه عن كل نقص وشين ، محمود فی أفعاله وكان الناس مختلفين بالكفر والايمان و هو بصير باعمالهم . . .

ولما كانت الخلقة لغاية من غير لغو ولاجزاف كان من الواجب أن يبعث الانسان بعد نشأتهم الدنيا لنشأة أخرى دائمة خالدة ، فيعيشوا فيها عيشة باقية على ما

يقتضيه اختلافهم بالكفر والايمان، والطاعة والعصيان و هوالجزاء الذى يسعدبه المؤمن، و يشقى به الكافر .

و من العرب من يعتقد التناسخ، ومنهم من يعتقد البعث ويجعلون الاصنام وآلهتهم شفعاء لهم عند الله سبحانه يومئذ .



في حقيقة القدرة وقدرة الله تعالى

قال الله تعالى : « وهو على كل شيء قدير » التغابن : ١)

وقدجاءت هذه الجملة مؤكدة وغيرها على طريقي الاضمار والاظهار في القرآن الكريم نحو خمس و أربعين مرة و لما وجدت المقام مناسباً للبحث في القدرة نخوض فيه على ما يسعه :

القدرة : اذا وصف بها الانسان فاسم لهيئة له بها يتمكن من فعل شيء ما و اذا وصف الله تبارك وتعالى بها فهي نفي العجز عنه

في الكافي : عن أبي جعفر الثاني عليه السلام ـ في جواب سائل ـ قال : فقولك: ان الله قدير خبّرت انه لايعجزه شيء ، فنفيت بالكلمة العجز ، و جعلت العجز سواه ، و كذلك قولك : عالم انما نفيت بالكلمة الجهل ، و جعلت الجهل سواه » الحديث .

فمحال أن يوصف غير الله بالقدرة المطلقة ، وإن اطلق عليه لفظاً بل حقه أن يقال : قادر على كذا ، ومتى قيل : هو قادر فعلى سبيل معنى التقييد ، ولهذا لا أحد غير الله أن يوصف بالقدرة من وجه الا و يصح أن يوصف بالعجز من وجه ، والله تعالى هو الذي ينتفي عنه العجز من كل وجه ، والقدير هو الفاعل لما يشاء على قدر ماتقتضي الحكمة لازائداً عليه ولاناقصاً عنه ، و لذلك لايصح أن يوصف به الا الله تعالى قال : « وهو على جمعهم اذايشاء قدير » الشورى:٢٩)

القدرة : صفة مؤثرة على وفق العلم و الارادة ، فخرج منها مالا تأثير له كالعلم و الارادة في غير الواجب لاتأثير لهما ، وإن توقف تأثير القدرة عليهما ،

ولابأس بعدم خروج علمه و إرادته عن التعريف، إذهما من أفراد المعرف لما علمت من أحدية صفاته وعينيّتها مع ذاته جل وعلا، وخرج ايضاً ما يؤثر لكن لاعلى وفق الارادة كالطبايع للبسائط العنصرية والمركبات الجمادية.

وهي فينا من الكيفيات النفسانية، و مصححة للفعل و تركه، وقوة على الشيء وضدّه، وتعلّقها بالطرفين على السوية، فلايكون فينا تامة، إذمبادى أفعالنا الاختيارية واردة علينا من خارج كالتصديق بترتب الفائدة أوما فى حكمه من الظن والتخيّل، وكالشوق و الاجماع المسمى بالارادة و الكراهة، فاذن جميع مايكون لنا من ادراك عقلى أو ظنّى او تخيّلى وشوق وارادة و مشيّة و حركة يكون بالقوة لابالفعل، فالقدرة فينا هى بعينها القوة، و فى الواجب تعالى هى الفعل فقط، اذلاجهة امكانية هناك.

فليست قدرة الله جل وعلا مندرجة تحت احدى المقولات بل هى كون ذاته تعالى بذاته بحيث يصدر عنه الموجودات لاجل علمه بنظام الخير، فاذانسب إليه الممكنات من حيث انها صادرة عن علمه كان علمه بهذا الاعتبار قدرة، واذا نسب إليه من حيث ان علمه كاف فى صدورها كان علمه بهذا الاعتبار ارادة، و الفاعل اذا تعلّق فعله بمشيّة كان قادراً من غير ان يعتبر معه شيء آخر من تجدد أغراض أو اختلاف دواع أوتفنن ارادة أو سنوح حالات إلى غير ذلك مما لايليق بساحة قدسه جل وعلا.

والجمهور غافلون عن ذلك، فيظنون ان القدرة لايكون الاّ لمامن شأنه أن يفعل وأن لايفعل، وأما من شأنه أن يفعل دائماً فلايسمّيه الجمهور قادراً.

والحق ان الشيء الذى يفعل دائماً إن كان فعل يصدر عنه بغير مشيّة فليس له قدرة بهذا المعنى، إن كان يفعل بارادة له الاّ ان إرادته لايتغيّر اتفاقاً اذ يستحيل تغيّرها استحالة ذاتية، فهو يفعل بقدرة و التغيّر فى المشيّة لادخل له فى معنى القدرة.

فالقادر من إن شاء فعل، و إن لم يشاء لم يفعل سواء كان شاء ففعل دائماً

أولم يشاء فلم يفعل دائماً ، والشرطية غير متعلقة الصحة بصدق كل من طرفيها، بل قد يصح أن يكون أحد طرفيها او كلاهما مما يكذب ، فهذا المعنى غير صالح للنزاع بين المتكلمين والحكماء ، بل مايصلح للنزاع بين الطائفتين : هو كون مقدم الشرطية الاولى واقعاً بل ضرورياً ذاتياً ، ومقدم الشرطية الاخرى غير واقع بل ممتنع الوقوع امتناعاً ذاتياً ، أو لايكون الاول ضرورياً و الاخر ممتنعاً بل كلاهما ممكن الوقوع .

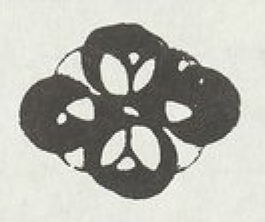
وهذا الاختلاف اختلاف فى شيء آخر غير مفهوم القدرة ، ومن فسّر من المنتسبين إلى الحكمة القدرة مطلقا بصحة الفعل والترك بالنظر إلى ذات الفاعل فقد أخطأ من وجهين : **الاول** : انه يلزم أن يكون الفاعل بالطبع اذا لم يكن اقتضاؤه تاماً ، بل كان مشروطاً بشرط مفارق عن طبيعته فاعلاً بالاختيار لصحة الفعل والترك عنه بالنظر إلى ذاته من حيث هى ، بل فى نفس الأمر لجواز عدم تحقق ذلك الشرط فيه ، و اذا زيد عليه قيد كون التأثير و الايجاد بالشعور و الارادة فقد استغنى عن ذكر الصحة والامكان .

والثاني: انه إن كان المراد بصحة صدور الفعل عن الفاعل ، و عدم صحة صدوره عنه مايساوق الامكان الذاتى للمفعول لزم ان يكون كل معلول مقدوراً لأن كل معلول ممكن الوجود لاينفك عنه إمكانه الذاتى أبداً ، وإن كان المراد كون الفاعل ممكن الفاعلية ، وممكن اللافاعلية ، فهو انما يصحّ إذا كان الفاعل غير تام الفاعلية ، فلايصدق التعريف على قدرة الله تعالى من أن ايجاد العالم وعدمه ممكن بالنسبة إلى الذات بدون اعتبار الارادة ، و واجب مع اعتبار الارادة التى هى عين الذات ليس بمستقيم لان حيثية ذات البارى هى بعينها حيثية علمه ، و قدرته و إرادته كما سبق تحقيقه : على أن حيثية الذات هناك هى بعينها حيثية جميع الصفات الكمالية كما ان حيثية الفاعلية والافاضة هى بعينها حيثية جميع صفاته الاضافية كالرحمانية والرحيمية والرازقية واللطف والكرم وغيرها ، و كذا ماأفاد بعض المحققين فى تصحيح التعريف الثانى على ذوق أهل الحكمة من عدم المنافاة

بين امكان عدم العالم فى نفسه ، وامتناع عدمه بالنظر إلى مشية الله تعالى .

فعدم صدوره ممتنع بالذات ، و ان كان هو فى نفسه ممكن العدم محل بحث لان من فسّر القدرة بصحة الصدور و اللاصدور أراد به ما هو وصف القادر، لا ماهو وصف المقدور عليه كيف و الامكان الذاتى للمقدور لايجعل الفاعل مختاراً والاّ لزم أن يكون كل فاعل ، إن كان بالطبع مختاراً و هذا خلف لان عدم كل ممكن فى ذاته ممتنع بالنظر إلى علته الموجبة له ، فثبت انّ تعريف القدرة مطلقا على مايوافق رأى الفلاسفة القائلين بكون البارى تعالى تام القدرة و القوة لايلحقه عجز ولاقصور فى ذاته ولافتور ودثور فى فعله المطلق من حيث كونه فعله المطلق هو كون الفاعل بحيث يتبع فعله علمه إما على وجه الخير فيه كما فى الواجب تعالى أو كونه متشوقاً له ، ومؤثراً عنده كما فى غيره .

ولما تحققت ان قيّوم الكل انما يفعل الاشياء عن علمه الذى هوعين ذاته فهو فاعل بالاختيار لابالطبع تعالى الله عما يقوله الملحدون علواً كبيراً .



﴿القدرة الذاتية و الخلق﴾

قال الله تعالى : « قل سيروا في الارض فانظروا كيف بدأ الخلق ثم الله ينشيء النشأة الآخرة ان الله على كل شيء قدير » العنكبوت : ٢٠)

و قال : « الحمدلله فاطر السموات و الارض - يزيد في الخلق مايشاء ان الله على كل شيء قدير » فاطر : ١)

وقال : « اولم يروا أن الله الذى خلق السموات والارض و لم يعى بخلقهن بقادر على أن يحيى الموتى بلى انه على كل شيء قدير » الاحقاف : ٣٣)

وقال : « الله الذى خلق سبع سموات ومن الارض مثلهن يتنزل الامر بينهن لتعلموا ان الله على كل شيء قدير وان الله قد أحاط بكل شيء علماً » الطلاق:١٢)

و قال : « تبارك الذى بيده الملك و هو على كل شيء قدير الذى خلق الموت و الحياة ليبلوكم ايكم أحسن عملاً و هو العزيز الغفور الذى خلق سبع سموات طباقاً ماترى في خلق الرحمن من تفاوت فارجع البصر هل ترى من فطور » الملك : ١-٣) .

وقال : « و لله ملك السموات و الارض وما بينهما يخلق مايشاء و الله على كل شيء قدير - لله ملك السموات و الارض وما فيهن و هو على كل شيء قدير » المائدة : ١٧-١٢٠)

في العيون : باسناده عن محمد بن عرفة قال : قلت للرضا عليه السلام : خلق الله الاشياء بالقدرة أم بغير القدرة ؟ فقال عليه السلام : لايجوز أن يكون خلق الاشياء بالقدرة لانك اذا قلت :خلق الاشياء بالقدرة ، فكانك قد جعلت القدرة شيئاً غيره، وجعلتها آلة له بها خلق الاشياء وهذا شرك ، واذا قلت : خلق الاشياء بقدرة (بغير

قدرة خ) فانما تصفه انه جعلها باقتدار عليها و قدرة (فانما تصفه بالاقتدار عليها ولاقدرة خ) ولكن ليس هو بضعيف ولاعاجز ولامحتاج إلى غيره بل هو سبحانه قادر لذاته لابالقدرة .

قال الصدوق رضوان الله تعالى عليه : اذا قلنا : ان الله لم يزل قادراً فانما نريد بذلك نفى العجز عنه ، ولانريد اثبات شيء معه لانه عزوجل لم يزل واحداً لاشيء معه .

و فى التوحيد : باسناده عن البزنطى قال : جاء قوم من وراء النهر إلى أبى الحسن عليه السلام فقالوا له : جئناك نسئلك عن ثلاث مسائل ، فان أجبتنا فيها علمنا أنك عالم ، فقال : سلوا فقالوا : أخبرنا عن الله أين كان ؟ و كيف كان؟وعلى أيّ شيء كان اعتماده ؟ فقال : ان الله عزوجل كيّف الكيف فهو بلا كيف،وأيّن الأين فهو بلا أين ، وكان اعتماده على قدرته ، فقالوا : نشهد انك عالم .

قال الصدوق رحمة الله تعالى عليه : يعنى بقوله : « و كان اعتماده على قدرته » أى على ذاته لان القدرة من صفات ذات الله عزوجل، ثم قال : من الدليل على أن الله قادر أن العالم لما ثبت انه صنع لصانع ، ولم نجد أن يصنع الشيء من ليس بقادر عليه بدلالة ان المقعد لايقع منه المشى ، و العاجز لايتأتّى له الفعل صحّ ان الذى صنعه قادر ، ولوجاز غير ذلك لجاز منّا الطيران مع فقدمايكون به من الآلة ، و لصحّ لنا الادراك ، و إن عدمنا الحاسّة ، فلما كان إجازة هذا خروجاً عن المعقول كان الاول مثله .

و قد ذهب المتكلمون إلى أن الله تعالى قادر لانه أوّل ما يعرف من صفاته بالاستدلال ثم تترتب عليها سائر الصفات ، وسبب ذلك أن مايدل على كونه قادراً هو مجرد صحة الفعل منه أى بحيث يصح منه الايجاد او تركه على الاختيار ـ و قد عرفنا انه محدث للعالم ـ و ان دلالة صحة الفعل على القادر مبنية على قضيتين :

أحداهما ـ انه قدصح منه الفعل .

ثانيهما - ان من صح منه الفعل دل على كونه قادراً .

و اذا كانت الدلالـة واحدة بين الشاهد و الغائب ، فلايعنى هذا أن تكون أحكام هذه الصفة واحدة بينهما ، فالله قادر لذاته ، و أما الانسان فقادر بقدرة ، والفرق بينهما: أن القادر بالقدرة يحتاج إلى محل لقدرته يمارس فيه هذه القدرة، ومعنى ذلك انه يجب أن يكون جسماً حياً كما ان القادر بالقدرة لايقدر الا على مقدورات خاصة، ويتعذر عليه الاختراع ، فلايصح منه الا الفعل المباشر والمتولد والمنع أما الله جل وعلا فانه قادر على مالايتناهى من المقدورات من كل جنس ومتميز بالاختراع عن الانسان، وهكذا فان الله قادر على جميع أجناس المقدورات بدليلين :

الاول : ان القول بانه قادر لذاته و غيره قادر بالقدرة يتضمن ذلك لان القدرة لابد من أن تتعلق وتختص به ، ولايصح أن تتعلق القدرة بأكثر من الجزء الواحد فى الوقت الواحد، أما القادر بذاته فانه يقدر على مالايتناهى من المقدورات فى الوقت الواحد والمحل الواحد .

الثانى : انه تعالى قادر على كل جنس من أجناس المقدورات على حدة، و اذا كان معلوماً ان المقدورات على نوعين ، و ان منها مايختص تعالى بالقدرة عليه كخلق الجواهر ، و منها مايقدر أحدنا عليه ، فلاجدال فى قدرة الله تعالى على النوع الاول .

أما النوع الثانى فان الدلالة على ان الله قادر عليه تكون ببيان انه قادر على الاكوان لان من قدر على الجواهر قدر على الاعراض ، و أما انه قادر على الفعل بجميع أشكال القدرة أى بالفعل المباشر او بالتوليد أو بالاختراع، فكل ذلك يتبين بالدليل الخاص على قدرته على كل شكل من هذه الاشكال أو بالعودة إلى القول بان القادر لذاته اولى من القادر بالقدرة على أن يقدر على مايصح أن يفعله القادر بالقدرة .

ثم اختلف بين المعتزلة والاشاعرة إلى ان الله جل وعلا هو يقدر على أعيان

أفعال العباد كما يقدر على أجناسها ؟ فذهب أبوالهذيل - من شيوخ المعتزلة - إلى انه يقدر عليها ، وذهب أبوهاشم والقاضى وأبو على إلى انه لايوصف بالقدرة على ذلك ، وحجة الاولين : ان هذا نتيجة لكون الله جل وعلا قادراً لذاته،وحجة الاخرين : ان ذلك يؤدى إلى وجود مقدور بين قادرين ، و هذا محال لاختلاف داعى كل منهما عن الاخر ، و هذا لاينفى ان الله قادر من أجناس مايقدر عليه العباد إلى مالا نهاية ، وهكذا وفق القاضى بين قدرة الله المطلقة اللامتناهيةوبين قدرة العبد على عين فعله لانه مناط التكليف ومحله .

و أخيراً فما الذى يلزم المكلف أن يعلمه من كونه تعالى قادراً؟ وهل هو فى حاجة إلى أن يعلم جميع تفصيلات أدلة هذه الصفة وأحكامها ؟ فى رأى القاضى انه يكفى أن يعلم انه قادر فيما لم يزل، ويكون قادراً فيما لايزال ، وانه لايجوز خروجه عن ذلك بحال ، وأن يعلم أيضاً انه قادر على جميع أجناس المقدورات، وقادر على كل جنس فيها على ما لايتناهى ، ولاينحصر مقداره فى جنس اوعدد.

و ان القدرة الناتجة عن الحياة ، و عن الطاقة الذاتية فى جوهر الذات ، وهى العلة الرئيسية لاحكام الصنع وتدبيره وتقديره ، كلما ازدادت ازدادالصنع بداعة وحكمة ، و كلما نقصت ضاع ونقص .

فهل تجدون فى مختلف آثار الصنع وبدايعه آثار العى والعجز ؟ ! أم هل تقدرون على شىء مما أبدعه خالق الكون ، على قواتكم الموهوبة و التى تحصلونها ؟

فهل اننا قادرون على عجزنا - فيما نريد ؟ ! و الخالق عاجز على قدرته اللانهاية الظاهرة فى خلقه فيما نريد ؟ نحن و قد عجزنا عن خلق بعوضة فما فوقها فى الصغر ؟ ..

« ان الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذباباً و لو اجتمعوا له و ان يسلبهم الذباب شيئاً لايستنقذوه منه ضعف الطالب والمطلوب ماقدروا الله حق قدره ان الله لقوى عزيز » الحج : ٧٣-٧٤)

«القدرة المطلقة الالهية»

ومن البديهي : ان كل صفة يصحّ إطلاقه على الله تعالى و على عباده ليس متساوى المعنى، ومنها القدرة فانهااذا وصف بهاالانسان فاسم لهيئة لهبهايتمكّن من فعل شيء ما بحسب مقدار قدرته ، فينبغي فى حقه أن يقال : زيد قادر على كذا و كذا محدوداً بحدّ لايقدرهو التجاوز عنه ، فقدرته محدودة كسائرصفاته ولهذا لاأحد غير الله أن يوصف بالقدرة من وجه الاّ ويصح أن يوصف بالعجزمن وجوه اخرى كما مرّ .

و اما اذا وصف الله جل وعلا بالقدرة فلازم معناه نفى العجز عنه تماماً ، فيوصف بها على الاطلاق، فهو وحده قادر مطلق ، وله القدرة المطلقة ، ولما كانت القدرة من صفاته الذاتية كالحياة والعلم و الارادة ... لها معان ايجابية هى عين ذاته تعالى لامعان سلبية حتى تكون الحياة بمعنى انتفاء الموت ، و العلم بمعنى انتفاء الجهل ، والقدرة بمعنى انتفاء العجز ، بل لازم معنى القدرة المطلقةللّٰهتعالى انتفاء مطلق العجز عنه جلوعلا .

فلا يعتريه قصور ولاعجز ، ولاتأخذه سنة ولانوم ، ولاتعارضه فناء ولاموت و انه تعالى ذوالملك والعزة و الجبروت له السلطان والقهر و الخلق و الامر و السموات مطويات بيمينه والخلائق مقهورون فى قبضته ، و انه المتفرد بالخلق و الاختراع ، المتوحد بالايجاد والابداع والتدبير فى أمر الخلق فى جميع الامور فى خلقهم وتربيتهم وابقاءهم وافناء هم وجزاء هم وثوابهم ...

وأشار إلى متعلقات قدرته فى كتابه المجيد بمواضع عديدة تارةعلى سبيل

الخاص وتارة اخرى على طريق العموم :

منها : القدرة فى خلق الكون ومنه الانسان .

قال تعالى : « أولم يروا أن الله الذى خلق السموات والارض قادر على أن يخلق مثلهم » الاسراء : ٩٩)

وقال : « او ليس الذى خلق السموات والارض بقادر على أن يخلق مثلهم بلى و هو الخلاق العليم انما أمره اذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون » يس : ٨١-٨٢)

و قال : « الله الذى خلقكم من ضعف ثم جعل من بعد ضعف قوة ثم جعل من بعد قوة ضعفا وشيبة يخلق مايشاء وهو العليم القدير » الروم : ٥٤)

و قال : « وهو الذى خلق من الماء بشراً فجعله نسباً و صهراً و كان ربك قديراً » الفرقان : ٥٤)

وقال : « ألم نخلقكم من ماء مهين فجعلناه فى قرار مكين إلى قدر معلوم فقدرنا فنعم القادرون » المرسلات : ٢٠-٢٣)

وقال: « لخلق السموات والارض اكبر من خلق الناس ولكن أكثرالناس لايعلمون » الغافر : ٥٦)

وذلك اذا كان الله تعالى قادراً على ايجاد الاقوى وابداعه فهو يقدر على الاضعف ، وهذا أتقن استدلال فى الاستدلال بوجود شىء على غيره ، و هذا فى غاية الصحة والقوة وأعلاها ، وذلك على ثلاثة أقسام :

الاول : أن يستدل بوجود شىء على غيره انه اذا قدر على الاضعف فقادر على الاقوى وهذا فاسد .

الثانى : انه اذا كان قادراً على الشىء كان قادراً على مثله ، و هذا صحيح لما ثبت فى العقول : ان حكم الشىء حكم مثله .

الثالث : انه اذا كان قادراً على الاقوى الكامل مع بقاء قدرته الذاتية يكون قادراً على الاضعف بطريق أولى .

واما فائدة هذا الاستدلال فى المقام ان المنكرين للبعث يسلّمون ان خالق السموات و الارض هوالله تعالى ، و يعلمون بالضرورة ان خلق السموات والارض اكبر من خلق الانسان ، فكان من حقهم ان يقرّوا بان القادرعلى خلق السموات و الارض يكون قادراً على إعادة الانسان الذى خلقه بدواً ، و هذا برهان قاطع جلىّ فى إفادة المطلوب من اعادة الموتى وايجاد البعث والنشور .

قال الله تعالى : « أليس ذلك بقادر على ان يحيى الموتى » القيامة : ٤٠)

وقال : « أيحسب الانسان الن نجمع عظامه بلى قادرين على ان نسوّى بنانه» القيامة : ٣ ـ ٤) وقال : « وما أمر الساعة الا كلمح البصر او هو اقرب ان الله على كل شىء قدير » النحل : ٧٧)

وقال : « انه على رجعه لقادر يوم تبلى السرائر » الطارق : ٨ـ٩)

و منها : القدرة على إعطاء النعمة الدينية و المعنوية من ارسال الرسل و انزال الكتب :

قال الله : « قدجاءكم رسولنا يبيّن لكم على فترة من الرسل أن تقولوا ماجائنا من بشير ولانذير فقدجاءكم بشير و نذير و الله على كل شىء قدير » المائدة : ١٩)

وقال : « وقالوا لولا نزّل عليه آية من ربه قل ان الله قادر على أن ينزّل آية ولكن أكثرهم لايعلمون » الانعام : ٣٧)

و قال : « ماننسخ من آية او ننسها نأت بخير منها أو مثلها ألم تعلم ان الله على كل شىء قدير » البقرة : ١٠٦)

و منها : القدرة على النعم الدنيوية من الاموال والاولاد ...

قال : « و أورثكم أرضهم وديارهم وأموالهم وأرضاً لم تطؤها وكان الله على كل شىء قديراً » الاحزاب : ٢٧)

و قال : « لله ملك السموات و الارض يخلق مايشاء يهب لمن يشاء اناثاً و يهب لمن يشاء الذكور او يزوّجهم ذكراناً واناثاً ويجعل من يشاء عقيماً انه عليم

قدير » الشورى : ٤٩ ـ ٥٠)

و قال : « قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء و تنزع الملك ممن تشاء و تعز من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير انك على كل شيء قدير » آل عمران : ٢٦)

و منها : القدرة على نصر الرسل و المؤمنين على الكافرين و المنافقين :

قال الله تعالى : « ان الله يدافع عن الذين آمنوا ـ اذن للذين يقاتلون بانهم ظلموا و ان الله على نصرهم لقدير » الحج : ٣٨ ـ ٣٩)

و قال : « ولكن الله يسلط رسله على من يشاء و الله على كل شيء قدير » الحشر : ٦)

و قال : « وعدكم الله مغانم كثيرة تأخذونها فعجّل لكم هذه و كفّ أيدى الناس عنكم و لتكون آية للمؤمنين ـ و كان الله على كل شيء قديراً » الفتح : ٢٠ ـ ٢١)

و منها : القدرة على تبديل هذا الانسان الموجود على ظهر الارض بانسان غير هذا الانسان :

قال الله تعالى : « إن يشاء يذهبكم أيها الناس و يأت باخرين و كان الله على ذلك قديراً » النساء : ١٣٣)

و قال : « الا تنفروا يعذبكم عذاباً أليماً و يستبدل قوماً غيركم ولا تضرّوه شيئاً و الله على كل شيء قدير » التوبة : ٣٩)

و قال : « فلااقسم برب المشارق والمغارب انا لقادرون على ان نبدّل خيراً منهم وما نحن بمسبوقين » المعارج : ٤٠ ـ ٤١)

و منها : القدرة على الخير و الضر ، على الصحة و المرض ، على العافية و البلاء ، على الخير والشر ، وعلى الغنى والفقر ...

قال الله تعالى : « وان يمسسك الله بضرّ فلا كاشف له الا هو وان يمسسك بخير فهو على كل شيء قدير » الانعام : ١٧)

وقال حكاية عن ابراهيم عليه السلام: « والذى هو يطعمنى ويسقين واذامرضت فهو يشفين » الشعراء: ٧٩ـ٨٠)

وقال: « ولنبلونكم بشيء من الخوف والجوع ونقص من الاموال والانفس والثمرات » البقرة: ١٥٥)

وقال: « ونبلوكم بالشر والخير فتنة » الانبياء: ٣٥)

و قال: « اولم يعلموا ان الله يبسط الرزق لمن يشاء و يقدر ان فى ذلك لايات لقوم يؤمنون » الزمر: ٥٢)

و منها: القدرة على العفو والمغفرة اذا تاب واستغفر:

قال الله تعالى: « ان تبدوا خيراً او تخفوه أو تعفوا عن سوء فان الله كان عفوا قديراً » النساء: ١٤٩)

و قال: « يا أيها الذين آمنوا توبوا إلى الله توبة نصوحاً عسى ربكم ان يكفرّ عنكم سيئا تكم ويدخلكم جنات تجرى من تحتها الانهار يوم لايخزى الله النبى والذين آمنوا معه نورهم يسعى بين أيديهم و بأيمانهم يقولون ربنا اتمم لنا نورنا واغفرلنا انك على كل شيء قدير » التحريم: ٨)

و منها: القدرة على أخذ النعم التى أعطاها الانسان بسبب كفرانه:

قال الله تعالى: « ولوشاء الله لذهب بسمعهم و أبصارهم ان الله على كل شيء قدير » البقرة: ٢٠)

و قال: « كدأب آل فرعون و الذين من قبلهم كفروا بايات الله فاخذ هم الله بذنوبهم ان الله قوى شديد العقاب ذلك بان الله لم يك مغيّراً نعمةأنعمهاعلى قوم حتى يغيّروا ما بأ نفسهم » الانفال: ٥٢ ـ ٥٣)

و قال: « و أنزلنا من السماء ماء بقدر فاسكنّا فى الارض و انا على ذهاب به لقادرون » المؤمنون: ١٨)

وقال: « قل أرأيتم إن إصبح ماؤ كم غوراً فمن يأتيكم بماء معين » الملك: ٣٠)

و قال: « و ضرب الله مثلاً قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغداً

من كل مكان فكفرت بانعم الله فاذا قها الله لباس الجوع و الخوف بما كانوا يصنعون » النحل : ١١٢)

و منها : القدرة على إنزال العذاب :

قال الله تعالى : « قل هو القادر على أن يبعث عليكم عذاباً من فوقكم او من تحت أرجلكم او يلبسكم شيعاً و يذيق بعضكم بأس بعض انظر كيف نصرّف الآيات لعلهم يفقهون » الانعام : ٦٥)

وقال : « وانا على ان نريك مانعدهم لقادرون » المؤمنون : ٩٥)

وقال : « اولم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم وكانوا أشد منهم قوة وماكان الله ليعجزه من شيء في السموات ولا في الارض انه كان عليما قديراً » الفاطر : ٤٤)

و منها : القدرة على الثواب والعقاب في الآخرة بما عمل الانسان في الحياة الدنيا :

قال الله تعالى : « فاستبقوا الخيرات أين ماتكونوا يأت بكم الله جميعا ان الله على كل شيء قدير ـ و ان تبدوا مافي أنفسكم او تخفوه يحاسبكم به الله فيغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء والله على كل شيء قدير » البقرة : ١٤٨ـ٢٨٤)

وقال : « و جيء يومئذ بجهنم يومئذ يتذكر الانسان و أنى له الذكرى يقول ياليتني قدّمت لحياتي فيومئذ لايعذّب عذابه أحد ولايوثق و ثاقه أحد يا أيتها النفس المطمئنة ارجعي إلى ربك راضية مرضية فادخلي في عبادي و ادخلي جنتي » الفجر : ٢٣ـ٣٠)

﴿في عدم تعلق القدرة بالمحال﴾

و قد اختلفت كلمات الحكماء و المتكلمين و الفلاسفة في تعلق القدرة بالمحال بان الله سبحانه أيقدر على أن يتخذله ولداً أم نداً ؟ فلولم يقدرعلى ذلك لكان عاجزاً .

أيقدر أن يدخل مياه البحار كلها في إناء يكون حجمها بمنّ من الماء، وهما على حالهما من الكثرة والصغر ؟

أيقدر على خلق شيء عظيم ثم لايكون قادراً على تحريكه بعد خلقه ، فلو قلنا : انه قادر على ذلك سلبنا عنه القدرة ، و ان لم نقل بذلك سلبنا ايضاً عنه القدرة ؟ أيقدر على أن يخلق شيئاً ثم يجعله قديماً أزلياً، فان قلنا : بلى يلزم تعدد القديم والازلي ، وإن قلنا : لا ، سلبنا عنه القدرة ؟

أيقدر على ان يولد الرجل ولداً ، وأن يثمر شجرة التفاح عنباً و العكس بالعكس ؟ وهكذا ؟ ؟ ؟

ومنهم : من قال : ان المحال قد يكون بالعجز ، و قد يكون غير داخل تحت القدرة إما لعدم امكانه لوجوب أو امتناع ، والعجز هو الاول دون الثاني، وما ذكر لايدخل تحت القدرة بسبب عدم إرادة الله تعالى به .

ومنهم : من قال : ان الله تعالى قادر على كل مقدور لان المقتضي لتعلق بالمقدور هو الامكان ، فيكون الله تعالى قادراً على جميع المقدورات، والدليل على ذلك : ان المقتضي للقدرة هو الذات جل و علا ، و المصحح للمقدورية هو الامكان ، نسبة الذات تعالى إن جميع الممكنات على السواء ، فاذا ثبت قدرته

على بعضها ثبتت على كلها . اذ ليس كل ما تعلقت به القدرة وجب و قوعه كما توهم بعض ، فانّا بالضرورة قادرون على كثير من القبائح ولايصح منا و نحن الضعفاء ، فكيف بالقادر الحكيم ، بل قدرته تعالى متعلقة بكل ماهو ممكن من حيث ذاته ، و إن امتنع و قوعه من حيث الحكمة فهو جل وعلا قادر على هذه الاشياء لامكانها الذاتى و امتناعها الغيرى لايخرجها عن كونها مقدورة لان الامتناع الغيرى لاينا فى الامكان الذاتى ، و امتناعها ليس ذاتياً ، فصحّ تعلق القدرة بها .

ومنهم : من قال : ان نسبة ذاته المقدسة إلى جميع المقدورات مساوية كما ان نسبة الممكنات فى الاحتياج إلى ذاته المقدسة على السوية فى أصل الوجود وإدامته ، فاختصاص قدرته تعالى بمقدور دون مقدور ترجيح بلامرجح وهو باطل.

ان تسئل : لما ذا لايظهر ذات الله لكى لاينكره خلقه ، ويرتفع الخلاف من البين ؟ فهل لايستطيع أن يظهر ؟ اذاً فهو عاجز ! أم يستطيع ويبخل؟ فما على الخلق اذاً ألايعرفوه لانه لم يعرّ فهم ذاته ؟

تجيب : انه تعالى قادر، ولايبخل ، وليس خفاء الذات لقصورها عن الظهور انما هو لقصور عقولنا وحواسنا عن دركه وا كتناه ذاته ـ فمحال أن نحسّه لانه ليس بمحسوس ـ ولا أن نعقله فانه ليس بمحدود ـ و المحال لاتتعلق به القدرة مهما كانت إلهية ـ لانقص فى القدرة بل للاستحالة الذاتية فى المفروض انه محال

وهذه خرافة من القول وزور : ان المحال لايستحيل فى جنب القدرة اللا نهائية ، فاننا لانتكلم عن المحال النسبى حتى يمكن أحياناً و يستحيل اخرى و انما نبحث عن المحال الذاتى ـ فهو محال مهما كانت القدرة لانهاية ـ اذإن القدرة انما تتعلق بالممكن ـ فلو تعلق بأمرما ـ كان هذا برهاناً ساطعاً على إمكانه الذاتى ، وهو خروج عن فرض الاستحالة !

فالامور التالية و ما اليها ـ هذه من المحالات الذاتية التى لاتتعلق بها القدرة اطلاقاً :

المحالات الذاتية :

١ - الجمع بين النقيضين .

٢ - كون الشيء قبل نفسه .

٣- خلق الشيء نفسه .

٤- كون الشيء واحداً و كثيراً لحالة واحدة .

٥- احساس غير المحسوس .

٦- انعدام الازلى او إعدامه نفسه .

٧- خلق الشريك لله تعالى و..

فكل هذه الموارد وأمثالها ترجع إلى اجتماع النقيضين أو إرتفاعهما وهو محال ذاتياً .

لذلك ترى الامام الصادق عليه السلام اذ يسئله الزنديق : أليس هو قادراً أن يظهر لهم حتى يروه و يعرفوه فيعبد على يقين ؟ يجيبه كلمة واحدة : « ليس للمحال جواب »

يعني بذلك : ان المحال ليس شيئا يذكر ويسئل عنه .

فى التوحيد : باسناده عن ابن اذينة عن أبى عبدالله عليه السلام قال : قيل لامير المؤمنين عليه السلام : هل يقدر ربك أن يدخل الدنيا فى بيضة من غير أن تصغر الدنيا أو تكبر البيضة ؟ قال : ان الله تبارك وتعالى لاينسب إلى العجز ، و الذى سئلتنى لايكون .

وذلك لان القدرة تتعلق بما يصح حصوله و يمكن وجوده ، فما هو ممتنع و جوده و متعذر حصوله لاتتعلق به القدرة ، ولايصح أن يسئل عنه بان الله قادر أن يفعله أم لا ؟ فاثبات عموم قدرته و تنزيه ساحته عن العجز و القصور لاينا فى عدم امكان حصول تلك الامور ، وبالجملة انما النقص فى القابل دون الفاعل .

و فيه : باسناده عن أبان بن عثمان عن أبى عبدالله عليه السلام : جاء رجل الى أمير المؤمنين عليه السلام فقال : أيقدر الله يدخل الارض فى بيضة ولا تصغر الارض

ولاتكبر البيضة ؟ فقال له : ويلك ان الله لايوصف بالعجز ومن أقدر ممن يلطّف الارض ويعظّم البيضة ؟ .

وفيه : عن أبى عبدالله عليه السلام قال : ان ابليس قال لعيسى بن مريم : أيقدر ربك على أن يدخل الارض بيضة لاتصغر الارض ولاتكبر البيضة ؟ فقال عيسى على نبينا وآله وعليه السلام : و يلك أن الله لايوصف بالعجز و من أقدر ممن يلطّف الارض ويعظّم البيضة .

أجاب الامام على و عيسى عليهما السلام هنا عن الحالة الممكنة من إدخال الارض فى البيضة ـ و هو تلطيف الارض برفع الخلل و الفواصل عن أجزائها إلى الحد الممكن ودمج أجزائها دمجاً تاما ـ ثم إدخالها فى البيضة دون ان تكبر البيضة حجماً وإن عظمت ثقلاً ، فالحجم هو الحجم فى البيضة والثقل ثقل الارض .

فهناك صورة ممكنة واخرى مستحيلة: فالممكنة هى تلطيف الارض بتصغير حجمها إلى حيث تضمن البيضة ، وتثقيل وزن البيضة بادخال الارض فيهامع بقاء حجم البيضة .

وأما المستحيلة فهى إدخال الارض على حجمها فى البيضة مع بقاء البيضة بحجمها أو و ثقلها ـ فان فى ذلك جمعا بين المتنافيين ـ وجوابه : ليس للمحال جواب والذى سئلته لايكون وان كان الله قديراً على كل شيء .

و على هذا يحمل المعنى من قول الامام على بن موسى الرضا عليه السلام فى الجواب عن هكذا سئوال :

فى التوحيد : باسناده عن البزنطى قال :جاء رجل إلى الرضا عليه السلام فقال: هل يقدر ربك أن يجعل السموات والارض وما بينهما فى بيضة ؟ قال : نعم و فى أصغر من البيضة ، و قد جعلها فى عينك وهى أقل من البيضة لانك اذا فتحتها عاينت السماء والارض وما بينهما ولوشاء لاعماك عنها .

ومن البديهى ان السماء والارض ـ حينما ينظر الانسان إليهما ـ لايدخلان بذاتيهما فى العين ولابصورتيهما المساوية لحجمهما ـ وانما تنعكس صورة منهما

في العدسية العينية ـ و هـذا تلطيف للحجم ـ و الصورة هي الصورة ، و كذلك الارض بامكانها أن تدخل في البيضة بشرط تلطيفها بان يصغر الحجم ولكن الصورة هي الصورة والثقل هو الثقل .

وفي الكافي : باسناده عن محمد بن اسحق قال : ان عبد الله الديصاني سئل هشام بن الحكم فقال له : ألك رب ؟ فقال : بلى ، قال : أقادر هو ؟ قال : نعم قادر قاهر قال: يقدر أن يدخل الدنيا كلها البيضة لاتكبر البيضة ولاتصغر الدنيا؟ قال هشام : النظرة ـ أي المهلة ـ فقال له : قد أنظرتك حولاً ، ثم خرج عنه فركب هشام إلى أبي عبدالله عليه السلام فاستأذن عليه فأذن له، فقال له : ياابن رسول ـ الله أتاني عبدالله الديصاني بمسئلة ليس المعوّل فيها الاّ على الله وعليك، فقال له أبوعبدالله عليه السلام عماذا سئلك ؟ فقال : قال لي : كيت و كيت .

فقال أبوعبدالله عليه السلام: ياهشام كم حواسّك ؟ قال : خمس قال: أيّها أصغر؟ قال : الناظر ، قال : و كم قدر الناظر ، قال : مثل العدسة أو أقل منها فقال له : ياهشام ! فانظر أمامك وفوقك وأخبرني بماترى ، فقال : أرى سماء وأرضاً ودوراً وقصوراً وبرارى و جبالاً وأنهاراً فقال له أبوعبدالله عليه السلام :ان الذي قدرأن يدخل الذي تراه العدسةأو أقل منها قادر أن يدخل الدنيا كلها البيضة ، لاتصغر الدنيا ولاتكبر البيضة ، فأكبّ هشام عليه وقبّل يديه و رأسه ورجليه و قال : حسبي ياابن رسول‌الله وانصرف إلى منزله ، وغدا عليه الديصاني ، فقال له : ياهشام اني جئتك مسلّماً ولم أجئك متقاضياً للجواب فقال له هشام :

إن كنت جئت متقاضياً فهاك الجواب ، فخرج الديصاني عنه حتى أتى باب أبي عبدالله عليه السلام فاستأذن عليه ، فأذن له فلما قعد قال له : يا جعفر بن محمد ! دلّني على معبودي ؟ فقال له أبوعبدالله عليه السلام : ما اسمك ؟ فخرج عنه ولم يخبره باسمه فقال له أصحابه : كيف لم تخبره باسمك ؟ قال : لو كنت قلت له: عبدالله كان يقول : من هذا الذي أنت له عبد ، فقالوا : له عد إليه وقل له : يدلّك على معبودك ولايسئلك عن اسمك فرجع إليه فقال له : ياجعفر بن محمد دلّني على

معبودى ، ولاتسئلنى عن اسمى ؟

فقال له أبوعبدالله عليه السلام : اجلس واذا غلام له صغير فى كفه بيضة يلعب بها فقال له أبوعبدالله عليه السلام : ناولنى ياغلام البيضة، فناوله اياها ، فقال له أبو عبدالله عليه السلام : ياديصانى! هذا حصن مكنون له جلد غليظ وتحت الجلد الغليظ جلد رقيق وتحت الجلد الرقيق ذهبة مائعة وفضة ذائبة ، فلا الذهب المائعة تختلط بالفضة الذائبة ولاالفضة الذائبة تختلط بالذهبة المائعة ، فهى على حالها لم يخرج منها خارج مصلح فيخبر عن صلاحها ولادخل فيها مفسد ، فيخبر عن فسادها لايدرى للذكر خلقت ام للانثى تنفلق عن مثل ألو ان الطواويس أترى لها مدبراً ؟ قال : فاطرق ملياً ثم قال : أشهدأن لا اله الا الله وحده لاشريك لـه و أن محمداً عبده ورسوله وانك امام وحجة من الله على خلقه وأناتائب مما كنت فيه .

اقول : فى الرواية وجوه واحتمالات :

أحدها ـ هذه مجادلة بالتى هى أحسن وجواب جدلى مسكت يناسب فهم السائل ، و امّا الجواب البرهانى فان يقال : ان عدم تعلق قدرته تعالى على ذلك ليس من نقصان فى قدرته جل وعلا ، ولاالقصور فى عمومها وشمولها كل شيء ، بل انما ذاك من نقصان المفروض وامتناعه الذاتى وبطلانه الصرف وعدم حظه من الشيئية .

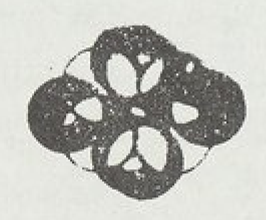
ثانيها ـ أن يكون غرض السائل انه هل يجوز أن يحصل كبير فى صغير بنحو من أنحاء التحقق ، فأجاب عليه السلام بان له نحواً من التحقق ، و هو دخول الصورة المحسوسة المتقدرة بالمقدار الكبير بنحو الوجود الظلى فى الحاسة أى مادتها الموصوفة بالمقدار الصغير ، و القرينة على انه كان مراده المعنى الاعم انه قنع بالجواب ، ولم يراجع فيه باعتراض .

ثالثها ـ أن يكون المعنى ان الذى يقدر على أن يقدر ماتراه المدسة لا يصح ان ينسب إلى العجز ، ولايتوهم فيه انه غير قادر على شيء أصلاً ، و عدم قدرته على ماذكرت ليس من تلقاء قدرته لقصور فيها ، بل انما ذلك من نقصان

مافرضته ، حيث انه محال ليس له حظّ من الشيئية والامكان فالغرض من ذكر ذلك بيان كمال قدرته جل وعلا حتى لايتوهم فيه عجز .

رابعها ـ ان المعنى ان ماذكرت محال ، و ما يتصوّره من ذلك انما هو بحسب الوجود الانطباعي ، وقد فعله ، فما كان من السؤال له محمل ممكن فهو تعالى قادر عليه ، وما أردت من ظاهره فهو محال لايصلح لتعلق القدرة به .

خامسها ـ وهو الاظهر : ان السائل لما كان قاصراً عن فهم ماهو الحق معانداً فلو أجاب عليه‌السلام صريحاً بعدم تعلق القدرة به لتشبّث بذلك ولجّ وعاند ، فأجاب عليه‌السلام بجواب متشابه له و جهان لعلمه عليه‌السلام بانه لايفرّق بين الوجود العيني و الانطباعي ، ولذا قنع بذلك ورجع كما انه عليه‌السلام لما علم انه عاجز عن الجواب عن سؤال الاسم أورده عليه إفحاماً له ، و إظهاراً لعجزه عن فهم الامور الظاهرة، ولما كان السائلون في الاخبار الاخر الاتية قابلين لفهم الحق غير معاندين أجابوهم بما هو الحق الصريح ثم اعلم انه على التقادير كلها يدل على ان الابصار بالانطباع، وإن كان فيما سوى الثالث أظهر ، و على الخامس يحتمل أيضا أن يكون اقناعياً مبنياً على المقدمة المشهورة لدى الجمهور ان الرؤية بدخول المرئيات في العضو البصري ، فلاينافي كون الابصار حقيقة بخروج الشعاع .



﴿تعلق القدرة على فعل القبيح و عدمه﴾

و اختلفت الكلمات أيضاً فى تعلق القدرة على القبيح : هل يقدر الله تعالى على فعل القبيح أم لا ؟ و اذا كان قادراً عليه ، فهل يفعله أم لا : و ما هو معنى القبيح الذى لا يفعله الله جل وعلا ؟

و قد ذهبت المعتزلة إلى ان مقتضى العدل الالهى أن لا يفعل الله القبيح بالمكلفين ، ومن هنا كان تعذيب الاطفال وغير المكلفين عموماً ، والتكليف بما لا يطاق، والايلام بلاعوض والتدخل فى أفعال العباد كلها من القبائح التى يتنزه الله عنها ، فلا يفعل ما نسميه ظلماً أو قبيحاً .

ثم اختلفوا فى قدرته تعالى على ذلك ، فذهب النظام والاسوارى والجاحظ و الاسكافى و جمهور معتزلة بغداد إلى أن الله تعالى لا يوصف بالقدرة على الظلم والشرور وترك الاصلح من الافعال إلى ماليس بأصلح .

و يظهر أن قولهم هذا يستند إلى أمرين :

أحدهما ـ ان القبح صفة يطلقها العقل الضرورى على الفعل ، و يستوى الجميع فى الحكم فيها ، ولا يصح إضافة ما نسميّه قبيحاً على الله سبحانه .

ثانيهما ـ ان الله تعالى لا يفعل الا الصلاح الا ان رأى هذا الفريق قد يؤدى إلى نفى الاختيار على الله لان قدرته يستحيل أن تتجه الا إلى الخير المطلق .

و ذهب جمهور مشايخ المعتزلة ، و خاصة البصريين منهم ، و منهم أبو الهذيل والمردار و ابن حرب و ابن المعتمر إلى ان الله يقدر على الظلم والقبيح كأى فاعل مختار ، و لكنه لا يفعله لان كمال وصف المختار أن يوصف بالقدرة على

الشيء و ضده او تركه ، و قد بنى البصرية رأيهم على ان الله مختار فى فعله كالانسان و انه لا يختار الا الصالح من الفعل و إلى هذا القول ذهب الجبائيان و القاضى عبد الجبار و تلاميذه .

و ذهبت الماتريدية و مشايخ الحنفية إلى أن الله تعالى لا يفعل ما نسمّيه نحن قبيحاً ، ولو فعله لكان قبيحاً منه ، ولم يجوزوا عقلاً تخليد المؤمن فى النار والكافرين فى الجنة ، و اعتمدوا فى ذلك على قاعدتهم فى الحكمة الالهية التى تقتضى التفرقة بين المحسن والمسيء ، وان ماهو خلاف الحكمة يستحيل على الله .

و ذهبت الاشاعرة إلى جواز أن يفعل الله ما نسميه قبيحاً و يترك ما نعلمه واجباً لان فعله تعالى هو القانون ، و لذلك فلا قبيح منه . ولا واجب عليه لانه هو المالك لخلقه يفعل فيهم ما يشاء ويحكم بما يريد ، فلو أدخل الخلائق جميعاً فى النار لم يكن ذلك منه جوراً ، ولو أدخلهم الجنة لم يكن حيفاً ، فالظلم هو التصرف على خلاف الامر ، والله تعالى هو الامر والناهى ، فلا أمر ولا نهى يتوجه إليه من سواه فكل ما سواه ملك له .

فى اوائل المقالات : قال الشيخ المفيد رضوان الله تعالى عليه : ان الله جل جلاله قادر على خلاف العدل كما انه قادر على العدل ، الا انه لا يفعل جوراً ولا ظلماً و لا قبيحاً ، و على هذا جماعة الامامية والمعتزلة كافة سوى النظام و جماعة من المرجئة والزيدية و أصحاب الحديث والمحكمة ، ويخالفنا فيه المجبرة باسرها والنظام و من وافقهم فى خلاف العدل والتوحيد .

ثم قال : انه سبحانه قادر على ما علم انه لا يكون مما لا يستحيل كاجتماع الاضداد و نحو ذلك من المحال ، و على هذا اجماع أهل التوحيد الا النظام و شذاذ من أصحاب المخلوق ، انتهى كلامه .

و استدل القاضى على ان الله تعالى يقدر على مالو فعله لكان قبيحاً بكثير من الادلة التى تعود فى الواقع إلى تصحيح معنى القادر و موضوع قدرته :

احدها : ان القادر على فعل الشيء لابد من وصفه بالقدرة على ان لا يفعله ،

و بالقدرة على ضده ، و الا كان حاله حال المضطر الذى لايقدر على الانفكاك مما هو مضطر إليه ، ثم ان القبيح ضرب من ضروب الافعال لايختلف عن الحسن فى الجنس ، فيجب أن يكون تعالى قادراً عليه كما قدر على الواجب والحسن و التفضل لان ضروب الافعال لا تختص ببعض القادرين دون بعض .

ثانيها : ان الذى يتعلق بقدرة القادر هو إحداث الافعال لا وصفها و وجوهها، فاذا قدر القادر على ايجاد الفعل على وجه قدر أن يوجده على الوجه الاخر لان هذه الوجوه لاتعلق لها با لفاعل ، و كونه مملوكا او مالكا ، و من الامثلة على ذلك ان الظلم انمايقبح لتعريه عن النفع اودفع الضرر والاستحقاق، فاذا أحدث المحدث الالم ولم تحصل فيه هذه الوجوه فقد حصل ظلما، واذا أحدث هذا الالم مع اجتماع هذه الوجوه كان عدلاً ، و هكذا يقدر الفاعل على القبيح والحسن لان الاصل هو الايجاد و الحدوث فالفعل نفسه قد يقع فيكون قبيحاً ، و قد يقع فيكون حسناً.

ثالثها: ان الله تعالي يوصف بالقدرة على عقاب العاصى المستحق للعقاب باتفاق الائمة والعقاب من نوع الالم الذى قد يقبح فعله ، ومن المعلوم انه اذا تاب خرج عن استحقاق العقاب ، ولايصح ان تعتبر توبته مخرجة لله تعالى من القدرة على ماكان قادراً عليه .

رابعها : ان الله قادر لنفسه ، ولايجوز أن يكون حكم القادر لنفسه أقل من القادر بقدرة ان لم يزد عنه ، و المعروف ان أضعف القادرين منا يقدر على ظلم الغير ، ولاشك ان القادر بنفسه أولى بذلك .

و مع ان هذه المسئلة لايصح الاستدلال عليها بالسمع لتوقف صحة السمع عليها اذيجب ان نعلم اولاً ان الله عدل لايفعل الظلم والشرور الا ان القاضى يورد قوله تعالى : « ومار بك بظلام للعبيد » وقوله: « ان الله لا يظلم مثقال ذرة » « ولا يظلم ربك احداً » و كل هذه الايات انما هى نفى للقبيح عن الله تعالى، وتمدح بعدم الظلم و يعلق القاضى على ذلك بان التمدح بنفى الظلم عن النفس انما يحسن اذا كان القادر قادراً عليه ، والا فما وجه التمدح من المقعد بتركه تسلق الحيطان و الهجوم

على دوران الجدران .

أدلة النظام فى عدم تعلق القدرة على القبيح :

للنظام وأصحابه أدلة فى أن الله لايقدر على القبيح ، وردّها القاضى وهى:

الاول : قالوا : ان القادر على الشيء يجب أن يفعله ، فلو كان الله قادراً على القبيح لوجب أن يوقعه .

أجاب عنه القاضى : أن هذالايجب ، اذ ليس كل من قدر على الشيءيجب أن يوقعه لامحالة ، فأحدنا مع قدرته على القيام ربما يكون قاعداً و الله تعالى قادر على أن يقيم القيامة الآن ، ثم اذا لم تقم الآن لم يمتنع كونه قادراً عليها .

الثانى : قالوا : لو كان الله تعالى قادراً على القبيح فما آمنكم منه، إذيجوز له أن يختاره ويؤثره .

قال القاضى: يؤمننا منه دلالة العدل وهى انه عالم بقبح كل قبيح واستغنائه عنه و حاله فى ذلك لايختلف باختلاف الازمنة و الاوقات ، و ليس كذلك حال الواحد منا .

الثالث : قالوا : ان الله تعالى مادام موصوفاً أبداً بانه عالم بقبح القبيح و استغنائه عنه ، فان ذلك يحيل وصفه بالقدرة عليه من حيث استحال فى ذاته تعالى أن يكون الا بهاتين الصفتين، وذلك غير واجب فينا ، ويختلف حاله فيه عن حالنا.

قال القاضى : ليس فى ذلك سبب لوصفه بعدم القدرة على فعل الظلم ، اذلا علاقة لكون القادر قادراً على الشيء بامتداد الوقت واختلاف حالة الفاعلين .

الرابع : قالوا : ان كونه قادراً على القبيح يقتضى فيه صفة نقص وذم لانه يوجب جواز وقوعه ، فيجب نفى كونه قادراً عليه .

أجاب عنه القاضى : انه ليس فى ذاك ماقالوه إذ كل ما فيه و صفه بكونه قادراً وانما يقتضى فيه النقص ايجاده للقبيح واختياره له .

مع انه تعالى قادر على مالو فعله لكان قبيحاً فانه لايفعل ذلك ، و الدليل عليه انه عالم بقبح القبيح ، وباستغنائه عنه، ومن كان هذا حاله لايختار القبيح

اصلاً ، فالذى يعلم قبح الكذب وانه غنى بالصدق عنه لايختار الكذب بحال .

شبهات ودفع :

ههنا شبهات يستدل بها الاشاعرة على ان الله سبحانه يفعل القبيح نشير إلى نبذة منها وإلى دفعها .

منها : مايشاهد من إنزال الله تعالى الآلام بالناس ، و ان كل ألم قبيح ، ومادام تعالى يفعل الآلام فقد صح أن يفعل مانسميه قبيحاً .

دفع هذا : بان الفعل لايقبح او يحسن بذاته ، و هكذا ، فالالم اذا انزل بالعباد او الخلائق على سبيل الاعتبار ، وبشرط العوض فانه يحسن منه ولايقبح .

و منها : ان الله خلق ابليس و كثيراً من الاشياء الضارة ، و هذه شرور و قبائح . . .

دفع هذا : بانه ليس فى خلق ابليس شر لان الله تعالى خلقه لينفعه كما خلق الاخرين ، و انما يكون الشر بما يقع منه من القبيح ، و كذلك الحال فى كل حى مؤذ و كثير من صفات الانسان كالشهوة و البخل والحسد و الغضب . .. مع ملاحظة اعتبار العقلاء بها فى الاحتراز منها، مع انها لاتقارن بما يصيب المرء من عقاب فى الأخرة .

و منها : ان الله يخلق الصور القبيحة و لذلك يصح منه أن يفعل كل ماهو قبيح ومنه الظلم .

دفع هذا : بان هذه الصور ليست قبيحة فى ذاتها ، وانما تقبح فى عين الناظر لوجوه يراها فيها ، ويختلف فيها عن الاخرين ، فالسوداء يستحسنها من هو من جنسها ، وان جاز أن يستقبحها الاخرون .

﴿ العلم و حقيقته ﴾

قال الله تعالى : « يعلم مافي السموات والارض ويعلم ماتسرّون وماتعلنون و الله عليم بذات الصدور ـ و الله بكل شيء عليم ـ عالم الغيب و الشهادة العزيز الحكيم » التغابن : ٤ ـ ١١ ـ ١٨)

قبل الخوض فى عناوين تتعلق بعلم الله تعالى لابد من الاشارة إلى أهم التعاريف للعلم إجمالاً التى جاءت من الحكماء و المفسّرين ، و الفلاسفة و المتكلمين :

فقالت الحكماء : ان للنفس الانسانية قوة تنتزع المعقولات الكلية من الاعيان الخارجية، ومن الصور الخيالية والاشباح المثالية، ولاشك انهاعندانتزاع هذا المعقول المنتزع يتأثر بكيفية نفسانية هى علمها به فيعلم حينئذ ان للنفس هناك كيفية حادثة عند انكشاف هذا المعنى .

و قالوا : انا اذا فتّشنا حالنا عند التعقل لم نجد الا هذه الصورة ، فتلك الكيفية النفسانية هى هذه الصورة العقلية فهى قائمة بها ناعتة لها ، فلهذا فسّر العلم بالصورة الحاصلة من الشيء عند العقل .

ومن المفسرين : من قال : ان العلم عبارة عن انكشاف المعلوم للعالم ، وهو على قسمين : علم حضورى وعلم حصولى .

وذلك لان المعلوم إن كان بنفس حقيقته منكشفا للعالم فهو علم حضورى، و ان كان صورة علميته منكشفاله فهو علم حصولى ، فالعالمية و المعلومية فى العلم الحضورى صفة بحال نفس الشيء ، وفى الحصولى صفة بحال متعلقه ، فقوله

تعالى : « قد علمنا ماتنقص الارض منهم » ق : ٤)

فاسناد العلم ههنا إلى نفس « ماتنقص الارض منهم » اسناد إلى ما هوله ، يستفاد ان علم الله تعالى بذلك علم حضورى ، و ان ذلك بنفس حقيقته معلوم لله جل و علا كما يستفاد من كل مورد ذكر فيه علم الله تعالى بان الموجودات بوجوداتها التفصيلى التكثرى معلومة لله جل وجلا فعلياً لاشأنياً .

و من الفلاسفة : من قال : ان العلم من مقولة الكيف بالذات لكون تلك المقولة جنسه ، ومفهوم المعلوم متحد مع العلم ذاتاً ووجوداً فى الذهن ومن تلك المقولة بالعرض ، كما ان زيداً من حيث ذاته من مقولة الجوهر و من حيث انه ابن وأب من مقولة الاضافة، فان العرض والعرضى مطلقا متحدان بالذات، متغايران بالاعتبار، فان الابيض والبياض أمر واحد بالذات، مختلف من حيث أخذه لابشرط شىء أوبشرط لاشىء كما ان الصورة والفصل واحدة بالذات متغايرة بالاعتبار المذكور .

فكما يوجد فى الخارج شخص كزيد مثلاً ، و يوجد معه صفاته و أعراضه و ذاتياته كالابيض والضاحك والماشى والجالس والنامى والحيوان والناطق فهى موجودات توجد بوجود زيد ذاتاً بل عين زيد وجوداً فان فى الخارج ما هو زيد بعينه الضاحك و الكاتب و الحيوان والناطق . . . ولا يلزم من اندراج زيد تحت الجوهر بالذات و كون الجوهر ذاتياً له أن يكون الجوهو ذاتياً للكاتب والضاحك والناطق . . . و كذلك الموجود الذهنى فان من جملة الحقائق الكلية العلم ، و اذا وجد فرد منه فى الذهن فانما يتعين ذلك الفرد منه بان يتحد بحقيقة المعلوم كما ان الجسم انما يوجد فى الخارج اذا كان فيه متكماً متشكلاً متحيزاً نامياً او جماداً و عنصراً أو فلكاً ، و بها يتعين حقيقة هذا الجسم كذلك العلم انما يتعين و يتحصّل اذا اتحد بحقيقة المعلوم فكان العلم جنساً قريباً و الكيف المطلق جنساً بعيداً .

و تحصّل العلم و تعيّنه انما هو بانضمام الحقيقة المعلومة إليه متحدة معه بحيث يكون فى الواقع ذاتاً واحدة مطابقة لها، فهذه الذات الواحدة علم من حيث

جنسها القريب ، و كيف من حيث جنسها البعيد ، و من مقولة العلم من حيث تحصّلها و تعيّنها ، كما ان زيداً في الخارج حيوان من حيث جنسه القريب ، دجوهر من حيث جنسه البعيد ، و من مقولة الكم والكيف و غيرهما من جيث تشخصه وتعيّنه ، و يكون اتحاد المعلوم معها اتحاد العرض مع المعروض ، فصحّ أن العلم من مقولة الكيف و الكيف ذاتى له من حيث انه علم و هو فى الواقع بعينه حقيقة المعلوم .

و على هذا لايتوجه الاشكال بان العلم لكونه من صفات النفس وجب أن يكون من مقولة الكيف ، ومن حيث ان حقيقة المعلوم وجدت فى الذهن يجب أن يكون من مقولة المعلوم ، فيلزم أن يكون حقيقة واحدة من مقولتين .

و منهم : من قال اطلاق الكيف على العلم و الصورة النفسانية من باب المجاز والتشبيه .

و منهم : من قال : ان العلم هو اعتقاد بان الشيء كذا ، وانه لايمكن أن لايكون كذا بواسطة توجبه ، و الشيء كذلك فى ذاته ، وقد يقال : علم لتصور الماهية بتحديد .

و من المتكلمين : من قال : ان العلم من الحقائق الكلية التى تأتى عن طريق النظر بعد اكتمال العقل .

و منهم : من قال : العلم هو اعتقاد الشيء على ما هو به ، و الاعتقاد هو استقرار حكم بشيء مافى النفس عن برهان او اقتناع او اتباع اوتقليد .

و منهم : من قال : العلم هو ظهور أمر علمى ظهوراً يمتنع معه فى نفسه تجويز خلافه ، وهذا الظهور ينطبق على العلم والاعتقاد .

و منهم : من قال : العلم هو ادراك النفس للحق .

وغير ذلك من التعاريف لم أجدها مهمة للذكر .

و فى الكافى : عن أبى الحسن الرضا عليه السلام قال - فى حديث - : « وانما سمى الله تعالى با لعلم و انما يسمى الله با لعالم بغير علم حادث علم به الاشياء

استعان به على حفظ ما يستقبل من أمره ، و الروية فيما يخلق من خلقه و يفسد مامضى مما أفنى من خلقه مما لو لم يحضره ذلك العلم ويغيبه كان جاهلاً ضعيفا كما انا لورأينا علماء الخلق انما سمّوا بالعلم لعلم حادث إذ كانوا فيه جهلة ، و ربما فارقهم العلم بالاشياء فعادوا إلى الجهل ، وانما سمّى الله عالماً لانه لايجهل شيئاً ، فقد جمع الخالق والمخلوق اسم العالم واختلف المعنى على مارأيت »

أقول : ان العلم هو مما وراء الحسّ من عالم الباطن غير المشهود، يجيء دائباً عمله بعد عمل الحواس، وفى أعقاب معطياتها ، فيكون استجلاءاً واستبصاراً لما وراء هذه المعطيات !

أما علم الله جل وعلا فهو إحاطة شاملة بكل شيء ، لايصدر عن جارحة ، ولايجيء عن ملكة ، ولايستند إلى مايستند إليه علمنا من تعلم ونظر

ولذلك لايقاس علم الانسان المحدود بعلم الله الذى لايتناهى ، اذ لوفرضنا علم الانسان = ب فيكون علم الله تعالى = ∞ (لانهاية) ونسبة علم الانسان إلى علم الله = $\frac{ب}{\infty}$ ومعلوم ان مآل هذا الكسر الذى مخرجه غير متناه هو الصفر ، فلاقيمة لعلم الانسان تجاه علم الله غير المتناهى .

و كذلك القول بشأن قدرة الله تعالى وبقية صفاته التى هى عين ذاته وذلك لان صفات الله من علم وقدرة ... غير مكتسبة كصفات الانسان التى تكتسب بالتدريج اما بالتعلم او بالتمرين و الممارسة ، فالانسان عالم اما بالاكتساب و اما بالالهام من جانب الله جل وعلا .

———— ————

﴿الله تعالى و علمه الذاتى﴾

لقد وصف الله جل وعلا نفسه بانه عليم ، و انه عالم كما تحدث فى القرآن الكريم عن علمه بمواضع عديدة ، فأخذ المفسرون ما ورد فى القرآن على انه يفيد كونه تعالى عالماً بكل شىء ، ولم يفصّلوا كعادتهم فى صفاته جل وعلا ، و لكنى تركت عادتهم ، و خضت فيما لابد من الخوض فيه على ما يقتضيه الاجمال و التفصيل .

و أما المقام فقد اختلف المتكلمون عامة عن الفلاسفة فى بيان كيفية استحقاقه تعالى لصفة العلم و نوعية معلوماته،و تفصيل ذلك ان العلم عندالفلاسفة هو عين الذات ، فاذا عقلت الذات نفسها عقلت المعلومات ، و بما ان المعلومات الجزئية متغايرة فان الله لا يعلم أعيان الجزئيات ، و هكذا فان علمه بالامور الجزئية من حيث هى كلية أى بمعرفة القوانين والاسباب التى تندرج تحتهاالجزئيات ، و أنكر المتكلمون على الفلاسفة قولهم ، و قال اكثرهم : ان الله تعالى محيط بكل شىء تماماً كما وصف نفسه .

ثم اختلف المتكلمون على كيفية استحقاق الله لكونه عالماً :

فمنهم : من قال بصفة زائدة مغايرة لذات الله سبحانه وهى العلم سواءكانت حادثة أم قديمة .

و منهم : من أنكر كون هذه الصفة مغايرة او زائدة لذاته ، ثم اختلفوا ، فقال بعضهم : كون الله عالماً هو اثبات لذاته ، و نفى للجهل عنه ، و قال بعضهم ان الله عالم بعلم و علمه ذاته ، وقال بعضهم : كونه عالماً هو من مقتضى ذاته أى

من الاحكام التى تتضمنها ذاته ، و قال بعضهم : ان الله عالم لذاته بمعنى انه على حال لكونه عليها يصح منه العلم ، فالعلم حالة تعلم الذات عليها .

قال والدليل على ذلك أمران : أحدهما ـ انه تعالى يصح منه الفعل المحكم. ثانيهما ـ ان صحة الفعل المحكم دليل على كونه عالماً .

ان الفعل المحكم هو الذى يقع على وجه لايتأتى من سائر القادرين ، و يدل على صحته من الله تعالى خلقه العالم و ما فيه من كائنات والحيوانات وما فيها من عجائب و إدارته الافلاك ، و تر كيب بعضها على بعض ، و تسخيره الرياح و تقديره الشفاء و ما اليها من الافعال المحكمة . . .

و اما دلالة الفعل المحكم على ان فاعله عالماً ، فانها مشابهة لدلالة الفعل مجرداً على ان الفاعل قادر من وجه ومخالفة له من وجه آخر ، و يعتمد التشابه بينهما على الشاهد ، إذ يلاحظ اختلاف الناس إلى شخصين :

أحدهما ـ يفعل فعلاً محكماً والاخر لايفعله ، و يدل ذلك على وجود حالة زائدة هى كونه عالماً ، أما المخالفة بينهما فتبد و فى ان الفعل المحكم يدل على فاعله انه كان عالماً قبل وقوع الفعل و فى حالة وجوده أيضاً ، و ذلك لطبيعة اختلاف العلم عن القدرة ، اذ لماكانت القدرة شرطاً فى وقوع الفعل استغنى عنها فى حال وجوده ، أما العلم فانه يتقدم الفعل لكونه جارياً مجرى الدواعى عليه ، كما يقارنه لانه شرط فى وقوعه محكماً فالشروط لابد لها من المقارنة .

و هكذا فان الله تعالى عالم بكل المعلومات لانه يستحق هذه الصفة تجاه المعلومات كلها بحالة واحدة ، فالاختصاص مفقود فى المعلومات ، و ما من شىء الا و يصح أن يعلم من كل عالم على عكس المقدورات لانها تتخصص .

بيد أن الفعل المحكم يدل على ان صاحبه عالم لو انه كان هذا الفعل واحداً و متميزاً عن غيره ، لكننا نلاحظ فى أفعاله تعالى ما يجرى على قواعد و طرائق واحدة ، كولادة الحيوانات من بعضها ، ونبات الثمر والزهر إلى غير ذلك، فكيف تدل هذه الافعال على كون الله عالماً ؟

تجيب : ان الله جل و علا قدأجرى العادة بان لا يخلق هذه الحيوانات الا من أجناسها ، حتى لا يخلق الجماد الا من الجماد ، والبقر الا من البقر ، والغنم الا من الغنم ، و كذلك هذه الثمار لا تخرج الا من أشجار مخصوصة . . .

و صار الحال فى ذلك كالحال فى المؤذن اذا أذن فى أوقات مخصوصة لصلوات مخصوصة ، فكما انه يدل على كونه عالماً بأوقات الصلاة فكذلك فى مسئلتنا .

اقول : و لما زلّت الاقدام ، و اضطربت الاقلام كما رأيت فلا مناص الا ان نخوض فى البحث تفصيلاً بحول الله تعالى وقوته حسب ما تقتضيه المقام ففيه بيان امور :

الاول : ان الحكماء لما أحالوا اتصاف معدوم مطلق باحكام وجودية حكموا بان الاشياء المعدومة فى الاعيان المحكوم عليها بتلك الأحكام موجودة فى الأذهان ، و لاسيما اذا صودف كونها سببا للتحريكات و التأثيرات الخارجية أو لا ترى ان تخيلك لمشتهى لطيف كيف يحدث فى فيك بذلك شيئا ، وتخيلك للحموضة يوجب كذلك انفعالاً ، ولولم يكن لصورة بيت تريد بنائه نحو من الثبوت لما كان سبباً لتحريك أعضائك لبنائه فى الخارج .

فالمعلوم بالذات فى العلم الانطباعى هوالامر الذهنى لا الموجود الخارجى الا بالعرض كيف ولوكان الشيء معلوماً لانه موجود فى ذاته لكان كل موجود فى ذاته معلوماً لكل أحد ، و لما كان المعدوم فى الخارج معلوماً بوجه ما ، و قد يطلق العلم على المعلوم بالذات الذى هو الصورة الحاضرة عند المدرك حضوراً حقيقياً او حكمياً ، فالعلم والمعلوم على هذا الاطلاق متحدان ذاتاً ، مختلفان اعتباراً إذ لم يكن وجوده فى نفسه غير وجوده لمدركه الذى هو حيثية معلومية و إن كان العلم والمعلوم من حيث هو معلوم واحداً على أى تقدير .

و قالوا : ان وجود المعقول بعينه معقوليته ، و وجوده لعاقله ، و وجود المحسوس بعينه محسوسيته ، و وجوده للجوهر الحاس ، و قد يطلق العلم على نفس حصول شيء عند القوة المدركة أو ارتسامه فيها ، و هو المعنى الاضافى

الانتزاعى الذى يشتق منه العالم و المعلوم و أمثالهما ، و العلم بالمعنى الاول لاينحصراندراجه فى مقولةالكيف كماتوهم، وان صدقت هى عليه اذاكان انطباعياً صدقا عرضياً لا تمنعه بل قد يكون مندرجاً تحت غيرها من امهات العوالى ، وقدلايكون مندرجاً تحتها اصلاً لا بالذات كانواع الحقائق المتأصلة ،ولا بالعرض كالفصول البسيطة لها ، و هو علم الاول تعالى بذاته اذهو عين ذاته .

الثانى : ان الشيء إما أن يكون مقارناً لامور غريبة عن ماهية مقارنة مؤثرة فيه كمقارنة الانسانية فى الخارج للوضع والمقدار ، و غير ذلك فانه لو انفكت عنها لانعدمت او مقارنةغير مؤثرة كمقارنة السواد للحركة حيث لايرتفع احدهما برفع الاخر ، اما أن يكون مجرداً عما سواه من الاغشية واللبوسات كالانسانية المطلقة المطابقة لافرادها المتفاوتة فى العظم والصغر المختلفة فى الوضع والأين والمتى ، ولو لم تكن الانسانية الذهنية مجردة عن مقدار خاص ، ووضع خاص لما طابقت الكثيرين المختلفين فيهما ، و كل حقيقة يلحقها أمر غريب عن ذاتها ، فانما يلحقها لا لذاتها بل لحيثية استعدادية تلحقها و الا لم يتخلف عنها و جميع جهات القوة و الاستعداد ينتهى بالذات إلى المادة الجسمية .

و ان العلم عبارة عن امتياز الشيء عن غيره بوجه ، فكل ما هو مخلوط بغيره مادام كونه مخلوطاً بغيره لا يكون معلوماً بل يكون مجهولاً ، فالمعلوم اما مجرد عما سواه ، أو عما يقارنه مؤثرة ، و إما مخالط بغيره مخالطة مؤثرة ، و يسمى الاول معقولا يمكن حمله على الكثرة المختلفة فى اللواحق المتساوى فى نسبتها إليه لخلوه عن الملابس كالعريان يتلبس بأى ثوب اتفق ولاياباه ، ويسمى الثانى محسوساً سواء كان مبصراً او ملموساً او مشموماً او مذوقاً او مسموعاً او متخيلاً اومتوهماً .

و ان المعلوم اذا كان وجوده الادراكى فى جسم او جسمانى كالمشاعر كان محسوساً لا معقولاً لمصادفة عوارض غريبة و انفعالات مادية يمنع انطباقه لاعداد كثيرة ، و اذا كان فى جوهر غير جسمانى كان معقولاً لا محسوساً لخلوه عمايمنعه

عن مطابقة كثيرين كذلك كل قوة جسمانية تدرك صورة، فتلك الصورة لامحالة تحلّ مادتها . إذ لو كانت محلّتها مجردة عن المادة لكان لتلك القوة قوام، و وجود دون المادة فلم يكن جسمانية هذا خلف، فحينئذ لايخلو الصورة مما يوجب محسو سيتها وعدم انطباقها للكثرة، و كل جوهر قدسي تدرك صورة تدركها معقولة غير متمنعة الاشتراك لعدم المادة، و سلاسلها و أغلالها، فقد تحقق بما ذكرناه ان مدار العاقليّة والمعقولية عن كون الشيء مجرداً بالكلية عن المادة .

ومدار الحاسيّة و المحسوسية على كون الشيء متعلقاً بها نوع تعلّق، وإن كان مدار الادراك مطلقا على تجريد ما، لكن التعقل انما يكون بتجريد تام ونزع محكم وسائر الادراكات الحسيّة بتجريدات ناقصة متفاوتة المراتب، والدليل عليه انه لولم يحدث في الحاس أثر من المحسوس لاستوى حالتاه قبل الاحساس وبعده، ولولم يكن مناسباً له لما كان أثراً منه، فلم يكن حصول ذلك الأثر في الحاسة احساساً له فلا محالة يكون صورته متجرّدة عن المادة، وإن كانت مع غشاوة ما من كم و كيف و وضع ومتى .

الثالث : ان ما سبق من التجريدات انما يكون في العلوم الصورية، و ليس من شرط كل إدراك أن يكون بصورة ذهنية، وذلك لان العاقل يدرك نفسه بعين ذاته يعني صورته التي هوبها هو لا بصورة زائدة على ذاته، كما يظهر لمن راجع وجدانه في علمه بذاته، فان كل انسان يدرك ذاته على وجه يمنع فيه الشركة، ولو كان هذا الادراك بصورة حاصلة في النفس فهي كلية، و ان كانت مجموع كليات تختصّ جملتها بنفس واحدة، فلا يخرج عن احتمال صدقها على كثيرين .

و أيضاً النفس تشير إلى ذاتها بأنا، و إلى ماعداها، و إن كان أمراً قائماً بهابهو لكونه زائداً عليها، فعلم النفس بذاتها ليس سوى ذاتها، و ربما يدرك غيره ايضاً لابحصول صورة منه ذهنية كما تدرك النفس المجردة بدنه الخاص الذي تحرّكه، و تصرف فيه، و قوته المتفكرة التي تستخدمها في تفصيل الجزئيات

و تركيبها و ترتيب الحدود الوسطى ، و بذلك الاستخدام تنتزع الكليات من الجزئيات ، وتأخذ النتائج من المقدمات ، فتدرك تلك الاشياء جميعاً ، و كذلك تدرك قوتها الوهمية والخيالية الشخصتين لا بوهم ذ خيال آخرين مع ان الوهم ينكر نفسه .

ولو كان ادراك النفس لتلك الامور بصورة مأخوذة عنها لا دركتها على الوجه الكلى كما ذكر من ان كل صورة فى النفس فهى كلية ، و ان تخصصت أيضاً من كليات كثيرة ، ولا يمنع الشركة لنفسها ، ومما يؤكد ان لنا علوماً لا نحتاج فيها إلى صورة اخرى غير حضور ذات المدرك ما قيل : انا نتألم بتفرّق اتصال وقع فى عضو من أعضائنا ، و نشعر به ، و ليس ذلك بان تفرّق الاتصال يحصل له صورة اخرى فى ذلك العضو أو فى غيره ، بل المدرك نفس تفرّق الاتصال والالم المحسوس بذاته لا بصورة تحصل منه ، فيدلّ على ان من الاشياء المدركة ما يكفى فى إدراكه مجرّد حضور ذاته للنفس أو لامر له تعلّق حضورى خاص بالنفس .

و من الشواهد الدالة على ثبوت العلم الحضورى : ان صورة ما قد يحصل فى آلة ادراكية ، والنفس لا تشعر بها ، كما اذا استغرقت فى فكرة أو فيما يؤديه حاسّة اخرى ، فلابد من التفات النفس إلى تلك الصورة ، فالادراك ليس الا بالتفات النفس إلى ما تشاهده ، والمشاهدة ليست بصورة كلية بل بصورة جزئية ، فلا بدو أن يكون للنفس علم اشراقى حضورى ليس بصورة ، و من العرشيات الا لهامية لا ثبات هذا المطلب ان النفس فى مبدأ فطرتها خالية عن العلوم الانتقاشية كلها بلا ريب ، ولا خفاء فى ان استعمال الآلات يتوقف على العلم بالآلات ، فلو كان ذلك العلم بالارتسام لزم توقفه على استعمال الآلات المتوقف على العلم بالآلات ، و هكذا يعود الكلام ، فاما أن يدور أو تسلسل ، و هما محالان .

فاوّل علوم النفس هو علمها بذاتها ، ثم علمها بقوى البدن و الآلات التى هى الحواس الظاهرة والباطنة ، و هذان العلمان انما هما علمان من العلوم الحضورية ،

ثم بعد هذين العلمين ينبعث عن ذات النفس بذاتها استعمال الآلات بدون تصور هذا الفعل الذى هو استعمال الآلات والتصديق بفائدته ، فان هذا الاستعمال ليس فعلاً اختيارياً بمعنى كونه حاصلاً بالقصد والروية ، و ان كانت النفس عالمة به مريدة له لان إرادة ذلك الفعل انما ينبعث عن ذاتها لاعن رويتها فذاتها بذاتها موجبة لاستعمالات الآلات لا بارادة اختيارية زائدة عليها قائمة بها بل لما كانت ذاتها فى آن وجودها عالمة بذاتها و عاشقة لها ، ولفعلها عشقاً ناشياً عن الذات لذاتها اضطرت إلى استعمال الآلات التى لاقدرة لها الا عليه .

و بهذا التحقيق اندفع ما قيل : ان استعمال الحواس فعل اختيارى وصدور كل فعل اختيارى مسبوق بالتصور و التصديق بفائدة ما ، فوجب أن يحصل قبل استعمال الآلات صورة تصورية و تصديقية ، و ذلك لان نسبتى صدور استعمال الآلات و عدمه ليستا متساويتين ليلزم الاحتياج إلى المرجح من تصور الفعل والتصديق بالفائدة ، قبل الاستعمال بل المرجح والمقتضى ذات النفس ، فينبعث الاستعمال عن الشوق الذاتى هو عين ذاتها الدراكة الفعالة ، فلا يكون مسبوقاً بتصور ذلك الفعل بل صدور ذلك الجزئى عن النفس هو بعينه تصورلها بلا صورة مستأنفة اخرى ، كما ادى إليه ذوق أهل الاشراق ، و أيضاً من ادراك صورة ذهنية ، انما يدركها بعين تلك الصورة لا بصورة اخرى ، و الا لذهب الامر إلى لا نهاية ، و لزم مع ذلك أن يجعل فى محل واحد صور متساوية فى الماهية مختلفة بالعدد و هو محال ، فالادراك انما يحتاج إلى صورة ، و أما الاحتياج إلى صورة ذهنية ، فقد يكون حيث يكون المدرك غير حاضر عند المدرك و عدم الحضور إما لعدم وجود المدرك أصلاً أو لعدم وجوده عند المدرك ، فان كل واحد من الموجودات ليست حاصلة لواحد آخر منها ، و الا لكان كل من له صلاحية العالمية عالماً بكل شىء له صلاحية المعلومية ، و ليس كذلك كما لا يخفى بل لابد مع ذلك فى تحقق العالمية و المعلومية بين شيئين من علاقة ذاتية بينهما بحسب الوجود .

فيكون كل شيئين يتحقق بينهما علاقة ذاتية ، و ارتباط وجودى يكون

أحدهما عالماً بالاخر الا لمانع لان تلك العلاقة مستلزم لحصول أحدهما للاخر و انكشافه لديه و امتيازه عنده ، وهى قدتقع بين نفس ذات المعلوم بحسب وجود ها العينى ، وذات العالم كما فى علم الحضورى بأقسامه ، و قد يكون بين صورة الشيء و ذات العالم كما فى علم الحصولى المتحقق بحصول صورة الشيء فى نفس ذات العالم أو فى بعض قواه حصولاً ذهنياً،والمدرك بالحقيقة ههنا هونفس الصورة الحاضرة لا ماخرج عن التصور ، و إن قيل للخارج : انه معلوم ، فذلك بقصدثان كما سبقت الاشارة إليه إذ العلاقة الوجودية المستلزمة للعلم فى الحقيقة انماهى بين العالم والصورة لا غير بخلاف المعلوم بالعلم الحضورى بحسب وجوده العينى اذ المعلوم بالذات حينئذ هو نفس ذات الامر العينى لتحقق العلاقة الوجودية بينه و بين العالم به .

فالعلم الحضورى هو أتم صنفى العلم بل العلم فى الحقيقة ليس الا هو ، و من ذهب إلى أن العلم بالغير منحصر فى الارتسام لا غير فقد أخطاء و انكر أتم قسمى العلم ، نعم الادراك على وجه يكون المدرك كلياً مشتركاً بين كثيرين ينحصر فى الصورة الذهنية، وهى المنقسمة إلى التصور و التصديق الكاسبة والمكتسبة، فاذا تحققت العلاقة الوجودية المستلزمة للعالمية و المعلومية بين ذات مستقلة الوجود مجردة ، وصور مرتسمة فيها فبأن يتحقق بينها وبين الصورة الصادرة عنها لكان أولى ، فان نسبة القابل إلى المقبول بالامكان ، و نسبة الفاعل إلى المفعول بالوجوب ، و هذه العلاقة أوكد من تلك .

الرابع : اذا تحقق ان المعقول من حيث هو معقول وجوده فى نفسه ، و وجوده للعاقل و معقوليته شيء واحد بلا خلاف ، و كذا المحسوس من حيث هو محسوس وجوده فى نفسه، و وجوده للجوهر الحاس ومحسوسيته شيء واحد من غير تفاوت ، فما وجوده لغيره لم يكن معقولاً لذاته كالصورة الجمادية ، ولا محسوساً لها كالبصر و اللمس و غيرهما من المدارك الحسية ، و لهذا لا تحس بذواتها ، ولو فرضنا المعقول قائما بذاته كان وجوده لذاته نفس معقوليته لها ، و صار عقلاً

و عاقلاً و معقولاً ، كما لو فرضنا المحسوس مجرداً عن المواد كان وجوده لذاته نفس محسوسيته لهافصارحساً وحاساً و محسوساً .

و بذلك يندفع ما قيل: ان حقيقة العلم لوكان عين الحصول لكان كل جماد عالماً اذما من جماد الا وقد حصل له مهيّة ، والمعلوم من كل شيء ماهيته ، و وجه الاندفاع: ان صور الجمادية وغيرها لماكانت حاصلة للموادلم يحصل أنفسهالها، بل لا يحصل لها شيء أصلاً ، فان القائم بالغير الحاصل له يكون انيته للمحل ، فلو حصل له شيء يكون حصوله فى الحقيقة لمحل الصورة والعرض لا لهما فان ما ليس له حصول لنفسه كيف يحصل له شيء ، و أيضاً لكونها مقارنة للمادة ليست عرية عما يمنعها من المعقولية كالوضع والمقدار و غيرهما .

و أما النقض بوجود الهيولى من جهة انها ليس وجودها لشيء آخر بل لنفسها ، فيلزم أن يكون عالمة بذاتها بناء على كون العلم عبارة عن نحوالوجود لشيء فدفعه بان الهيولى ليست موجودة بالفعل ، بل هى جهت القوة دائماً فى الموجودات المادية ، فوزان ذلك فى العالمية أن يكون للهيولى قوة العالمية فيما يتعلق بها من الامور كالنفوس التى هى اولاً عاقلة و معقولة بالقوة ثم يصير عقلاً و عاقلة بالفعل .

ان تسئل : كون الشيء عالماً ينكشف له المعلومات حال خارجى مغاير لنفس حقيقته فلا يكون نفس حقيقة العالم وحدها مصداقاً لصدق العالم فى علم الشيء بنفسه ، فان كل شيء فى نفسه هو هولاغيره ، فلو تغيّر عما هو عليه فى نفسه لاحتاج إلى مصداق آخر وراء ذاته ، فلابد من كون الشيء عالماً بنفسه مثلا من أمر آخر غير نفس ذاته يكون مصداقاً لعالميته ، فلا يكون العلم بالشيء نفس حصول ذلك الشيء فقط .

تجيب : كون عالمية الشيء فى علم المجرد بذاته وصفاً خارجاً من نفس ذاته غير مسلم بل يكون نفس حقيقة الشيء الغير الجسمى مصداقاً لكونه عالماً بذاته ، و لا يحتاج إلى مصداق آخر مغاير لنفسه فان صدق المفهومات المتغايرة

على ذات واحدة لا يستدعى تغاير المصداقات الا اذا استلزم ذلك الصدق اختلاف حيثيات ، و هو فيما نحن بصدده أى علم المجرد بذاته غير مسلم ، و ان سلم فى غيره .

و من توهم ان كون المجرد عالماً بذاته وصف زائد على ذاته يستدعى مصداقاً لزمه القول بعدم الكون الواجب الحق عالماً بذاته الا بعد تحقق أمر زائد على ذاته جل وعلا ، و هو قول فضيح و قبيح جداً .

فمعقولية الشيء عبارة عن وجوده لشيء له فعلية الوجود و الاستقلال أى كونه غير قائمة بشيء آخر ، فالجوهر المفارق لما كان بحسب الوجود العينى غير موجود لشيء آخر بل كان موجوداً لذاته كان معقولاً لذاته ، واذا حصلت ماهيته فى عقل آخر ، فصارت بهذا الاعتبار موجودة لشيء آخر وجوداً ذهنياً لا لذاته ، فلا حرم صارت معقولة لذلك الشيء الآخر لالذاتها .

و اذا لم تكن بهذا الاعتبار أى باعتبار و جودها فى ذلك العاقل عاقلة لذاتها ، فكيف عقلها ذلك العاقل عاقلة لذاتها بهذا الاعتبار ، ومحصول القول ان عالمية الجوهر المجرد لذاته هى عين وجوده لاعين ماهيته ، فلا يلزم من ذلك ان من عقل ماهيته الجوهر المجرد عقلها عاقلة لذاتها ، اللهم الا فيما يكون وجوده ماهيته كالواجب الوجود تعالى ، و لما استحال ارتسام حقيقته سبحانه فى ذهن من الاذهان بالكلية بل بوجه من الوجوه ككونه واجب الوجود بحسب المفهوم العام لا يلزم من تعقلنا له عقله لذاته بل نحتاج إلى استيناف بيان و برهان .

فنفس كون الشيء عاقلاً و معقولا لا يوجب أن يكون هناك اثنينية فى الذات ، و لا فى الا عتبار ، فالذات واحدة و الا عتبار واحد ، فانه ليس تحصيل الامرين الا اعتبار ان له ماهية مجردة هى ذاته ، و انه ماهية مجردة ذاته له لكن فى الا عتبار ، العقل تقديم و تأخير فى ترتيب المعانى و الفرض المحصل شيء واحد ، ولا يجوز أن يحصل حقيقة الشى المرتين كالعلم .

فثبت مما ذكرنا : ان ما هو برى الذات عن علائق المواد ، و له وجود صورى ذاته له لا للمادة ولا لغيرها ، فذاته غير محتجبة عن ذاته بل نفس وجوده نفس كونه معقولاً ، و ذاته بعينها هى الصورة العقلية من ذاته لذاته ، فكما ان الحرارة القائمة بالنار حرارة لها ، و اذا فرضت قائمة بذاتها كانت حارة بنفسها حرارة لذاتها لا لشيء آخر ، والضوء القائم بالشمس اذا تجرد وقام بذاته كان مضيئاً بنفسه ، وضوء لذاته لا لشيء آخر كذلك الصورة المجردة ما دامت قائمة بالجواهر المفارق كانت معقول المحل ، و عقله و اذا صارت مجردة بنفسها قائمة بذاتها لم تنسلخ عن المعقولية بل كانت معقول نفسه ، و عقل ذاته .

و كما ان المعلوم العينى يعلم بالصورة العلمية تعلم بنفسها لا بصورة علمية اخرى ، فكذلك الاشياء التى هى القوة العقلية انما تعقل بقوة عقلية ، والقوة نفسها تعقل بنفسها لا بقوة عقلية اخرى .

فبما ذكرناه : تبيّن ان العلم انما هو حصول شيء معرى يلابسه لامر مجرد مستقل فى الوجود بنفسه أو بصورته حصولاً حقيقياً اوحكمياً ، فواجب الوجود لما كان فى أعلى غايات التجرد عن المواد ، والتقدس عن الغواشى الهيولانية ، وسائر ما يحصل الماهية بحالة زائدة كان عاقلاً لذاته .

و لما كان انيته حقيقته أى وجوده ماهيته ، فكما لا يزيد علمه بذاته على وجوده فكذلك لا يزيد على حقيقته بخلاف الجواهر المفارقة الذوات ، فعلومها بذواتها ، و إن لم يزد على وجوداتها لماذكرنا من المساوقة بين العلم والوجود المفارقى سواء كان بالذات او بتجريد مجرد لكن يزيد على ماهيتها اذ ليست الانية فيها عين الماهية ، فعلم الوجود الحق بذاته أتم العلوم و أشدها نورية ، و أقدسها بل لانسبة لعلمه بذاته إلى علوم ما سواه بذواتها كما لانسبة بين وجوده ، و وجودات الاشياء حيث هو وراء مالا يتناهى بمالايتناهى.

و كما ان مناط الموجودية ، و مصداق حمل الوجود على الممكنات انما هوارتباطها بالموجود الحق ، و هى مع قطع النظر عن ذلك الارتباط والانتساب

ها لكات الذوات، باطلات الحقائق، فكذلك مناط عالميتها بنفسها او بغيرها ارتباطها إلى نور الانوار جلّت عظمته استضائتها به، فنسبتها إلى الله جل وعلا نسبة الاجسام الكثيفة إلى نور الشمس لو كان متذوتاً قائماً بنفسه، فهي مظلمة بذواتها مستضيئة بلمعان نوره الغير المتناهي شدة و قوة، و لشدة نوريته، و قوة اشراقه، و إفراط ظهوره تتجا في عنه الحواس، و تنبو منه القوى، فلا تدركه الابصار، و لا تمثله الافكار، و لا تنفذ فيه الاوهام، و لا تصل إلى ادراكه عقول الانام.

فكل شيء حكم العقل انه كمال لموجود من حيث هو موجود من غير تخصيصه بتجسم و تقدر و تركب وتكثر، و يمكن على الموجود الحق بالامكان العامي، فيجب له لا محالة لانه كلما فرضناه كمال للموجود من حيث هو موجود، و لا يوجب تجسماً أو تركباً حتى يمتنع عليه، و لا يمكن بالامكان الخاص شيء عليه اذ ليس في ذاته جهة امكانية، فمثل ذلك الشيء واجب الحصول له تعالى.

و أيضاً يمتنع أن يكون مفيض الكمال قاصراً عنه، فيصير المستوهب أشرف من الواهب و المستفيد أكرم من المفيد اذا الفطرة تأباه، فاذا كان العلم و غيره من الكمالات المضاهية له مما لا يوجب تخصيص الموصوف بها بتجسم و تكثر، فلا يمتنع عليه تعالى، و لما لم يكن في ذاته جهة جواز و قوة بل هناك وجوب صرف و فعلية محضة، فيجب له لا محالة، و حيث سبق ان مبدع الاشياء على الاطلاق هو ذاته تعالى، و من جملة ما يستند إليه هي الذوات العالمة، والصور العلمية، والمفيض لكل شيء اوفى بكل كمال غير متكثر لئلا يقصر معطى الكمال عنه، فكان الواجب عالماً، و علمه لا يزيد على ذاته.

في التوحيد: باسناده عن هشام بن الحكم عن أبي عبدالله عليه السلام قال: العلم هو من كماله كيدك.

قال الصدوق رضوان الله تعالى عليه: يعني ان العلم ليس هو غيره، و انه

من صفات ذاته لان الله عز وجل ذات علامة سميعة بصيرة، و انما نريد بوصفنا اياه بالعلم نفي الجهل عنه، و لانقول: ان العلم غيره لا نا متى قلنا: ذلك ثم قلنا: ان الله لم يزل عالماً أثبتنا معه شيئاً قديماً لم يزل تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً.

اقول: قوله عليه السلام: «العلم هو من كماله كيدك» أراد: كما ان يد الانسان من كما له كذلك الله جل و علا، فعلمه من كما له بحيث لو لم يكن عالماً لم يكن كاملاً؛

و من المحتمل: أن يكون التشبيه لبيان غاية ظهور معلوماته جل و علا عنده فان اليد أظهر أعضاء الانسان أى يعلم جميع الاشياء كما تعلم يدك، وهذا مثل معروف بين العرب.

و فيه: باسناده عن جابر الجعفى عن أبى جعفر عليه السلام قال: سمعته يقول: ان الله نور لا ظلمة فيه، و علم لا جهل فيه، و حياة لا موت فيه.

و فيه: باسناده عن العبد الصالح موسى بن جعفر عليه السلام قال: علم الله لا يوصف الله منه بأين، و لا يوصف العلم من الله بكيف، و لا يفرد العلم من الله، ولا يبان الله منه، و ليس بين الله و بين علمه حد.

اقول: فى الرواية دلالة على عينية العلم للذات و قوله عليه السلام: «لا يوصف الله منه بأين» أى ليس علمه تعالى شيئاً مبايناً منه بحسب المكان بان يكون هو تعالى فى مكان و علمه فى مكان آخر، اولا يوصف بسبب العلم بمكان بان يقال: علم ذلك الشيء فى هذا المكان أى لا يحتاج فى العلم بالاشياء إلى الدنو منها و الا حاطة الجسمية بها.

و قوله عليه السلام: «و لا يوصف العلم من الله بكيف» أى ليس تعالى كيفية كما فى المخلوقين او لا يعلم كنه علمه تعالى، و كيفية تعلقه بالمعلومات و قوله عليه السلام: «و ليس بين الله و بين علمه حد» إما إشارة إلى عدم مغايرة العلم للذات، او إلى عدم حدوث علمه تعالى فى حدوث المخلوقات أى لا ينفك علمه تعالى عنه حتى يكون بين وجوده و علمه حدّ و أمد حتى يقال: كان ثم حدث

علمه فی وقت معین و حد معلوم.

و فیه: باسناده عن الحسین بن خالد قال: قلت للرضا عليه السلام ان قوماً یقولون: انه عز وجل لم یزل عالماً بعلم، و قادراً بقدرة وحیاً بحیاة، و قدیماً بقدم، و سمیعاً بسمع، و بصیراً ببصر فقال عليه السلام: من قال ذلك و دان به فقد اتخذ مع الله آلهة اخری و لیس من ولا یتنا علی شیء.



بحث قرآني و روائي في

علم الله تعالى قبل الخلق

اعلم ان كثيراً من الايات القرآنية والروايات الصحيحة تصرح على ان الله تعالى كان عالماً قبل خلق العالم و ما فيه، و من الايات . . .

قوله تعالى : « هو الذى خلق لكم ما فى الارض جميعاً ثم استوى إلى السماء فسوّاهن سبع سموات و هو بكل شيء عليم و اذقال ربك للملائكة انى جاعل فى الارض خليفة قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها و يسفك الدماء و نحن نسبّح بحمدك و نقدّس لك قال انى أعلم مالاتعلمون ـ قال ألم اقل لكم انى اعلم غيب السموات و الارض و اعلم ما تبدون و ما كنتم تكتمون » البقرة : ٢٩ـ٣٣)

و قوله :« او ليس الذى خلق السموات والارض بقادر على أن يخلق مثلهم بلى و هو الخلاق العليم » يس : ٨١) وغيرها من الايات لا يسعها المقام .

و اما الروايات : فمنها :

فى التوحيد : باسناده عن الحسين بن بشّار عن أبى الحسن على بن موسى الرضا عليه السلام قال : سئلته أيعلم الله الشيء الذى لم يكن أن لو كان كيف كان يكون أولاً يعلم إلاّ مايكون ؟ فقال : ان الله تعالى هو العالم بالاشياء قبل كون الاشياء قال عزوجل : « انا كنا نستنسخ ما كنتم تعملون » و قال لاهل النار : « و لوردّوا لعادوا لمانهوا عنه و انهم لكاذبون » فقد علم الله عزوجل انه لوردّهم لعادوا لما نهوا عنه و قال للملائكة لمّا قالوا : « أتجعل فيها من يفسد فيها و يسفك الدماء

« و نحن نسبّح بحمدك و نقدّس لك قال انى أعلم مالا تعلمون »

فلم يزل الله عزوجل علمه سابقاً للاشياء قديماً قبل أن يخلقها ، فتبارك ربنا و تعالى علواً كبيراً ، خلق الاشياء و علمه بها سابق لها كما شاء كذلك لم يزل ربنا عليما سميعاً بصيراً .

و فيه : باسناده عن فتح بن يزيد الجرجانى عن أبى الحسن عليه السلام قال : قلت له : يعلم القديم الشيء الذى لم يكن أن لو كان كيف كان يكون ؟ قال : ويحك ان مسئلتك لصعبة ، أما سمعت الله يقول : « لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا » و قوله : « و لعلا بعضهم على بعض » و قال ـ يحكي قول أهل النار ـ : « ارجعنا نعمل صالحاً غير الذى كنا نعمل » و قال : « و لو ردّوا لعادوا لما نهوا عنه » فقد علم الشيء الذى لم يكن أن لو كان كيف كان يكون الخبر .

و فيه : باسناده عن ابن حازم عن أبى عبدالله عليه السلام قال : قلت له : أرأيت ما كان ، و ما هو كائن إلى يوم القيامة ، أليس كان فى علم الله تعالى ؟ قال : فقال: بلى قبل أن يخلق السموات والارض .

و فى الاحتجاج : عن يونس بن ظبيان سئل رجل أباعبدالله عليه السلام فى حديث قال : فلم يزل صانع العالم عالماً بالا حداث التى أحدثها قبل أن يحدثها ؟ قال عليه السلام : فلم يزل يعلم فخلق ما علم .

و فى التوحيد : باسناده عن ابن حازم قال : سئلت أبا عبد الله عليه السلام هل يكون اليوم شيء لم يكن فى علم الله عزوجل ؟ قال : لابل كان فى علمه قبل أن ينشيء السموات والارض .

و فيه : باسناده عن ابن مسكان قال : سئلت أبا عبد الله عليه السلام عن الله تبارك و تعالى أكان يعلم المكان قبل أن يخلق المكان أم علمه عند ما خلقه ، و بعد ما خلقه ؟ فقال : تعالى الله بل لم يزل عالماً بالمكان قبل تكوينه كعلمه به بعد ما كوّنه ، و كذلك علمه بجميع الاشياء كعلمه بالمكان .

قال الصدوق رضوان الله تعالى عليه : من الدليل على ان الله تعالى عالم ان

الافعال المختلفة التقدير المتضادة التدبير المتفاوتة الصنعة لا يقع على ما ينبغى أن تكون عليه من الحكمة ممن لا يعلمها ، و لا يستمرّ على منهاج منتظم ممن يجهلها .

ألا ترى انه لا يصوغ قرطاً يحكم صنعته ، و يضع كلاً من دقيقه و جليله موضعه من لا يعرف الصياغة ، ولا أن ينظم كتابة يتبع كل حرف منها ما قبله من لا يعلم الكتابة ، و العالم ألطف صنعة ، و أبدع تقديرا مما وصفناه ، فوقوعه من غير عالم بكيفته قبل وجوده أبعد و أشدّ استحالة ، و تصديق ذلك ما حدّثنا به ابن عبدوس عن ابن قتيبة عن الفضل قال : سمعت الرضا على بن موسى عليه السلام يقول في دعائه : « سبحان من خلق الخلق بقدرته و أتقن ما خلق بحكمته ، و وضع كل شيء منه موضعه بعلمه ، سبحان من يعلم خائنة الاعين ، و ما تخفى الصدور ، و ليس كمثله شيء ، و هو السميع البصير »

و فيه : باسناده عن محمد بن مسلم عن أبى جعفر عليه السلام قال : سمعته يقول كان الله ولاشيء غيره ، و لم يزل الله عالماً بما كوّن ، فعلمه به قبل كونه كعلمه به بعد ما كوّنه .

و فيه : باسناده عن فضيل بن سكرة قال : قلت لابى جعفر عليه السلام : جعلت فداك إن رأيت أن تعلّمنى ، هل كان الله جلّ ذكره يعلم قبل أن يخلق الخلق انه وحده ؟ فقد اختلف مواليك ، فقال بعضهم : قد كان يعلم تبارك و تعالى انه وحده قبل أن يخلق شيئا من خلقه ، و قال بعضهم : انما معنى يعلم يفعل ، فهو اليوم يعلم انه لا غيره قبل فعل الاشياء ، و قالوا : ان أثبتنا انه لم يزل عالماً بانه لا غيره ، فقد اثبتنامعه غيره في أزليته ، فان رايت يا سيدى أن تعلّمنى مالاأعدوه إلى غيره ، فكتب عليه السلام : مازال الله عالماً تبارك و تعالى ذكره .

قول بعضهم : « انما معنى يعلم يفعل » أى ان تعلّق علمه تعالى بشيء يوجب وجود ذلك الشيء وتحققه ، فلوكان لم يزل عالماً كان لم يزل فاعلافكان معه شيء فى الازل ، أوان تعلق العلم بشيء يستدعى انكشاف ذلك الشيء يستدعى نحوحصول

له ، و كل حصول و وجود لغيره سبحانه مستند إليه فيكون من فعله فيكون معه في الأزل شيء من فعله ، فأجاب الامام عليه السلام بانه لم يزل عالماً ، و لم يلتفت إلى بيان فساد متمسك نافيه إما لظهوره أو لتعليم انه لاينبغي الخوض في تلك المسائل المتعلقة بذاته و صفاته تعالى ، فانها مما تقصر عنه الافهام و تزل فيه الاقدام .

و في كشف الغمة : عن أبي هاشم الجعفري سئل محمد بن صالح الارمني أبا محمد عليه السلام عن قوله تعالى : « يمحوا الله ما يشاء و يثبت و عنده ام الكتاب» فقال : هل يمحوا الا ما كان ؟ و هل يثبت الا ما لم يكن ؟- إلى أن قال عليه السلام ـ : تعالى الجبار العالم بالاشياء قبل كونها ، الخالق اذ لا مخلوق ، والرب اذ لامربوب والقادر قبل المقدور عليه ، فقلت : أشهد انك ولي الله و حجته و القائم بقسطه ، و انك على منهاج أمير المؤمنين و علمه .

و في تفسير العياشي : عن داود الرقي قال : سئلت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله : « أم حسبتم أن تدخلوا الجنة و لما يعلم الله الذين جاهدوا منكم » قال ان الله هو أعلم بما هو مكونه قبل أن يكونه ، و هم ذر ، و علم من يجاهد ممن لا يجاهد كما علم انه يميت خلقه قبل أن يميتهم ولم يرهم موتى وهم أحياء .

اقول : و من المحتمل أن يكون العلم كناية عن الوقوع ، أو يكون المراد بالعلم بعد الوقوع .

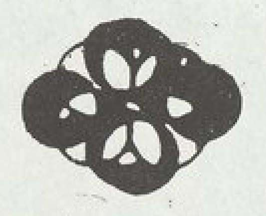
و في الكافي : باسناده عن أيوب بن نوح انه كتب إلى أبي الحسن عليه السلام يسئله عن الله عزوجل أكان يعلم الاشياء قبل أن يخلق الاشياء و كونها ؟ أو لم يعلم ذلك حتى خلقها ،و أراد خلقها و تكوينها، فعلم ما خلق عند ما خلق ، و ما كون عند ما كون ؟ فوقع عليه السلام بخطه : لم يزل الله عالماً بالاشياء قبل أن يخلق الاشياء كعلمه بالاشياء بعد ما خلق الاشياء .

و في التوحيد : باسناده عن ابن حازم قال : سئلت أبا عبد الله عليه السلام هل يكون اليوم شيء لم يكن في علم الله بالأمس ؟ قال : لا ، من قال هذا فأخزاه الله، قلت : أرايت ما كان ، و ما هو كائن إلى يوم القيامة أليس في علم الله ؟ قال :بلى

قبل أن يخلق الخلق .

و في رواية : عن أبى بصير قال : سمعت أبا عبدالله عليه‌السلام يقول : لم يزل الله عز و جل ربنا ، والعلم ذاته ، و لا معلوم فلما أحدث الأشياء وقع العلم منه على المعلوم .

اقول : يستفاد من الرواية : انذاته تعالى عين العلم بمعلومه ، ثم المعلوم اذا تحقق فى الخارج كان ذات المعلوم عين علمه تعالى به ، يسمى الاول العلم الذاتى ، والثانى العلم الفعلى ، و ليست هنا صورة زائدةعلى الذات كما فى بانى دار يتصور للدار صورة وهيئة قبل بنائها ، ثم يبنيها على تلك الهيئة و الصورة الذهنية، ، فتنطبق الصورة على البناء الخارجى ، وهذا هو العلم الكلى يستحيل على الله تعالى .



﴿ بحث عميق علمي في علم الله تعالى قبل الخلق ﴾

و قد ثبت عقلاً و نقلاً : ان علم الله تعالى هو عين ذاته ، و انه و الذات سواء فى القدم ، و ان علمه بالاشياء كان حاصلاً قبل أن يخلقها ، فعلمه القديم لا يقترن بمعلوم على ماتوهم بعض المتوهمين ، بل كان علماً و لا معلوماً كما انك اذا قابلت المرآة انطبعت فيها صورتك ، والصورة فى المرآة كالمخلوق المعلوم بحصوله و حضوره ، وهذه الصورة المنطبعة هى ظلّ صورتك التى فيك ، وشبحها يعنى انك ظهرت للصورة التى فى المرآة بواسطة صقالتها و مقابلتها التى هى المشخصات لها عن الصورة التى قامت بها ، فالظهورالذى انطبع من صورتك التى قامت بك فى المرآة منفصل عن صورتك التى قامت بك .

فالله تعالى عالم و لا معلوم ، فمثله كنت أنت بصورتك التى هى أنت عليه و لك و معك ، و هى كينونتك ، ولا صورة فى المرآة ، فلما أحدث الاشياء ، و تكوّن المعلوم وقع العلم على المعلوم ، مثل ان المقابلة فى المرآة شخّص تلك التى هى قديمة فيك ، و كنت تعلم بها ، و علمك بالصورة المقابلة فى المرآة هو علمك بالصورة قبل المقابلة فى المرآة واحد .

و ان الله تعالى أحدىّ الذات ليس فى شىء ، و ليس فيه شىء و لا يكون هو أصل مادة الخلق ، ولا تنتمى المادة او الصورة إليه ، فلا يكون الخلق شيئاً من جزئه بل الخلق بقائه و فنائه يكون من أمره .

فلم يزل عالماً بذاته و صفاته و ما يحدثه من مخلوقاته ، و مهما حدثت المخلوقات لم يحدث له علم بها ، بل حصلت مكشوفة له بالعلم الازلى ، إذ لو

خلق لنا علم به بقدوم زيد عند طلوع الشمس و دام ذلك العلم تقديراً ، حتى طلعت الشمس لكان قدوم زيد عند طلوع الشمس معلوماً لنا بذلك العلم من غير تجدد علم آخر .

في اوائل المقالات : قال الشيخ المفيد رضوان الله تعالى عليه : «ان الله تعالى عالم بكل ما يكون قبل كونه ، و انه لاحادث الا و قد علمه قبل حدوثه ، و لا معلوم و ممكن أن يكون معلوماً الا و هو عالم بحقيقته ، و انه سبحانه لا يخفى عليه شيء في الارض و لا في السماء ، و بهذا اقتضت دلائل العقول والكتاب المسطور و الاخبار المتواترة عن آل الرسول صلى الله عليه وآله وهو مذهب جميع الامامية »

وفي التبيان : قال الشيخ الطوسي قدس سرّه في قوله تعالى : « فليعلمن الله الذين صدقوا و ليعلمن الكاذبين » العنكبوت : ٣) : ان الفعل للاستقبال و الله تعالى عليم فيما لم يزل لحدوث المعلوم ، فلا تصح الصفة إلاّ على معنى المستقبل إذ لا يصلح ولا يصح لم يزل عالماً بانه حادث لانعقاد معنى الصفة با لحادث ، و هو اذا حدث علمه تعالى حادثاً بنفسه »

و قال بعض المفسرين : ان الصدق والكذب حادثان ، و علمه تعالى بهما قديم أزلي كان يعلم في الازل من الصادق ، ومن الكاذب ، و أما العلم بهما في وقت وقوعها فحادث كالمعلوم ، و من هنا ذكر علمه تعالى كالصدق و الكذب بوصف الحدوث ، و أثبت صفة المعلوم و هي الحدوث للعلم مجازاً لان العلم قديم حقيقة والمعلوم حادث حقيقة ، فالعلم لله تعالى قديم أزلي ثابت و لكن متعلقه أمر حادث.

و قال بعضهم: ان العالم بالشيء هو الذي يكون الشيء منكشفا له حاضراً عنده ، غير غائب عنه، والدليل على كونه تعالى عالماً : فعله تعالى الافعال المحكمة المتقنة ، و كل من فعل الافعال المحكمة المتقنة كان عالماً بها ، والفعل المحكم المتقن هو المطابق بالمنافع المقصودة الموافقة للغرض والغاية ظاهرة جلية في نظام السموات والارض ، و في تركيب اعضاء الانسان ، و انه تعالى عالم بكل معلوم لان نسبة ذاته المقدسة إلى جميع المعلومات على حدّ سواء لكونه تعالى

مجرداً ، فاختصاص علمه جل وعلا بمعلوم دون معلوم ترجيح بلامرجح، وهو باطل فيكون تعالى عالماً بكل معلوم .

اقول: لما ثبت كون الواجب تعالى عالماً بذاته لزم كونه عالماً بجميع الموجودات ، فان ذاته علة موجبة لجميع ما عداه ، و مبدأ لفيضان كل إدراك حسياً كان او عقلياً ، و منشأ لكل ظهور ، ذهنياً كان او عينياً ، اما بدون واسطة أو بواسطة هي منه ، والعلم التام بالعلة الموجبة يستلزم العلم التام بمعلولها ، فلزم كونه جل و علا عالماً بجميع المعلومات . . .

قال : « ألا يعلم من خلق و هو اللطيف الخبير » الملك : ١٤)

و أما كيفية علمه بالاشياء بحيث لا يلزم منه الايجاب ، ولا كونه فاعلاً و قابلاً و كثرة في ذاته ـ تعالى عنه علواً كبيراً ـ فانها من أغمض المسائل الحكمية جداً ، و كانت المعرفة بها تمام الحكمة الحقة الالهية .

ولا يخفى : ان الوزان في علمه تعالى أن يجعل المعلوم تابعاً للعلم ، لاالعلم تبعاً للمعلوم ، على ان ذاته جل و علا بحيث يفيض عنه صور الاشياء معقولة له ، مشاهدة عنده ، مرضياً لديه ، فليس لها محل ، بل هو علم بسيط قائم بذاته ، مقدّس عن شائبة كثرة ، و تفصيل ، محيط بجميع الأشياء ، خلاّق للمعلوم التفصيلية التي بعده ، و هي ذوات الأشياء الصادرة عنه تعالى بطباعها و شخصياتها على انها عنه لا على انها فيه .

و في الملل والنحل : يقول الاسكندر الافروديسي ـ و هو من كبار الحكماء ـ : ان الباري تعالى عالم بالاشياء كلها : كلياتها و جزئياتها على نسق واحد ، و هو عالم بما كان و بما سيكون ، و لا يتغيّر علمه بتغيّر المعلوم و لا يتكثر بتكثره .

﴿ آراء الفلاسفة في علم الله تعالى بالمعلومات ﴾

ومن الفلاسفة الذين أثبتوا علمه جل و علا بالموجودات على فريقين :
فريق يقولون : ان علمه تعالى منفصل عن ذاته .
وفريق يقولون : ان علمه جل وعلا غير منفصل عن ذاته .
و لكل فريق أربعة مذاهب أطالوها ، ونحن نشير إلى إجمالها ...

اما مذاهب الاولين : فمنهم من ذهب إلى ثبوت المعدومات سواء نسبها إلى الخارج كالمعتزلة ، أو إلى الذهن كابن العربي و القونوى .

قال ابن العربي : أعيان الممكنات حال عدمها رائية ومرئية برؤية ثبوتية ، و سامعة و مسموعة بسمع ثبوتي ، و مالها و جود ، فعيّن الله تعالى ما شاء من تلك الاعيان ، فوجّه عليه دون غيره من أمثاله ، ولم يزل الممكنات حال عدمها الازلى لها تعرف الواجب لذاته ، و يسبّحه ويمجّده بتسبيح ازلى ولا عين لها موجود .

اقول : بطلان شيئية المعدوم ثابت في الكتب الحكمية والكلامية، حيث ان ثبوت المعدومات و تميّزها غير صحيح بالضرورة ، سواء نسب إلى الخارج ام إلى الذهن ، و كانت المعدومات مطلقة أم صارت موجودة بعد عدمها في وقت من الاوقات...

ومنهم : من ذهب إلى ان علمه تعالى بالاشياء صور خارجية قائمة بذواتها منفصلة عن الله تعالى وعن الاشياء ، وهي المثل الا فلا طونية .

اقول : وهذا مردود ، اذ لاريب ان تلك الصور موجودات عينية لاذهنية، فننقل الكلام إلى كيفية علمه تعالى بتلك الصور العينية قبل كونها ، فيلزم التسلسل،

أو القول بان بعض الموجودات يصدر عنه تعالى بلاعلم به متقدم عليه ، وقدهرب هذا القائل من القول بذلك إلى القول بالمثل ، فقدوقع فيما هرب عنه ، كيف و من المستنكر أن يكون الله سبحانه محتاجاً فى إيجاد الموجودات إلى مثل ليكون دستورات لفعله ، وبرنامجات لصنعه .

وامّا القول بارتسام صور الاشياء فى ذاته سبحانه فقال صدر المتألهين: هذا قول فاسد ورأى سخيف ، تحاسر فى حق المبدأ الاعلى جل كبريائه .

ومنهم : من ذهب إلى أن علمه بالاشياء نفس وجوداتها العينية كما اختاره الشيخ الاشراق والمحقق الطوسى قدس سره .

فقال الاشراق : ان علمه تعالى بذاته هو كونه نوراً لذاته ، وعلمه بالاشياء الصادرة عنه هو كونها ظاهرة له ، إما بذواتها كالجواهر و الاعراض الخارجية أو بمتعلقاتها التى هى مواضع الشعور للاشياء الادراكية مستمرة كانت كما فى المدبرات العلوية الفلكية عقولها ونفوسها ، او كانت غير مستمرة كما فى القوى الحيوانية النطقية والخيالية والحسية، فعلمه تعالى محض اضافة اشراقية، فواجب الوجود مستغن فى علمه بالاشياء عن الصورة ، و له الاشراق و التسلط المطلق ، فلا يحجبه شىء عن شىء ، وعلمه وبصره واحد ، و علمه يرجع إلى بصره لا ان بصره يرجع إلى علمه ، ونوريته نفس قدرته ، فان النور فياض لذاته بمعنى ان علمه بالاشياء نفس ايجاده لها ، كما ان وجود الاشياء عنه نفس حضورها لديه ، فله اضافة انفعالية إلى جميع الاشياء فقط بها يصحّح جميع الاضافات كالعالمية وغيرها اذهى عينها فى التحقيق .

فكما ان علمه بذاته لايزيد على ذاته كذلك علمه بالاشياء غير زائدة على حضور ذواتها، وان الواجب لذاته كما يدرك المجردات العقلية بالاشراق الحضورى يدرك الامور المادية بالاشراق الحضورى من غير ان يدركها بالصور الحاصلة فى المبادى العقلية ، بل ارتسام صور الموجودات الكلية فى العقول الفعالة والنفوس العالية باطل فانا نتقاش المجردات بصور ماتحتها إما أن يحصل لهامما

تحتها ، فيلزم انفعال العالى عن السافل وهو غير جائز أو عما فوقها بان يكون الصور العارضة فى بعضها حاصلة عن صور عارضة فى بعض آخر ، فينتهى إلى أن يكون الصور المتكثرة حاصلة فى ذات الحق تعالى بل إلى تكثر ذاته تعالى عنه علواً كبيراً .

و قال المحقق الطوسى قدس سره : ان الواجب لذاته لما لم يكن بين ذاته و بين عقله لذاته مغاير، بل كان عقله لذاته هو نفس ذاته ، كذلك لاتغاير بين وجودالمعلول الاول وبين تعقل الواجب له، اذ عقله لذاته علة عقله لمعلول له الاول، كما ان ذاته علة ذات المعلول الاول ، فكما حكمت باتحاد العلتين فاحكم باتحاد المعلولين ، فاذن وجودالمعلول الاول هو نفس تعقل الواجب لذاته له من غير استيناف صورة تحل ذات الاول تعالى عن ذلك علواً كبيراً.

فالجواهر العقلية لما كانت تعقل ماليست بمعلولات لها بحصول صورها فيها، وهى تعقل واجب الوجود أيضاً، ولاموجود الا وهومعلول للواجب تعالى كانت صور جميع الموجودات الكلية و الجزئية على ما عليه الوجود حاصلة فيها ، و الاول الواجب يعقل تلك الجواهر مع تلك الصور لابصور غيرها، بل باعيان تلك الجواهر والصور ، وبهذا الطريق يعقل الوجود على ما هو عليه ، فاذن لايعزب عنه مثقال ذرة فى السماء ولا فى الارض من غير لزوم شىء من المحالات المذكورة ، فاذا تحققت هذا الاصل و بسطته ظهرت لك كيفية احاطته تعالى بجميع الموجودات الكلية والجزئية ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء .

اقول : ان الطريقين قريبان .

ان تسئل : فعلى هذين الطريقين يلزم أن لايكون علمه تعالى بالاشياء علماً فعلياً ، ولايكون صدور الاشياء عنه جل وعلا باختياره ؟

تجيب : ان العلم الفعلى على ضربين :

أحدهما ـ أن يكون العلم سبباً للمعلوم بالعرض ، و مقدماً عليه تقدماً ذاتياً كما اذا أراد البنّاء بناء بيت ، فتصوّر أولاً صورته ، فقد أحدث البناء اولاً

صورة ذلك البيت فى ذهنه ، ثم وجد مثلها فى الخارج على وفق تصوره .

ثانيهما ـ أن يكون العالم بما هو عالم علة بالذات للمعلوم من حيث هو معلوم سواء كان أمراً ذهنياً او عينياً ، فكما ان العالم بالصورة الاولى يعلم الصورة الذهنية بنفس اختراعها ، وليست معلومة بصورة اخرى بل نفس حصولها عنه فى ذهنه نفس معلوميتها له كذلك العالم فى الصورة الثانية يعلم العين الخارجي بايجاده ، وعلمه بالصورة الخارجية نفس ايجاده لها ، فالعلم بالصورة هناك حصولاً ، وبالعين هنا حضوراً ، كلاهما علم فعلى ، والمعلوم معلوم بالذات ، والعلم بالعين فى الصورة الاولى فعلى ايضاً ولكن المعلوم معلوم بالعرض .

ففى الشق الاول الفاعل يصدر عنه فعله عن ذاته مع علم مكتسب زائد على ذاته ، وفى هذا الشق يصدر عنه فعله عن نفس ذاته بما هو ذات عالمة ، فالمبدأ الا على أوجد المعلول الاول من ليس ، وفى حال ايجاده علمه لا انه تعالى علمه ، فأوجده حتى يلزم تكرير التعقلات بالموجب للتسلسل فى الارتسامات ، و فى الوجودات ، ولا انه تعالى اوجده فعلمه ليلزم أن يكون علمه انفعالياً مستفاداً من المعلوم ، بل أوجده عاقلاً له أى نفس وجوده نفس معقوليته .

اذ قال : « انما أمره اذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون » يس : ٨٢)

فايجاد المبدأ الا على له عين العلم به، فعلمه تعالى بالاشياء حضورى فعلى ، ولا يلزم ان يكون فاعلاً موجبا لان اقتضاء الشيء للشيء إن كان مع شعور بالشيء المقتضى فهو إرادة ، وإن كان بلا شعور فهو ميل طبيعي، ولافرق بين الميل الطبيعي والارادة الا ان الاول لايقارن الشعور بخلاف الثانى .

وبالجملة : ان مقارنة الشعور والعلم للفعل الناشىء من نفس ذات العالم كاف فى كونه إرادياً ، و بمجرده يتحقق الاختيار ، ولا يلزم السبق الذاتى كما لايلزم السبق الزمانى على مايدعيه المتكلمون .

وأما مذاهب الاخرين :

فمنهم : من ذهب إلى ان علمه تعالى غير ذاته كما اختاره الفارابى والشيخ

أبو علي .

ومنهم : من ذهب إلى ان علمه بالاشياء عين ذاته .

ثم اختلفوا في ذلك، فقال بعضهم : ان ذاته يتحد بالصور العقلية كمااختاره فرفوريوس وأتباعه المشائيون .

وقال بعضهم : ان ذاته تعالى علم اجمالي بجميع ماعداه .

وقال الاخرون : ان ذاته علم اجمالي ببعض ، وتفصيلي ببعض آخر .

فهذه ثمانية مذاهب :

أما مذهب اتحاد العاقل بالصور العقلية فمدفوع بان شيئاً لايصير شيئاً آخر، فانه إن بقي الاول مع حصول الثاني ، فهما اثنان ، و إن بطل الاول ، و حصل الثاني أوبقي الاول ولم يحصل الثاني فما صار أحدهما الاخر .

و قال قوم : ان الله تعالى لايعلم الجزئيات الا على وجه كلي .

وقال الاخرون : ان الله جل وعلا يعلم جميع الاشياء المبدعة و الكائنة المعقولة والمحسوسة ، سواء كانت ذوات العقلاء اوعلومهم ، وسواء كانت القوى الخيالية أو الحسية أو ادرا كاتها الخيالية او الحسية ، فان جميعها ~~انما~~ يصدر عن الواجب تعالى منكشفة عنده ، فلايعزب عنه شيء من الاشياء لاباعتبار الشهود العيني ، ولا باعتبار الثبوت الذهني كما قال الله تعالى : « لايعزب عنه مثقال ذرة في السموات ولافي الارض » إشارة إلى النحو الاول ، وقال : « ولا أصغر من ذلك ولا أكبر الا في كتاب مبين » إشارة إلى النحو الثاني .

ان تسئل : فعلى هذا يلزم أن يكون للواجب علمان : علم لا يتغير ،وهو علمه بالامور المتقدمة على الزمان و الدهر ، و علم يتغير و هو علمه بالامور الكائنة الفاسدة ، والتغير في علمه تعالى مطلقا غير صحيح ؟

تجيب : ان هذه الاشياء ، وإن كانت في ذواتها ، وبقياس بعضها إلى بعض متغيرة لكنها بالنسبة إلى العوالي ، و إلى ما هو أعلى منها في درجة واحدة في الحضور .

قال صدر المتألهين : اذ قد تحققت : ان كونه تعالى عالماً بذاته، وعالماً

بجميع معلولاته بناء على ان العلم التام بالعلة التامة يوجب العلم التام بالمعلول، وقد بيّن: ان العلم بالعلة اذا لم يكن نقشاً زائداً على ذات العلة بل يكون نفس وجودها يلزم أن يكون العلم اللازم منه بالمعلول أيضاً نفس وجود ذلك المعلول لانقشاً زائداً عليه، فاذا كان كل صورة موجودة في الخارج سواء كانت عقلية او مادية يرتقى في سلسلة الحاجة إلى مسبب الاسباب، فيجب أن يكون نحو وجودها الخارجي بعينه هو نحو علم البارى جل ذكره بها.

ثم لما كانت الاشياء الزمانية والحوادث المادية بالنسبة إلى البارى المقدس عن الزمان والمكان متساوى الاقدام في الحضور لديه والمثول بين يديه لم يتصور في حقه الماضي والحال والاستقبال لانها يتصف بها الحركات والمتغيرات، كما ان العلو و السفل و المقارنة اضافات يتصف بها الاجسام و المكانيات، فيجب أن يكون لجميع الموجودات بالنسبة إليه تعالى فعلية صرفة، و حضور محض غير زماني ولامكاني بلاغيبة وفقد، اذ الزمان مع تجدده والمكان مع انقسامه بالقياس إليه كالآن والنقطة وسجل دورات السموات والارض الجامعة للازمنة والحركات المحددة للامكنة، و الجهات و المواد المشتملة على كلمات الله تعالى مطوية في نظر شهوده دائماً.

فانه تعالى ليس ينظر إليها على الولا بكلمة منها حتى يغيب عنه ما تقدم نظره إليه او يفقدما تأخر عنه، بل يكون نسبة احاطته الاشراقية القيومية إلى جميع الحروف والكلمات العينية نسبة واحدة غير زمانية كما في القرآن المجيد: «ولاتسقط من ورقة الا يعلمها ولاحبة في ظلمات الارض ولا رطب ولايابس الا في كتاب مبين» هو دفتر الوجود.

اقول: وكثير من الفلاسفة انكروا علمه تعالى بالمعلومات فقد ضلّوا ضلالاً بعيداً لايسع المقام ذكر أقاويلهم الفاسدة وآرائهم الباطلة ...

﴿أقسام العلم و علم الغيب عند الله تعالى﴾

قال الله تعالى : « قل لا أقول لكم عندى خزائن الله و لا أعلم الغيب و لا أقول لكم انى ملك إن اتبع الا ما يوحى إلى - و عنده مفاتح الغيب لا يعلمها الا هو و يعلم ما فى البر و البحر و ما تسقط من ورقة الا يعلمها ولا حبة فى ظلمات الارض ولا رطب ولا يابس الا فى كتاب مبين » الانعام : ٥٠ - ٥٩)

و قال : « ألم يعلموا ان الله يعلم سرهم و نجواهم و ان الله علام الغيوب » التوبة : ٧٨)

و قال : « عالم الغيب لا يعزب عنه مثقال ذرة فى السموات ولا فى الارض ولا أصغر من ذلك ولا اكبر الا فى كتاب مبين » سباء : ٣)

و قال : « ان الله عالم غيب السموات والارض انه عليم بذات الصدور » فاطر : ٣٨)

و قال : « عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحداً الا من ارتضى من رسول فانه يسلك من بين يديه و من خلفه رصداً » الجن : ٢٦ - ٢٧)

فى الكافى : باسناده عن الفضيل بن يسار قال : سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول : العلم علمان : فعلم عند الله مخزون لم يطلع عليه أحداً من خلقه ، و علم علمه ملائكته و رسله ، فما علمه ملائكته و رسله فانه سيكون ، لا يكذب نفسه ولا ملائكته ولا رسله ، و علم عنده مخزون يقدم منه ما يشاء ، و يؤخر منه ما يشاء ، و يثبت ما يشاء .

وفيه : باسناده عن أبى بصير عن أبى عبد الله عليه السلام قال : ان لله علمين : علم

مكنون مخزون لا يعلمه الا هو ، من ذلك يكون البداء ، و علم علمه ملائكته و رسله و انبيائه فنحن نعلمه .

قوله عليه السلام : « من ذلك يكون البداء » أى انما يكون البداء فيما لم يطلع الله عليه الانبياء والرسل حتماً لئلا يخبروا فيكذبوا .

و فى التوحيد : باسناده عن عبدالله بن سنان عن جعفر بن محمد عن أبيه عليه السلام قال : ان لله علماً خاصاً و علماً عاماً ، فاما العلم الخاص فالعلم الذى لم يطلع عليه ملائكته المقربين و انبيائه المرسلين ، و أمّا علمه العام فانه علمه الذى اطلع عليه ملائكته المقربين وانبيائه المرسلين، وقدوقع إلينا من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم

و فى بصائر الدرجات : باسناده عن سدير قال : سمعت حمران بن أعين يسئل أبا جعفر عليه السلام عن قول الله تبارك و تعالى : « بديع السموات والارض » قال أبو جعفر عليه السلام ان الله ابتدع الاشياء كلها على غير مثال كان قبل ، و ابتدع السموات والارض ، ولم يكن قبلهن سماوات ولا أرضون أما تسمع لقوله تعالى : « وكان عرشه على الماء »

فقال له حمران بن أعين : أرايت قوله : « عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحداً » ؟ فقال له أبو جعفر عليه السلام : « الامن ارتضى من رسول فانه يسلك من بين يديه و من خلفه رصداً » و كان والله محمد صلى الله عليه وآله وسلم ممن ارتضاه ، و أما قوله : « عالم الغيب » فان الله تبارك و تعالى عالم بماغاب عن خلقه ، فما يقدّر من شىء و يقضيه فى علمه فذلك ياحمران علم موقوف عنده إليه فيه المشيّة فيقضيه اذا أراد ، و يبدوله فيه فلا يمضيه ، فامّا العلم الذى يقدّره الله و يقضيه و يمضيه فهو العلم الذى انتهى إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ثم إلينا .

و فى الكافى : باسناده عن جابر عن أبى جعفر عليه السلام قال : ان اسم الله الاعظم على ثلاثه و سبعين حرفاً ، و انما كان عند آصف منها حرف واحد، فتكلم به فخسف بالارض ما بينه و بين سرير بلقيس حتى تناول السرير بيده ثم عادت الارض كما كانت أسرع من طرفة عين ، و من عند نامن الاسم الاعظم اثنان

« سبعون حرفاً ، و حرف واحد عند الله تعالى استأثر به فى علم الغيب عنده ، ولاحول ولا قوة الاّ بالله العلى العظيم .

وقال بعض أعلام المفسرين فى قوله تعالى : « و هو الذى خلق السموات والارض فى ستة أيام وكان عرشه على الماء ليبلوكم أيكم أحسن عملاً » هود:۷) : فان علم الله تعالى قسمان : قسم يتقدم وجود الشىء فى اللوح ، و قسم يتأخر وجوده فى مظاهر الخلق ، والبلاء الذى هو الاختبار هو هذا القسم .

و قال بعض المحققين: فى قوله تعالى : «ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم و الصابرين و نبلو أخباركم » محمد صلى الله عليه وآله وسلم : ۳۱) : اعلم ان علم الله تعالى على قسمين :

أحدهما ـ سابق على معلوماته اجمالاً فى لوح القضاء .

ثانيهما ـ سابق عليها تفصيلاً فى لوح القدر، وتابع اياها فى المظاهر التفصيلية من النفوس البشرية ، والنفوس السماوية الجزئية فمعنى قوله : « حتى نعلم » حتى يظهر علمنا التفصيلى فى المظاهر الملكوتية والانسية التى يثبت بها الجزاء .

كما ان المهندس يعلم صورة القصر قبل بنائه اجمالاً ثم يعلم صورته بعد بنائه تفصيلا ، و ان كان بين العلمين : علم الخالق وعلم المخلوق ، وبين الاجمالين والتفصيلين فرق بل فروق . . . فتأمل جيداً .

﴿احاطة علم الله تعالى بما سواه﴾

قال الله تعالى : « لتعلموا ان الله على كل شيء قدير وان الله قد أحاط بكل شيء علماً » الطلاق : ۱۲)

و قال : « و عنده مفاتح الغيب لا يعلمها الا هو و يعلم ما في البر والبحر و ما تسقط من ورقة الا يعلمها ولاحبة في ظلمات الارض ولا رطب ولايابس الا في كتاب مبين و هو الذي يتوفاكم بالليل ويعلم ما جرحتم بالنهار » الانعام : ۵۹ ـ ۶۰)

و قال : « يعلم ما يلج في الارض وما يخرج منها و ما ينزل من السماء وما يعرج فيها ـ عالم الغيب لا يعزب عنه مثقال ذرة في السموات ولا في الارض ولا اصغر من ذلك ولا اكبر الا في كتاب مبين » سباء : ۲ ـ ۳)

في الايات الكريمة تقرير لا حاطة علم الله بما سواه ، و تصوير لحقيقة العلم الالهي و مجالاته . . .

حقاً ان هذه المطارح المترامية الظاهرة والخفية ليست مما يتوجه الفكر البشري إلى إرتيادها على هذا النحو الجميل في غاية الجمال ، و هو في معرض تصوير شمول العلم مهما أراد تصوير هذا الشمول ، ولو ان فكراً بشرياً هوالذي يريد تصوير شمول العلم و احاطته بكل شيء لاتجه اتجاهات اخرى تناسب اهتمامات الانسان و طبيعة تصوراته . . .

فعلينا أن ننظر في تلك الايات القصيرات من أي جانب نريد ، و من أي وجه نشاء ، فنرى هذا الاعجاز الناطق بمصدر هذا القرآن الكريم ، ننظر إليها

من ناحية موضوعها ، فنجزم في وهلة الاولى بان هذا كلام لا يقوله بشر، فليس عليه طابع البشر ، ان الفكر البشرى حين يتحدث عن مثل هذا الموضوع : موضوع شمول العلم و احاطته لا يرتاد ، و هذه الآفاق ان مطارح الفكر البشرى و انطلاقاته في هذا المجال وفي هذا المجال لها طابع آخر، ولها حدود انه ينتزع تصوراته التي يعبّر عنها من اهتماماته .

فما اهتمام الفكر البشرى بتقصّي و احصاء الورق الساقط من الشجر في كل انحاء الارض ، فان المسئلة لا تخطر على بال انسان ابتداء ، ولا يخطر على باله أن يتبع و يحصى ذلك الورق الساقط في أنحاء الارض ، و من ثم لا يخطر له أن يتجه هذا الاتجاه ، ولا أن يعبّر هذا التعبير عن العلم الشامل .

انما الورق الساقط شأن يحصيه الخالق ، و يعبّر عنه الخالق ، و ما اهتمام الفكر البشرى بهذا الاطلاق : « ولا رطب ولا يابس » ان أقصى ما يتجه إليه تفكير البشر هو الانتفاع بالرطب اليابس مما بين أيديهم ، فامّا استحدث عنه كالدليل للعلم الشامل فهذا ليس معهوداً في اتجاه البشر و تعبيراتهم ، كذلك انما كل رطب ، و كل يابس شأن يحصيه الخالق ، و يعبر عنه الخالق ولا يفكر البشر أن يكون كل ورقة ساقطة ، كل حبة مخبوءة ، كل رطب ، و كل يابس في كتاب مبين ، و في سجل محفوظ ، فما شأنهم بهذا ، و ما فائدته لهم ، و ما احتفا لهم بتسجيله ؟

انما الذى يحصيه و يسجله هو صاحب الملك الذى لا يغيب عنه شيء في ملكه: الصغير كالكبير ، والحقير كالجليل ، والمخبوء كالظاهر ، والمجهول كالمعلوم ، والبعيد كالقريب ، وما في السموات كما في الارض ، وما في البحر كما في البرّ ، و ما في الليل كما في النهار . . .

ان هذا المشهد الشامل الواسع العميق الرائع ، مشهد الورق الساقط من شجر الارض كلها ، والحب المخبوء في أطواء الارض جميعها ، والرطب اليابس في أرجاء الارض تمامها ، ان هذا المشهد كما انه لا يتجه إليه الفكر البشرى

واهتمامه ، و كذلك لا تلحظه العين البشرية ، ولا تلم به النظرة البشرية .

ان هذا المشهد انما يتكشف هكذابجملته لعلم الله تعالى وحده ،المشرف على كل شيء ، المحيط بكل شيء ، الحافظ لكل شيء ، الذى تتعلق مشيئته ، و قدره بكل شيء سواءكان صغيراً ام كبيراً ، حقيراً ام جليلاً ، مخبوئاً اوظاهراً، مجهولاً ام معلوماً ، بعيداً او قريباً .

وان الايات القرآنية كل آيةمنها تكفى وحدها لمعرفة مصدر هذاالكتاب الكريم ، و علمه و قدرته و حكمته و كماله و فضله . . .

و علينا النظر فى الايات المتقدمة من ناحية الابداع الفنّى فى التعبير ذاته فنرى آفاقاً من الجمال والتناسق لا تعرفها أعمال البشر على هذا المستوى السابق : « و عنده مفاتح الغيب لا يعلمها الا هو » آماد و آفاق و اغوار فى المجهول المطلق فى الزمان والمكان ، فى الماضى والحاضر والمستقبل ، فى احداث الحياة و تصورات الوجدان « و يعلم ما فى البر والبحر » آماد و آفاق و اغوار فى المنظور على استواء وسعة وشمول ، تناسب فى عالم الشهود والمشهود تلك الاماد والافاق والاغوار فى عالم الغيب المحجوب .

« و ما تسقط من ورقة الا يعلمها » حركة الموت والفناء ، و حركة السقوط والا نحدار من علو إلى سفل ، و من حياة إلى اندثار « ولا حبة فى ظلمات الارض » حركة البزوغ والنماء المنبثقة من الغور إلى السطح ، و من كمون و سكون إلى اندفاع و انطلاق « ولا رطب ولا يابس الا فى كتاب مبين » التعميم الشامل الذى يشمل الحياة والموت ، والاز دهار و الذبول فى كل حىّ على الاطلاق .

فمن ذا الذى يبدع ذلك الاتجاه و هذا الانطلاق ؟ و من ذا الذى يبدع هذا التناسق والجمال ؟ و من ذا الذى يبدع هذا كله و ذلك كله فى مثل هذا النص القصير الا الله تعالى ؟

و آية اخرى فى تصوير العلم الا لهى و هى قوله تعالى : « يعلم مايلج فى الارض . . . » الاية

فينبغى للانسان أن يقف أمام هذه الصفة المعروضة فى كلمات قليلة قصيرة، فاذا هو امام حشد هائل عجيب من الاشياء والحركات و الاحجام والاشكال والصور والمعان و الهيئات لا يصمد لها الخيال ، و لو ان أهل الارض جميعاً وقفوا فى حياتهم كلها يتتبعون و يحصون مايقع لهم لحظة واحدة مما تشير إليه هذه الاية فى لحظة واحدة لا عجزهم تتبعه و احصائه عن يقين .

فكم من شيء فى هذه اللحظة الواحدة يلج فى الارض ؟ و كم من شيء فى هذه اللحظة الواحدة يخرج من الارض ؟ و كم من شيء فى هذه الحظة ينزل من السماء ؟ و كم من شيء فى هذه اللحظة يعرج فيها ؟ كم من شيء يلج فى الارض كم من حبة تختبيء او تخبأ فى جنبات هذه الارض ؟ كم من دودة ، كم من حشرة ، كم من هامة ، و كم من زاحفة تلج فى أقطارها المترامية ؟

كم من قطرة ماء ، كم من ذرة ، كم من غاز ، كم من شعاع ، كم من كهرباء تندس فى الارض فى أرجاءها النسيحة ؟ و كم مما يلج فى الارض ، و كم من عين الله تعالى ساهرة لا تنام ؟ كم يخرج من الارض ؟ كم من نبتة تنبثق ؟ كم من نبع يفور ؟ كم من بركان يتفجر ؟ كم من غاز يتصاعد ؟ كم من مستور يتكشف ؟ كم من حشرة تخرج من بيتها المستور ؟ و كم مما يراه الانسان و مالا يراه ، و مما يعلمه وما يجهله ؟

كم مما ينزل من السماء ؟ كم من قطرة مطر ؟ كم من شهاب ثاقب ؟ كم من شعاع محرق ؟ كم من شعاع منير ؟ كم من قضاء نافذ ؟ كم من قدر مقدور ؟ كم من رحمة تشمل الوجود و تخص بعض العبيد ؟ كم من رزق يبسطه الله تعالى لمن يشاء من عباده و يقدر ؟ كم مما لا يحصيه الا الله تعالى ؟ كم مما يعرج فيها ؟ كم من نفس صاعد من بنات او حيوان او انسان او خلق آخر مما لا يعرفه الانسان ؟

كم من دعوة إلى الله تعالى معلنة او مستسرة لم يسمعها الا الله تعالى فى علاه ؟ كم من روح من أرواح الخلائق التى نعلمها او نجهلها متوفاة ؟ كم من ملك

يعرج بامر من روح الله تعالى ؟ و كم من روح يرف فى هذا الملكوت لا يعلمه الا الله جل و علا ؟ كم من ذرة من بخار صاعدة من بحر ؟ كم من ذرة غاز صاعدة من الاجسام ؟ و كم مما لا يعلمه سوى الله تعالى فى كل لحظة و فى كل آن؟

فأين يذهب علم البشر ، وإحصاء هم لما فى اللحظة الواحدة ؟ ولو قضوا الاعمار الطوال فى العدّ و الاحصاء.

و علم الله تعالى الكامل الهائل اللطيف العميق يحيط بكل شىء فى كل مكان ، و فى كل زمان ، و فى كل قلب و صدر ، و ما فيه من نوايا وخواطر ، و ماله من حركات وسكنات كلها تحت عين الله تعالى ، و هو مع هذا يستر و يغفر.



﴿الله تعالى وعلمه بخفايا الامور﴾

قال الله تعالى : « ان الله لايخفى عليه شيء فى الارض ولا فى السماء ـ قل ان تخفوا ما فى صدوركم او تبدوه يعلمه الله ويعلم مافى السموات وما فى الارض والله على كل شيء قدير » آل عمران : ٥ ـ ٢٩)

وقال : « واعلموا ان الله يعلم ما فى أنفسكم فاحذروه ـ و ان تبدوا ما فى أنفسكم اوتخفوه يحاسبكم به الله » البقرة : ٢٣٥ ـ ٢٨٤)

وقال : « و ان ربك ليعلم ما تكنّ صدورهم وما يعلنون و ما من غائبة فى السماء والأرض الا فى كتاب مبين » النمل : ٧٤ ـ ٧٥)

وقال : « ألا انهم يثنون صدورهم ليستخفوا منه ألا حين يستغشون ثيابهم يعلم ما يسرّون وما يعلنون انه عليم بذات الصدور و ما من دابة فى الارض الاّ على الله رزقها ويعلم مستقرّها ومستودعها كل فى كتاب مبين » هود : ٥ ـ ٦)

وقال : « الله يعلم ما تحمل كل انثى وما تغيض الارحام و ما تزدادو كل شيء عنده بمقدار عالم الغيب والشهادة الكبير المتعال سواء منكم من أسرّ القول ومن جهر به ومن هو مستخف بالليل وسارب بالنهار » الرعد : ٨ ـ ١٠)

وقال : « ان الله عنده علم الساعة و ينزّل الغيث و يعلم مافى الارحام و ما تدرى نفس ماذا تكسب غداً وماتدرى نفس باىّ أرض تموت ان الله عليم خبير » لقمان : ٣٤)

وقال : « يعلم خائنة الاعين وما تخفى الصدور » غافر : ١٩)

وقال : « فاذا نفخ فى الصور نفخة واحدة ـ يومئذ تعرضون لا تخفى منكم

خافية » الحاقة : ١٣ ـ ١٨)

فعلى الانسان أن يذكر دائماً : انه لا يخفى على الله تعالى شيء ، تحذيراً لنفسه من الاغترار باستخفاء معصيته ، وأن يذكر : ان من كان عالماً لذاته كان عالماً بجميع معلوماته ،فلا تخفى عليه خافية فى الحياة الدنيا فيجازى كلاًما عمل فى الاخرة .

و أن يذكر : ان العبد إذا علم ان السلطان أراد على الاطلاع باحواله ، فوكّل جاسوساً فى تحقيق أقواله وأعماله يترك كلما يحتمل أن يكون فيه غضب السلطان ، فكيف يجترى العبد على ما كان بذاته عالماً بالظواهر والنوايا و بالاسرار والخفايا . . . وقد قال الله تعالى : « ولقد خلقنا الانسان ونعلم ماتوسوس به نفسه ونحن أقرب اليه من حبل الوريد » ق : ١٦)

فى معانى الاخبار : باسناده عن محمد بن مسلم قال: سئلت أباعبدالله عليه السلام عن قول الله عزوجل : « يعلم السرّ و أخفى » قال : السرّ ما كتمته فى نفسك ، وأخفى ما خطر ببالك ثم أنسيته .

وفى نهج البلاغة: قال الامام أمير المؤمنين على عليه السلام فى خطبة ـ : «يعلم عجيج الوحوش فى الفلوات ، ومعاصى العباد فى الخلوات ، واختلاف النينان فى البحار الغامرات ، و تلاطم الماء بالرياح العاصفات » النينان : جمع النون أى الحوت .

ومن دعاء النبى الكريم صلى الله عليه وآله وسلم : « اللهم طهّر لسانى من الكذب ،وقلبى من النفاق ، وعملى من الرياء ، و بصرى من الخيانة ، فانك تعلم خائنة الاعين و ما تخفى الصدور » .

وفيه : قال عليه السلام فى خطبة ـ: «الحمدلله الذى بطن خفيات الامور »الخطبة أى يعلم الأمور الخفية الباطنة ، وهذا على ضربين :

أحدهما ـ أن يعلم الأمور الخفية الحاضرة .

ثانيهما ـ أن يعلم الأمور الخفية المستقبلة .

وقد اختلفت الكلمات فى المقام حتى انتهت إلى تسعة أقوال :

الاول : و هو قول المحققين من الشيعة الامامية الاثنى عشرية بان الله تعالى يعلم كل معلوم : الماضى والحاضر والمستقبل ظاهرها وباطنها ، محسوسها وخفيّها ، وان الله جل وعلا عالم بما كان ، وما هوحاضر ، وما سيكون ، و مالم يكن ، إن لو كان كان يكون كقوله تعالى : « و لو ردّوا لعادوا لما نهوا عنه » الانعام : ٢٨)

وهذا علم بامر مقدّر على تقدير وقوع أصله الذى قدعلم انه لايكون .

الثانى : وهو قول الذين زعموا : ان الله سبحانه لايعلم الامور المستقبلة و شبّهوه بكونه مدركا ، فقالوا كما انه لايدرك المستقبلات فكذلك لايعلم المستقبلات ...

الثالث : وهو قول الذين زعموا : ان الله لايعلم الامور الحاضرة ، وشبهوه بكونه قادراً ، فقالوا : لما انه سبحانه لايقدر على الموجود فكذلك لايعلم الموجود .

وهذا القول منسوب إلىمعمر بن عباد السلمى القدرى أحد شيوخ المعتزلة.

الرابع : و هو قول الذين زعموا : ان الله جل و علا لايعلم نفسه خاصّة ، ويعلم كل ماعدا ذاته، وقالوا : ان العالم غير المعلوم ، والشيء لايكون غير نفسه وهذا ايضاً منسوب إلى معمر وأصحابه .

الخامس : وهو قول الذين زعموا : ان الله تعالى لم يكن فيمالم يزل عالماً بشيء أصلاً ، انما أحدث لنفسه علماً ، فعلم به الاشياء .

وهذا قول جهم بن صفوان ، وإليه تنسب الفرقة الجهمية من الجبرية .

السادس: وهو قول الذين زعموا : ان الله سبحانه لا يعلم كل المعلومات على تفاصيلها ، وانما يعلمذلك اجمالا ،وهؤلاء يسمّون المسترسليةلانهم يقولون: يسترسل علمه على المعلومات اجمالا لاتفصيلا .

وهذا مذهب الجوينى من الاشاعرة .

السابع : وهو قول الذين زعموا : ان الله سبحانه يعلم المعلومات المفصلة مالم يفض القول به إلى محال ، وقالوا : ان القول بانه يعلم كل شيء يفضى إلى محال ، وهو أن يعلم ويعلم انه يعلم ، وهلمّ جراً إلى مالانهاية له وكذلك المحال لازم اذاقيل: انه يعلم الفروع ،وفروع الفروع ولوازمها ولوازم لوازمها إلى مالانهاية له.

وقالوا : ومحال اجتماع كل هذه العلوم غير المتناهية في الوجود .

وهذا مذهب أبى البركات البغدادى وأتباعه . . .

الثامن : وهو قول الذين زعموا: ان الله تعالى لايعلم الشخصيات الجزئية، وانما يعلم الكليات التى لايجوز عليها التغيير كالعلم بان كل انسان حيوان ، ويعلم نفسه أيضاً .

وهذا مذهب أرسطو وابن سينا واتباعهما . . .

التاسع : وهو قول الذين زعموا : ان الله جل وعلا لايعلم شيئاً أصلا ، لا كليا ولا جزئياً، وانما وجد العالم عنه لخصوصيّة ذاته فقط من غير أن يعلمه ، كما ان المغناطيس يجذب الحديد لقوة فيه من غير أن يعلم بالجذب .

وهذا مذهب قدماء الفلاسفة .

واما حجة المحققين : على كونه تعالى عالماً بكل شيء فتتّضح بعد اثبات حدوث العالم ، وانه فعله بالاختيار ، فحينئذ لابد من كونه عالماً لانه لولم يكن عالماً بشيء أصلا لماصحّ أن يحدث العالم على طريق الاختيار لان الاحداث على طريق الاختيار ، انما يكون بالغرض والداعي ، وذلك يقتضى كونه عالماً ، فاذا ثبت انه عالم بشيء أفسدوا حينئذ أن يكون عالماً بمعنى اقتضى له العالمية ، أو بامر خارج عن ذاته ، مختاراً كان ام غير مختار ، فحينئذ ثبت لهم انه انما علم لانه هذه الذات المخصوصة لالشيء أزيد منها ، فاذا كان لهم ذلك وجب أن يكون عالماً بكل معلوم ، لان الامر الذى أوجب كونه عالماً بامر ما هو ذاته يوجب كونه عالماً بغيره من الامور لان نسبة ذاته إلى الكل نسبة واحدة

اقول: وبذلك وما قدّمناه سابقاً يظهر فساد أقاويل الآخرين فتدبر واغتنم.

﴿العفو و حقيقته﴾

قال الله تعالى ، « و ان تعفوا و تصفحوا و تغفروا فان الله غفور رحيم » التغابن : ١٤) و قد كثرت الآراء فی واقع العفو ، فلابدلنا من الاشارة إلى أهمها ثم بيان ما يستفاد من الايات الكريمة والروايات الواردة فيه من حقيقته :

فمن الآراء : ان العفو ترك عقوبة الذنب ، والصفح ترك تثريبه .

و منها : العفو : السهولة واليسر كما فى الحديث : « قد عفوت عن صدقة الخيل والرقيق »: أسقطتهاتيسيراً عليكم ، كما ان الله تعالى أسقط وجوب الوضوء حال المرض و فقد الماء .

و منها : العفو : محو الشيء ، يقال : عفت الريح الأثر أی محته ، و منه العفو عن الذنوب أی محو أثرها ، فلم يترتب عليها عقاباً ، و ان العفو أبلغ من المغفرة ، فانها من الغفر و هو الستر ، و ستر الذنب بعدم الحساب و العقاب عليه لا ينافی بقاء أثر خفی له ، و أما العفو فيذهب أثره فيجعله كأن لم يكن بان لا يبقى له اثر فی النفس لا ظاهراً و لا خفياً .

و منها : ان العفوقد يكون فی قبول العذر من المعتذر ، و ترك المؤاخذة بالاسائة ، و قد يكون بمعنى التساهل ، كما أمرالله تعالى رسوله صلى الله عليه وآله وسلم فی قوله « خذ العفو » الاعراف : ١٩٩) أن يأخذ مع الناس بالعفو و هو التساهل فيمابينه صلى الله عليه وآله وسلم و بين الناس ، فالمعنى : خذ ما عفى لك من أفعالهم و اخلاقهم و ما أتى منهم و تسهل من غير كلفة ولا تداقها ولا تطلب منهم الجهد ـ حيث ان الجهد ضد العفو ـ و ما يشق عليهم حتى ينفروا كما قال صلى الله عليه وآله وسلم : « يسروا ولاتعسروا »

ولا ينافي كلا المعنيين ما لصاحب الحق و الديون و غيرها من استيفاء حقه ، و ملازمة صاحبه حتى يستو فيه لان ذلك مندوب اليه دون أن يكون واجباً .

و منها : ان للعفو معنيين :

أحدهما - ايجابي ، و هو يطلق على خالص الشيء و جيّده ، و على الفضل الزائد فيه اومنه ، و على السهل الذى لا كلفة فيه ، و على ما يأتي بدون طلب أو بدون إخفاء و مبالغة في الطلب .

ثانيهما - إزالة الشيء نحو : عفت الرياح الديار ، او ازالة اثر الشيء كالعفو عن الذنب ، و هو منع مايترتب عليه من العقاب ، و كلا المعنيين احسان ورفق يراد منه هنا من ان اصول آداب دين الاسلام و قواعد شرعه اليسر و تجنب الحرج و ما يشق على الناس .

ومنها : العفو رفع التبعة عما وقع من المعصية، وترك العقوبة عليها ، ومثله الصفح والغفران .

ومنها : العفو : أن يستحق حقا فيسقطه ويبرىء من قصاص أو غرامة، وهو غير الحكم و كظم الغيظ .

و منها : للعفو معنيان :

أحدهما - ترك الحق والاغماض عنه كقوله تعالى : « والعافين عن الناس » آل عمران : ١٣٤) و قوله : « و أن تعفوا أقرب للتقوى » البقرة : ١٣٧)

و قوله : « و جزاؤا سيئة سيئة مثلها فمن عفى و أصلح فأجره على الله » الشورى : ٤٠)

ثانيهما - العفو : الصدقة والانفاق المندوبان كقوله تعالى : « و يسئلونك ماذا ينفقون قل العفو » البقرة : ٢١٩)

وغير ذلك من التعاريف التى لم أجد فائدة لذكرها .

و أمّا ما استفدناه من الايات القرآنية والروايات الواردة في الباب :

ان العفو : هو إسقاط العافي حقه و الاغماض عنه عمن كان يجب عليه أدائه

والمؤاخذة عليه ، والعافي قادر على الاستيفاء والمؤاخذة مباشرة ام بواسطة مالم يوجب العفو اغراء المعفو بتجرئة على العافي أو بتضييع حق الغير ، هذا بالنسبة إلى حق العافي شخصه ، و أما بالنسبة إلى حق غيره فرادى او جماعة فيجوز لوليهم العفو من المجرم او المجرمين اذا كان العفو راجحاً على الانتقام لمصالح اجتماعية . . .

في مصباح الشريعة : قال الامام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام : « وتفسير العفو أن لا تلزم صاحبك فيما أجرم ظاهراً ، و تنسى من الاصل ما اصبت منه باطناً ، و تزيد على الاختيارات إحساناً ، ولن يجد إلى ذلك سبيلاً الا من قدعفى الله عنه ، و غفر له ما تقدم من ذنبه و ما تأخر ، و زينه بكرامته ، و ألبسه من نور بهائه ، لان العفو والغفران صفتان من صفات الله عز و جل أودعهما في أسرار أصفيائه ، و ليتخلقوا مع الخلق باخلاق خالقهم ، و جعلهم كذلك قال الله عزوجل « و ليعفوا و ليصفحوا ألا تحبون أن يغفر الله لكم والله غفور رحيم » و من لايعفو عن بشر مثله كيف يرجو عفو ملك جبار .

والعفو سر الله في القلوب : قلوب خواصه ممن يسر له سره ، و كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول : أيعجز أحدكم أن يكون كأبي ضمضم قالوا : يا رسول الله و من أبوضمضم ؟ قال : رجل كان ممن قبلكم كان اذا أصبح يقول: اللهم اني أتصدق بعرضي على الناس عامة .

﴿العفو عند القدرة من كرائم الاخلاق﴾

و قد عدّ العفو عند القدرة في روايات كثيرة من مكارم الاخلاق نشير إلى ما يسعه المقام :

١ ـ في نهج البلاغة قال الامام أمير المؤمنين علي عليه السلام : « اذا قدرت على عدوّك فاجعل العفو عنه شكراً للقدرة عليه »

٢ ـ و فيه قال الامام عليه السلام : « أولى الناس بالعفو أقدرهم على العقوبة »

و في الشرح : و أتى الاسكندر بمذنب فصفح عنه ، فقال له بعض جلسائه : لو كنت و إياك أيها الملك لقتلته ، فقال : فاذا لم تكن إيّاي ، ولا كنت و إياك لم يقتل .

و قالت الحكماء : لذّة العفو أطيب من لذة التشفي والانتقام ، لان لذة العفو يشفعها حميد العاقبة ، و لذة الانتقام يلحقها ألم الندم ، و قالوا : والعقوبة ألأم حالات ذي القدرة و أنادها ، و هي طرف من الجزع .

٣ ـ قال الامام علي عليه السلام : « المبادرة إلى العفو من أخلاق الكرام، والمبادرة إلى الانتقام من شيم اللئام »

٤ ـ في الكافي : باسناده عن عبدالله بن سنان عن أبي عبدالله عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله في خطبة ـ : ألا اخبركم بخير خلائق الدنيا والاخرة ؟ العفو عمن ظلمك ، وتصل من قطعك ، والاحسان إلى من أساء اليك و اعطاء من حرمك.

أقول : قوله صلى الله عليه وآله : « خلائق » جمع خليقة ، وهي الطبيعة والمراد بها الملكات النفسانية الراسخة أي خير الصفات النافعة في الدنيا والاخرة ، ويحتمل أن

يكون جمع الخلق .

٥- فى أمالى الطوسى قدس سره باسناده عن محمد بن على بن الحسين بن زيد عن الرضا عن آبائه عن أمير المؤمنين عليه السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم :عليكم بمكارم الاخلاق ، فان الله عز و جل بعثنى بها ، و ان من مكارم الاخلاق أن يعفو الرجل عمن ظلمه، ويعطى من حرمه ، و يصل من قطعه ، و أن يعود من لايعوده.

٦- و فيه : باسناده عن أحمد بن عيسى قال : قال جعفر بن محمد عليه السلام : انه ليعرض لى صاحب الحاجة فابادر إلى قضائها مخافة أن يستغنى عنها صاحبها، ألا و ان مكارم الدنيا والاخرة فى ثلاثة أحرف من كتاب الله « خذ العفو و أمر بالعرف و اعرض عن الجاهلين » و تفسيره أن تصل من قطعك و تعفو عمن ظلمك و تعطى من حرمك .

٧- قال الامام على عليه السلام : « جمال السياسة العدل فى الامرة والعفو مع القدرة »

٨- فى تفسير البحر المحيط فى قوله تعالى : « خذ العفو و امر بالعرف و اعرض عن الجاهلين» قال الصادق عليه السلام : أمر الله تعالى نبيه صلى الله عليه وآله وسلم بمكارم الاخلاق و ليس فى القرآن آية أجمع لمكارم الاخلاق من هذه الاية .

أقول : و ذلك لان الاخلاق بحسب القوى الانسانية ثلاثة : عقلية ، وشهوية، و غضبية .

و أما العقلية فهى الحكمة ، و منها الامر بالمعروف .

و أما الشهوية فهى العفة ، و منها أخذ العفو .

و أما الغضبية فهى الشجاعة ، و منها الاعراض عن الجاهلين ، و تلك القوى اسس المعاملة الحسنة ، و دعائم الخلق الكامل الذى به يرضى بعض الناس عن بعضهم ، و يرضون عن الله تعالى و يرضى عنهم ، فألسنة الخلق أقلام الحق ، و بهذه الامور تجتمع القلوب النافرة ، والنفوس الهائلة ، فخذما أتى من الناس عفواً لا تكلفهم بما يشق عليهم و يستعصى من الافعال بل كن سمحاً و سهلاً .

٩ - فى نهج البلاغة : قال الامام على عليه السلام : « ان الله سبحانه أدّب نبيّه صلى الله عليه وآله وسلم بقوله : « خذ العفو وامر بالعرف وأعرض عن الجاهلين » فلماعلم انه قد تأدّب قال له : « و انك لعلى خلق عظيم » فلما استحكم له من رسوله ما أحبّ قال : « و ما آتاكم الرسول فخذوه و مانهاكم عنه فانتهوا »

١٠ - فى الدرة الباهرة : قال سيد الشهداء و قائد الاحرار مولانا الحسين بن على عليهما السلام : إن أجود الناس من أعطى من لا يرجوه ، و إنّ أعفى الناس من عفى عند قدرته ، و إنّ أوصل الناس من وصل من قطعه .

١١ - فى نهج البلاغة قال الامام على عليه السلام : « متى أشفى غيظى إذا غضبت أحين أعجز عن الا نتقام ، فيقال لى : لو صبرت ! أم حين أقدر عليه ، فيقال لى : لو عفوت ! »

اقول : أراد الامام عليه السلام بكلامه هذا : انه لاسبيل لى إلى شفاه غيظى عند غضبى ، لانى إما أن أكون قادراً على الانتقام فيصدّنى عن تعجيله قول القائل : لو غفرت لكان أولى ! و إماألاّ أكون قادراًعلى الانتقام فيصدّنى عنه كونىغير قادر عليه فاذن لا سبيل لى إلى الانتقام عند الغضب .

١٢ - و فيهقال الامام عليه السلام : « من أفضل أعمال البر الجواد فى العسر ، و الصدق فى الغضب ، والعفو عند القدرة »

١٣ - و فيهقالالامام عليه السلام : « اذكرعند الظلم عدل الله فيك ، وعندالقدرة قدرة الله عليك »

١٤ - فى وسائل الشيعة : بالاسناد عن زرارة عن أبى جعفر عليه السلام قال : ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اتى باليهودية التىسمّت الشاةللنبى صلى الله عليه وآله وسلم فقال لها : ماحملك علىما صنعت ؟ فقالت : قلت : إن كاننبياً لم يضرّه ، و إن كان ملكاً أرحتالناس منه ، قال : فعفى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عنها .

١٤ - و فيه : بالاسناد عن حمران عن أبى جعفر عليه السلام قال : الندامة على العفو أفضل ، و أيسر من الندامة على العقوبة .

١٥ - وفيه عن الامام الباقر عليه السلام قال: من ألفاظ رسول الله صلى الله عليه وآله الموجزة: عفو الملك أبقى للملك.

١٦ - في معاني الأخبار باسناده عن علي بن الحسن بن علي بن فضال عن أبيه قال: قال الرضا عليه السلام في قول الله عزوجل: «فاصفح الصفح الجميل» قال: العفو من غير عتاب.

١٧ - في الكافي: باسناده عن حمران بن أعين قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: ثلاث من مكارم الدنيا والآخرة: تعفو عمن ظلمك، و تصل من قطعك، و تحلم اذا جهل عليك.

أقول: ورد: ان راهباً دخل على هشام بن عبدالملك فقال للراهب: أرايت ذا القرنين أكان نبياً؟ فقال: لا، و لكنه انما أعطى ما أعطى باربع خصال كن فيه: كان اذا قدر عفى، و اذا وعد وفى، و اذا حدث صدق، ولا يجمع شغل اليوم لغد.

و حكي: ان سارقاً دخل خباء عمار بن ياسر بصفين، فقيل له: اقطعه فانه من أعدائنا، فقال عمار: أستر عليه لعل الله يستر علي يوم القيامة.

وحكي: ان عبد الله بن المقفع كتب إلى صديق له يسئله العفو عن بعض إخوانه «فلان هارب من زلته إلى عفوك لائذ منك بك، و اعلم انه لن يزداد الذنب عظما الا ازداد العفو فضلا»

١٨ - في معاني الأخبار: باسناده عن الثمالي عن الصادق عن آبائه عليهم السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: أولى الناس بالعفو أقدرهم على العقوبة، و أحزم الناس أكظمهم للغيظ.

١٩ - في مصباح الشريعة: قال الصادق عليه السلام: العفو عند القدرة من سنن المرسلين والمتقين.

قال الله تعالى: «إن تبدوا خيراً أو تخفوه أو تعفوا عن سوء فان الله كان عفواً قديراً» (النساء: ١٤٩)

٢٠ - في الكافي: باسناده عن حمران عن أبي جعفر عليه السلام قال: الندامة

على العفو أفضل و أيسر من الندامة على العقوبة .

فى قوله ﷺ : « الندامة على العفو أفضل » وجوه و احتمالات :

أحدها ـ ان صاحب الندامة الا ولى أفضل من صاحب ندامة العقوبة ، وان كانت ندامة العفو أخس .

ثانيها ـ ان يكون الكلام مبنياً على التنز ل أى لو كان فى العفو ندامة فهى أفضل و أيسر ، إذ يمكن تدار كه غالباً بخلاف الندامة على العقوبة ، فانه لا يمكن تدارك العقوبة بعدوقوعها غالباً ، فلا تزول تلك الندامة ، فيرجع إلى أن العفو أفضل ، فانه يمكن إزالة ندامته بخلاف المبادرة بالعقوبة ، فانه لا يمكن إزالة ندامتها وتدار كها

ثالثها ـ أن يقدّ ر مضاف فيهما مثل الدفع او الرفع ، أى رفع تلك الندامة أيسر من رفع هذه .

رابعها ـ أن يكون المعنى : ان مجموع هاتين الحالتين أى العفو والندم عليه أفضل من مجموع حالتى العقوبة والندم عليها ، فلا ينافى كون الندم على العقوبة ممدوحاً ، والندم على العفو مذموماً ، إذ العفو أفضل من ذلك الندم و العقوبة أقبح من هذا الندم .

«المجد والعزة والنصر والظفر فى العفو»

قال الله تعالى : « فاعفوا واصفحوا حتى يأتى الله بأمره ان الله على كل شيء قدير » البقرة : ١٠٩)

وقال : « فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضّوا من حولك فاعف عنهم واستغفر لهم » آل عمران : ١٥٩)

وقال : « ولا تزال تطلع على خائنة منهم الا قليلا منهم فاعف عنهم واصفح ان الله يحب المحسنين » المائدة : ١٣)

روى : ان الامام الحسن بن على عليه السلام سئل : فما المجد ؟ قال : ان تعطى فى الغرم وتعفو عن الجرم . الحديث

فى الكافى : باسناده عن السكونى عن أبى عبدالله عليه السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : عليكم بالعفو ، فان العفو لايزيد العبد الا عزاً فتعافوا يعزّكم الله .

قوله صلى الله عليه وآله وسلم : « لايزيد العبد الا عزاً » أى فى الحياة الدنيا و الاخرة رداً على ما يسوّل الشيطان للانسان بان ترك الانتقام يوجب المذلة بين الناس وجرأتهم عليه ، وليس كذلك ، بل انما يصير العفو سبباً لرفعة قدر العافى ، وعلوّ همته و كرامة شأنه بين الناس ، ولا سيّما اذا كان قادراً على الانتقام ، وانما ترك العفو ينجرّ إلى المعارضات والمجادلات والعداوات وإلى إثارة الفتنة الموجبة لتلف النفوس والاموال كما رأينا فى زماننا هذا . . . وان الانتقام هو الموجب للمذلة وسقوط الدولة . . .

وأما العزة الاخروية فتظهر مما ورد فى هذا الباب .

وقوله صلى الله عليه وآله وسلم : « فتعافوا » التعافي : عفو كل عن صاحبه .

وفيه : باسناده عن جابر عن أبي جعفر عليه السلام قال : ثلاث لايزيد الله بهن المرء المسلم الا عزاً : الصفح عمن ظلمه ، وإعطاء من حرمه ، والصلة لمن قطعه.

وفيه : عن أبي عبدالله عليه السلام قال : ما من عبد كظم غيظاً الا زاده الله عزوجل عزاً في الدنيا والاخرة ، و قد قال الله عزوجل : « والكاظمين الغيظ و العافين عن الناس والله يحب المحسنين » وأثابه الله مكان غيظه ذلك .

قوله عليه السلام : وقد قال الله عزوجل بيان لعز الاخرة لقوله تعالى هذه الاية: « و سارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والارض اعدت للمتقين» آل عمران : ١٣٣)

قوله تعالى : « الكاظمين الغيظ » اى الممسكين عليه ، الكافّين عن امضائه مع القدرة مع كظمت القربة اذا ملاتها ، وشددت رأسها و« العافين عن الناس » أى التاركين عقوبة من استحقوا مؤاخذته ، « و الله يحب المحسنين » يحتمل الجنس، فيدخل تحته هؤلاء ، ويحتمل العهد ، فيكون إشارة إليهم، فكفى عزاً لهم في الاخرة بان بشّر الله لهم بالجنة ، وحكم بانها اعدّت لهم وانه تعالى يحبّهم .

ويحتمل أن يكون تعليلا لعز الدنيا أيضاً بانهم يدخلون تحت هذه الاية ، وهذا شرف في الدنيا أيضاً .

وقوله عليه السلام : « وأثابه الله مكان غيظه ذلك » أى مكان كظم غيظه أى لاجله أوعوضه .

و في أمالي الطوسي قدس سره : عن أبي قلابة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من كظم غيظا ملا الله جوفه ايماناً ، و من عفى عن مظلمة أبدله الله بها عزاً في الدنيا والاخرة .

و في مجالس المفيد رضوان الله تعالى عليه باسناده عن ابن فضّال عن أبي الحسن عليه السلام قال : ماالتقت فئتان قط الا نصرالله أعظمهما عفواً .

و في نهج البلاغة : قال الامام أمير المؤمنين على عليه السلام في خطبة ـ :

« الجود حارس الاعراض ، والحلم فدام السفيه ، والعفو زكاة الظفر »

قوله عليه السلام : « الجود حارس الاعراض » كالقول : كل عيب فالكرم يغطيه.

وقوله عليه السلام : « والحلم فدام السفيه » الفدام : خرقة تجعل على فم الابريق فشبه الحلم بها ، فانه يرد السفيه عن السفه ، كما يرد الفدام الخمر عن خروج القذى منها إلى الكأس .

وقوله عليه السلام : « والعفو زكاة الظفر » كما ورد : أن لكل شيء زكاة ، و زكاة الجاه رفد المستعين ، وزكاة الظفر العفو .

وفي رواية : عن الامام على عليه السلام قال : ان من اعطى من حرمه ، و وصل من قطعه ، وعفى عمن ظلمه ، كان له من الله سبحانه الظهير والنصير .

وقال الشاعر :

و إن قدرت على الاعداء منتصراً فاشكر بعفوك عن أعدائك الظفرا

وكان يقال : ظفر الكريم عفو ، وعفو اللئيم عقوبة .

وفي رواية : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : ثلاث والذى نفسي بيده لو كنت حلافاً لحلفت عليهن : ما نقص مال من صدقة فتصدقوا ، ولا عفا رجل عن مظلمة يبتغي بها وجه الله الا زاده الله بها عزاً يوم القيامة ، ولا فتح رجل على نفسه باب مسئلة الا فتح الله عليه باب فقر .

وفي رواية : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : قال موسى عليه السلام يارب أى عبادك أعز عليك ؟ قال : الذى اذا قدر عفا .

وفي رواية : ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لما فتح مكة طاف بالبيت ، وصلى ركعتين ثم أتى الكعبة، فأخذ بعضادتي الباب ، فقال : ماتقولون وما تظنون ؟ فقالوا: نقول: أخ وابن عم حليم رحيم ـ قالوا ذلك ثلاثا ـ فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : أقول كما قال يوسف : « لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين » فخرجوا كأنما نشروا من القبور فدخلوا في الاسلام .

وفي رواية : عن سهيل بن عمرو قال : لما قدم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مكة وضع

يديه على باب الكعبة والناس حوله فقال : لا اله الا الله وحده لاشريك له صدق وعده ونصر عبده وهزم الأحزاب وحده ، ثم قال : يامعشر قريش ماتقولون؟ وما تظنون ؟ قال : قلت : يا رسول الله نقول : خيراً ونظن خيراً أخ كريم و ابن عم رحيم ، وقد قدرت ، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله : أقول كما قال أخي يوسف :

« لاتثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم »

قال الامام امير المؤمنين علي عليه السلام : « اكرم من ودك واصفح عن عدوك يتم لك الفضل »



﴿عفو الأئمة أهل البيت عليهم السلام درس لنا﴾

في تفسير البحر المحيط: ان عصام بن المصطلق الشامي سب الحسين بن علي عليه السلام أعوذ بالله من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم: «خذ العفو وامر بالعرف ـ إلى قوله تعالى ـ فاذاهم مبصرون»

ثم قال: خفض عليك استغفرالله لي ولك، ودعاله في حكاية فيها طول ظهر فيها من مكارم أخلاقه، وسعة صدره، وحوالة الاشياء على القدر ماصير عصاماً أشد الناس حباً له ولابيه، وذلك باستعماله هذه الاية الكريمة وأخذه بها.

وفيه: عن الحربن قيس ادخل عيينة بن حصين على عمر، فكلم عمر كلاماً فيه غلظة، فأراد عمر أن يهمّ به فتلا الحر هذه الاية: «خذ العفو وامر بالعرف» على عمر، فقررها ووقف عندها.

أقول: فاقض بما أنت قاض بينهما..

و في الخصال: باسناده عن زرارة قال سمعت أباعبدالله عليه السلام يقول: انا أهل بيت مروتنا العفو عمن ظلمنا.

وفي الكافي: باسناده عن علي بن جعفر عن أخيه أبي الحسن موسى عليه السلام قال: أخذ أبي بيدي ثم قال: يابنيّ ان أبي محمد بن علي عليه السلام أخذ بيدي كما أخذت بيدك، وقال: ان أبي علي بن الحسين عليه السلام أخذ بيدي وقال: يابنيّ إفعل الخير إلى كل من طلبه منك، فان كان من أهله فقد أصبت موضعه، وإن لم يكن من أهله كنت أنت من أهله، وان شتمك رجل عن يمينك ثم تحوّل إلى يسارك فاعتذر إليك فاقبل عذره.

وفي الدر المنثور : أخرج البيهقي عن علي بن الحسن عليه السلام ان جارية جعلت تسكب عليه الماء يتهيأ للصلاة . فسقط الابريق من يدها على وجهه فشجه فرفع رأسه إليها ، فقالت : ان الله يقول : « والكاظمين الغيظ » قال : قد كظمت غيظي ، قالت : « والعافين عن الناس » قال : قد عفى الله عنك ، قالت : « والله يحب المحسنين » قال : اذهبي فانت حرة .

اقول: رواه الصدوق في أماليه ، والطبرسي في المجمع و زاد : لوجه الله « بعد فانت حرة » .

وفي احقاق الحق : يروى ان جارية لجعفر بن محمد عليه السلام كانت تصب على يديه الماء فاصاب الابريق جبهته فآلمه شديداً تبينت الجارية ذلك فيه ، فقالت يا مولاي « والكاظمين الغيظ » قال : قد كظمت غيظي ، قالت : « والعافين عن الناس » قال : قد عفوت عنك ، قالت : « والله يحب المحسنين » قال : أنت حرة لوجه الله تعالى ولك ألف درهم .

وفيه : ان رجلا نام بالمدينة من الحاج فتوهم أن هميانه سرق فخرج ، فرأى جعفر الصادق عليه السلام فتعلق به ، وقال : أخذت هياني ، فقال عليه السلام إيش كان فيه ؟ فقال : ألف دينار فأدخله داره ، ووزن له ألف دينار فرجع الرجل إلى منزله ودخل بيته فرأى هميانه في بيته ، وقد كان توهم انه سرق ، فخرج إلى جعفر عليه السلام معتذراً ورد عليه الدنانير ، فابى عليه السلام أن يقبلها ، وقال : شيء أخرجته من يدي لأسترده ، فقال الرجل : من هذا ؟ فقيل : جعفر الصادق عليه السلام

وفي كشف الغمة: روى ان موسى بن جعفر عليه السلام أحضر ولده يوماً ، فقال لهم : يابني اني موصيكم بوصية فمن حفظها لم يضع معها إن أتاكم آت فاسمعكم في الاذن اليمنى مكروها ثم تحول إلى الاذن اليسرى فاعتذر ، و قال : لم أقل شيئاً ، فاقبلوا عذره .

عفو الناس بعضهم عن بعض

وعفو الله تعالى عنهم جميعاً

قال الله تعالى: «وليعفوا و ليصفحوا ألاتحبّون أن يغفر الله لكم والله غفور رحيم» النور: ٢٢)

قال الامام على عليه السلام: «أعط الناس من عفوك وصفحك مثل ماتحبّ أن يعطيك الله سبحانه وعلى عفوه فلا تندم»

وفي الصحيفة السجادية: قال الامام على بن الحسين زين العابدين عليه السلام «اللهم وأيّما عبد نال منّى ماحظرت عليه، وانتهك منى ماحجزت عليه، فمضى بظلامتى ميّتاً، أوحصلت لى قبله حياً، فاغفرله ما ألمّ به منى، واعف له عما أدبر به عني، ولاتقفه على ماارتكب فى، ولا تكشفه عما اكتسب بى، واجعل ما سمحت بهمن العفو عنهم، وتبرّعت به من الصدقة عليهم أزكى صدقات المتصدقين وأعلى صلات المتقربين، وعوّضنى من عفوى عنهم عفوك، ومن دعائى لهم رحمتك حتى يسعد كل واحد منا بفضلك، وينجو كل منّا بمنك»

وفي تحف العقول: وقال أبوحنيفة حججت فى أيام أبى عبدالله الصادق عليه السلام فلما أتيت المدينة، دخلت داره، فجلست فى الدهليز أنتظر اذنه اذ خرج صبى يدرج، فقلت: يا غلام! أين يضع الغريب الغائط من بلد كم؟ قال على رسلك، ثم جلس مستنداً إلى الحائط ثم قال: توق شطوط الانهار، ومساقط الثمار وأفنية المساجد، وقارعة الطريق، و توار خلف جدار وشل ثوبك، ولا تستقبل

القبلة ، و لا تستدبرها ، وضع حيث شئت ، فاعجبني ماسمعت من الصبي فقلت له ما إسمك ؟ فقال : أبا موسى بن جعفر بن محمدبن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب ، فقلت له : ياغلام ممن المعصية ؟

فقال عليه السلام : ان السيئات لاتخلو من إحدى ثلاث إما أن تكون من الله، وليست منه ، فلا ينبغي للرب أن يعذب العبد على مالا يرتكب ، و اما أن تكون منه و من العبد ، وليست كذلك ، فلاينبغي للشريك القوى أن يظلم الشريك الضعيف، واما أن تكون من العبد ، و هي منه ، فان عفا بكرمه وجوده وان عاقب فبذنب العبد وجريرته قال أبوحنيفة : فانصرفت ولم ألق أباعبدالله عليه السلام و استغنيت بما سمعت .

وفي الصحيفة السجادية قال الامام علي بن الحسين عليه السلام : « اللهم إن تشأ تعف عنا فبفضلك ، وإن تشأ تعذّ بنا فبعدلك ، فسهّل لنا عفوك بمنك، وأجرنا من عذابك بتجاوزك ، فانه لاطاقة لنا بعدلك ، ولانجاة لاحد منادون عفوك »

و في شرح الحديد : « وكان موسى بن جعفر عليه السلام يقول في سجوده آخر الليل : إلهي عظم الذنب من عبدك ، فليحسن العفو من عندك .

وفيه : و من الآثار المنقولة : ان الله غضب على امة ، فانزل عليهم العذاب وكان فيهم ثلاثة صالحون ، فخرجوا وابتهلوا إلى الله سبحانه ، فقام أحدهم فقال اللهم انك أمرتنا أن نعتق أرقاءنا و نحن ارقاؤك فاعتقنا ثم جلس ، و قام الثاني فقال : اللهم انك أمرتنا أن نعفو عمن ظلمنا ، وقدظلمنا أنفسنا فاعف عنا ثم جلس وقام الثالث ، فقال : اللهم إنا على ثقة انك لم تخلق خلقاً اوسع من مغفرتك،فاجعل لنا في سعتها نصيباً ، فرفع عنهم العذاب .

و في رواية : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « اذا بعث الله الخلائق يوم القيامة نادى مناد من تحت العرش ثلاثة أصوات : يا معشر الموحدين ! ان الله قد عفا عنكم فليعف بعضكم عن بعض »

و في الدر المنثور: عن ام هاني اخت علي بن ابيطالب عليه السلام قالت : قال

النبى صلى الله عليه وآله وسلم : اخبرك ان الله تبارك وتعالى وتقدس يجمع الاولين والاخرين يوم القيامة فى سعيد واحد ، فمن يدرى أى الطرفين ؟ فقالت : والله و رسوله أعلم ثم ينادى مناد من تحت العرش ! يا أهل التوحيد ، فيشرئبون ، ثم ينادى ! يا أهل التوحيد ، ثم ينادى الثالثة ! إن الله قد عفا عنكم ، فيقوم الناس قد تعلق بعضهم ببعض فى ظلامات الدنيا ، ثم ينادى ياأهل التوحيد يعفو بعضكم عن بعض وعلى الله الثواب .

وفى تحف العقول : فى وصية الامام جعفر بن محمد عليه السلام لابن جندب ـ : يا ابن جندب صل من قطعك ، واعط من حرمك ، واحسن إلى من أساء إليك ، وسلم على من سبك ، وأنصف من خاصمك ، واعف عمن ظلمك ، كما انك تحب أن يعفى عنك ، فاعتبر بعفو الله عنك ألا ترى ان شمسه أشرقت على الابرار والفجار ، و أن مطره ينزل على الصالحين و الخاطئين .

و فى نهج البلاغة : قال الامام على عليه السلام : « اياكم وحمية الاوغاد فانهم يرون العفو ضيماً »



﴿ فيما يجوز العفو عنه ومالا يجوز ﴾

فى نهج البلاغة : قال الامام أمير المؤمنين على عليه السلام : « العفو عن المقر لاعن المصر »

و فى رواية : قال الامام على عليه السلام : المذنب على بصيرة غير مستحق للعفو »

و فى رواية : قال الامام على عليه السلام : « خادع نفسك عن العبادة وارفق بها وخذ عفوها ونشاطها الا ماكان مكتوباً من الفريضة ، فانه لابد من أدائها »

و فى الكافى : باسناده عن ضريس الكناسى عن أبى جعفر عليه السلام قال : لايعفى عن الحدود التى لله دون الامام ، فأما ما كان من حق الناس فى حد ، فلا بأس بان يعفى عنه دون الامام .

وفى وسائل الشيعة : بالاسناد عن سماعة قال : سئلت أباعبدالله عليه السلام عن الرجل يقذف الرجل بالزنا ، فيعفو عنه ، ويجعله من ذلك فى حل ثم انه بعد يبدو له فى أن يقدمه حتى يجلده فقال : ليس له حد بعد العفو .

و فى الفقيه : وجاء رجل إلى أمير المؤمنين عليه السلام فأقر بالسرقة ، فقال له امير المؤمنين عليه السلام : أتقرأ شيئاًمن كتاب الله عزوجل ؟ قال: نعم سورة البقرة قال قد وهبت يدك لسورة البقرة ، فقال الاشعث : أتعطل حداًمن حدود الله تعالى؟فقال: وما يدريك ما هذا ؟ اذا قامت البينة ، فليس للامام أن يعفو ، واذا أقر الرجل على نفسه ، فذاك إلى الامام ان شاء عفا وان شاء قطع .

و فى تحف العقول : عن أبى الحسن الثالث عليه السلام ـ فى حديث ـ قال: وأما الرجل الذى اعترف باللواط فانه لم يقم عليه البينة ، و انما تطوع بالاقرار من

نفسه ، واذا كان للامام الذى من الله أن يعاقب عن الله كان له أن يمنّ عن الله، أما سمعت قول الله : « هذا عطاؤنا فامنن او أمسك بغير حساب »

و في تفسير النعماني: عن الامام أمير المؤمنين عليه السلام قال : و أما الرخصة التى صاحبها فيها بالخيار ، فان الله تبارك وتعالى رخّص أن يعاقب العبد على ظلمه فقال الله تعالى : « جزاء سيئة سيئة مثلها فمن عفى وأصلح فأجره على الله »وهذا هو فيه بالخيار انشاء عفى وإن شاء عاقب .

وفي تفسير التبيان: قال الشيخ قدس سره : ان قوله تعالى : « والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين » يدل على جواز العفو عن المعاصى وإن لم يتب لانه دل على الترغيب فى العفو من غير ايجاب له باجماع المسلمين

وحكى عن هشام بن محمد قال : أتى النعمان ابن المنذر برجلين قد أذنب أحدهما ذنباً عظيماً ، فعفى عنه والآخر أذنب خفيفاً فعاقبه وقال :

تعفو الملوك عن العظيم من الذنوب بفضلها

و لقد تعاقب فى اليسير و ليس ذاك بجهلها

الا ليعرف حلمها ويخاف شدة دخلها

اقول: وفى ذلك من الامر السياسى لابد للحاكم مالايخفى على المتدبر الخبير .

وقال بعض العلماء : الناس رجلان: رجل محسن، فخذ ماعفا لك من إحسانه ولا تكلّفه فوق طاقته ، ولاما يحرجه ،ورجل مسيىء، فمره بالمعروف ، فان تمادى على ضلاله ، واستعصى عليك واستمرّ فى جهله، فاعرض عنه ، فلعل ذلك أن يردّ كيده .

وقال بعض المحققين : ان الحقوق التى تستوفى من الناس وتؤخذ منهم على قسمين :

أحدهما ـ ماتجوز فيه المسامحة والمساهلة .

ثانيهما ـ مالا تجوز فيه المسامحة والمساهلة .

والاول هو المراد بقوله تعالى : « خذ العفو » ويدخل فيه ترك التشدد فى كل ما يتعلق بالحقوق المالية ،وترك الغلظة والفظاظة كما قال : « ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك » ويدخل فيه التخلق مع الناس بالخلق الحسن ليدعوا الناس إلى الدين الحق بالرفق واللطف كما قال تعالى : « وجادلهم بالتى هى احسن »

والثانى هو المراد بقوله تعالى :«وأمر بالعرف » الذى لاتجوز فيه المسامحة لانها توجب تغيير الدين وابطال الحق المبين ، وإن كان يقدم بعض الجاهلين بالايذاء فى ذلك كما نبّه بذلك بقوله تعالى : « واعرض عن الجاهلين » عن سوء اخلاقهم ، وأن لايقابل اقوالهم الركيكة ، ولا افعالهم الخسيسة بامثالها . . .

و فى تفسير الكشاف : يحكى ان رجلا سبّ رجلا فى مجلس الحسن ـ ابن سيرين ـ فكان المسبوب يكظم و يعرق ، فيمسح العرق ثم قام فتلا هذه الاية « ولمن صبر و غفر ان ذلك لمن عزم الامور »فقال الحسن عقلها والله فهمها اذضيعها الجاهلون ، وقالوا : « العفو مندوب اليه » ثم الامر قد ينعكس فى بعض الاحوال ، فيرجع ترك العفو مندوباً إليه ، وذلك اذا احتيج إلى كف زيادة البغى ، و قطع مادة الأذى .

و فى نهج البلاغة : قال الامام على عليه السلام: « العفو يفسد من اللئيم بقدر ما يصلح من الكريم »

﴿العفو و أجره يوم القيامة﴾

قال الله تعالى: « وهو الذى يقبل التوبة عن عباده ويعفوا عن السيئات ويعلم ما تفعلون ويستجيب الذين آمنوا وعملوا الصالحات ويزيدهم من فضله » الشورى: ٢٥-٢٦)

فى نهج البلاغة: قال الامام أمير المؤمنين على عليه السلام: « ينادى مناد يوم القيامة: من كان له أجر على الله فليقم، فيقوم العافون عن الناس، ثم تلا: « فمن عفا وأصلح فأجره على الله »

وفى الدر المنثور: عن أنس بن مالك قال: بينا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم جالس اذ رأيناه ضحك حتى بدت ثناياه، فقال عمر: ما أضحك يا رسول الله؟ قال: رجلان جثيا من امتى بين يدى رب العزة، فقال أحدهما: يا رب! خذلى مظلمتى من أخى، قال الله: أعط أخاك مظلمته قال: يا رب! الم يبق من حسناتى شىء قال: يا رب! يحمل عنى من أوزارى، و فاضت عينا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بالبكاء.

ثم قال: ان ذلك ليوم عظيم: يوم يحتاج الناس الى أن يتحمل عنهم من أوزارهم، فقال الله للطالب: إرفع بصرك، فانظر فى الجنان، فرفع رأسه فقال: يا رب، ارى مدائن من فضة، و قصوراً من ذهب مكللة باللؤلؤ، لأىّ نبى هذا؟ لأىّ صديق هذا؟ لأىّ شهيد هذا؟ قال: هذا لمن اعطى الثمن، قال: يا رب، و من يملك ثمنه؟ قال: انت، قال: بماذا؟ قال: بعفوك عن أخيك، قال: يارب قد عفوت عنه، قال: خذ بيد أخيك، فادخله الجنة.

ثم قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: « اتقوا الله و اصلحوا ذات بينكم » فان الله يصلح

بين المؤمنين يوم القيامة .

و في رواية : عن جابر قال : قال رسول الله ﷺ : ثلاث من جاء بهن مع ايمان دخل من أى أبواب الجنة شاء ، و زوج من الحور العين حيث شاء : من أدى ديناً خفياً ، و قرأ فى دبر كل صلاة « قل هو الله أحد » عشر مرات ، و عفا عن قاتله »

قال الله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص فى القتلى الحر بالحر والعبد بالعبد والانثى بالانثى فمن عفى له من اخيه شيء فاتباع بالمعروف و اداء اليه باحسان ذلك تخفيف من ربكم و رحمة » البقرة : ١٧٨)

و فى جامع الاخبار : قال رسول الله ﷺ : من كظم غيظاً و هو يقدر على أن ينفذه دعاه الله يوم القيامة على رؤس الخلائق حتى يخيّر من أى الحور شاء

وفى أمالى الطوسى : قدس سره باسناده عن الثمالى عن أبى جعفر عن آبائه عليهم السلام قال : قال رسول الله ﷺ : اذا كان يوم القيامة نادى مناد يسمع آخرهم كما يسمع أوّلهم ، فيقول: أين أهل الفضل ؟ فيقوم عنق من الناس فتستقبلهم الملائكة ، فيقولون : ما فضلكم هذا الذى ترد ديتم به ؟ فيقولون : كنا يجهل علينا فى الدنيا فنتحمّل ، و يساء إلينا فنعفو ، قال : فينادى مناد من عند الله تعالى ! صدق عبادى خلّوا سبيلهم ليدخلوا الجنة بغير حساب الخبر .

و فى تحف العقول : سئل الامام على بن موسى الرضا عليه السلام عن خيار العباد فقال ﷺ : الذين اذا احسنوا استبشروا ، و اذا أساؤا استغفروا ، و اذا اعطوا شكروا ، و اذا ابتلوا صبروا ، و اذا غضبوا عفوا .

و فى الكافى : باسناده عن الثمالى عن على بن الحسين عليه السلام قال : سمعته يقول : اذا كان يوم القيامة جمع الله تبارك وتعالى الاولين و الاخرين فى صعيد واحد ثم ينادى مناد : أين أهل الفضل ؟ قال : فيقوم عنق من الناس فتلقاهم الملائكة فيقولون : و ما كان فضلكم ؟ فيقولون : كنا نصل من قطعنا ، ونعطى من حرمنا ، و نعفو عمن ظلمنا ، قال : فيقال لهم : صدقتم ادخلوا الجنة .

قوله عليه السلام : « أهل الفضل » و هم إما أهل فضيلة و كمال و رجحان ، أو أهل تفضل واحسان ، « فيقال لهم » من قبل الله تعالى : « صدقتم » في اتصافكم بتلك الصفات أوفي كونها سبب الفضل أو فيهما معاً .

و من غير ريبة : ان تلك الخصال فضيلة ، و أية فضيلة و مكرمة ، و أية مكرمة لا يدرك كنه شرفها و فضلها ، فان العامل بها يثبت بها لنفسه الفضيلة ، و يرفع بها عن صاحبه الرذيلة ، و يغلب على صاحبه بقوة قلبه يكسر بها عدو نفسه و نفس عدوه .

ان الله تعالى لن يعفو عن الكافرين يوم القيامة اذقال : « لا تعتذروا قد كفرتم بعد ايمانكم إن نعف عن طائفة منكم نعذب طائفة بانهم كانوا مجرمين » التوبة:٦٦)



﴿غرر حكم ودرر كلم فى العفو﴾

فى المقام كلمات قصار عن الامام أمير المؤمنين على عليه السلام نشير إلى نبذة منها:

١- قال على عليه السلام: « العفو فضيلة »

٢- قال عليه السلام: « العفو زكاة الظفر »

٣- قال عليه السلام: « العفو أجل الاحسان »

٤- قال عليه السلام: « العفو زين القدرة »

٥- قال عليه السلام: « العفو يوجب المجد »

٦- قال عليه السلام: « العفو زكاة القدرة »

٧- قال عليه السلام: « العفو أحسن الاحسان »

٨- قال عليه السلام: « العفو يوجب الحمد »

٩- قال عليه السلام: « العفو أحسن الانتصار »

١٠- قال عليه السلام: « العفو تاج المكارم »

١١- قال عليه السلام: « العفو مع القدرة جنة من عذاب الله سبحانه »

١٢- قال عليه السلام: « العفو أعظم الفضيلتين »

١٣- قال عليه السلام: « الفضل انك اذا قدرت عفوت »

١٤- قال عليه السلام: « أعفا كم أنجحكم »

١٥- قال عليه السلام: « أحسن الجود عفو بعد مقدرة »

١٦- قال عليه السلام: « أحسن افعال المقتدر العفو »

١٧- قال عليه السلام: « أولى الناس بالعفو أقدرهم على العقوبة »

١٨- قال عليه السلام: « احسن من استيفاء حقك العفو عنه »

١٩- قال عليه السلام: « أحسن المكارم عفو المقتدر وجود المفتقر »

٢٠- قال عليه السلام: « احسن العفو ما كان عن قدرة »

٢١- قال عليه السلام: « انما المجد أن تعطى فى الغرم وتعفو عن الجرم »

٢٢- قال عليه السلام: « اذا كان الحلم مفسدة كان العفو معجزة »

٢٣- قال عليه السلام: « بالعفو تنزل الرحمة »

٢٤- قال عليه السلام: « خذالعفو من الناس ولاتبلغ من احد مكروهه »

٢٥- قال عليه السلام: « سلوا الله العفو والعافية وحسن التوفيق »

٢٦- قال عليه السلام: « شر الناس من لايعفوعن الزلة ولايستر العورة »

٢٧- قال عليه السلام: « قلة العفوأقبح العيوب والتسرع إلى الانتقام اعظم الذنوب »

٢٨- قال عليه السلام: « كن عفواً فى قدرتك جواداً فى عسرتك »

٢٩- قال عليه السلام: « كما تشتهى عف »

٣٠- قال عليه السلام: « من عفى عن الجرائم فقد أخذ بجوامع الفضل »

٣١- قال عليه السلام: « من عفى خف وزره وعظم عندالله قدره »

٣٢- قال عليه السلام: « من لم يحسن العفو أساء بالانتقام »

٣٣- قال عليه السلام: « ما أحسن العفومع الاقتدار، ماقبح العقوبة مع الاعتذار »

٣٤- قال عليه السلام: « لاتند من على عفوه ولا تبتهجن بعقوبة »

٣٥- قال عليه السلام: « لاشيء أحسن من عفو قادر »

تمت سورة التغابن والحمدلله رب العالمين
وصلوات الله على محمد وآله الطاهرين

سورة الطلاق مدنية وآياتها اثنا عشرة آية

بسم الله الرحمن الرحيم

يا أيها النبي إذا طلقتم النساء فطلقوهن لعدتهن وأحصوا العدة واتقوا الله ربكم لا تخرجوهن
من بيوتهن ولا يخرجن إلا أن يأتين بفاحشة مبينة وتلك حدود الله ومن
يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه لا تدري لعل الله يحدث بعد ذلك أمرا ١
فإذا بلغن أجلهن فأمسكوهن بمعروف أو فارقوهن بمعروف وأشهدوا ذوي عدل منكم وأقيموا
الشهادة لله ذلكم يوعظ به من كان يؤمن بالله واليوم الآخر ومن يتق الله يجعل له مخرجا ٢ و
يرزقه من حيث لا يحتسب ومن يتوكل على الله فهو حسبه إن الله بالغ أمره قد جعل الله
لكل شيء قدرا ٣ واللائي يئسن من المحيض من نسائكم إن ارتبتم فعدتهن ثلاثة أشهر
واللائي لم يحضن وأولات الأحمال أجلهن أن يضعن حملهن ومن يتق الله يجعل
له من أمره يسرا ٤ ذلك أمر الله أنزله إليكم ومن يتق الله يكفر عنه سيئاته و

ويعظم له أجرا ٥ أسكنوهن من حيث سكنتم من وجدكم ولا تضاروهن لتضيقوا
عليهن وإن كن أولات حمل فأنفقوا عليهن حتى يضعن حملهن فإن أرضعن لكم
فآتوهن أجورهن وأتمروا بينكم بمعروف وإن تعاسرتم فسترضع له أخرى ٦ لينفق ذو سعة
من سعته ومن قدر عليه رزقه فلينفق مما آتاه الله لا يكلف الله نفسا إلا ما آتاها
سيجعل الله بعد عسر يسرا ٧ وكأين من قرية عتت عن أمر ربها ورسله فحاسبناها
حسابا شديدا وعذبناها عذابا نكرا ٨ فذاقت وبال أمرها وكان عاقبة أمرها خسرا
٩ أعد الله لهم عذابا شديدا فاتقوا الله يا أولي الألباب الذين آمنوا قد أنزل الله إليكم
ذكرا ١٠ رسولا يتلو عليكم آيات الله مبينات ليخرج الذين آمنوا وعملوا الصالحات من الظلمات إلى
النور ومن يؤمن بالله ويعمل صالحا يدخله جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا قد أحسن الله له رزقا
١١ الله الذي خلق سبع سماوات ومن الأرض مثلهن يتنزل الأمر بينهن
لتعلموا أن الله على كل شيء قدير وأن الله قد أحاط بكل شيء علما ١٢

﴿فضلها و خواصها﴾

روى الصدوق رضوان الله تعالى عليه في ثواب الاعمال باسناده عن أبي بصير عن أبي عبدالله عليه السلام قال: من قرأ سورة الطلاق والتحريم في فريضته (فريضة خ) أعاذه الله من أن يكون يوم القيامة ممن يخاف أو يحزن، و عوفي من النار، و أدخله الله الجنة بتلاوته اياهما، و محافظته عليهما لانهما للنبي صلى الله عليه وآله وسلم.

اقول: رواه الطبرسي في المجمع، والحر العاملي في وسائل الشيعة، والبحراني في البرهان، والحويزي في نور الثقلين، والمجلسي في البحار.

وبالتدبر في السورتين، و خاصة الايات الاربع من سورة الطلاق: ٢ ـ ٣ ٥ ـ ١١) والآيتين من سورة التحريم: ٦ ـ ٨) يظهر مساس السورتين بما ورد في فضلهما.

و في المجمع: عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم انه قال: و من قرأ سورة الطلاق مات على سنة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

اقول: وفي سند الرواية مالايخفى، ولكن متنها يناسب ما يدور عليه السورة، وخاصة ماجاء فيها من الاحكام والحدود...

وفي البرهان: روى عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم انه قال: من قرأ هذه السورة أعطاه الله توبة نصوحاً، واذا كتبت وغسلت ورش ماؤها في منزل لم يسكن فيه أبداً، و إن سكن لم يزل فيه الشر إلى حيث يخلى.

وفيه : وقـال الصادق عليه السلام : اذا كتبت ورش بمائها في مـوضع لم يؤمن من البغضاء و اذا رش بمائها في موضع مسكون فوقع القتال في ذلك الموضع و كان الفراق. كذا .

اقول: ولو سلمنا صحة الروايتين فلتأثير السورة شرائط أهمها الايمان ، وان المؤمن حقاً لن يفعل ذلك الا لضرورة واضطرار.



﴿ الغرض ﴾

تستهدف السورة بيان كليات تشريعات تكميلية وايضاحية لاحكام الطلاق والعدة والرضاع وفيها تفصيل للحالات التى لم يجىء فى غيرها كسورة البقرة التى تضمن بعض أحكام الطلاق، وتقرير لاحكام الحالات المختلفة عن الطلاق من شؤن الاسرة، وللوقت الذى يمكن أن يقع فيه الطلاق على وفق حكمة الهية، ولحق المطلقة وواجبها فى البقاء فى بيت مطلقها فترة العدة لاتخرج ولا يخرجها، ولحقها بعد انقضاء المدة فى الخروج لتفعل بنفسها ماتشاء مالم يرجع اليها زوجها فى فترة العدة ، ولا بعدها بعقد جديد لا ليضادها ، ويؤذيها بهذا الامساك ، ويعطلها عن الزواج بل يعود لحياة الزوجية بينهما بالمعروف .

وفيها إشارة إلى مدة العدة بالنسبة إلى الآيسة التى انقطع حيضها وإلى الصغيرة التى لم تحض بعد وإلى عدة الحامل .

وبيان لاحكام المسكن الذى تسكن فيه المعتدة ، ونفقة ذات الحمل حتى تضع ، و حكم الرضاعة لولد المطلقة حين تضعه، و أجر الام على الرضاعة فى حالة الاتفاق فيها وبين أبيه على مصلحة الولد بينهما ، وفى حالة ارضاعه من اخرى، وحكم النفقة و الأجر فى جميع الحالات تفصيلا ، فجعله تابعاً لحالة الزوج وقدرته

وفيها ترغيب وترهيب فى أمر الطلاق اذ كان أمراً خطيراً ينقطع عروة المودة والرحمة والاسرة حتى الاجتماع .

وفيها عظة وانذار وتبشير وتوكيد وتشديد بالتزام الحدود والتقوى والايمان وصالح العمل والرفق بالمرأة ورعاية الحياة الزوجية التى رسمها القرآن الكريم بنحو العموم ، وهذه السورة بنحو الخصوص .

﴿النزول﴾

سورة الطلاق مدنية ، نزلت بعد سورة الانسان تحقيقاً ، وقبل سورة البينة، وهى السورة المأة نزولا ، والخامسة والستون مصفحاً ، و تشتمل على اثنتى عشرة آية ، سبقت عليها / ٥٧٢٧ آية نزولا ، و / ٥٢١٧ آية مصحفاً على التحقيق .

ومشتملة على / ٢٤٨ كلمة ، وقيل : ٢٤٩ كلمة ، وقيل : ٢٤٠ كلمة ، و قيل : ١٤٧ كلمة ، وعلى / ١٠٢٠ حرفاً ، وقيل: ١٠٧٠ حرفاً وقيل : ١٠٦٠ حرفاً على مافى بعض التفاسير .

ولهذه السورة أسماء ثلاثة :

أحدها ـ سورة الطلاق ، سميت به لما فيها من أحكام الطلاق ، ومايترتب عليه من العدة والنفقة والسكنى والرضاع .

ثانيها ـ سورة النساء القصرى.

ثالثها ـ سورة النساء الصغرى سميت بهما لماجاء فيها من أحكام النساء على سبيل الاقتصار .

فى الدر المنثور : عن أبى سعيد الخدرى قال : نزلت سورة النساء القصرى بعد التى فى البقرة بسبع سنين .

أقول: وقد اختلفت الكلمات فى نزول صدر السورة اختلافاً كثيراً لاتطمئن النفس عندها :

فى أسباب النزول : للواحدى : روى قتادة عن انس قال : طلق رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حفصة ، فانزل الله تعالى هذه الآية: « يا أيها النبى اذا طلقتم النساء فطلقوهن

لعدتهن » الاية ، وقيل له:راجعها فانها صوّامة قوّامة ، وهي من إحدى أزواجك ونسائك في الجنة .

وفى الجامع لاحكام القرآن للقرطبى : « قال الكلبى : سبب نزول هذه الاية غضب رسول الله ﷺ على حفصة لمّا أسرّ إليها حديثاً فـاظهرته لعائشة فطلقها تطليقة فنزلت الاية .

و فى الدر المنثور: عن ابن سيرين فى قوله : « لعل الله يحدث بعد ذلك امراً » قال :في حفصة بنت عمر طلّقها النبى ﷺ واحدة فنزلت : « يا أيها النبى اذا طلقتم النساءَ ـ إلى قوله ـ يحدث بعد ذلك أمراً » قال : فراجعها .

و فى اسباب النزول للسيوطى : عن أنس قال : طلق رسول الله ﷺ حفصة فأتت أهلها ، فانزل الله : « يا أيها النبى اذا طلقتم النساء فطلقوهن لعدتهن فقيل له : راجعها فانها صوّامة قوّامة .

وفيه : عن ابن عباس قال :طلّق عبد يزيد أبوركانة ام ركانة ثم نكح امرأة من مزينة ، فجائت إلى رسول الله ﷺ فقالت : يارسول الله ما عنى ماعنى الا عن هذه الشعرة فنزلت : « ياأيها النبى اذا طلقتم النساء فطلقوهن لعدتهن » وقال الذهبى : الاسناد واه والخبر خطأ فان عبديزيد لم يدرك الاسلام .

وفيه : عن مقاتل فيقوله : « ياأيها النبى اذا طلقتم النساء » الايـة قال : بلغنا انها نزلت فى عبدالله بن عمرو بن العاص ، وطفيل ابن الحارث ، وعمرو بن سعيد بن العاص .

و فى اسباب النزول للواحدى : وقال السدى : نزلت فى عبدالله بن عمر ، وذلك انه طلق امرأته حائضاً ، فأمره رسول الله ﷺ أن يراجعها ويمسكها حتى تطهر ثم حيضة اخرى ، فاذاطهرت طلقها إن شاء قبل أن يجامعها ، فانها العدة التى أمر الله بها .

و فى الجامع لاحكام القرآن للقرطبى :وقد قيل : ان رجالا فعلوا مثل مافعل عبدالله بن عمر منهم عبدالله بن عمرو بن العاص ، وعمرو بن سعيد بن العاص

وعتبة غزوان ، فنزلت الاية فيهم .

قال ابن العربى : وهذا كله و إن لم يكن صحيحاً فالقول الاول أمثل ، و الاصح فيه انه بيان لشرع مبتدأ .

وفيه : ان العدة نزلت فى أسماء بنت يزيد بن السكن الانصارية ، ففى كتاب أبى داود عنها أنها طلقت على عهد النبى صلى الله عليه وآله وسلم ولم يكن للمطلقة عدة ، فانزل الله تعالى حين طلقت اسماء بالعدة للطلاق ، فكانت أول من أنزل الله فيها العدة للطلاق

و فى الجامع لاحكام القرآن للجصاص : روى عن ابن عمر انه طلق امرأته فى الحيض ، فذكر ذلك عمر للنبى صلى الله عليه وآله وسلم فقال: مره فليراجعها وليمسكها حتى تطهر من حيضتها ثم تحيض حيضة اخرى ، فاذا طهرت فليفارقها قبل أن يجامعها اويمسكها فانها العدة التى امر الله ان تطلق لها النساء .

و فى أسباب النزول للواحدى : قوله تعالى : « ومن يتق الله يجعل له مخرجاً و يرزقه من حيث لايحتسب » نزلت الاية فى عوف بن مالك الاشجعى ، وذلك ان المشركين أسروا ابناً له ، فأتى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وشكى إليه الفاقة ، و قال : ان العدو أسر ابنى و جزعت الام فما تأمرنى ؟ فقال النبى صلى الله عليه وآله وسلم : اتق الله واصبر ، وآمرك واياها أن تستكثروا من قول : لاحول ولاقوة الا بالله ، فعادإلى بيته وقال لامرأته: ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أمرنى وإياك أن نستكثر من قول: لاحول ولاقوة الا بالله ، فقالت : نعم ما أمرنابه ، فجعلا يقولان ، فغفل العدو عن ابنه ، فساق غنمهم وجاء بها إلى أبيه ، وهى أربعة آلاف شاة ، فنزلت هذه الاية .

و فى رواية : - بعد نقل ما تقدم - وجعل النبى صلى الله عليه وآله وسلم تلك الاغنام له ، وكان اسم ابن عوف سالماً .

وفيه : عن جابر بن عبدالله قال : نزلت هذه الاية : « و من يتق الله يجعل له مخرجاً و يرزقه من حيث لايحتسب » فى رجل من أشجع كان فقيراً خفيف ذات اليد ، كثير العيال ، فأتى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فسئله فقال : اتق الله و اصبر ، فرجع إلى أصحابه ، فقالوا : ماأعطاك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ؟ فقال : ما أعطانى شيئا ،

قال : اتق الله واصبر ، فلم يلبث الا يسيراً حتى جاء ابن له بغنم ،وكان العدو أصابوه، فأتى رسول الله ﷺ فسئله عنها وأخبرها خبرها، فقال رسول الله ﷺ : إياكها .

و في الدر المنثور : عن سالم بن أبي الجعد قال : نزلت هذه الاية : « ومن يتق الله يجعل له مخرجاً » في رجل من أشجع أصابه جهد وبلاء ،وكان العدو أسروا ابنه ، فاتى النبي ﷺ فقال : اتق الله واصبر ، فرجع ابن له كان أسيراً ، قد فكّه الله فأتاهم ،و قد أصاب أعنزاً فجاء فذكر ذلك للنبي ﷺ ، فنزلت فقال النبي ﷺ : هي لك .

و في الجامع لاحكام القرآن : وقال عبدالله بن رافع: لما نزل قوله تعالى: « ومن يتوكل على الله فهو حسبه » قال أصحاب النبي ﷺ : فنحن اذا توكلنا عليه نرسل ما كان لنا ولا نحفظه ، فنزلت : « ان الله بالغ أمره » فيكم وعليكم.

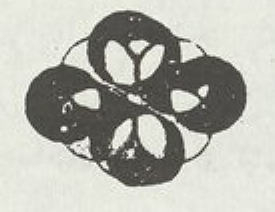
و في أسباب النزول للواحدي في قوله تعالى : « و اللائي يئسن من المحيض من نسائكم »قال مقاتل: لما نزلت«والمطلقات يتربصن بانفسهن»الاية قال خلاد بن النعمان بن قيس الانصارى : يارسول الله فما عدة التي لا تحيض ، وعدة التي لم تحض ، وعدة الحبلى ؟ فانزل الله تعالى هذه الاية .

و في رواية : ان قوماً : منهم ابي بن كعب وخلاد بن النعمان لما سمعوا قوله تعالى : « والمطلقات يتربصن بانفسهن ثلاثة قروء » البقرة : ٢٢٨)

قالوا : يارسول الله فما عدة من لاقرء لها من صغر او كبر ؟ فنزلت:«واللائي يئسن » الاية .

اقول : فعلى هذا فليست لليائسة التي طلقت عدة سواء كانت بعقد دائم او منقطع بل يجوزلها بمجرد الطلاق أن تتزوج بغير زوجها المطلق ، هذا اذا كانت يائستها معلومة، والا فاذا كانت مشكوكة يجب عليها العدة لقوله تعالى: « واللائي يئسن من المحيض من نساء كم ان ارتبتم فعدتهن ثلاثة أشهر »

و فى أسباب النزول للواحدى :عن أبى عثمان عمرو بن سالم قال: لما نزلت عدة النساء فى سورة البقرة فى المطلقة و المتوفى عنها زوجها قال ابى بن كعب: يارسول‌الله ان نساء من اهل المدينة يقلن قدبقى من النساء من لم يذكر فيهاشيء ، قال : وما هو ؟ قال : الصغار و الكبار و ذوات الحمل ، فنزلت هذه الاية : « واللائى يئسن » الاية .



﴿القراءة﴾

قرأ حفص « بالغ أمره » على إضافة اسم الفاعل إلى فاعله ، و حذف المفعول، فالتقدير . أمره بالغ مايريده الله به ، وقد بلغ أمر الله ماأراده .

وقرأ الباقون بتنوين « بالغ » ونصب « أمره » فالمعنى : سيبلغ أمره فيما يريده فيكم ؛ وهذا على سبيل الحكاية .

وقرأ جميع القرّاء « إن ارتبتم » بتفخيم الراء لعروض الكسرة .

وقرأ ابن كثير: « كائن » بالمد والهمزة، والباقون « كأيّن » بالهمزة والتشديد.

وقرأ نافع « نكراً » بضم الكاف ، والباقون باسكانها .

وقرأ ابن عامر و حفص وحمزة « مبيِّنات » بكسر الياء أى يبيّن لكم ما تحتاجون إليه من الاحكام ، والباقون بفتحها أى بينها الله تعالى لقوله : « قد بيّنّا لكم الايات »

و قرأ نافع وأبو جعفر وابن عامر « ندخله » بنون العظمة ، و الباقون بياء الغيبة .

﴿الوقف والوصل﴾

« العدة ج » تعظيماً لامر الاتقاء ، و « ربكم ج » لاتصال المعنى مع عدم العاطف ، و « مبينة ط » لتمام الكلام واستيناف ما بعده ، و « حدود الله ط » لما تقدم، و« نفسه ط » كذلك وهكذا « لله ط » و « الاخر ط » .

« مخرجا لا » لمكان العطف الاتى، و « لايحتسب ط » لتمام الكلام ،و كذلك « حسبه ط » و « بالغ أمره ط » و « أشهر لا » للعطف أى واللائى لم يحضن كذلك و « لم يحضن ط » لتمام الكلام و استيناف ما بعده ، و كذلك « حملهن ط » و « إليكم ط » و « عليهن ط » .

« حملهن ج » لتمام الكلام والفاء ، و« اجورهن ج » لتمام الكلام والعطف و كذلك« بمعروف ج » و « اخرى ط» لتمام الكلام المتقدم والابتداء بالامر الاتى و« سعته ط » لتمام الكلام واستيناف مابعده ،و كذلك « آتاه الله ط » و« آتاها ط» و« يسراً ع» علامة لانتهاء الركوع وهوالحصة اليومية لمن يريد حفظ القرآن فى عامين .

« عذاباً شديداً لا » لفاء التفريع والتهديد ، و « الالباب ز » ان الوصل ههنا والوقف على « آمنوا ج » أجوز من العكس ، و « ذكراً لا » لان مابعده بدل أو عطف بيان اونعت على ما سيأتى فى النحو إنشاء الله تعالى .

« إلى النور ط» لتمام الكلام ، و كذلك« أبداً ط » و« مثلهن ط » و« قدير لا» لمكان العطف الاتى .

« اللغة »

٣٢ ـ الطلاق ـ ٩٣٩

طلق الرجل امرأته يطلقها طلاقاً وطلوقاً ـ من باب نصر ـ : خلّى سبيلها، وطلقت المرأة من زوجها : بانت فهي طالق ، وطلقت الناقة : انحلت من عقالها ، والطالقة من الابل والنعاج : التي ترسل في الحي ترعى جانبها حيث شائت فالفعل لازم ومتعد ويغلب عليه اللزوم .

وطلق الرجل طلقاً ـ من باب علم ـ : تباعد .

وطلق الرجل طلوقة وطلاقة ـ من باب كرم ـ : كان طلق الوجه .

الطلاق : مصدر ، واسم بمعنى التطليق كالسلام بمعنى التسليم قال الله تعالى: « الطلاق مرّتان » البقرة : ٢٢٩)

والاسم من طلّق ـ باب التفعيل ـ : الطلاق وهو إزالة قيد النكاح بغير عوض بصيغة الطالق ، وطلاق المرأة يكون لمعنيين : أحدهما ـ حل عُقدة النكاح .

ثانيهما ـ بمعنى الترك والارسال .

قال الله تعالى : « اذا طلقتم النساء فطلقوهن لعدتهن » الطلاق : ١)

يقال : فلان طلّق زوجه : خلاّها عن قيد الزواج ، وطلّق البلاد :فارقها ، وطلّق القوم : تركهم . . .

وأطلق المرأة : بمعنى طلقها ، وأطلق المواشي : أرسلها إلى المرعى ، و أطلق الاسير : خلّى سبيلها ، وأطلق يده بخير : فتحها به ، و يقال : امرأة طلقة اليدين : سخية ، وأطلق عدوّه ، سقاه سماً ، وأطلق نخلة : لقّحه ، واطلق الناقة

وطلّقها ـ بالتشديد ـ : حلّ عقالها ، فطلقت فهي طالق لاقيد عليها ، و كذلك نعجة طالق ، و كل معني من التخلية والارسال للحيوان والانسان فهو طالق ، وطلّق يده واطلقها عبارة عن الجود .

وأقرب الحسّي من المادة : الطلق ـ بالتحريك ـ : قيد من أدم ، أومن جلود و الحبل الشديد الفتل ، في حديث ابن عباس : « الحياء و الايمان مقرونان في طلق » أي هما مجتمعان لايفترقان كأنهما قدشدّا في حبل اوقيد ، ومنه استعير : طلّقت المرأة : أي مخلاة عن حبالة النكاح ، وطلّق السليم : خلاه الوجع .

ويقال للحلال : طلق أي طالق لاحظر عليه ، وعد الفرس طلقاً او طلقين اعتباراً بتخلية سبيله .

والطليق : فعيل بمعنى مفعول ، وهو الأسير اذا اطلق سبيله جمعه الطلقاء روى : ان رسول الله صلى الله عليه وآله حين فتح مكة قال : « يامعشر قريش ما ترون اني فاعل بكم ؟ قالوا : خير اخ كريم ، وابن اخ كريم قال : اذهبوا فانتم الطلقاء » وكان فيهم معاوية وابوسفيان وعباس وعقيل وأضرابهم . . .

وفي الحديث : « الطلقاء من قريش والعتقاء من ثقيف » كأنه ميّز قريشاً بهذا الاسم حيث هو أحسن من العتقاء .

وفي حديث حنين : « خرج اليها ومعه الطلقاء » هم الذين خلّى عنهم يوم فتح مكة وأطلقهم فلم يسترقهم .

وطلق الوجه وطليق الوجه : اذا لم يكن كالحاً وفي الحديث : « أفضل الايمان أن تكلّم أخاك وأنت طليق » أي ضاحكاً مشرقاً مستبشراً منبسط الوجه وهو ضدّ العبوس وفي حديث آخر : « أن تلقاه بوجه طلق » أي منبسط الوجه متهلّلة . وفي حديث الرحم : « تتكلم بلسان طلق » أي ماضي القول سريع النطق وفي صفة ليلة القدر : « ليلة سمحة طلقة » أي سهلة طيّبة اذا لم يكن فيها حرّ ولا برد يؤذيان .

انطلق الرجل : ذهب ، ومن هنا يجيء المطلق من القول والحكم لما لاقيد

فيه ولا استثناء ، والمطلق : ضد المقيد ، وهو مايدل على كل واحد غيرمعين و في الحديث : « كل شيء لك مطلق حتى يرد فيه نهى » ومقتضاه إباحة كل شيء مالم يبلغ فيه نهى .

انطلق فلان : اذا مر متخلفا قال تعالى : «فانطلقوا وهم يتخافون »
القلم : ٢٣)

وانطلق وجهه : انبسط ، وانطلق لسانه : كان حلقاً وحديد اللسان، ويقال فلان طلق ذلق : ذوحدة ، وفي الدعاء : « واطلق لساني بذكرك » أي لاتحبسه و لاتمنعه عن ذكرك .

طلقت المرأة - مبنى للمفعول - : اذا أخذها المخاض ، والطلق : وجع الولادة ومنه :« سئلته عن المرأة أصابها الطلق ».

رجل طلّيق وطلق ومطلاق ومطليق وطلقة - مبالغات - أى كثير طلاق النساء .

استطلق بطنه : مشى ، وفي الحديث : « ان رجلا استطلق بطنه » أي كثر خروج مافيه يريد الاسهال .

اطّلق الرجل - من باب الافتعال - : انشرح .

في المفردات : أصل الطلاق : التخلية من الوثاق ، يقال : أطلقت البعير من عقاله وطلقته وهو طالق وطلق بلاقيد .

٦٥- الوقاية والتقوى - ١٦٩٨

وقاه يقيه وقياً ووقاية وواقية - واوى الفاء ويائي اللام من باب ضرب - حفظه وصانه ، وستره عن الاذى ، ووقاه الله السوء : حفظه منه ، ووقى الامر: أصلحه و وقاه المكروه : حماه منه وحفظه أن يناله ، يكون ذلك في المكروه الدنيوى من الشر والفساد والأذى والبلاء . . . وفي المكروه الاخروى من الهول والعذاب

والنار . . .

فالماضي . كقوله : « فمن الله علينا و وقانا عذاب السموم » الطور : ٢٧)

والمضارع كقوله: « و من تق السيئات يومئذ فقد رحمته » غافر : ٩)

و وصف الفاعل واق كقوله تعالى : « و مالهم من الله من واق » الرعد :٣٤)

والامر منه قه بزيادة هاء السكت في الوقت ، و بلا هاء جاء في القرآن الكريم كقوله تعالى : « و قنا عذاب النار » البقرة : ٢١)

الوقاية : حفظ الشيء مما يؤذيه و يضرك ، في الحديث : « فوقى أحدكم وجهه النار » أي حفظ أحدكم وجهه النار بالطاعة والصدقة .

اتقى يتقي اتقاء - من باب الافتعال - أصله : إوتقى ، فانقلبت الواو تاءاً فادغمت التاءان .

اتقى الشيء : استقبله ، و جعل بينه و بينه حاجزاً ، يقال : اتقى الفارس السيف بالترس، في حديث الامام علي عليه السلام : « كنا اذا احمر البأس اتقينا برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم » أي اذا اشتد الحرب جعلناه و قاية لنا من العدو.

و اتقاه : تحفظ منه ، وتصون و عمل على ألا يصيبه ضرر منه ، و من ذلك اتقاء الله تعالى ، فهو تجنب عذابه ، و ذلك بالعمل بما أمر الله به و الا نتهاء عما نهى عنه .

قال الله تعالى : « و من يتق الله يجعل له مخرجاً - و من يتق الله يجعل له من أمره يسراً - و من يتق الله يكفر عنه سيئاته » الطلاق : ٢ و ٤ و ٥)

التقوى : اسم بمعنى الاتقاء ، و أصله وقياً ، فابدلت الواو تاء ، و الياء واواً، و قيل : أصله : و قوى فابدلت الواو تاءاً ، و قيل : أصله : تقيا ، فالتاء بدل من الواو ، و الواو بدل من الياء ، والتقوى في لسان الشرع : اتقاء عذاب الله تعالى وذلك بامتثال أوامره ، و اجتناب نواهيه ، و ورد : ان الله أهل التقوى أي أهل أن يتقى و يخاف .

التقوى : جعل النفس في وقاية مما يخاف هذا تحقيقه قال الله تعالى : « و

نفس و ما سوّاها فالهمها فجورها و تقواها » الشمس : ٨)

ثم يسمّى الخوف تارة تقوى ، والتقوى خوفاً حسب تسمية مقتضى الشيء بمقتضيه ، والمقتضى بمقتضاه ، وصار التقوى فى تعارف الشرع حفظ النفس عما يؤثم، و ذلك بترك المحظور .

التقاة : التقوى ، و أصل التقاة وقية ، فقلبت الواو تاءاً ، و الياء ألفاً ، فالتقاة اتقاء الله عزوجل و اتقاء عذابه ، وهى أيضاً ما يخشى و يخاف ، و قد تطلق على اتقاء المكروه من الناس .

قال الله تعالى : « ان تتقوا منهم تقاة » آل عمران : ٢٨) أى الا أن تتقوا ما تخافون من جهنم ، أو تتقوا شرهم اتقاء .

قال تعالى : « أفمن يتقى بوجهه سوء العذاب يوم القيامة » الزمر : ٢٤) لانه اذا ألقى فى النار مغلولة يداه ، فلايتهيأ له أن يتوقى النار الا بوجهه .

التقى : أصله وقوى ، فابدلت الواو الاولى تاءاً والثانية ياءاً ، فصار وصفاً على فعيل للمبالغة ، و قد روعى أخذه من اتقى ، فالتاء فيه مبدلة من واو ، وهو الذى يلزم الطاعة ، ولا يقع فى المعصية ، فيتقى موارد السوء ، و التقى : الخائف الذى يخشى الذى فى الغيب ، و يجتنب المعاصى ، و يتوقى المحرمات . . .

قال الله تعالى : « و حناناً من لدنا و زكاة و كانت تقياً » مريم : ١٣)

جمع التقى : الاتقياء كالولى والاولياء .

الاتقى : افعل تفضيل من التقى ، فهو الاكثر اتقاءاً ، و هو عند الاطلاق فى اتقاء الله تعالى و عذابه .

قال الله تعالى : « ان اكرمكم عند الله اتقاكم » الحجرات : ١٣)

الاتقاء : الامتناع من الردى باجتناب ما يدعو إليه الهوى .

التوقى : التجنب ، و منه قول الامام موسى بن جعفر عليه‌السلام لابى حنيفة : « يتوقون شطوط الانهار »

التوقية : الكلاءة والحفظ والصيانة .

فى المجمع : والتقوى فى الكتاب العزيز جائت لمعان : الخشية والهيبة، و منه قوله تعالى : « و إياى فاتقون » البقرة : ۴۱) والطاعة والعبادة ، و منه قوله تعالى : « اتقوا الله حق تقاته » آل عمران : ۱۰۲) و تنزيه القلوب عن الذنوب و هذه كما قيل : هى الحقيقة فى التقوى دون الاولين قال تعالى : « و من يطع الله و رسوله و يخش الله و يتقه فاولئك هم المفلحون » النور : ۵۲)

و كلمة « التقوى » فسّرت بـ « لا اله الاّ الله » والتقى اسم لمحمدبن على الجواد عليه السلام لانه اتقى الله فوقاه الله شر المأمون لما دخل عليه بالليل ، و هوسكران فضربه بسيفه حتى ظن انه قتله فوقاه الله شرّه .

وفى اللسان : التقية والتقاة بمعنى يريد انهم يتقون بعضهم بعضاً ، ويظهرون الصلح والاتفاق و باطنهم بخلاف ذلك .

۹۵ ـ الحيض ـ ۳۸۳

حاض يحيض حيضاً و محيضاً و محاضاً ـ من باب ضرب نحو باع ـ :سال.

حاضت المرأة : اذانزل عليها دم الحيض ، فسال فى أوقات معلومة ، و اذا سال الدم من غير عرق الحيض فهى مستحاضة ، و ذلك أن يستمرّ بالمرأة خروج الدم بعد أيام حيضها المعتادة . . .

الحيض والمحيض : دم يفرزه الرحم باوصاف خاصة ، و فى أوقات محدودة. قال الله تعالى : « و اللائى يئسن من المحيض من نساء كم ـ و اللائى لم يحضن » الطلاق : ۴)

الحيض: اجتماع الدم ، و به سمّى الحوض لاجتماع الماء فيه .

المحيض والحيض ، ووقت الحيض وموضعه على أن المصدر فى هذا النحو من الفعل يجيء على مفعل نحو : معاش و معاد .

قال الله تعالى : « و يسئلونك عن المحيض قل هو أذى فاعتزلوا النساء فى

المحيض»البقرة : ٢٢٢)

قيل : المحيض يجيىء مصدراً كالمجيىء والمبيت ، واسم زمان و مكان ، فالمحيض الاول مصدر لاغير لعود الضمير إليه بقوله : « هو أذى » أى مستقذر و أما الثانى فيحتمل المصدرية،فيكون فيه تقدير مضاف أى فى زمان الحيض و يحتمل اسم الزمان والمكان فلا يحتاج إلى تقدير مضاف .

الحيضة : المرّة الواحدة من الحيض ، و بالكسر : الاسم من الحيض ، و هى هيئة الحيض التى تلزمها الحائض من التجنب و التحيّض كالجلسة لهيئة الجلوس ، و الحيضة ـ بالكسر أيضاً ـ : الخرقة التى تستثفر بها المرأة.

فى حديث ام سلمة قال صلى الله عليه وآله وسلم لها : « ان حيضتك ليست فى يدك »

فى النهاية : و فى حديث عائشة قالت : « ليتنى كنت حيضة ملقاة » أى خرقة الحيض التى تلقى .

و فى اللسان : قال المبرد : سمّى الحيض حيضاً من قولهم: حاض السيل اذافاض والحياض : دم الحيضة ، والجمع : المحايض .

حيّض الماء :سيّله ،وتحيّضت المرأة : قعدت فى أيام حيضها تنتظر انقطاعه

و فى القاموس وشرحه : للحيض أسماء فوق الخمسة عشر ، قال الزجاج : المحيض فى قوله تعالى : « يسئلونك عن المحيض » المأتى من المرأة لانه موضع الحيض فكأنه قال : اعتزلوا النساء فى موضع الحيض ، ولا تجامعو هن فى ذلك المكان ، والحيضة : النيلة ، والجمع : الحيضات .

والتحييض : التسييل ، والتحييض : المجامعة فى الحيض .

و فى الصحاح : حاضت السمرة حيضاً ، وهى شجرة يسيل منها شىء كالدم.

٤٠ - الرضاعة - ٥٦٨

رضع المولود امه يرضع رضعاً - بسكون الضاد و فتحها و كسرها - و رضاعاً - بفتح الراء و كسرها - و رضاعة بكسر الراء و فتحها - من باب علم في لغة تهامة و باب ضرب في لغة نجد وباب منع - : إمتص لبن ثديها.

و رضع رضاعة - من باب كرم - : لؤم والرضع - محركة - : اللؤم، و الراضع : من تناهي لؤمه، و إن كان في الاصل لمن يرضع غنمه ليلاً لئلا يسمع صوت شخبه، والرضعون : اللئام، و هو يرفع الدنيا و يذمها.

الرضاعة : اسم من الارضاع، قال‌الله تعالى : « لمن أراد أن يتم الرضاعة» البقرة:٢٣٣)

أرضعت الانثى الطفل : جملته يرضعها، فهي مرضعة، و هي ذات اللبن، و إن لم ترضع، قال الله تعالى : « فان أرضعن لكم فآتوهن اجورهن » الطلاق :٦)

و قال تعالى : « يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما أرضعت » الحج : ٢)و جمع المرضعة : مراضع، قال تعالى : « و حرمنا عليه المراضع من قبل » القصص : ١٢)

إسترضع الرجل المراضع أولاده : طلب منهن إرضاعهم، أو طلب المزيد من الرضاع قال تعالى : « و إن تعاسرتم فسترضع له اخرى » الطلاق : ٦)

و قال تعالى : « و إن اردتم أن تسترضعوا اولادكم فلا جناح عليكم »البقرة ٢٣٣) حذف المفعول الاول استغناء عنه أي أن تسترضعوا المراضع اولادكم أو تطلبوا المزيد من الرضاع لهم.

الرضيع : الراضع ، و رضيعتك أخوك من الرضاعة ، قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم « يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب » و فى الحديث : « لارضاع بعد فطام » ان المراد بذلك انه اذا رضع الصبى حولين كاملين ثم شرب بعد ذلك من إمرأة اخرى ماشرب لم يحرم ذلك الرضاع لانه رضاع بعد فطام .

والرضيع ـ عند أكثر الفقهاء ـ الصبى الذى لا يتغذى بالطعام كثيراً بحيث يساوى اللبن ، فلا يضرّ القليل سواء نقص عن الحولين أو بلغهما .

الرضاع : فعّال للمبالغة : الكثير الرضاع واللئيم .

الرضوعة : الشاة ترضع ، و انما لحقتها التاء لا نها بمعنى المرضوعة ، و ارتضعت العنز : شربت لبن نفسها .

الرضع ـ بكسر الراء ـ : شجر ترعاه الا بل ، والرضع ـ متحركة ـ : صغار النحل .

١١ ـ العتو ـ٩٧٦ـ

عتا الرجل يعتو عتواً وعتياً ـ بالضم ـ وعتياً ـ بالكسر ـ من باب نصر نحو دعا ـ : استكبر و تولّى و جاوز الحد .

العتو : مبالغة فى الكبر والكفر والفساد .

و قيل: فى مجاوزة الحد شدة أو طغياناً ، فهو عات، والريح عاتية ، والجمع عتاة و ورد فى معنى الكبر ، و مجاوزة الحد فى قوله تعالى : « عتت عن أمر ربها و رسله » الطلاق : ٨)

عتت الريح : جاوزت مقدار هبوبها ، فافسدت ماهبّتها .

قال تعالى : « و اما عاد فاهلكوا بريح صرصر عاتية » الحاقة : ٦)

و ليل عات شديد الظلمة .

العتو : التجبر والتكبر ، و فى الحديث : « بئس العبد عبد عتا وطغى »

يقال : ملك عات أى قاس القلب ، غير ليّن ، جبار ، شديد الدخول فى الفساد ، متمرّد لا يقبل موعظة ، والعتى : العاتى .

عتا الشيخ : أسنّ و كبر، وهو على حالة لا سبيل إلى اصلاحها ومداواتها قال الله تعالى : « وقد بلغت من الكبر عتيا » مريم : ٨) أى يبساً فى المفاصل .



﴿ النحو ﴾

١- (يا أيها النبى اذا طلقتم النساء فطلقوهن لعدتهن واحصوا العدة واتقوا الله ربكم لاتخرجوهن من بيوتهن ولايخرجن الا أن ياتين بفاحشة مبينة وتلك حدود الله ومن يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه لاتدرى لعل الله يحدث بعد ذلك أمراً)

«يا» حرف نداء و «أيّ» للوصلة ، والهاء تنبيهية ، و « النبى » منادى ، وخوطب النبى صلى الله عليه وآله وسلم لكونه رسول الأمة وإمامهم ، فيصلح لخطابه أن يشمله وأتباعه من امته ، وهذا شايع فى الاستعمال اذيخصّ مقدم القوم وسيدهم بالنداء ويخاطب بما يعمه وقومه .

وقيل : على تقدير : ياأيها النبى قل لهم ، فالخطاب له صلى الله عليه وآله وسلم والمعنى له وللمؤمنين ، وذلك اذا أراد الله تعالى بالخطاب المؤمنين لاطفه صلى الله عليه وآله وسلم بقوله : « ياايها النبى » واذا كان الخطاب باللفظ والمعنى جميعاً له صلى الله عليه وآله وسلم يقول : « يا أيها الرسول » .

« اذا» شرطية للاستقبال ، و « طلقتم » فعل ماض لجمع الخطاب المذكر من باب التفعيل ، و « النساء » مفعول به ، قال الزمخشرى : اللام فى « النساء » للجنس ، وقد علم بقوله : « فطلقوهن لعدتهن » انه مطلق على البعض ، وهن ذوات الاقراء المدخول بهن ، فلاعموم ولاخصوص .

« فطلقوهن » الفاء للجزاء ، ومدخولها فعل أمر لخطاب الجمع المذكر من باب التفعيل ، و « هن » فى موضع نصب ، مفعول به ، و « لعدتهن » متعلق بفعل

الطلاق . قال الجرجاني :اللام بمعنى في كقوله تعالى : « لاول الحشر »الحشر:٢) أى في عدتهن أى في الزمان الذى يصلح لعدتهن ، او للوقت الذى يمكنهن الشروع في العدة ، ولكن الاكثر يقولون : اللام بمعنى عند أى عند اول ما يعتد لهن به وهو قبل الطهر . وقيل : على تقدير زمان أى زمان عدتهن فان الطلاق مقيد بزمان معين فاللام للتوقيت كقولك : كتبته لخمس ليال بقيت من شهر كذا « واحصوا » الواو للعطف و مدخولها فعل أمر لخطاب الجمع المذكر من باب الافعال ، أصله : أحصيوا ـ نحو اكرموا ـ فنقلت ضمة الياء على الصاد بعد حذف كسرها لثقل الضمة على الياء و« العدة » مفعول به ، « واتقوا الله » عطف على ما قبله ، و « ربكم » نعت من « الله » و « لا تخرجوهن » « لا » حرف نهى ، و مدخولها مجزوم بحرف النهى باسقاط نون الجمع لخطاب الجمع المذكر من باب الافعال ، و « هن » في موضع نصب ، مفعول به ، « من بيوتهن » متعلق بفعل الاخراج والبيوت جمع بيت ، قيل : ان الجملة بدل من « اتقوا الله ربكم »

« ولا يخرجن » عطف على ما قبله ،والجملة منهية ، وقيل : منفية والفعل لجمع غيبة المؤنث ، و « الا أن يأتين » استثناء من الجملة الاولى أى الا أن يزنين فيخرجن لاقامة الحد عليهن ، أو الا أن يطلقهن على النشوز ، فان النشوز يسقط حقهن في السكنى ، أو الا أن يبذون فيحل اخراجهن لبذائهن ، و قيل : خروجها قبل انقضاء العدة فاحشة مبينة في نفسه ، و المعنى : ان خرجت فقد أتت بفاحشة مبينة ، وعلى هذا يكون الاستثناء من الجملة الثانية ، و « بفاحشة » متعلق بفعل الاتيان ، و « مبينة » اسم فاعل من باب التفعيل نعت من « فاحشة » .

« وتلك » الواو للاستيناف ومدخولها مبتداء و « حدود الله » خبره، «ومن» الواو للاستيناف ، ومدخولها اسم شرط ، و « يتعد » فعل مضارع من باب التفعل مجزوم بالشرط على حذف الياء ، و« حدود » جمع حد أضيف إلى « الله » مفعول به ، و « فقد » الفاء للجزاء ، ومدخولها للتحقيق ، و « ظلم » فعل ماض و «نفسه» مفعول به والجملة جزاء للشرط .

« لا تدرى » حرف نفى ومدخولها فعل مضارع خطاب للنبى ﷺ و ان الفعل من أفعال القلوب وعلّق من العمل بحرف الترجى « لعل » كقوله تعالى: « وإن أدرى لعله فتنة لكم » الانبياء: ١١١) و« لعل » للترجى ، وقيل : معناها هنا : الاستفهام : و « الله » اسمها : و « يحدث » فعل مضارع من باب الافعال فى موضع رفع : خبرها : و« امراً » مفعول به .

٢ـ (فاذا بلغن أجلهن فامسكوهن بمعروف اوفارقوهن بمعروف وأشهدوا ذوى عدل منكم واقيموا الشهادة لله ذلكم يوعظ به من كان يؤمن بالله واليوم الاخر ومن يتق الله يجعل له مخرجاً)

الفاء للتفريع: ومدخولها للشرط : و « بلغن» فعل ماض لجمع المؤنث الغائب و« أجلهن » مفعول به : و«فامسكوهن » الفاء للجزاء : ومدخولها فعل أمر لخطاب الجمع المذكر من باب الافعال : وضمير الجمع المؤنث فى موضع نصب : مفعول به : على حذف الظرف أى أمسكوهن قبل انقضاء العدة : فالمراد بالامساك: الرجوع إلى الزوجية الاولى . و قيل : أى بعد انقضائها فالمراد بالامساك ليس الرجوع إلى الزوجية الاولى بل الرجوع إلى الزوجية بعقد جديد أو بكونهن فى البيوت حتى يتزوجن بزوج آخر ، « أو » للتخيير ، و « فارقوهن » الفعل : أمر لخطاب الجمع المذكر من باب المفاعلة .والضمير فى موضع نصب ، مفعول به ، و«اشهدوا» فعل أمر ، من باب الافعال و « ذوى » منصوب ، مفعول به اضيف إلى « عدل » و « أقيموا » فعل امر من باب الافعال ، و« ذلكم » فى موضع رفع، مبتداء و« يوعظ» فعل مضارع مبنى للمفعول خبره و« من »موصولة فى موضع رفع نابت مناب الفاعل لفعل الوعظ،و « كان »فعل ناقص ، اسمه ضمير مستتر فيه راجع إلى «من» و « يؤمن » فعل مضارع من باب الافعال فى موضع نصب، خبر لكان والجملة صلة للموصول .

« ومن » الواو للاستيناف ومدخولها اسم شرط ، و « يتق » مجزوم بالشرط و « الله » مفعول به ، و « يجعل » مجزوم على جزاء الشرط ، و « له » متعلق بفعل الجعل ، و الضمير راجع إلى « من » و « مخرجاً » مفعول به .

٣- (ويرزقه من حيث لا يحتسب ومن يتوكل على الله فهو حسبه ان الله بالغ أمره قد جعل الله لكل شيء قدراً)

الواو للعطف، و « يرزقه » عطف على « يجعل » فهو واقع في جواب الشرط و« حيث » مبني على الضم تشبيها بالغايات لملازمتها الاضافة إلى الجملة، و إن الاضافة إلى الجملة كلا اضافة لان أثرها وهو الجر لايظهر، و « لا يحتسب» فعل مضارع منفي بحرف النفي من باب الافتعال، والجملة مضاف إليها، « ومن» الواو للاستيناف ومدخولها اسم شرط، و « يتوكل » فعل مضارع من باب التفعل مجزوم بالشرط، و « على الله » متعلق بفعل التوكل، « فهو » الفاء للجزاء، ومدخولها مبتداء، و« حسبه » خبره، والجملة جزاء الشرط، و« ان » حرف تأكيد، و«الله» اسمها، و « بالغ أمره » خبرها، و « قد » للتحقيق و « قدراً » مفعول بـه لفعل الجعل. قيل: قوله تعالى: « و من يتق الله - إلى - لكل شيء قـدراً » جمل معترضات.

٤- (واللائي يئسن من المحيض من نساءكم ان ارتبتم فعدتهن ثلاثة أشهر واللائي لم يحضن واولات الاحمال اجلهن ان يضعن حملهن و من يتق الله يجعل له من امره يسراً)

الواو للعطف على صدر السورة، و « اللائي » موصولة، جمع التي، مبتداء و « يئسن » فعل ماض لجمع المؤنث الغائب صلة الموصول و « ان » شرطية و « ارتبتم » فعل ماض لخطاب الجمع المذكر من باب الافتعال و « فعدتهن » الفاء جزائية للموصول لانه بمعنى الشرط فمدخول الفاء مبتداء و « ثلاثة اشهر » خبرها والجملة جزائية فليس لحرف الشرط «ان» جزاء، وذلك اذا اجتمع في الكلام شرط وموصول، والجملة الجزائية جزاء لما تقدم منها.

« واللائي لم يحضن » الواو للعطف ومدخولها موصولة، مبتداء، محذوف الخبر أي فعدتهن ثلاثة أشهر، « واولات » الواو للاستيناف واولات جمع «لات» اضيف إلى « الاحمال » وهي جمع الحمل، والمضاف مبتداء، و « اجلهن » مبتداء ثان، و « أن يضعهن حملهن » خبر المبتداء الثاني، وهو وخبره، خبر عن المبتداء

الاول .

و يجوز أن يكون « أجلهن » بدل إشتمال أى و أجل اولات الاحمال ، و يكون « أن يضعن » خبر المبتداء . والباقى ظاهر لما تقدم .

٥ـ (ذلك امرالله انزله اليكم و من يتق الله يكفر عنه سيئاته و يعظم له اجراً)

« ذلك » مبتداء ، و « امر الله » خبره ، و « أنزله » فعل ماض من باب الافعال ، فاعله ، ضمير مستترفيه،راجع إلىالله تعالى ، و ضمير الوصل فيموضع نصب ، مفعول به ، راجع إلى أمر الله ، و« اليكم » متعلق بفعلالانزال ، والجملة نعت من « أمر الله » و الباقي ظاهر لما سبق .

٦ـ (اسكنوهن من حيث سكنتم من وجدكم ولا تضار وهن لتضيقوا عليهن و ان كن اولات حمل فانفقوا عليهن حتى يضعن حملهن فان ارضعن لكم فاتوهن اجورهن و ائتمروا بينكم بمعروف و ان تعاسرتم فسترضع له اخرى)

« اسكنوهن » فعل أمر لجمع المذكر المخاطب من باب الافعال ،وضمير التانيث ، في موضع نصب ، مفعول به ، و « من » لابتداء الغاية ، أى تسببوا فى اسكانهن من الوجه الذى تسكنون ، و دلّ عليه قوله تعالى : « من وجدكم » و هو بدل من « من حيث » باعادة الجار و تقدير مضاف أى أمكنة سعتكم لامادونها و قيل : عطف بيان ، « ولا تضارّوهن » الواو للعطف من باب عطف النهى على الامر ، و « تضارّوا » فعل منهى ، مجزوم باسقاط النون ، خطاب لجمع المذكر من باب التفاعل ، و ضمير جمع المؤنث فيموضع نصب،مفعول به ، و«لتضيّقوا» اللام جارة لنصب الفعل بعدها بأن مقدرة ، والفعل من باب التفعيل ، و« عليهن » متعلق بفعل التضييق .

« و إن » الوا و للاستيناف، و مدخولهاحرف شرط ، و « كن » فعلناقص من « كان » لجمع المؤنثالغائب ، اسمها نون الجمع ، و « اولات حمل » خبرها « فانفقوا » الفاء للجزاء ، و مدخولها فعل أمر من باب الافعال ، جزاء الشرط ، و

« حتى » لانتهاء الغاية ، و« يضعن»منصوب المحل أي حتى أن يضعن ، و «حملهن» مفعول به ، « فان » ألفاء للتفصيل ، و مدخولها شرطية ، و « أرضعن » فعل ماض من باب الافعال لجمع المؤنث الغائب ، « فآتوهن »الفاء للجزاء،و مدخولها فعل أمر من باب الافعال ، و « هن » في موضع نصب ، مفعول به الاول و«اجورهن» جمع أجر ، مفعول ثان ، « اتمروا » عطف على ما قبله ، والفعل للامر من باب الافتعال ، و « تعاسرتم » فعل ماض لجمع المذكر المخاطب من باب التفاعل ، فعل الشرط ، و « فسترضع » الفاء للجزاء ، والسين للتسويف ، والفعل من باب الافعال ، لخطاب المفرد المذكر ، و « اخرى » في محل نصب ، مفعول بها .

٧- (لينفق ذوسعة من سعته و من قدر عليه رزقه فلينفق مما آتاه الله لا يكلف الله نفساً الا ما آتاها سيجعل الله بعد عسر يسراً)

« لينفق » اللام للامر ، ومدخولها مجزوم بها، من باب الافعال و «ذوسعة» فاعل الفعل ، « من » تبعيضية ، وقيل : بيانية « و من قدر » الواو للاستيناف ، و مدخولها اسم شرط ، و « قدر »فعل ماض مبنيّ للمفعول ، فعل الشرط ،و«رزقه» ناب مناب الفاعل، و « فلينفق » الفاء للجزاء ، و مدخولها جزاء الشرط ، و «من» في « مما » للتبعيض ، و « ما » موصولة و « آتاه » فعل ماض من باب الافعال ،و « الله » فاعل الفعل ، والجمله صلة الموصول .

« لا » حرف نفي ، و مدخولها فعل مضارع من باب التفعيل ، منفي بحرف النفي ، و « الله » فاعل الفعل ، و « نفساً » مفعول به ، و « الاّ » للاستثناء ، «وما» موصولة ، و ضمير في« آتاها» في موضع نصب، مفعول بها ، و « بعد عسر »منصوب على الظرفية ، متعلق بفعل الجعل .

٨- (و كاين من قرية عتت عن أمر ربها و رسله فحاسبناها حساباً شديداً وعذبناها عذاباً نكراً)

الواو للاستيناف ، و « كأين » بمعنى « كم » الخبرية التي تفيد التكثير أي و كثير من القرى التي استكبر أهلها ، و « عتت » في موضع جرّ ، نعت من

« قرية » و « و رسله » عطف على « أمر ربها » و « فحاسبناها » الفاء للتفريع ، و مدخولها فعل ماض للتكلم مع الغير من باب المفاعلة ، و ضمير التأنيث فى موضع نصب ، مفعول به،و«حسابا» مفعول مطلق نوعى من هذا الباب ، و«شديداً» نعت من « حسابا » و « وعذبنا » الواو للعطف ، و مدخولها فعل ماض للتكلم مع الغير من باب التفعيل ، و « عذابا » مصدر من هذا الباب نحو ـ سلام ـ مفعول مطلق نوعى ايضاً ، و « نكراً » نعت من « عذابا » والجملة عطف على ما قبلها .

٩ـ (فذاقت وبال أمرها و كان عاقبة أمرها خسراً)

الفاء للنتيجة ، و مدخولها فعل ماض ، فاعله ضمير مستترفيه ، راجع إلى القرية ، و « وبال » مفعول به ، اضيف إلى « أمرها » و « كان الخ » عطف على ما قبلها .

١٠ (أعد الله لهم عذابا شديداً فاتقواالله يا اولى الالباب الذين آمنوا قد أنزل الله اليكم ذكراً)

« أعد » فعل ماض من باب الافعال ، و « الله » فاعله ، و « عذاباً » مفعول به، و « شديداً » وصف من « عذابا » و « فاتقوا » الفاء للنتيجة ، ومدخولها فعل أمر لخطاب الجمع المذكر من باب الافتعال ، و « الله » مفعول به .

« الذين آمنوا » فى موضع نصب ، بدلاً من « اولى الألباب » أونعتاً لهم ،و « قد » فى معنى « اذ » نزل منزلة التعليل لماتقدم ، و « ذكراً » مفعول به .

١١ـ (رسولاً يتلوا عليكم آيات الله مبينات ليخرج الذين آمنوا وعملوا الصالحات من الظلمات الى النور و من يؤمن بالله و يعمل صالحاً يدخله جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها ابداً قد أحسن الله له رزقاً)

فى نصب « رسولاً » وجوه ثمانية :

أحدها ـ منصوب بقوله تعالى : « ذكراً » أى أنزل الله إليكم بأن أذكر رسولاً ، كما نصب « يتيما » فى قوله تعالى : « اواطعام فى يوم ذى مسغبة يتيما » البلد : ٤ ـ ١٥) أى أن اطعم يتيما .

ثانيها - منصوب بفعل مقدر أى أرسل رسولا قال الزجاج : انزال الذكر دليل على إضمار أرسل أى أنزل اليكم قرآناً، وأرسل رسولا .

ثالثها - على تقدير : أنزل الله اليكم ذا ذكر رسولا ، فحذف المضاف ، و يكون «رسولاً» بدلاً منه على أن يكون «رسولا» بمعنى رسالة ، أويكون على بابه ، فيكون محمولا على المعنى كأنه قال : قد أظهر الله لكم ذكراً رسولا ، فيكون من باب بدل الشيء من الشيء وهو هو، وسمّى الرسول ذكراً لانه وسيلة تذكرة بالله تعالى ، والمراد بانزال الرسول بعثه من عالم الغيب و اظهاره لهم من عنده بعد مالم يكونوا يحتسبون . ويحتمل أن يكون نعتاً من «ذكراً»

رابعها - منصوب على الاغراء كأنه قال : اتبعوا رسولا .

خامسها - بيان للذكر على ان الذكر بمعنى الشرف ، ثم بيّن هذا الشرف بقوله «رسولا»

سادسها - أى ذكر أشرف رسول .

سابعها - أى ذكر اذكر رسول .

ثامنها - منصوب بتقدير : أعنى رسولا .

«يتلوا» فعل مضارع لمفرد مذكر غائب ، فاعله : ضمير مستتر فيه، راجع إلى «رسولا» و«آيات» جمع آية ، مفعول بها ، والجملة نعت من «رسولا» وقيل : حال من اسم «الله» جل جلاله ، و«مبينات» حال من «آيات الله» تعالى و «ليخرج» اللام للتعليل ، ومدخولها منصوب بأن مقدرة، وفاعله : ضمير مستتر فيه ، راجع الى الله تعالى ، و «الذين» في موضع نصب ، مفعول به .

«و من يؤمن» الواو للاستيناف ومدخولها : اسم شرط ، و «يؤمن» فعل مضارع من باب الافعال ، فعل الشرط ، و «يعمل صالحاً» عطف على «يومن» و «يدخله» جزاء الشرط ، و «خالدين» حال من معنى «من» و «أبداً» تأكيد للخلود .

ولا يخفى: انه كنّى عن كلمة «من» بالجمع تارة فى قوله تعالى : «خالدين»

بعد ماتكنى عنها بالمفرد فى قوله : « يدخله » ثم كنى عنها ثالثة بالافراد اذقال تعالى : « قد أحسن الله له رزقا »

« قد » بمعنى « اذ » فى موضع التعليل لما تقدم ، و « أحسن » فعل ماض من باب الافعال ، و « رزقاً » مفعول به .

قيل : ان الجملة حال ثانية من « الله » ، وقيل : حال من الضمير فى « خالدين »

١٢- (الله الذى خلق سبع سموات ومن الارض مثلهن يتنزل الامر بينهن لتعلموا ان الله على كل شىء قدير وان الله قد احاط بكل شىء علما)

« الله » مبتداء ، و « الذى » موصولة ، و « خلق » صلتها ، و « سبع » مفعول به ، و « سموات » تمييز للسبع ، والجملة ـ الصلة والموصول ـ خبر المبتداء .

قيل : « من » فى « ومن الارض » زائدة على تقدير : الله الذى خلق سبع سموات ، و الأرض خلقها مثل السموات .

وقيل : ليست « من » زائدة ، فالتقدير : الله الذى خلق سبع سموات ، وخلق من الارض أرضاً مثل السموات .

« مثلهن » عطف بناءاً على النصب ، فالتقدير : وخلق من الارض مثلهن ، و لم يحمله على « خلق » المتقدم لئلا يقع الفصل بين واو العطف والمعطوف بالجار والمجرور ، وأما على الرفع فمستأنف اوعلى الظرف اوالخبر « يتنزّل » فعل مضارع من باب التفعل ، يجوز أن يكون مستأنفاً ، و أن يكون نعتاً لما قبله ، والضمير فى « بينهن » راجع إلى السماوات والارض جميعاً ، والقول برجوعه إلى السموات فقط ، خلاف ظاهر .

« لتعلموا » اللام جارة تعليلية ، و مدخولها : فعل مضارع لجمع المذكر المخاطب ، منصوب بأن مقدرة ، والفعل بعدانسباكه إلى المصدر متعلق بـ « يتنزل » وقيل : متعلق بـ « خلق »

« علما » منصوب على المصدر المؤكد لان « أحاط » بمعنى علم ، وقيل : بمعنى وأن الله أحاط احاطة علماً .

﴿البيان﴾

١ - (يا أيها النبى اذا طلقتم النساء فطلقو هن لعدتهن و احصوا العدة و اتقوا الله ربكم لا تخرجوهن من بيوتهن و لا يخرجن الاأن ياتين بفاحشة مبينة و تلك حدودالله و من يتعدحدود الله فقد ظلم نفسه لاتدرى لعل الله يحدث بعد ذلك امراً)

تخصيص النداء بالنبى صلى الله عليه وآله وسلم مع عموم الخطاب لامته أيضاً لتشريفه صلى الله عليه وآله وسلم واظهار جلالة منصبه، وتحقيق انه المخاطب حقيقة لانه إمام امته وقدوتهم، اظهاراً لتقدمه ورياسته كمايقال : يا فلان ! إفعلوا كيت و كيت ، و لانه حامل الدعوة من الله تعالى إليهم كماتنبىء عنه كلمة النبىء، وانه وحده فى حكم كلهم، وساد مسدّ جميعهم ، ودخولهم فى الخطاب بطريق استتباعه صلى الله عليه وآله وسلم اياهم، وتغليبه عليهم لا لان نداء . كندائهم ، فان ذلك الاعتبار لوكان فى حيّز الرعاية لكان الخطاب هو الاحق به لشمول حكمه للكل قطعاً .

فوجه الخطاب إليه صلى الله عليه وآله وسلم بصفته رئيس المسلمين مع توجيهه إليهم فى الوقت نفسه ، فخوطبوا من الله تعالى فى شخص النبى صلى الله عليه وآله وسلم الذى يتلقى خطاب الله عنهم.

ولم يخاطب باسمه - محمد - تكريماً له من ربه بهذه الملاطفة التى تشير إلى المحبة والقرب من ربه حتى كأنه علم وحده .

و قوله تعالى : « و احصوا العدة » فى الامر باحصاء العدة دلالة على لزوم الاحتياط فى العدة لمحافظة الانساب لئلا تختلط ولا يكون أمرها فوضياً .

و قوله تعالى : « واتقوا الله ربكم » دعوة للرجال خاصة إلى تقوى الله جل و علا فى هذا الموقف بأن لايكون الطلاق عن عدوان ، او انتقام ، او اتباع لشهوة

عارضة ، أو نزوة طارئة و ما اليها . . . و في وصفه تعالى بربوبيته لهم تأكيد و مبالغة في ايجاب الاتقاء .

و **قوله تعالى** : « لا تخرجوهن » تقرير لبعض الاحكام المتعلقة بالطلاق المشتركة بين المرء و زوجه ، بعدأن بيّن ما يختص بالمرء فنهى الرجال عن إخراج مطلقاتهم قبل انقضاء العدة ، بل ينبغي أن يمسكوهن في بيت الزوجية ، فانهن زوجات إلى أن تنقضي العدة . و هذا يقتضي أن يكون حقاً على الازواج .

و **قوله تعالى** : « من بيوتهن » إضافة البيوت إليهن مع كونها لازواجهن لتاكيد النهي ببيان كمال استحقاقهن لسكناها كأنها املاكهن ، حيث ان الزوجية لاتزال قائمة بين الرجل والمرأة في اثناء العدة ، و ان الزوجية ما زالت في بيتها بيت الزوجية ، و هذا من شأنه أن يجعل المسافة النفسية قريبة بينهما ، و أن يكون ذلك داعية إلى اصلاح ذات البين و إزالة أسباب الفرقة .

فالمرأة في أثناء العدة لاتزال في بيتها : بيت الزوجية ، وليست غريبة عنه ، و هي بهذا الشعور تتصرف كما كانت تتصرف قبل ايقاع الطلاق عليها ، و هذا مدخل واسع إلى المصافاة و إصلاح ما بالنفوس ، فليست الاضافة اضافة تمليك .

و **قوله تعالى** : « و لا يخرجن » نهي عن خروجهن أنفسهن ، كما كان سابقه نهياً عن إخراجهن . و هذا يقتضي أن يكون حقاً على الزوجات .

و **قوله تعالى** : « الا أن يأتين بفاحشة مبينة » استثناء من لزوم المكث في البيوت ما اذا دعت الضرورة إلى الاخراج من حدّ الزنا أو السرقة ، او من البذاء و سوء الخلق . . .

و**قوله تعالى** : « و تلك حدود الله » إشارة إلى ماذكر من أحكام الطلاق ، و معنى البعد فيها مع قرب العهد بالمشار إليه للايذان بعلو درجتها وبعد منزلتها .

و **قوله تعالى** : « و من يتعد حدود الله » في الاظهار حيّز الاضمار لتهويل أمر التعدي والاشعار بعلة الحكم في قوله : « فقد ظلم نفسه » و هي قوية نافذة إلى القلوب و العقول معاً ، مع الاشارة إلى تبعة ما تجاوز تلك الحدود .

و قوله تعالى: « لا تدرى لعل الله يحدث بعد ذلك أمراً » مستأنف سيق لتعليل مضمون الشرطية ، و الخطاب للمتعدى بطريق الالتفات لمزيد الاهتمام بالزجرعن التعدى لا للنبى صلى الله عليه وآله وسلم كماتوهم .

فالمعنى : « و من يتعد حدود الله » فقد أضر بنفسه ، فانك لا تدرى أيها المتعدى عاقبة الامر لعل الله يحدث فى قلبك بعد ذلك الذى فعلت من التعدى أمراً يقتضى خلاف ما فعلته ، فيبدل ببغضها محبة ، و بالاعراض عنها اقبالاً إليها ، و يتسنى تلافيه رجعة ، أو استئناف نكاح .

و فى الجملة من انبعاث رغبة المراجعة عند الزوجين ، والعدول عن الطلاق حيث يكون بقاء الزوجة فى بيتها ميسراً لذلك .

٢- (فاذا بلغن أجلهن فامسكوهن بمعروف اوفارقوهن بمعروف واشهدوا ذوى عدل منكم و أقيموا الشهادة لله ذلكم يوعظ به من كان يؤمن با لله واليوم الاخر و من يتق الله يجعل له مخرجاً)

قوله تعالى : « فامسكو هن بمعروف » الامساك كناية عن رجوع الرجال إلى الزوجية الاولى قبل انقضاء عدتهن ، و قيد الامساك بالمعروف كناية عن حسن الصحبة ، و رعاية ما جعل الله تعالى لهن من الحقوق . . . فالمراد من بلوغ الاجل مقاربته لا حقيقته اذ لا رجعة بعد بلوغ الاجل الذى هو انقضاء العدة .

و قوله تعالى: « أوفارقوهن بمعروف » المفارقة كناية عن تركهن ليخرجن من العدة و يبن ، وقيد المفارقة بالمعروف كناية عن احترام الحقوق الشرعية .

و قوله تعالى: « واشهدوا ذوى عدل منكم » خطاب للازواج لا بدلهم من اتخاذ الشهود فى الطلاق نفعاً للقيل والقال ، و فى قيد « منكم » دلالة على ان الاسلام والحرية شرطان فى الشهود كالعدل .

و قوله تعالى: « و أقيموا الشهادة لله » حث للشهود على أداء الشهادة ابتغاء لوجه الله جل و علا من غير شائبة غرض دنيوى ، و لا الطلب لرضا المشهود ، و لا الاشفاق من المشهود عليه .

و قوله تعالى: « ذلكم يوعظ به من كان يؤمن بالله و اليوم الاخر » حث

على أداء الشهادة لله تعالى ، و إيهام إلى أن في الاعراض عن هذه الاحكام او تغييرها خروجاً من الايمان .

و قوله تعالى: « و من يتق الله » اعتراض مؤكد لماسبق من وجوب مراعاة حدود الله جل و علا بالوعد على الاتقاء عن تعدّيها .

٣- (و يرزقه من حيث لا يحتسب و من يتوكل على الله فهو حسبه ان الله بالغ امره قد جعل الله لكل شيء قدراً)

واقع في جواب الشرط بالعطف تقريراً لفوائد اخرى من تقوى الله جل و علا ، و بها تنفيذ أوامره والتزام حدوده ، كما انها ملاك الكرامة عند الله تعالى وبها تنوط سعادة الدارين ، و إيماءاً إلى ان الطلاق في حاجة شديدة إلى فضل التقوى ، و من هنا تكرر ذكرها ، فان الطلاق هو أبغض الحلال إلى الله جل و علا لتضمنه ايحاش الزوجة و قطع الالفة والمودة بين الزوجين .

قوله تعالى : « قد جعل الله لكل شيء قدراً » بيان لوجوب التوكل على الله جل وعلا ، و تفويض الامر إليه لانه اذا علم ان كل شيء من الرزق وغيره لا يكون الا بتقدير الله تعالى لا يبقى له الا التسليم للقدر والتوكل عليه .

٤- (و اللائي يئسن من المحيض من نسائكم ان ارتبتم فعدتهن ثلاثة اشهر واللائي لم يحضن و اولات الاحمال أجلهن أن يضعن حملهن ومن يتق الله يجعل له من أمره يسراً)

تقرير لاحكام ثلاثة للمطلقات باعتبار اختلاف أحوالهن :

أحدها - عدة النساء المطلقات اللاتي انقطع حيضهن بسبب السن اذا كان هناك ارتياب بان الانقطاع لم يكن لهذا السبب ، فعدتهن ثلاثة اشهر . . . :

ثانيها - عدة النساء المطلقات اللاتي انقطع حيضهن ام لم يحضن بالمرة بسبب بنيوي ، فعدتهن أيضاً ثلاثة أشهر . . .

ثالثها - عدة الحاملات ، و هي وضع حملهن ، سواء كن مطلقات ام متوفى عنهن أزواجهن .

ان تسئل : ان الله تعالى علق عدة اللائى يئسن من المحيض ثلاثة أشهر بشكنا مع كون هذه المدة عدتهن سواء شككنا ام لا ؟

تجيب : اريد بالشك الجهل بمقدارعدة الأيسة والصغيرة ، وانما علّقه به لانه لما نزل بيان عدة ذوات الاقراء غير المشكوكة فى سورة البقرة، قال بعض الصحابة : قدبقى الكبار والصغار لا ندرى كم عدتهن ؟ فنزلت هذه الاية لذلك ، فجائت مقيدة بالشك والجهل .

و قوله تعالى: « و من يتق الله » فى تكرار التقوى ترغيب وحث عليها ، توكيد بوجوبها ، و ايماء إلى فضيلتها ، و بيان ما يعود على المتقى من فوائد كبيرة حيث يجعل الله تعالى اليسر فى اموره الدنيوية ، و انها المخرج من كل ضيق يعرض للمرء فى الحياة الدنيا ، فكيف الاخرة ؟

و واضح ان هذا بسبيل تدعيم أوامر الله جل وعلا ، والتزام حدوده المرسومة فى الايات المتقدمة ، و فيه ما هو ظاهر من توكيد العناية الربانية بالمرأة .

و قوله تعالى: « يجعل له من أمره يسراً » إشارة إلى فائدة كبيرة من تقوى الله تعالى على طريق الجزاء .

٥- (ذلك أمر الله أنزله اليكم ومن يتق الله يكفر عنه سيئاته ويعظم له اجرا)

معنى البعد فى الاشارة مع قرب العهد بالمشار إليه للايذان ببعد منزلته فى الفضل .

و قوله تعالى: « يكفّر عنه سيئاته الخ » دعوة عامة إلى تقوى الله تعالى والتزام حدوده على سبيل تقرير الجزاء الاخروى للمتقى بعد ما اشير بمرات إلى فوائد كبيرة دنيوية . . .

٦- (اسكنوهن من حيث سكنتم من وجدكم و لا تضاروهن لتضيقوا عليهن وان كن اولات حمل فانفقوا عليهن حتى يضعن حملهن فان ارضعن لكم فاتوهن اجورهن و اتمروا بينكم بمعروف و ان تعاسرتم فسترضع له اخرى) .

مستأنف بيانى ، قطع جوابا عن سؤال نشأعما قبله من الحث على التقوى كانه قيل : كيف نعمل بالتقوى فى شأن المعتدات ؟ ..

و فى الاية بيان لاحكام ستة تتعلق بسكنى المطلقات و بنفقاتهن وبالرضاعة على طريقى الشرط والجزاء ، والاطلاق والتقييد :

أحدها ـ الامر باسكان المطلقات فى زمن العدة حسب الامكان الذى يكون للازواج .

ثانيها ـ النهى عن مضار تهن قولاً و فعلاً بقصد التضييق عليهن ليتر كن بيوتهن .

ثالثها ـ الامر بالانفاق عليهن ان كنّ حاملات إلى أن يضعن حملهن .

رابعها ـ الامر باعطائهن أجر الرضاعة اذا أرضعن المولود .

خامسها ـ الامر بكون الاجر حسب التراضى والتشاور بين الازواج والمطلقات لئلا يضرّ على المولود .

سادسها ـ لو تعسّر الاتفاق بين الازواج و المطلقات على الرضاعة فلآباء أن يتخذوا مرضعات اخرى ، فلا اكراه عليهن عليها ، ولا حرمه لهم على ذلك.

ان تسئل : اذكانت النفقة للمطلقة طلاقاً بائناً واجبة عند بعض العلماء ، فما فائدة ذكر « و ان كن اولات حمل فانفقوا عليهن » عند ذلك القائل ؟

تجيب : فائدته أن لا يتوهم انه اذ طالت مدة الحمل بعد الطلاق حتى مضت مدة عدة الحائل سقطت النفقة ، فنفى هذا الوهم بقوله : « حتى يضعن حملهن »

و قوله تعالى: « فان ارضعن لكم فاتوهن اجورهن » أمر للازواج بان يقوموا باداء النفقة المناسبة لمطلقاتهم اذا قمن بارضاع ماولدن لهم من اولاد . .

و فى تسمية ما يقدم للمطلقة من نفقة على الرضيع أجراً إشارة إلى أن الاب هو المتكفل بالانفاق على الولد دون الام و ان الام مع وجود الاب تعتبر كالا جنبية حال طلاقها ، و من هنا كان استحقاقها للاجر لانه فى مقابل عمل للاب تستوفى عليه الاجر منه .

قوله تعالى: «و ان تعاسرتم فسترضع له اخرى» فيه عتاب على الام للتعاسر كما يقال لمن يطلب منه حاجة، و هو يتوانى فى قضائها: سيقضيها قاض، يريد ان الحاجة لا تبقى غير مقضية، و انت ملوم.

و أما تخصيص الام بالعتاب، فان المبذول من جهتها هو لبنها لولدها، و هو ليس بمال، ولا مما يضن به عرفاً، ولا سيما من الام، والمبذول من جهة الاب هو المال، و هو به ضنين عادة، فالام حينئذ أجدر باللوم و أحق بالعتب.

فاذا لم يقع بين الرجل و مطلقته اتفاق على أن تقوم الام بارضاع الولد، سواء كان ذلك التعاسر والتشاد من جهة الام اومن ناحية الأب فان الوليد يجب أن يكفل له حقه، و أن تحفظ عليه حياته.

و ذلك بان يجد له الأب مرضعةاخرى غير امه فان لم يكن ذلك ميسوراً، او لم يقبل ثدياً غير ثدى امه ألزمت الام بارضاع طفلها، و ألزم الاب باداء النفقة او الأجر المناسب للام...

و فى اسناد التعاسر إلى الابوين - و ان كان ذلك من أحدهما - اشارة إلى ان هذا التعاسر الذى وقع هو محسوب عليهمامعاً.. لانه اذا كان التعنت والتشدد من أحدهما، فانه كان من الممكن - لو تلطف الطرف الاخر و حاسن و لم يلق التعنت بالتعنت - كان من الممكن ان يتم الاتفاق، و يقع التياسر بينهما، ولذلك فهما شريكان فى العاسر الذى يقع بينهما.

٧- (لينفق ذوسعةمن سعته و من قدر عليه رزقه فلينفق مما آتاه الله لا يكلف الله نفسا الاما آتاهاسيجعل اللهبعد عسر يسراً)

تقرير لمقدار الانفاق على سبيل أمر الازواج بانفاق المطلقات، كل على قدر امكانياته بأن تكون النفقة متناسبة مع حال الزوج مالية، سعة وضيقاً، فذو السعة لابدله من الانفاق حسب وسعه، و من كانت حالته ضيقة، فينفق على ضيقه، فان الله جل وعلا لا يكلف أحداً الا ما يسّر له و أمكنه.

قوله تعالى: «لا يكلف اللهنفساً الا ما آتاها» تطييب لقلب المعسر، و

ترغيب له فى بذل مجهوده ، ونفى حرج من الشريعة الاسلامية والتكاليف الالهية ومنها انفاق المطلقة .

و قوله تعالى : « سيجعل الله بعد عسر يسراً » وعد وبشرى وتسلية من الله للمضيق عليهم فى الرزق بان هذا الضيق إلى سعة ، وان هذا العسر إلى يسر، فعلى الاب أن يتحمل هذا الضيق ، وألا يضيق به ثم ألا يحمله الضيق على أن يلتوى فى سلوكه ازاء الانفاق على ولده الرضيع ، اويتحلل من هذا الواجب المفروض عليه

وفى الجملة ايضاً إفساح الرجاء للزوجين على السواء ، وترغيب للزوج فى التزويج بان لايدع البيت منهدماً بعد طلاق زوجته ، ولايتركها بعدها بلانفوس ولا حياة .

ان تسئل: كيف قال الله تعالى هنا : « سيجعل الله بعد عسر يسراً » وقد قال فى سورة الانشراح : « ان مع العسر يسراً » : ٦) فكيف التوفيق بينهما ؟

تجيب : أن المراد بقوله : « مع » بعده لان الضدين لايجتمعان .

٨ـ (وكاين من قرية عتت عن امر ربها ورسله فحاسبناها حساباً شديداً وعذبناها عذاباًنكرا)

توكيد و تشديد فى وجوب تقوى الله تعالى و موعظة بالتزام حدوده التى بلغهارسوله للمؤمنين فى أحكام الطلاق، والعدة والرضاع والرفق بالمرأة ورعاية حقوقها ، والحرص على الرابطة الزوجية .

ومن شأن الاية،وما يليهاأن تنفذ إلى نفس المؤمن نفوذاً قوياً ، وفيهادلالة مؤيدة للدلالات السابقة الكثيرة على مـا أعاره القرآن لموضوع المرأة والحياة الزوجية مـن عناية كبرى ، وتلقين بان يكون القرآن الكريم اسوة المؤمن ونبراسه فى هذا الموضوع الخطير.

قيل: وفى ايثار الماضى دلالة على تحقق وقوع المحاسبة والعذاب والهلاك والدمار بالنسبة إلى الطغاة الاخرين كما تحققت على العصاة الاولين ، وان المراد بالقرية أهلها على سبيل المجاز . وقيل : هذا بالنسبة إلى أنفسهم .

و في الاية اشارة إلى انهم كفروا بما أمرهم الله تعالى من الاحكام الشرعية، و من التكاليف الالهٰية ، و بمانهاهم عنه ، و كفروا كفراً آخر برسله بتكذيبهم في دعوتهم .

قوله تعالى : « فحاسبناها حساباً شديداً و عذبناها عذاباً نكرا » في نكتة الالتفات من الغيبة إلى التكلم مع الغير دلالة على العظمة .

٩- (فذاقت وبال أمرها و كان عاقبة أمرها خسراً)

إشارة إلى تبعة العصيان الدنيوية من الهلاك والدمار بعدأن اشير إلى وخيم عاقبته الاخروية من النار والعذاب ، و قدّمها لكونها أشدّ و أدهى و أهم .

١٠- (أعد الله عذاباًشديداً فاتقواالله يا اولى الالباب الذين آمنوا قد انزل الله اليكم ذكراً) .

تكرير للوعيد ، و توكيد وبيان لكونه مترقباً على كل من سلك مسلكهم فكأنه قال : أعدّ الله لهم لهؤلاء العصاة هذا العذاب الاليم ، فاحذروا أيها المتقون

قوله تعالى : « فاتقوا الله يااولى الالباب » إلفات لا هل العقول و أصحاب البصائر أن لهم مزد جراً من هذا الذى حلّ بالعصاة المعتدين من نقم الله تعالى في الحياة الدنيا ، و من عذابه في الاخرة ، فعلى من له عقل ولبّ و بصيرة أن يتقى و يلتزم حدود الله جل و علا حتى لا يحل به ما حلّ بهم .

و **قوله تعالى** : « الذين آمنوا » في تخصيص المؤمنين بالذكر دلالةعلى انهم المنتفعون بذلك دون غيرهم من الكافرين و أدنا بهم المنافقين ، كما أشار سابقاً إلى أن لهم عقولاً تدعوهم إلى الاعتبار ، و إلى تلقى العظة مما وقع على غيرهم قبل أن ينزل بهم،فالمؤمن هو العاقل الذى يتعظ بغيره قبل أن يكون هو عظة لغيره .

١١- (رسولاً يتلوا عليكم آيات الله مبينات ليخرج الذين امنوا و عملوا الصالحات من الظلمات الى النور ومن يومن بالله و يعمل صالحا يدخله جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها أبداً قد احسن الله له رزقاً)

تعليل لانزال الذكر، و ارسال الرسول ﷺ و تذكير لوظيفة الرسول ﷺ من اخراج الناس بما يتلوه عليهم الآيات من الذكر المنزل عليه من الظلمات إلى النور، و من الفوضى إلى النظام وأهابت بهم إلى تقوى الله جل وعلا و فى تشبيه الايمان بالنور ايماء إلى ان الايمان هو الذى يؤدى إلى نور الفطرة.

أن تسئل: من آمن بالله تعالى فقد خرج من الظلمات إلى النور، فعلى هذا، كان حق الكلام أن يقال: ليخرج الذين كفروا.

تجيب: لعل المراد بالماضى أن يكون مستقبلا فالمعنى: ليخرج الذين يؤمنون من ظلمات الكفر إلى نور الفطرة، او يكون معناه: ليخرج الذين آمنوا من ظلمات تحدث لهم بعد ايمانهم.

و فى الاية وعد جميل و تبشير لمن يلتزم بأوامر الله تعالى و حدوده بنعيم الجنة و كريم الاجر و حسن الرزق، و قوله تعالى: «قد أحسن الله له رزقاً» فى وصف نعيم الجنة بذلك مبالغة و تعظيم و تعجب.

١٢ـ (الله الذى خلق سبع سموات و من الارض مثلهن يتنزل الامر بينهن لتعلموا ان الله على كل شيء قدير وان الله قد أحاط بكل شئ علما)

عرض لعظمة قدرة الله جل و علا، وتقرير لبسط سلطانه على هذا الوجود و بيان لاحاطة علمه بكل شيء، و مطلق تصرفه فى هذا العالم و فيما لا نعلم، يتأكد بذلك كله ما تقدم من حديث ربوبيته تعالى و انزاله ذكراً، و ارساله رسولاً، ليخرج من استضئ بنوره من ظلمات الجهل إلى نور الفطرة والعلم، فعلى كل انسان ان يستضيىء بنوره و يطيعه فى حدوده، فان فى مجاوزة الحدود هلاكاً و دماراً فى الحياة الدنيا، و عذاباً و ناراً فى الاخرة.

و فى إفراد الارض و جمع السموات وجوه أهمها وجهان:

أحدهما ـ لثقل جمع الارض، و هو أرضون بخلاف السماء.

ثانيهما ـ لنكتة، و هى انه حيث اريد العدد أتى بصيغة الجمع الدالة على

سعة العظمة و الكثرة نحو : « سبح لله ما فى السموات » أى جميع سكانها على كثرتهم تسبح له السموات أى كل واحدة على اختلاف عددها كقوله تعالى : « قل لا يعلم من فى السموات والارض الغيب الآ الله » فان المراد نفى علم الغيب عن كل من هو فى واحدة من السموات ، و حيث اريد الجهة أتى بصيغة الافراد نحو : « و فى السماء رزقكم » و « أأمنتم من فى السماء »

و من ذلك الريح ذكرت مجموعة و مفردة، فحيث ذكرت فى سياق الرحمة جمعت او فى سياق العذاب افردت كما ورد فى الخبر : « اللهم اجعلها رياحاً ولا تجعلها ريحا »

و لعل العلة فى ذلك : ان رياح الرحمة مختلفة الصفات والفوائد و الهيئات والمنافع ، و اذا هاجت منها ريح اثير لها من مقابلها ما يكسر سورتها فينشأ من بينهما ريح لطيفة تنفع الحيوان والنبات ، فكانت فى الرحمة رياحاً ، و أما فى العذاب فانها تأتى من وجه واحد ولا معارض ولا دافع لها .

و أما قوله تعالى : « و جرين بهم بريح طيبة » يونس : ٢٢) فخارج من هذه القاعدة لوجهين :

أحدهما ـ لفظى و هو المقابلة فى قوله : « جائتها ريح عاصف » و رب شيء يجوز فى المقابلة ، ولا يجوز استقلالاً نحو : « و مكروا و مكر الله » .

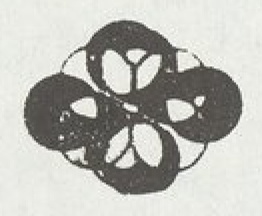
ثانيهما ـ معنوى و هو ان تمام الرحمة هناك انما تحصل بوحدة الريح لا باختلافها ، فان السفينة لا تسير الآ بريح واحدة من وجه واحد ، فان اختلفت عليها الرياح كان سبب الهلاك، فالمطلوب هنا ريح واحد ، و لهذا أكّد هذا المعنى بوصفها بالطيب ، و على ذلك ايضاً جرى قوله تعالى : « ان يشأ يسكن الريح فيظللن رواكد »

و من ذلك افراد النور ، وجمع الظلمات ، و افراد سبيل الحق و جمع سبل الباطل اذ قال : « ليخرج الذين آمنوا و عملوا الصالحات من الظلمات إلى النور» الطلاق : ١١)

و قال : « و ان هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه و لا تتبعوا السبل » الانعام : ١٥٣) لان طريق الحق واحد ، و طريق الباطل متشعبة متلونة مختلفة متعددة والظلمات بمنزلة طرق الباطل ، والنور بمنزلة طريق الحق .

و من ذلك افراد الولي في جانب المؤمنين : « الله ولي الذين آمنوا » و الجمع في جانب الكافرين : « والذين كفروا اولياء هم الطاغوت » .

و من ذلك افراد النار حيث وقعت ، و أما الجنة فوقعت مفردة و مجموعة لان الجنة مختلفة الانواع فحسن جمعها ، والنار مادة واحدة ، ولان الجنة رحمة والنار عذاب ، فناسب جمع الاولى و افراد الثانية على حدّ الريح والرياح . . .



«الاعجاز»

نحن نلفت نظرتنا فی اعجاز هذه السورة إلی ما تستهدفه من المكانة للنساء فی الشريعة الاسلامية ، وتأكيد رعاية حقوقهن مرّة بعد اخری بعد فراقهن عن زواجهن بالطلاق ، فكيف قبل ذلك ؟

وقد قرّر الاسلام للمطلقات حقوقاً لايسهل انفصام الرابطة الزوجية بالطلاق وقد كنّ مغبونة فيها من قبل، ولا شأن لهن فی المجتمع الجاهلی ، و كنّ فی عرضة الاهانة والاستثمار والزوال والوأد .. . و كيف بعد الطلاق ؟

فعلی اولی الالباب النظر إلی أحوال النساء قبل إنزال الذكر ، و بعث الرسول الخاتم صلى الله عليه وآله وسلم عند امم الارض فيعلموا ان المرأة عند ئذ كانت تشتری و تباع كالبهائم والمتاع ، و كانت تكره علی الزواج ، وعلی البغاة ، و كانت تورث ولا ترث ، و كانت تملك ولا تملك ، و كان أكثر الذين يملكونها يحجرون عليها التصرف فيما تملكه بدون اذن زوجه ، و كانوا يرون للزوج الحق فی التصرف بمالها من دونها ، وقد اختلف الرجال فی بعض البلاد فی كون النساء انساناً ذوات نفس وروح خالدة كالرجل أم لا ، وفی كونهن تلقن الدين ، وتصح منهن العبادة ام لا او فی كونها تدخل الجنة او الملكوت فی الاخرة أم لا ؟

فقد قرّر أحد المجامع فی رومية انها حيوان نجس لاروح له و لاخلود ، ولكن يجب عليها العبادة و الخدمة ، و ان يكم فمها كالبعير و الكلب العقور بمنعها من الضحك والكلام لانها احبولة الشيطان ، و كانت أعظم الشرايع تبيح للوالد بيع ابنته و كانٍ بعض العرب يرون ان للاب حقاً فی قتل بنته بل فی وادها

-دفنها حية -أيضا، وكان منهم من يرى انه لاقصاص على الرجل في قتل المرأة ولادية.

وان المرأة الفرنسية لاتزال إلى اليوم مقيدة بارادة زوجها في جميع التصرفات المالية والعقود القضائية، وان دولة الولايات المتحدة الاميريكية لم تمنح النساء حتى التملك والتصرف الآمن عهد قريب من قرن رابع عشر بعد ان الاسلام منح المرأة المسلمة منذ اربعة عشر قرناً.

ونحن نرى كثيراً من آثار الجاهلية العمياء مضافاً إلى الفضائح التمدنية في عهد التمدن في الممالك التي يدّعون السير الفضائي إلى الكرات... استثماراً لغيرهم.

منها: ما في أهل السودان بافريقا، فانهم اذا ماتت المرأة وهي حامل لا تدفن بل يرمى بها للطير والوحوش بخلاف التي تموت حين الولادة او بعدها، فانها تدفن، ومن عاداتهم انهم اذا مات الزوج دفنوا معه زوجته، و ذلك انهم احتفر موضع التربة على قدر اثنين ثم أتى قائدهم موضع التربة، فأتى بعنز فذبحها و سلخها وقطعها بيده ثم أعطاهم أمعاء ها وأطرافها، فطبخوها وأكل منها مع بعض من حضروا، وأعطى الخطيئة شيئاً منها، واما ما بقى من اللحم، فقطعه قطعاً صغيرة وفرق منه بيده على جميع الحاضرين، وأبقى منه بقية والصياح في كل ذلك مرتفع والبكاء لاينقطع، فلما أكلوا قام ذلك القائد إلى تلك الخطيئة، و قبض على يدها وسلمها إلى اثنين من العبيد، فاوثقوا يديها وجعلوهما خلفها وطرحوها على الارض على ظهرها ووضعوا على قلبها خشبة، وقعدوا فوقها، وصار كل منهم يتكىء على الاخر حتى تهشمت عظامها.

ثم رموا بها في القبر ووضعوا زوجها فوقها ثم أتواله بما بقى من اللحم، فوضعوه بجانبهما ثم أهالوا التراب عليهما، وعند ذلك انقطع البكاء والنحيب وتوجه كل منهم إلى منزله على العادة كأن لم يحصل شيء.

نعم:

وقد جاء الاسلام باحياء المرأة حقيقة، واعطاء حقوقها في الاسرة والمجتمع وقد كانت المرأة تعد من البهائم تارة، ومن الشياطين تارة اخرى، لامن نوع

الانسان ، وبعضهم يشك فى ذلك، وهن على تلك اذ جاء الوحى الالهى خطاباً للنبى الكريم ﷺ : « يا أيها النبى اذا طلقتم النساء ـ فاتقوا الله ربكم ـ أسكنوهن من حيث سكنتم من وجد كم ـ لينفق ذو سعة من سعته ـ قد أنزل الله اليكم ذكرا ـ ليخرج الذين آمنوا وعملوا الصالحات من الظلمات إلى النور » الطلاق : ١ـ١١)

قال بعض المفسرين : فى قوله تعالى : « ويرزقه من حيث لا يحتسب » : هو معطوف على قوله تعالى : « يجعل له مخرجاً » وهو واقع فى جواب الشرط : « ومن يتق الله »

وقد جاء أحد جوابى الشرط فاصلة للاية . . ثم جاء الجواب الثانى بدءاً لاية اخرى .

وهذا الفصل بقوله تعالى : « مخرجاً » ليس لرعاية الفاصلة ، كما يذهب إلى ذلك علماء البلاغة ، واكثر المفسرين . فان كلام الله تعالى منزه عن ان تحكمه الضرورات التى تحكم أعمال البشر ، من شعر ونثر . .

وان هذا الفصل لهو اعجاز من اعجاز القرآن . . هذا ماينبغى ان نستيقنه سواء اهتدينا إلى مواقع هذا الاعجاز ، أولم نهتد إليها . .

ثم قال : ان قوله : « ومن يتق الله » هو شرط يواجه به كل من الزوج و الزوجة . . وأما الجوابان وهما : « يجعل له مخرجا » ثم : « ويرزقه من حيث لا يحتسب » فأولهما للزوج الذى وعده الله سبحانه بان يجعل له مخرجاً اذا هو اتقى الله . . وأما الجواب الاخر ـ فهو للزوجة التى وعدها الله سبحانه بان يرزقها من حيث لايحتسب ، ولاتقدر اذا هى اتقت الله فى موقفها من زوجها فى فترة العدة . .

وهذا لايمنع من أن يكون ذلك الشرط وجواباه للعموم بمعنى ان كل من اتقى الله يجعل الله له مخرجاً ، ويرزقه من حيث لايحتسب . . ولكن لما كان ذلك فى مواجهة الزوجين المزمعين على الفراق ، جائت الجملة الشرطية ضابطة لحالهما فاعطت كلا منهما ماينا سبه . . ثم كان منها هذا الشمول الذى يسع الناس جميعاً

وقال بعض الاخرين : فى قوله تعالى : « ومن يتق الله يجعل له مخرجاً »

يرزقه من حيث لايحتسب ومن يتوكل على الله فهو حسبه » : قد جربت الاية فى محن و مهالك ، فوجدت مفرجة منفسة .

ثم قال : ومن أسرار القرآن ولطائفه انه سبحانه حث على التقوى فى هذه السورة ثلاث مرات بقوله : « ومن يتق الله » وذلك على عدد الطلقات الثلاث، ووعد فى كل مرة نوعاً من الجزاء .

الاول : انه يخرجه مما دخل فيه وهو كاره ، ويتيح له خيراً ممن طلقها.

الثانى : اليسر فى الامور والموالاة فى المقاصد مادام حياً .

الثالث: أفضل الجزاء وهو ما يكون فى الاخرة من النعماء ، ثم حث فى التوكل بثلاث جمل متقاربة الخطى :

الاولى : « ومن يتوكل على الله فهو حسبه » لان المعبود الحقيقى القادر على كل شىء ، الغنى عن كل شىء ، الجواد بكل شىء اذا فوض عبده الضعيف أمره إليه لايهمله البتة .

الثانية : « ان الله بالغ امره »أى يبلغ كل أمر يريده ولايفوته المطلوب

الثالثة : « قد جعل الله لكل شىء قدراً »أى وقتا ومقداراً ، وهاتان الجملتان كل منهما بيان لوجوب التوكل عليه لانه اذا علم كونه قادراً على كل شىء ، و علم انه قد بين و عين لكل شىء حداً و مقداراً لم يبق الا التسليم و التفويض . انتهى كلامه .

﴿التكرار﴾

خمس سور خوطب في بدئها النبي الكريم ﷺ على طريق النداء :
ثلاث منها بوصف النبي ﷺ وهي :

١ـ سورة الاحزاب ٢ـ سورة الطلاق ٣ـ سورة التحريم .

وثنتان اخريان بوصفي المدثر والمزمل ، وهما سورتا المدثر والمزمل .
وسورتان مشتملتان ـ كل واحدة منهما ـ على اثنتي عشرة آية :

١ـ سورة الطلاق ٢ـ سورة التحريم .

ونشير في المقام إلى صيغ خمس لغات ـ أوردنا معانيها اللغوية على سبيل الاستقصاء في بحث اللغة ـ جائت في هذه السورة ، وفي غيرها من السور القرآنية:

١ـ جاءت كلمة (الطلاق) على صيغها في القرآن الكريم نحو : ٢٣ مرة

٢ـ « « (الوقاية والتقوى) « « « « : ٢٥٨ «

٣ـ « « (الحيض) « « « « : اربع مرات :

١ـ٢ـ الطلاق : ٤) ٣ـ٤ـ البقرة : ٢٢٢)

٤ـ « « (الرضاع) « « « « : احدى عشرة مرة:

٥ـ « « (العتو) « « « « : عشرة مرات :

١ـ الطلاق : ٨) ٢ـ٣ـ الاعراف : ٧٧ ـ ١٦٦) ٤ ـ ٥ ـ الفرقان : ٢١)
٦ـ الذاريات : ٤٤) ٧ـ الملك:٢١) ٨ ـ ٩ ـ مريم : ٨ ـ ٦٩) ١٠ـ الحاقة :٦)

ان الله تعالى أمر بالتقوى في أحكام الطلاق صراحة وتلويحاً خمس مرات، ووعد في كل مرة نوعاً من الجزاء صراحة وتلويحاً أيضاً :

الاول : قوله تعالى : « واتقوا الله ربكم » فجعل جزائه قوله : « لعل الله يحدث بعد ذلك أمراً » تلويحاً ، فيبيح له محبوبه من حيث لايأمل .

الثانى : قوله تعالى : « و من يتق الله » فجعل جزائه قوله : « يجعل له مخرجاً » و « يرزقه من حيث لايحتسب » فيخرجه مما دخل فيه وهو يكرهه ، و يرزقه من حيث لا يترقب .

الثالث : قوله تعالى : « ومن يتق الله » فجعل جزاءه قوله : « يجعل له من أمره يسراً » فيسهل عليه الصعب فى أمره ، ويبيح له خيراً ممن طلّقها .

الرابع : قوله تعالى : « ومن يتق الله » فجعل جزاءه قوله : « يكفر عنه سيئاته » فيمحو عنه ذنوبه وقوله : « ويعظم له أجراً » وعد عليه أجراً عظيماً من نعماء الآخرة .

الخامس : قوله تعالى: « فاتقوا الله يا اولى الالباب » جعل جزاءه اخراجهم من الظلمات إلى النور اذ قال : « ليخرج الذين آمنوا و عملوا الصالحات من الظلمات إلى النور » .

قال الله تعالى : « ذلك يوعظ به من كان منكم يؤمن بالله واليوم الاخر ذلكم أزكى لكم وأطهر » البقرة : ٢٣٢)

وقال فى سورة الطلاق: « ذلكم يوعظ به من كان يؤمن بالله واليوم الاخر » ٢:)

ومن المحتمل أن تكون الاشارة بـ « ذلكم » إلى ما مرّ من الامساك او الفراق بالمعروف لاعلى وجه الضرار ، فيكون موافقاً لما فى البقرة الآنه و حدّ كاف الخطاب هنالك لانه أكد الكلام بزيادة « منكم » وههنا جمع ، فلم يحتج إلى لفظ « منكم »

ومن المحتمل أن يكون ما فى سورة البقرة التفات إلى خطاب المفرد عن خطاب الجمع ثم التفات عن خطاب المفرد إلى خطاب الجمع ، و الاصل فى هذا الكلام خطاب المجموع أعنى خطاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم و امته جميعاً لكن ربما التفت إلى خطاب الرسول صلى الله عليه وآله وحده فى غير جهات الاحكام كقوله تعالى :

« تلك حدود الله فلا تعتدوها » وقوله : « فاولئك هم الظالمون » البقرة : ٢٢٩)و قوله : « وبعولتهن احق بردهن فى ذلك » البقرة: ٢٢٨)

وقوله : « ذلك يوعظ به » حفظاً لقوام الخطاب ، ورعاية لحال من هو كن فى هذه المخاطبة ، وهو رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فانه هوالمخاطب بالكلام من غير واسطة وغيره مخاطب بوساطته ، واما الخطابات المشتملة على الاحكام فجميعها موجّهة نحو المجموع ويرجع حقيقة هذا النوع من الالتفات الكلامى إلى توسعة الخطاب بعد تضييقه وتضييقه بعد توسعته فليتدبر فيه .

وأما النكتة الدقيقة جداً فى قوله تعالى : « اولات الاحمال » اولا بصيغة الجمع المحلى باللام ، وفى قوله جل وعلا « اولات حمل » ثانياً بالافراد منكراً - و قديرى ان حق الكلام كان عكس ذلك - فعلى القارىء المتدبر الخبير .



﴿ التناسب ﴾

ان البحث في المقام على جهات ثلاث :

أحدها ـ التناسب بين هذه السورة وما قبلها نزولا .

ثانيها ـ التناسب بينها وماقبلها مصحفاً .

ثالثها ـ التناسب بين آيات هذه السورة نفسها .

أما الاولى : فان هذه السورة نزلت بعد سورة الانسان تحقيقا ، فلما اشير في سورة الانسان إلى خلق الانسان وتكوينه ، وإلى ما منحه الله تعالى من العقل الذي صار به مختاراًفي فعاله ، اما شاكراً واما كفوراً ، جائت هذه السورة بذكر بعض التشريع مما يتعلق بالاسرة و بيت الزوجية من أحكام الطلاق له نفياً و اثباتاً دخل في تكوين الانسان جداً فتدبر .

وأما الثانية : فمناسبة هذه السورة بما قبلها مصحفا فبامور :

أحدها ـ لما أمرالله تعالى المؤمنين في السورة السابقة بـالتقوى اجمالا بقوله جل وعلا : « فاتقوا الله مااستطعتم » : ١٦) أشار في هذه السورة إلى آثار التقوى : النفسية والاجتماعية ، والدنيوية والاخروية ، والمادية والمعنوية بقوله سبحانه : « ومن يتق الله يجعل له مخرجاً و يرزقه من حيث لا يحتسب ـ ومن يتق الله يجعل له من أمره يسراً ـ ومن يتق الله يكفر عنه سيئاته ويعظم له اجراً» ٢ و ٤ و ٥)

كما أمر المؤمنين في السابقة بالتوكل « وعلى الله فليتوكل المؤمنون» : ١٣) وأشار في هذه السورة إلى أهم آثاره بقوله : « ومن يتوكل على الله فهو

حسبه » : ٣)

ثانيها: لما جائت السورة السابقة بتحذير المؤمنين من النساء و الاولاد : « يا أيها الذين آمنوا ان من ازواجكم و اولادكم عدواً فاحذروهم » : ١٤) تحذيراً من فتنة الازواج و الاولاد ، و ان هذه الفتنة قد تعظم و يشتد خطرها بحيث لايمكن مدافعتها و النجاة منها الا بالفرقة وقطع علائق الصلة والزوجية ولما كانت الفرقة بين الرجل وزوجته لاتكون الا بالطلاق ، فقد كان المناسب أن يبيّن أحكام الطلاق لئلا يؤدّى ذلك إلى جور و عدوان وفساد . . . بل ينبغى أن يكون بالرفق جائت هذه السورة لبيان ما شرّع فى ذلك .

وفى مجيىء سورة الطلاق عقيب الحديث عن فتنة الازواج و الاولاد تنبيه إلى ان الطلاق لايكون الا فى حال يتحكم فيها الخلاف بين الرجل وامرأته حتى يكاد يكون فتنة بحيث لايمكن الخلاص منها الا بالطلاق ، و إن كان مرّاً لوقوعهما عند المسامحة فيما هو أشد من هذا الداء المرّ .

ثالثها: لما اشير فى سورة التغابن إلى تهديد الكفار بذوق الامم السابقة و بال كفرهم و حث المؤمنين على الانفاق فى سبيل الله ، بدئت هذه السورة ببيان أحكام الطلاق ، و وجوب الانفاق على النساء المطلقات فى العدة الرجعية و اولات الاحمال ، و وجوب الانفاق على الاولاد ، و تهديد الكفار بما ذاق الامم السالفة من الهلاك والدمار ، وما سيذوقون فى الآخرة من العذاب والنار.فتدبر واغتنم .

وأما الثالثة: فان الله تعالى لما بيّن شرط الطلاق بوقوعه فى طهر بعد ما شرّعه أمر المطلقين بالتقوى لئلا يقع الطلاق اتباعاً للهواء و اضراراً لنفس ، ثم نهاهم عن اخراجهم المطلقات ونهاهن عن الخروج من البيوت الا لضرورة دعت إلى الاخراج ، ثم أكّد ماذكر بانه من حدود الله ، ثم هدّد من جاوزها ، ثم أشار إلى حكمة ابقائهن فى البيوت ، و هى سهولة مراجعتها حين مال القلب إليهن ، وتحوّل من البغض إلى الحب .

ان الله تعالى لما جعل للطلاق عدة وأمر الازواج باحصائها جعل المطلقين في خيار بين الرجوع إليهن ومعاشرتهن باحسان ، وبين فراقهن وأداء حقوقهن مع اقامة الشهادة على ذلك ، ولاهميّة أمر الطلاق جعل شرط الائتمار به الايمان تلويحاً يتعقبه التقوى والتوكل مع الاشارة إلى آثارهما في النفس والاجتماع على طريق ترتيب المعلول على العلة بان التوكل من حصيلة التقوى ، وان التقوى من نتاج الايمان ، وبالايمان حرمة لحدود الله جل وعلا ، ثم أشار إلى ما فيه تسلية للزوجين بان امور الحياة جميعاً بقضاء الله و قدره ، فلا يجزع المطلق مما يصيبه من النوائب ولا المطلقة مما يصيبها الفراق فقال : « قد جعل الله لكل شيء قدراً»

لما بيّن أمر الطلاق والرجعة في التي تحيض ، و كانوا قد عرفوا عدة ذوات الاقراء عرّفهم عدة التي لاترى الدم لصغر ام لعارض اولكبر ، فعدتها ثلاثة أشهر وعدة ذوات الاحمال بوضع الحمل سواء كانت مطلقة ام متوفى عنها زوجها، ولاهميّة الحكم امروا بالتقوى تلويحاً مرّة بعد اخرى مع الاشارة إلى آثاره .

ان الله تعالى لما ذكر الطلاق والعدة أمر الازواج بأداء حقوق المطلقات ، واولات الاحمال من السكنى والنفقة حسب الطاقة والوسعة ، ونهاهم عن المضارة عليهن ، أمرهم باداء حق الرضاعة على قدر الامكان .

ان الله تعالى لما بيّن أحكام الطلاق وما يتعلق به لابد من الامتثال عند الابتلاء بها ، هدّد من خالفها و يتعد حدودها بالهلاك و الدمار في الحياة الدنيا والعذاب والنار في الاخرة بذكر قصّة العتاة والمردة ، وذوقهم وبال أمرهم ، ثم حذّر المؤمنين المتعظون بمواعظ الله جل وعلا عن المخالفة ، وحثّهم على الائتمار بما امروا به والانتهاء عما نهوا عنه مع الاشارة إلى جزاء الامتثال والاتعاظ والائتمار والانتهاء.

ان الله جل وعلا لما أشار إلى بعض كليات الامور التشريعية أخذ بذكر بعض كليات الامور التكوينية ، تنبيهاً إلى انه وحده مصدر الامرين ، فبيده أمر

التكوين لاحاطة قدرته على كل شيء، وأمر التشريع لاحاطته بكل شيء علماً بالحكم والمصالح، فكما لاشأن لاحدفي أمر التكوين فكذلك التشريع، فماجاء في هذه السورة فمن مصدر الامرين أنزله على رسوله ﷺ وهو رسول منه إلى الناس يتلوا عليهم ما أنزل الله جل وعلا عليه.

﴿الناسخ والمنسوخ والمحكم والمتشابه﴾

لم أجد من الباحثين كلاماً يدل على أن في هذه السورة ناسخاً اومنسوخاً اومتشابها، فآياتها محكمات والله تعالى هوأعلم.

﴿تحقيق في الاقوال﴾

١ـ (يا أيها النبى اذا طلقتم النساء فطلقوهن لعدتهن و احصوا العدة و اتقوا الله ربكم لاتخرجوهن من بيوتهن ولايخرجن الا أن ياتين بفاحشة مبينة و تلك حدود الله ومن يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه لا تدرى لعل الله يحدث بعد ذلك أمراً)

فى قوله تعالى : « يا أيها النبى اذا طلقتم النساء » أقوال : ١ ـ عن الحسن و غيره : ان الله تعالى نادى رسوله صلى الله عليه وآله وسلم ثم خاطب امته لكونه سيدهم وقدوتهم و الرسول إليهم ، فحكم النبى صلى الله عليه وآله وسلم حكم امته فى أمر الطلاق .

قيل : اذا خوطب خطاب الجمع كانت امته داخلة فى ذلك الخطاب .

٢ ـ قيل : ان الخطاب للرسول صلى الله عليه وآله وسلم وحده لانه طلّق حفصة ثم راجعها و الجمع للتعظيم والتفخيم ، و اما المؤمنون فداخلون معه فى الخطاب بالاتباع.

٣ ـ عن الجبائى : فى المقام تقدير : يا أيها النبى قل للمؤمنين : اذا طلقتم النساء ـ على إضمار القول ـ لان الاية نزلت فى الذين طلّقوا نساءهم ، فعلى هذا يكون النبى صلى الله عليه وآله وسلم خارجاً عن الحكم .

٤ ـ قيل : على تقدير: يا أيها النبى والمؤمنون ، فحذف المؤمنون للدلالة

٥ ـ قيل : ان الخطاب و إن كان للنبى صلى الله عليه وآله وسلم تعظيما ، ولكن المراد امته صلى الله عليه وآله وسلم فالمعنى : اذا أراد المسلم أن يطلّق زوجته . . و هذا من باب اياك اعنى و اسمعى يا جاره .

٦ ـ قيل : اريد بالخطاب النبى صلى الله عليه وآله وسلم تعظيما ثم ابتدأ فقال : « اذا طلقتم النساء » كقوله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا انما الخمر و الميسر والانصاب و

الازلام » فذكر المؤمنين على معنى تقديمهم و تكريمهم ثم افتتح فقال : « انما الخمر والميسر و الانصاب والازلام »

اقول : والخامس هو المؤيد بالروايات الآتية فانتظر من غير تناف بينه‌و بين بعض الاقوال الاخر .

و قوله تعالى: « لعدتهن» أقوال : ١ـ عن ابن عباس وابن مسعود والحسن و مجاهد و ابن سيرين و قتادة والضحاك و السدى أى لزمان عدتهن ، وذلك أن يطلّقها فى طهر لم يجامعها فيه، وهذا هو الطلاق للعدة لانها تعتد بذلك الطهر من عدتها ، و تحصل فى العدة عقيب الطلاق .

و المعنى : فطلقوهن لطهرهن الذى يحصينه من عدتهن ، ولا تطلقوهن لحيضهن الذى لايعتددن به من قرئهن، فعلى هذا تكون العدة الطهر، وهذا ماذهب اليه فقهاء الشيعة .

٢ ـ عن ابن عباس و مجاهد والحسن و قتادة و السدى ايضاً و ابن زيد : أى قبل عدتهن أى فى طهر لم يجامعها فيه ، فالعدة : الحيض كما يقال : توضأت للصلاة ، ولبست السلاح للحرب ، و هو مذهب أبى حنيفة .

٣ ـ قيل : اللام للسبب فكأنه قال : فطلقوهن ليعتددن ، ولا شبهة ان هذا الحكم للمدخول بها لان المطلقة قبل المسيس لا عدة عليها .

وقد ورد به التنزيل : « فما لكم عليهن من عدة تعتدّونها » الاحزاب:٤٩)

و ظاهر الاية يقتضى انه اذا طلقها فى الحيض او فى طهر قد جامعها فيه فلا يقع الطلاق لان الامر فى قوله : « فطلقوهن » يقتضى الايجاب ، و به قال سعيد بن المسيب و ذهب اليه الشيعة الامامية .

اقول : والاول هو المؤيد بما ورد فى الباب .

وفى قوله تعالى : « و احصوا العدة » أقوال : قيل : ان الخطاب للازواج والمعنى : عدّوا الاقراء التى تعتدّ بها .

٢ ـ قيل : الخطاب للزوجات اذ لهن فى العدة حق على الازواج فلا بد من

احصائهن أيامها لياخذن حقهن ، و اما خطاب التذكير فلضرورة السياق .

٣ ـ قيل : ان الخطاب يعمم الجنسين ، والمعنى : عدّوا أيها الازواج أوقات الطلاق لتطلّقوا للعدة ، و عدّدن أيها المطلقات ايام العدة لتأخذن حقكن من الازواج ، و انما أمر الله تعالى باحصاء العدة لان لهن فيها حقا ، و هى النفقة والسكنى ، ولهم فيها حقاً ، وهى المراجعة ، و منعهن عن الازدواج لحقهم وثبوت نسب الولد ، فامروا باحصائها ليعلموا وقت المراجعة ووقت فوتها وتحريمها عليهم و رفع النفقة والسكنى ، و لكيلا تطول العدة لاستحقاق زيادة النفقة او تقصرها لطلب الزوج .

أقول: والاول هو المؤيد بظاهر السياق، ولكن الاخير غير بعيد ، اذ ما يظهر من السياق : ان الخطاب للازواج فان الضمائر كلها من « طلقتم » و « احصوا » و « لاتخرجوهن » على نظم واحد يرجع إلى الازواج ، وهم يحصون ليراجعوا، أو ينفقوا اويقطعوا ، وليسكنوهن اويخرجوهن، ويلحقوا نسبهم اويقطعوه،ولكن الزوجات مشتركات بالازواج فى هذا الخطاب بما يتعلق بهن من الاحكام . . . . فتدبر جيداً .

و فى قوله تعالى : « الا أن ياتين بفاحشة مبينة » أقوال : ١ ـ عن ابن عباس و ابن عمر والحسن والشعبى ومجاهد و ابن زيد : أى أن يزنين فيخرجن لاقامة الحد عليهن .

٢ـ قيل : أى أن يأخذن لهن الاحباء .

٣ـ قيل : أى أن يسرقن ويخن فى بيوت أزواجهن المطلقين .

٤ـ قيل : أى أن يؤذين أهل أزواجهن بالسب والشتم والمنازعة . . .

٥ـ عن ابن عمر أيضاوالسدى : الفاحشة : خروجهن من بيوتهن فى العدة ، فالمعنى : الا أن يأتين بفاحشة مبينة بخروجهن من بيوتهن بلا إذن الازواج ،فلو خرجن كن عاصيات .

فتقدير الكلام : لاتخرجوهن من بيوتهن ولا يخرجن شرعاً ألا أن يخرجن

تعدياً ، فيخرجن من تلقاء أنفسهن مراغمة لزوجهن ، فيعتبر هذا خروجاً منها عن أمرالله تعالى الذى ألزمها فيه الاقامة فى بيت زوجها .

٦- عن ابن عباس ايضاً : الفاحشة كل معصية كالزنى والسرقة والبذاء على الاهل ، والمعنى : الا أن يفعلن احدى هذه الامور وغيرها من المنازعة و السب والشتم على الازواج وخروجهن متخولة عن بيوتهن التى تلزمهن أن يعتددن فيها فأى ذلك فعلن وهن فى عدتهن فلازواجهن اخراجهن من بيوتهن وذلك لاتيانهن بالفاحشة التى ركبنها .

٧- عن قتادة : الفاحشة: النشوز على الزوج ، وعمل مايؤذيه ، ولوانه مطلق فان طلقها على نشوز فلها أن تتحول من بيت زوجها .

٨- عن ابن عباس ايضا والشافعى : الفاحشة : البذاء على أحمائها فيحل لهم اخراجهن .

و روى عن سعيد بن المسيب انه قال فى فاطمة بنت قيس : تلك امرأة استطالت على أحمائها بلسانها ، فأمرها النبى صلى الله عليه وآله وسلم أن تنتقل .

وقيل : انها كانت لسنة تفتن الناس ، فاخرجت من بيت زوجها ، وجعلت كالوديعة عند ابن مكتوم الاعمى .

٩- قيل : أى الا أن يمنعن عن أزواجهن اذا دعوهن إلى أنفسهم ، فيعتبرن ناشزات ، وبهذا يسقط حقهن فى السكنى والنفقة أثناء العدة .

أقول: والسادس هو المؤيد بالروايات الاتية . . . فانتظر .

وفى قوله تعالى: « لاتدرى » اقوال : ١- قيل : أى لاتدرى نفس .

٢- قيل : أى لاتدرى أيها النبى صلى الله عليه وآله وسلم

٣- قيل : أى لاتدرى أيها المطلق .

٤- قيل : أى لاتدرى أيها المخاطب .

أقول: والثانى هو المؤيد بظاهر السياق .

وفى قوله تعالى : « يحدث بعد ذلك أمراً » أقوال: ١- عن الضحاك والسدى

وابن زيد : أى لعل الله يحدث الرجعة فى العدة .

فالمراد بالامر هنا الرغبة فى الرجعة ، ومعنى القول : التحريض على طلاق الواحدة ، والنهى عن الثلاث ، فاذا طلّق ثلاثاً أضرّ بنفسه عند الندم على الفراق والرغبة فى الارتجاع فلا يجد الى الرجعة سبيلا .

٢ـ قيل : اريد بالامر : مايحدثه الله تعالى أن يقلّب قلب الزوج من بغض زوجته إلى محبتها .

٣ـ عن مقاتل : أى بعد طلقة اوطلقتين أمراً أى مراجعة من غير خلاف ، قال الزجاج : واذا طلّقها ثلاثاً فى وقت واحد ، فلا معنى له لقوله تعالى : «لعل الله يحدث بعد ذلك أمراً »

اقول: وعلى الاول أكثر المفسرين ، من غير تناف بينه وبين الاخرين .

٢ـ (فاذابلغن أجلهن فامسكوهن بمعروف اوفارقوهن بمعروف وأشهدوا ذوى عدل منكم وأقيموا الشهادة لله ذلكم يوعظ به من كان يؤمن بالله واليوم الاخر ومن يتق الله يجعل له مخرجا)

فى قوله تعالى : « وأشهدوا » أقوال : ١ـ أى امروا بالاشهاد على الطلاق صيانة لدينهم .

٢ـ قيل : امروا بالاشهادعلى الرجعة ، وهذا الاشهاد مندوب إليه عندأبى حنيفة ، وواجب عند الشافعى .

قيل : فائدة هذا الاشهاد ألاّ يقع بين الزوجين التجاحد ، و ألاّ يتهم فى امساكها ، ولئلا يموت أحدهما فيدّعى الباقى ثبوت الزوجية ليرث .

٣ـ قيل : امروا بالاشهادعند الرجعة والفرقة جميعاً .

اقول: والاول هو المروى و هذا أنسب بظاهر السياق ، فان حملناه على الطلاق كان أمراً يقتضى الوجوب ، وهو من شرائط صحة الطلاق .

وفى قوله تعالى: «ذوى عدل منكم » أقوال:١ـ عن الحسن أى من جنسكم المسلمين ، فلا تجوز شهادة غيرهم فى الطلاق .

٢- عن قتادة : أى من أحرار كم ، فلا تجوز شهادة العبيد فى الطلاق .

٣- عن ابن عباس :أى منكم الرجال ، وذلك يوجب اختصاص الشهادة على الطلاق بالذكور دون الاناث لان « ذوى » مذكر ، ولذلك قيل : لامدخل للنساء فيما سوى الأموال .

أقول: والاخير هو المؤيد بالروايات الاتية ، وبظاهر السياق .

و فى قوله تعالى : « ومن يتق الله » أقوال : ١- عن ابن عباس والشعبى والضحاك : هذا فى الطلاق خاصة أى من طلّق كما أمره الله تعالى يكن له مخرج فى الرجعة فى العدة ، وأن يكون كأحد الخطاب بعد العدة .

٢- عن الكلبى : أى من يتق الله بالصبر عند المصيبة .

٣- عن الحسين بن الفضل : أى ومن يتق الله فى أداء الفرائض يجعل له مخرجاً من العقوبة وقال سهل بن عبدالله : من يتق الله فى اتباع السنة يجعل له مخرجاً من عقوبة أهل البدع .

٤- قيل : من طلّق للسنة يجعل الله له مخرجاً فى الرجعة عن عكرمة و الشعبى والضحاك .

٥- قيل : من يخف الله فيعمل بما أمره به ، ويجتنب عما نهى عنه يجعل له من أمره مخرجاً بان يعرّفه بان ماقضى فلابد من أن يكون .

٦- قيل : من يتق الله فى الرزق بقطع العلائق يجعل له مخرجاً بالكفاية

٧- عن عمر بن عثمان الصدفى : ومن يتق الله فيقف عند حدوده ، و يجتنب معاصيه يخرجه من الحرام إلى الحلال ، ومن الضيق إلى السعة ومن النار إلى الجنة

٨- عن أبى سعيد الخدرى : ومن يبرأ من حوله وقوته بالرجوع إلى الله يجعل له مخرجاً مما كلّفه بالمعونة له .

٩- عن الزجاج : اى اذا اتقى وآثر الحلال والتصبر على أهله فتح الله عليه ان كان ذاضيقة ورزقه من حيث لايحتسب .

١٠- قيل : من يجتنب عن محارم الله تعالى ، ويخف الله فى كل حال ، ولم يتعد حدوده ، واحترم لشرائعه فعمل بها .

اقول: والاخير هوظاهر الاطلاق لولم يقيّده السياق .

وفي قوله تعالى: « يجعل له مخرجاً » أقوال :

١ ـ عن ابن عباس : أى ينجيه من كل كرب الدنيا وهمّ الاخرة .

٢ـ عن الكلبى : أى يجعل له مخرجاً من النار إلى الجنة ،

٣ـ قيل : أى يكفيه من غمّ الدنيا وهمّها .

٤ـ عن الربيع ابن خيثم : أى مخرجاً من كل شىء ضاق عليه وعلى الناس

٥ـ قيل : أى يجعل له مخرجاً من كل شىء ضاق عليه .

٦ـ عن أبى العالية : أى مخرجاً من كل شدة .

٧ـ عن الحسن: أى مخرجاً عما نهاه اللهُ تعالى عنه .

٨ـ عن على بن صالح : المخرج هو أن يقنعه الله تعالى بما رزقه .

اقول : والاول هو المروى والمؤيد بظاهر الاطلاق .

٣ـ (و يرزقه من حيث لا يحتسب و من يتوكل على الله فهو حسبه ان الله بالغ أمره قد جعل الله لكل شيء قدراً)

في قوله تعالى : « ان الله بالغ امره » أقوال: ١ ـ عن مسروق أى قاض أمره فيمن توكل عليه ، و فيمن لم يتوكل عليه الاّ ان من توكل عليه فيكفّر عنه سيئاته ، و يعظم له أجراً .

٢ ـ قيل : أى يبلغ ما أراد من قضاياه ، و تدابيره على ما شاء ، ولا يقدر أحد على منعه عمايريده فانه المالك المتصرف فى هذا الوجود ، و بيده كل شىء خاضع لمشيئته ، مستجيب لارادته .

٣ ـ قيل : انه منفذ أمره فيمن يتوكل عليه و فيمن لم يتوكل عليه .

اقول : والمعانى متقاربة والمآل واحد .

و فى قوله تعالى : « قد جعل الله لكل شىء قدراً» أقوال : ١ ـ عن مسروق: أى قد جعل الله لكل شىء من الشدة و الرخاء وقتا وغاية و منتهى ينتهى إليه .

٢ ـ عن السدى : هو قدّر الحيض فى الاجل والعدة تقديراً .

٣ ـ قيل : أى قدر الله لكل شيء مقدراً وأجلا من غير زيادة فيها ولا نقصان

٤- قيل : بيّن لكل شيء مقدارا بحسب المصلحة في الاباحة والايجاب و الترغيب والترهيب كما بيّن في الطلاق والعدة و غيرهما .

أقول : و على الثالث أكثر المفسرين .

٤- (واللائي يئسن من المحيض من نسائكم ان ارتبتم فعدتهن ثلاثة اشهر و اللائي لم يحضن و اولات الاحمال أجلهن أن يضعن حملهن ومن يتق الله يجعل له من امره يسراً)

في قوله تعالى : « ان ارتبتم » أقوال : ١ - عن مجاهد و قتادة و عكرمة و الزهري وابن زيد : ان الاية واردة في المستحاضة التي لاتدري دم حيض هو أم دم علة اخرى ، فالخطاب للزوجات المطلقات والمعنى : ان ارتبنّ بالدم الذي يظهر منكن لكبر كن أمن الحيض هو أم من الاستحاضة ؟ فعد تكن ثلاثة أشهر .

٢ - قيل : أي ان ارتبتم أيها الازواج في حكم الزوجات المطلقات ، فلم تدروا ما الحكم في عدتهن ، فان عدتهن حينئذ ثلاثة أشهر .

٣ - قيل : أي ان ارتبتم مما يظهر منهنّ من الدم ، فلم تدروا أدم حيض أم دم استحاضة من كبر كان ذلك اولعلة اخرى ،فاشكل عليكم حكمهن وجهلتم كيف يعتددن فعدتهن ثلاثة أشهر .

٤ - قيل : ارتبتم بمعنى تيقنتم فهو من الاضداد يكون شكاً و يقيناً كالظن

٥ - قيل : أي ان ارتبتم في دم البالغات مبلغ اليأس ، و قدّروه بستين سنة من قريشيات او بخمسين سنة من غيرهن أهو دم حيض ام دم استحاضة فعدتهن ثلاثة أشهر .

٦ - عن الزجاج : أي إن شككتم في حيضهن ، وقد انقطع عنهن الحيض و كن ممن تحيض مثلهن .

٧ - عن مجاهد أيضا : ان لم تعلموا أيها المخاطبون كم عدة اليائسة، والتي لم تحض فالعدة هذه .

٨ - قيل : ان الكلام متصل باول السورة ، و المعنى : لا تخرجوهن من

بيوتهن ان ارتبتم فى انقضاء العدة .

٩ ـ عن عكرمة و قتادة ايضاً : ان من الريبة المرأة المستحاضة و التى لا يستقيم لها الحيض ، تحيض فى الشهر مراراً ، و فى الاشهر مرة ، فعدتها ثلاثة أشهر

١٠ ـ قيل : الريبة ما زاد على شهر .

اقول : والاخير هو المروى فانتظر .

وفى قوله تعالى: « واللائى لم يحضن » أقوال: ١ـ قيل: أى والمطلقات اللاتى لم يحضن بعد لصغرهن، فليس لها عدة كما انه ليس لليائسة المطلقة عدة ، واما اليائسة المشكوكة فيجب عليها العدة بثلاثة أشهر .

٢ ـ قيل : أى والمطلقات اللاتى لم يحضن ، و هن فى سن من تحيض إن ارتبتم فعدتهن ايضاً ثلاثة أشهر .

٣ ـ قيل : أى الصغار اللواتى لم يحضن إن شككتم و جهلتم كيف تكون عدتهن و ما قدرها فعدتهن ثلاثة أشهر .

٤ ـ قيل : أى اللاتى لم يحضن أصلاً لصغرهن اولانهن من الممتدات الطهر دائماً فلا يحضن فعدتهن ثلاثة اشهر .

اقول : و على الثانى أكثر المحققين .

و فى قوله تعالى : « و اولات الاحمال أجلهن أن يضعن حملهن » قولان :

أحدهما ـ عن ابن عباس : هى فى المطلقات خاصة ، وأما المتوفى عنها زوجها اذا كانت حاملاً ، فعدتها أبعد الأجلين ، فاذا مضت بها أربعة أشهر و عشراً ، ولم تضع انتظرت وضع الحمل .

ثانيهما ـ عن ابن مسعود و ابى بن كعب و قتادة : انه عام فى المطلقات و المتوفى عنها زوجها ، فعدتهن وضع الحمل .

اقول : والاول هو المروى .

وفى قوله تعالى : « ومن يتق الله يجعل له من أمره يسراً » اقوال : ١ـ عن الضحاك أى من يتقه فى طلاق السنة يجعل له من أمره يسراً فى الرجعة .

٢ - عن مقاتل : من يتق الله فى اجتناب معاصيه يجعل له من أمره يسراً فى توفيقه للطاعة .

٣ - قيل : و من يتق الله فيما أمره يسهّل عليه فراق أهله ، و يزيل الهموم عن قلبه .

٤ - قيل : و من يخف الله و يرهبه ، فيؤدى فرائضه و يجتنب نواهيه يسهّل عليه ما يستقبله من الشدائد والمشاق . . . و يوفّقه فيما فيه خير ورشاد .

٥ - قيل : أى من يلتزم حدود الله تعالى فيما امر و نهى جعل الله له يسراً فى كل أمر يعالجه ، و يسهل عليه امور الدنيا والآخرة إما بفرج عاجل اوعوض آجل .

اقول : و على الرابع أكثر المفسرين .

٥- (ذلك امر الله انزله اليكم ومن يتق الله يكفر عنه سيئاته ويعظم له اجراً)

و فى قوله تعالى : « اليكم » أقوال : ١ - قيل : خطاب للازواج . ٢- قيل: خطاب للمكلفين جميعاً . ٣ - قيل : خطاب للمؤمنين فقط .

اقول : والاول مؤيد بظاهر التخاطب .

٦- (اسكنوهن من حيث سكنتم من وجدكم و لا تضاروهن لتضيقوا عليهن وان كن اولات حمل فانفقوا عليهن حتى يضعن حملهن فان ارضعن لكم فاتوهن اجورهن و اتمروا بينكم بمعروف و ان تعاسر تم فسترضع له اخرى)

فى « اسكنوهن» أقوال : ١ - قيل :هن مطلقات رجعيات ، والمراد بالاسكان ابقاءهن و استمرارهن فى بيوت الزوجية كما كنّ قبل الطلاق رجاء الرجوع ، فلا يجب إسكان البائنات فيها لانقطاع علقة الزوجية ، وهن واجنبية فى ذلك سواء الاّ اذا كانت البائنات اولات حمل فلهن السكنى حتى يضعن حملهن .

٢ - قيل : هن المعتدات البائنات ، فللمطلقة طلاقاً بائناً السكنى خارج البيت الزوجية إلى أن تنقضى عدتها من غير نفقة ، ولا كسوة ، ولاهما يتوارثان

و اذا كانت حاملاً فلها النفقة و بالكسوة و السكنى حتى تضع حملها ، و بذلك تنقضى عدتها .

٣ ـ قيل : هن المطلقات المعتدات سواء كنّ بائنات ام رجعيات . . .

اقول : والاول هو المروى .

وفى « من وجدكم » أقوال : ١ ـ عن السدى وأبى مسلم : أى من ملككم و ما تقدرون عليه .

٢ ـ عن الحسن والجبائى:أىمما تجدونه من المساكن فهو من الوجدان.

٣ ـ عن ابن عباس و مجاهد و قتادة أى من سعتكم و طاقتكم ، من الوجد والجدة بمعنى المقدرة والغنى .

٤ ـ عن الفراء : أى يعول على ما يجد ، فان كان موسعاً وسع عليها فى المسكن و النفقة ، و ان كان فقيراً ، فعلى قدر ذلك و يجب السكنى والنفقة للمطلقة الرجعية .

اقول : و على الثالث أكثر المفسرين ، من غير تناف بينه و بين بعض الاقوال الاخر .

و فى « ولا تضاروهن لتضيّقوا عليهن » أقوال : ١ ـ عن مجاهد : أى لا تدخلوا الضرر عليهن بالتقصير فى السكنى طالبين بالاضرار : التضييق عليهن فى السكنى ليخرجن .

فالمعنى : لا تضاروهن فىالمسكن الذى تسكنونهن فيه،و انتم تجدونسعة من المنازل أن تطلبوا التضييق عليهن مع وجدانكم السعة .

٢ ـ عن مقاتل : أى ولا تضاروهن فى النفقة ، و هو قول أبى حنيفة .

فالمعنى : لا تد خلوا الضرر عليهن بالتقصير فى النفقة طالبين بالا ضرار التضييق فىعليهن ليخرجن .

٣ ـ عن أبى الضحى : هو أن يطلّقها فاذا بقى يومان من عدتها راجعها ثم طلقها .

٤ ـ قيل : لا تدخلوا الضرر عليهن بالتقصير فى الكسوة طالبين بالاضرار والتضييق عليهن ليخرجن .

٥ ـ عن أبى مسلم : أى أعطوهن من المسكن ما يكفيهن لجلوسهن ومبيتهن و طهارتهن ، ولا تضايقوهن حتى يتعذر عليهن السكنى .

٦ ـ قيل : هو أن يراجعها كلما قرب انقضاء عدتها ليضيق عليها أمرها ، و قد يلجئها إلى أن تفتدى منه .

٧ ـ قيل : أى ولا تضاروهن فى السكنى من حيث الفسحة والمستوى ، و من حيث النفقة والعشرة و ما على الازواج من حقوق المطلقات زمان العدة .

اقول : والاخير هو الانسب بظاهر الاطلاق والمؤيد بالروايات الآتية فانتظر

و فى قوله تعالى : « و ان كن اولات حمل فانفقوا عليهن حتى يضعن حملهن » أقوال : ١ ـ عن ابن عباس والسدى : و إن كن هؤلاء المطلقات صاحبات حمل ، و كن بائنات منكم فانفقوا فى عدتهن منكم حتى يضعن حملهن .

٢ ـ عن ابن مسعود : و ان كن اولات حمل سواء كن مطلقات رجعية أم بائنة . . .

٣ ـ قيل : و ان كن هؤلاء المطلقات طلاقاً رجعياً فاعطوا نفقتهن و كسوتهن بعد ما اسكنتموهن حسب طاقتكم حتى يضعن حملهن .

اقول : و على الاول أكثر المفسرين ، فالجملة بصدد بيان حكم المطلقة طلقة بائنة ، و اما المطلقة طلقة رجعية فتستحق النفقة و إن لم تكن حاملاً .

و فى « فان أرضعن لكم فاتوهن اجورهن » أقوال : ١ ـ قيل : فان ارضعن هؤلاء المطلقات اولادهن لاجلكم بعد البينونة ، فاعطوهن اجر الرضاع : اجرة المثل .

٢ ـ قيل : فان ارضعن هؤلاء المطلقات : البائنات والرجعيات أولادهن بعد الطلاق : زمن العدة و بعدها مثل قبل الطلاق ، فاعطوهن اجورهن .

٣ ـ قيل : فان أرضعن المطلقات البائنة أولادهن لا جرة عليكم ، فآتوهن اجورهن على رضاعهن اياهم .

اقول : و على الثانى أكثر المفسرين .

و فى « اتمروا بينكم بمعروف » أقوال : ١ ـ قيل : هو خطاب للازواج و الزوجات أى و ليقبل بعضكم من بعض ما أمر به من المعروف الجميل، والجميل من المطلقات إرضاع الاولاد من غير اجرة او مسامحة فيها ، والجميل من المطلقين توفير الاجرة عليهن للارضاع ، فلا ينبغى أن يماكس الاب ، ولا تعاسر الام لانه ولدهما معاً . و قيل : المعروف : أن لا يقصر الرجل فى حق المرأة و نفقتها و لا المرأة فى حق الولد و رضاعه .

٢ ـ قيل : و اتمروا فى رضاع الاولاد فيما بينكم بمعروف حتى لا يلحق الاولاد إضرار .

٣ ـ قيل : المعروف هو الكسوة والدثار .

٤ ـ قيل : لا تضارّ والدة بولدها ولا مولود له بولده .

اقول : و على الاول أكثر المحققين .

و فى « و ان تعاسرتم » أقوال : ١ ـ عن السدى : و إن تعاسرتم فى اجرة الرضاع ، فأبى الزوج أن يعطى الام رضاعها ، و أبت الام أن ترضعه ، فليس له اكراهها ، و ليستأجر مرضعة غير امه .

٢ ـ قيل : و إن تضايقتم و تشاكستم فليسترضع لولده غيره و هو خبر فى معنى الامر .

٣ ـ عن الضحاك : ان أبت الام أن ترضع استأجر لولده مرضعة اخرى ، فان لم يقبل اجبرت امه على الرضاع بالاجرة .

٤ ـ قيل : إن أظهرتم من أنفسكم العسر والشدة فى أمر مؤنة الارضاع .

اقول : والاول هو المروى .

٨ـ (و كاين من قرية عتت عن أمر ربها و رسله فحاسبناها حساباً شديداً و عذبناها عذاباً نكراً)

فى قوله تعالى : « فحاسبناها حساباً شديداً الخ » أقوال : ١ ـ قيل : أى

جازيناها بالعذاب فى الدنيا ، و عذبناها عذابا نكراً فى الاخرة ، على ان اللفظ ماض معناه مستقبل ، و النكر بمعنى المنكر الفظيع الذى لم ير مثله ، و ذلك عذاب عظيم .

٢ ـ عن ابن عباس و ابن زيد : أى فحاسبناها على نعمتنا عندها وشكرها حساباً استقصينا فيه عليهم لم نعف عنهم ، ولم نرحم عليهم فى الحساب عن شىء ولم نتجاوز فيه عنهم . فالحساب الشديد ما ليس فيه رحم ولا عفو إذ فيه مناقشة و استقصاء باستيفاء الحق وايفائه .

٣ ـ قيل: اريد بهما حساب الدنيا وعذابها ، و هو إحصاء صغائرهم و كبائرهم فى ديوان الحفظة ، و ما أصاب كل قوم من الصيحة و نحوها عاجلاً .

٤ ـ قيل : فى الكلام تقديم و تأخير أى فعذبناها عذابا نكراً فى الدنيا بالجوع والقحط والسيف والخسف والمسخ و سائر المصائب ، وحاسبناها فى الاخرة حساباً شديداً .

٥ ـ عن مقاتل : أى حاسبها الله تعالى بعملها فى الدنيا فجازاها بالعذاب و هو قوله تعالى : « وعذبناها عذاباً نكرا » فجعل المجازاة بالعذاب محاسبة ، و هو عذاب الاستئصال .

اقول : وعلى الاول أكثر المفسرين ولكن الاخير هو الانسب بظاهر السياق

٩ـ (فذاقت وبال امرها و كان امرها خسرا)

فى « وبال أمرها » **قولان** : احدهما ـ عن السدى و ابن زيد و قتادة: عاقبة أمرها مما عملت من الشر والعصيان ، فالوبال : العاقبة .

ثانيهما ـ عن ابن عباس و مجاهد : أى جزاء عتوها و كفرها قد حل بها.

اقول : و المعنيان متقاربان .

١٠ (اعدالله لهم عذابا شديداً فاتقوا الله يا اولى الالباب الذين آمنوا قد انزل الله اليكم ذكرا)

فى قوله تعالى : « ذكراً » أقوال : ١ـ عن السدى : الذكر هو القرآن

والنبى الكريم ﷺ. ٢ـ عن ابن زيد : الذكر هو القرآن لقوله تعالى : « انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون » ٣ـ قيل : الذكر هو الروح . ٤ـ عن الحسن: الذكر هو محمد ﷺ لقوله تعالى : « فاسئلوا أهل الذكر » النحل : ٤٣) سمى بالذكر لمواظبته على تلاوة الذكر ، وهو القرآن او لتبليغه اياه ، فالمراد بالانزال هو الارسال ترشيحا او لكونه مسببا عن انزال الوحى اليه ثم أبدل منه رسولا للبيان ٥ـ قيل : الذكر هو الشرف . ٦ـ قيل : الذكر هو جبرائيل عليه السلام سمى بذلك لكثرة ذكره او لنزوله بالذكر وهو القرآن اولانه مذكور فى السموات والارض او ذا ذكر أى ذا شرف .

أقول: والرابع هو المروى .

١١ـ (رسولا يتلوا عليكم آيات الله مبينات ليخرج الذين آمنوا وعملوا الصالحات من الظلمات الى النور ومن يؤمن بالله و يعمل صالحاً يدخله جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها أبداً قد أحسن الله له رزقاً)

فى « رسولا » قولان : أحدهما عن الكلبى : هو جبرئيل عليه السلام . ثانيهما هو النبى الكريم ﷺ

أقول: و على الثانى أكثر المفسرين .

و فى قوله تعالى : « قد أحسن الله له رزقاً » أقوال : ١ـ قيل : وسع الله له فى الجنة ويعطيه أحسن مايعطى أحداً . ٢ـ قيل : اريد بالرزق ما رزقهم من الايمان وصالح الاعمال فى الحياة الدنيا. ٣ـ قيل : اريد بالرزق مارزق الله تعالى المؤمنين فى الدنيا من الايمان و التوفيق إلى صالح الاعمال ، و ما يرزقهم فى الاخرة من الجنة ونعيمها .

أقول: والاول هو الانسب بظاهر السياق .

١٢ـ (الله الذى خلق سبع سموات و من الارض مثلهن يتنزل الامر بينهن لتعلموا ان الله على كل شىء قدير و ان الله قد أحاط بكل شىء علما)

في قوله تعالى: «ومن الارض مثلهن» أقوال: ١- قيل: أي وخلق الارض مثل السموات في العدد بانها سبع مثل السموات السبع طباقاً بعضها فوق بعض لانها لو كانت مصمتة لكانت أرضا واحدة في كل ارض خلق خلقهم الله كما شاء، ففي كل واحدة منهن مثل ما في السموات من الخلق.

وان بين كل ارض وارض مسافة كما بين السماء والسماء، وفي كل أرض سكان من خلق الله.

قال الماوردي: وعلى انها سبع أرضين بعضها فوق بعض تختص دعوة الاسلام باهل الارض العليا، ولا تلزم من في غيرها من الارضين، وإن كان فيها من يعقل من خلق مميّز، فالارض مثل السموات في العدد لا في الكيفية لان كيفية السماء مخالفة لكيفية الارض.

وقال مجاهد: هذه الارض الى تلك مثل الفسطاط ضربته في فلاة، وهذه السماء إلى تلك السماء مثل حلقة رميت بها في أرض فلاة.

وقال قتادة: خلق الله سبع سموات وسبع ارضين في كل سماء من سمائه، وارض من أرضه خلق من خلقه، وأمر من أمره وقضاء من قضائه.

٢- قيل: أي وخلق الله الارض مثل السموات في الكيفية من تركيبها أو خصائصها.

٣- قيل: أي خلق سبع سموات بعضها فوق بعض كالقبة، ومن الارض مثلهن في كونها طباقاً متلاصقة على ان للارض ثلاث طبقات، طبقة أرضية محضة، و طبقة طينية وهي غير محضة، وطبقة منكشفة بعضها في البحر وبعضها في البر و هي المعمورة.

٤- قيل: مثلهن أي في كونها سبعة أقاليم على حسب سموات سبع و كواكب سبع، وهي السيارة فان لكل واحد من هذه الكواكب خواص تظهر آثار تلك الخواص في كل اقليم من أقاليم الارض، فتصير سبعة بهذا الاعتبار.

٥- عن الضحاك: أي سبعاً من الارضين ولكنها مطبقة بعضها على بعض من

غير فتوق بخلاف السموات .

٦ـ عن إبن عباس : ان الأرض سبع منبسطة ليس بعضها فوق بعض تفرّق بينها البحار ، وتظلّ جميعهم السماء ، فعلى هذا إن لم يكن لاحد من أهل الارض وصول إلى أرض اخرى اختصّت دعوة الاسلام باهل هذه الارض ، وان كان لقوم منهم وصول إلى أرض اخرى احتمل أن تلزمهم دعوة الاسلام عند امكان الوصول اليهم لأن فصل البحار اذا أمكن سلوكها لايمنع من لزوم ما عمّ حكمة واحتمل ألاّ تلزمهم دعوة الاسلام لانها لولز متهم لكان النص بها وارداً ، ولكان النبى صلى الله عليه وآله وسلم بها مأموراً .

٧ـ قيل : ان الارض سبع طبقات بعضها فوق بعض من غير فرجة بينها :

منها: طبقة هى ارض صرفة تجاوز المركز .

ومنها: طبقة طينية تخالط سطح الماء من جانب التقعير .

ومنها: طبقة معدنية يتولد منها المعادن .

ومنها: طبقة تركبت بغيرها وقد انكشف بعضها .

ومنها: طبقة الادخنة والابخرة على اختلاف أحوالها أى طبقة الزمهرير وقد تعدّ هذه الطبقة من الهواء .

٨ـ عن ابن عباس أيضاً :انه قال : لوحدثتكم بتفسيرها لكفرتم بتكذيبكم وكفركم بها .

قال سعيد بن جبير : قال رجل لابن عباس : « الله الذى خلق سبع سموات ومن الارض مثلهن » ؟ فقال ابن عباس : مايؤمنك أن اخبرك بها فتكفر .

٩ـ قيل : ليست المثلية التي بين السموات والارض مثلية فى القدر والحجم و انما هى مثلية فى التنوع والاختلاف ، فكما ان لكل سماء نظاماً مختلفاً عن الاخريات كماً و كيفا كذلك لكل اقليم من أقاليم الارض اولكل طبقة من طبقاتها نظاماً يختلف عما سواه قدراً و كيفاً .

أقول: والاول هو المؤيد بالروايات الاتية فانتظر .

وفي قوله تعالى : « يتنزل الامر بينهن » أقوال :

١- قيل : أي يتنزّل الامر بالخلق والتدبير من الله تعالى بين السموات و بين الارضين بحياة بعض وموت بعض ، وغنى طائفة وفقر الآخرين ، وسلامة حيّ وهلاك الآخرين ، وعزة قوم وذلة الآخرين . . . و تصريف الامور على الحكمة الالهية .

فالامر أمر تكويني كقوله تعالى : « انما امره اذا أراد شيئًا أن يقول له كن فيكون » والامر كلمة الايجاد ، وتنزله هو أخذه بالنزول من مصدر الأمر إلى أن يتكون ماقصد بالامر في ايجادخلق اوايصال رزق كما قال تعالى : «يدبر الامر من السماء الى الارض ـ واوحى في كل سماء امرها »

٢- قيل : أي يتنزّل وحيه وحكمه و كتابه من بين السموات إلى الخلق في كل سماء وفي كل ارض ، فيوحي من السماء العليا إلى الارض السفلى،فينفذ حكمه فيهن ، فالامر أمر تشريعي يتنزّل به الملائكةمن السماء إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم أو إلى الانبياء عليهم السلام .

٣- قيل : الامر يعم لكلا أمري التكوين والتشريع .

٤- عن مجاهد : يتنزل الامر من السموات السبع إلى الارضين السبع .

٥- قيل : أي في كل سماء من سماواته ، وفي كل ارض من أرضيه خلق من خلقه ، وأمر من أمره ، وقضاء من قضائه .

٦- عن الحسن ومقاتل : بين كل سمائين أرض ، و الامر هنا الوحي ، و عليه فيكون « بينهن » اشارةالى بين هذه الارض العلياالتي هي أدناها وبين السماء السابعة التي هي اعلاها .

٧-قيل : الامر القضاء والقدر،فعلى هذا يكون المراد بقوله تعالى :«بينهن» إشارةإلى ما بين الارض السفلى التي هي أقصاها ، وبين السماء السابعة التي هي أعلاها

٨ - قيل : هو ما يدبر فيهن من عجيب تدبيره ،فينزل المطر ويخرج النبات ويأتي بالليل والنهار ،والصيف والشتاء، ويخلق الحيوانات على اختلاف أنواعها

وهيئاتها ، فينقلهم من حال إلى حال .

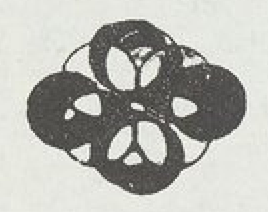
اقول: والثانى هو المروى والمؤيد بما جاء فى السورة من الاحكام والحدود فالقول بان ذلك تخصيص من غير مخصص غير وجيه .

وفى قوله تعالى : « لتعلموا » أقوال : ١ - قيل : خطاب لمن خوطب ببدء السورة وهم الذين ينتفعون بما جاءهم الرسول صلى الله عليه وآله وسلم

٢- قيل : خطاب لمن كفر وعصى وانكر قدرة الله تعالى على كل شىء .

٣- قيل : خطاب لكل مكلف سواء كان كافراً ام مؤمنا ، أى كى تعلموا أيها الناس .

اقول: والاول هو الانسب بتناسب بدء السورة بختامها وسياقها فتدبر جيداً



﴿التفسير و التأويل﴾

١- (يا أيها النبى اذا طلقتم النساء فطلقوهن لعدتهن و احصوا العدة و اتقوا الله ربكم لاتخرجوهن من بيوتهن ولا يخرجن الا أن ياتين بفاحشة مبينة و تلك حدود الله ومن يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه لا تدرى لعل الله يحدث بعد ذلك أمراً)

قوله تعالى: « يا أيها النبى » فى تخصيص النداء بالنبى صلى الله عليه و آله و سلم اكتفاء بعلم المخاطبين بأن ماخوطب به النبى صلى الله عليه و آله و سلم خطاب لهم إذكانوا مأمورين بالاقتداء به.

نظير قوله تعالى: « لئن أشركت ليحبطن عملك » الزمر: ٦٥)

الا ما خص بالنبى صلى الله عليه و آله و سلم دون المؤمنين، فخصه صلى الله عليه و آله و سلم بالذكر ثم عدل بالخطاب إلى الجماعة إذ كان خطابه خطاباً لهم فقال:

« اذا طلقتم النساء » أى أردتم أيها المؤمنون أن تطلقوا نساء كم، و أشرفتم على ذلك نظير قوله جل وعلا: « فاذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم » النحل: ٩٨) أى اذا أردت قرائته كقوله سبحانه: «اذا قمتم إلى الصلاة فاغسلوا وجوهكم » المائدة: ٦)

و قوله تعالى: « فطلقوهن لعدتهن » أى وقت طهرهن، و ذلك بان الرجل اذا أراد أن يطلق إمرائه، فلينتظر بها حتى تحيض و تطهر، فاذا خرجت من حيضتها طلقها تطليقة من غير جماع، فلابد من وقوع الطلاق فى زمان الطهر من غير جماع فيه.

فعلى المسلم أن ينظر الوقت المناسب للدخول فى العدة والطلاق بان لا

تكون المرأة فى الحيض ، و لا تكون حاملاً ، فليس للزوج أن يطلق زوجته حيثما شاء الا أن تكون زوجته فى حالة طهر من حيض و لم يقع بينهما فى هذا الطهر وطأ .

و لعل الحكمة فى ذلك التوقيت هى اولاً ارجاء ايقاع الطلاق فترة بعد اللحظة التى تتجه فيها النفس للطلاق ، و قد تسكن الفورة ان كانت طارئة ، و تعود النفوس إلى الوئام كما ان فيه تاكداً من الحمل او عدمه قبل الطلاق فقد يمسك عن الطلاق لو علم الرجل أن زوجه حامل ، فاذا مضى فيه ، و قد تبين حملها دل على انه مريدله ولو كانت حاملا ، فاشتراط الطهر بلا وطيء للتحقيق من عدم الحمل ، و اشتراط تبين الحمل هو ليكون على بصيرة من الامر . و قوله تعالى : « لعدتهن » يقتضى أنهن اللاتى دخلن بهن من الازواج لان غير المدخول بهن خرجن بقوله تعالى : « ياأيها الذين آمنوا اذا نكحتم المومنات ثم طلقتموهن من قبل أن تمسوهن فما لكم عليهن من عدة تعتدونها » الأحزاب : ٤٩)

و المراد بالطلاق طلاق رجعى طهراً بعد طهر قال الله تعالى : « الطلاق مرتان » البقرة : ٢٢٩) اى فطلقوهن لزمان عدتهن مرة بعد مرة .

و قوله تعالى: : « و احصوا العدة » العدة : هى الزمان الذى تتربص فيه المرأة عقيب الطلاق .

والمعنى : اضبطوا العدة بالاحصاء والحفظ و اكملوها ثلاثة قروء قال الله تعالى : « والمطلقات يتربصن بأنفسهن ثلاثة قروء ولا يحل لهن أن يكتمن ماخلق الله فى أرحامهن ان كن يؤمن بالله واليوم الاخر و بعولتهن أحق بردهن فى ذلك إن أرادوا اصلاحاً » البقرة : ٢٢٨)

كى لا يكون فى عدم احصائها إطالة الأمد على المطلقة ، و مضارة لها بمنعها من الزواج بعد العدة ، أو نقص فى مدتها لا يتحقق به الغرض الاول و هو التأكد من براءة رحم المطلقة من الحمل المستكن حفظاً للانساب ، و لما فى العدة من حق النفقة والسكنى للمرأة على زوجها ، و للزوج فيها حق الرجوع .

و حيث جعل عدة المطلقة ثلاثة قروء ليستطيع الزوج الرجوع إليها خلال العدة لو أراد .

و قوله تعالى: « و اتقوا الله ربكم » و اخشوه فلا تعصوه فيما أمركم به بسبب الاهمال فى احصاء العدة او لغرض آخر والاضرار بهن فى تطويل العدة عليهن ، و فى القيام بما للمعتدات من الحقوق ، كما ينبغى أن تخشوه فى الطلاق نفسه ، فلا يكون لاتباع الهوى .

قال الله تعالى : « و ان عزموا الطلاق فان الله سميع عليم ـ و اذا طلقتم النساء فبلغن أجلهن فامسكوهن بمعروف او سرحوهن بمعروف ولا تمسكوهن ضراراً لتعتدوا » البقرة : ٢٢٧ ـ ٢٣١)

و قوله تعالى: « لاتخرجوهن من بيوتهن » أى لاتخرجوا المطلقات المعتدات من مساكنهن التى تسكنها قبل الطلاق من بيوت الازواج بمجرد الطلاق غضباً عليهن او كراهة لمساكنتهن او لحاجة إلى المساكن لان تلك السكنى حقهن أوجبه الله تعالى عليكم إلى أن تنقضى عدتهن ، و نسبت البيوت إليهن لتوكيد حقهن فى الاقامة بها فترة العدة ولا ختصاصها بهن من حيث السكنى .

نظير قوله تعالى : « و قرن فى بيوتكن ـ و اذكرن ما يتلى فى بيوتكن » الاحزاب : ٣٣ ـ ٣٤)

و قوله تعالى: « ولايخرجن » هن بأنفسهن من البيوت، فلا يجوز الاخراج من ناحية الازواج ، ولا الخروج باختيار المطلقات ، و لعل الحكمة من ابقاء المطلقة فى بيت زوجها هى اتاحة الفرصة للرجعة ، و استشارة عواطف المودة و ذكريات الحياة المشتركة حيث تكون الزوجة بعيدة عن زوجها بالطلاق قريبة من العين لكونها فى داره ، و اما اذا زنت أو أذت زوجها ، فلا يرجى ذلك ، فاذا خرجت أثمت ، ولا تنقطع العدة ، و لا يخرجن من بيوتهن حتى تنقضى عدتهن الا لضرورة شرعية كالحج و نحوه او لضرورة عادية كعلاج المرض و نحوه .

و قوله تعالى: « الا أن يأتين » هؤلاء المطلقات اللاتى يكن فى بيوت

أزواجهن المطلقين قبل انقضاء العدة « بفاحشة مبينة » بكل معصية ظاهرة من الزنا والسرقة و الأذى و السب والشتم و سوء الخلق و خروجهن من البيوت بغير إذن .

و **قوله تعالى:** « و تلك حدود الله » أى أحكام الطلاق والعدة التى بيّنها الله تعالى هى حدود الله جل و علا فلا تعتدوها أيها المؤمنون .

قال الله تعالى : « تلك حدود الله فلا تعتدوها - و تلك حدود الله يبيّنها لقوم يعلمون » البقرة : ٢٢٩ - ٢٣٠)

و **قوله تعالى:** « و من يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه » بان يطلّق اتباعاً للهوى و لم يراع ما أمره الله تعالى برعايته من أحكام الطلاق ، فخرج عن حوزة الشريعة الاسلامية باهمال أحكامها ، و دخل فى زمرة الظالمين اذ جعل نفسه فى عرضة السخط والعذاب باتخاذه آيات الله جل و علا هزواً .

قال الله تعالى : « و من يتعد حدود الله فاولئك هم الظالمون - و من يفعل ذلك فقد ظلم نفسه ولا تتخذوا آيات الله هزواً » البقرة : ٢٢٩ - ٢٣١)

و **قوله تعالى :** « لا تدرى لعل الله يحدث بعد ذلك أمراً » الامر الذى يحدثه الله أن يقلّب قلب الزوج من بغض زوجته إلى محبتها ، و من الرغبة عنها حال الطلاق - و هى حالة كريهة - إلى الرغبة فيها ، و من عزيمة الطلاق إلى الندم عليه فيراجعها .

و من هنا يعلم ان الاخراج والخروج من بيت الزوجية زمن العدة استعجال قبيح ، و صد عن استئناف الرأى و رجاء الرجوع إلى المطلقات ، و عن أن يحدث الله تعالى بعد ذلك التصميم العاجل الجاهل أمراً هو لصالح الازواج و لصالح الزوجات .

و هذه الحكم والعلل فى تأجيل الفراق تأتى برهاناً بيناً ودليلاً قاطعاً على بطلان الطلقات الثلاث فى مجلس واحد ، و كذلك كل لعبة تزيل رجاء الرجوع فانها استهزاء بآيات الله: « ولا تتخذوا آيات الله هزوا » البقرة:٢٣١)

٢ـ (فاذابلغن أجلهن فامسكوهن بمعروف اوفارقوهن بمعروف واشهدوا ذوى عدل منكم و اقيموا الشهادة لله ذلكم يوعظ به من كان يؤمن بالله و اليوم الاخر و من يتق الله يجعل له مخرجاً)

قوله تعالى : « فاذا بلغن أجلهن » : شارفن على انقضاء عد تهن ، و قاربن آخر العدة ، « فامسكوهن » : فان شئتم فراجعوهن « بمعروف » بحسن المعاشرة والصحبة معهن ثانياً ، و انفاق اللائق وايفاء الحق ، و اتقاء الضرار عليهن « اوفارقوهن » فاخرجوهن من بيوتكم « بمعروف » بايفاء ما لهن من حق الصداق او المتعة على قدر الميسرة .

قال الله تعالى : « و اذا طلقتم النساء فبلغن أجلهن فامسكوهن بمعروف او سرحوهن بمعروف ولاتمسكوهن ضراراً لتعتدوا ـ و للمطلقات متاع بالمعروف حقا على المتقين » البقرة : ٢٣١ ـ ٢٤١)

و قوله تعالى: « و أشهدوا » أيها الازواج على الطلاق « ذوى عدل » : رجلين صاحبي عدل « منكم » المؤمنين « و اقيموا » أيها الشهود « الشهادة » على الطلاق عند الحاجة إليها على وجهها من غير تبديل ولا تغيير « لله » تعالى طلباً لمرضاة الله جل و علا ، و خالصاً لوجهه من غير شائبة أيّة غرض ، و أدّوها على الصحة .

و قوله تعالى: « ذلكم » يامعشر المؤمنين مامرّ من أحكام الطلاق وحدود الله جل و علا « يوعظ به من كان يؤمن با لله و اليوم الاخر » لان المؤمنين هم الذين يتعظون و يعتبرون ، و هذا هو محك ايمانهم حقا ، و هذا هو مقياس دعواهم فى الايمان صدقا .

قال الله تعالى : « يعظكم الله أن تعودوا لمثله أبداً إن كنتم مؤمنين » النور : ١٧)

و قال : « و جاءك فى هذه الحق و موعظة وذكرى للمؤمنين » هود: ١٢٠)

و قال : « و لقد أنزلنا اليكم آيات مبينات و مثلا من الذين خلوا من

قبلكم و موعظة للمتقين » النور : ٣٤)

و قوله تعالى : « وَ من يتق الله » باجتناب معاصيه ، و يتورّع عن نواهيه و يأتمر باوامره ، و يقف عندَ حدوده التى حدّها لعباده و لم يجاوزها « يجعل له مخرجاً » من شدائد الدنياو محن القبر وأهوال الآخرة ، و من الضيق والفقر والفاقة و الذلة فى الدنيا ، و من العذابوالنار فىالآخرة قال الله تعالى : « ومن تق السيئات يومئذ فقد رحمته و ذلك هو الفوز العظيم »غافر : ٩)

و قال : « ولو ان أهل القرى آمنوا و اتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والارض » الاعراف : ٩٦)

و قال : « يا أيها الذين آمنوا ان تتقوا الله يجعل لكم فرقاناً و يكفر عنكم سيئاتكم و يغفر لكم والله ذوالفضل العظيم » الانفال : ٢٩)

و قال : « من جاء بالحسنة فله خير منها و هم من فزع يومئذ آمنون » النمل : ٨٩)

و قال : « وسيق الذين اتقوا ربهم إلى الجنة زمراً حتى اذا جاؤها وفتحت أبوابها و قال لهم خزنتها سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين » الزمر : ٧٣)

٣ـ (و يرزقه من حيث لا يحتسب ومن يتوكل على الله فهو حسبه ان الله بالغ أمره قد جعل الله لكل شيء قدراً)

قوله تعالى : « و يرزقه من حيث لا يحتسب » من حيث انه لا يتوقعه و لا يظنه ، فيو جدله أسباب الرزق من حيث لا يشعر ولا يعلم ، ولا يدرى ، و يبارك فيما آتاه .

و قوله تعالى: « و من يتوكل على الله فهو حسبه » و من يكل اموره إلى الله تعالى و يفوّضها إليه و يثق بحسن تدبيره و تقديره فهو كافيه ما أهمه فى دنياه و آخرته لان المعبود الحقيقى هوالقادر على كل شيء ، و هو الغنى عن كل شيء و هو الجواد بكل شيء ، فاذا فوض عبده الضعيف أمره إليه و اعتمد على رأفته و كرمه بعباده لا يهمله البتة .

قال الله تعالى : « قل لن يصيبنا الا ما كتب الله لنا هو مولانا و على الله فليتوكل المؤمنون » التوبة : ٥١)

و قال : « ذلكم الله ربى عليه توكلت و اليه انيب ـ له مقاليد السموات و الارض يبسط الرزق لمن يشاء و يقدر انه بكل شيء عليم ـ فما اوتيتم من شيء فمتاع الحياة الدنيا و ما عندالله خير و أبقى للذين آمنوا و على ربهم يتوكلون» الشورى : ١٠ ـ ١٢ ـ ٣٦)

و قوله تعالى: « ان الله بالغ امره » : يبلغ كل أمر يريده ، فلا يفوته جل و علا ما شاء من الخلق والأمر والتدبير .

قال الله تعالى : « بديع السموات والارض واذا قضى أمراً فانما يقول له كن فيكون » البقرة : ١١٧)

و قال : « ألا له الخلق والأمر تبارك الله رب العالمين » الاعراف : ٥٤)

و قال : « و كان امر الله مفعولا » النساء : ٤٧)

و قال : « و الله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون » يوسف:٢١)

و قوله تعالى: « قد جعل الله لكل شيء قدراً » فكل شيء مقدر بمقدار و بزمانه و مكانه ،و بملا بساته و نتائجه وأسبابه ، و ليس شيء بمصادفة ولا بجزاف فى هذا العالم الشاسع كله عامة ، و فى نفس الانسان و فى حياته خاصة ، فلا تحزن أيها المؤمنون اذا فاتكم شيء مما كنتم تؤملون و ترجون ، فان الامور مرهونة بأوقاتها ، و مقدرة بمقادير خاصة .

قال الله تعالى : « و خلق كل شيء فقدره تقديراً » الفرقان : ٢)

و قال : « انا كل شيء خلقناه بقدر » القمر : ٤٩)

و قال :« و كان امر الله قدراً مقدوراً » الاحزاب : ٣٨)

و قال : « و ان من شيء الا عندنا خزائنه و ما ننزله الا بقدر معلوم » الحجر : ٢١)

و قال : « و كل شيء عنده بمقدار » الرعد : ٨)

٤- (و اللائى يئسن من المحيض من نساءكم ان ارتبتم فعدتهن ثلاثة اشهر و اللائى لم يحضن واولات الاحمال أجلهن ان يضعن حملهن ومن يتق الله يجعل له من امره يسراً)

و المطلقات اللاتى يئسن من حيضهن من نساءكم لما زاد على شهر فلم يحضن إن شككتم فى أمر يأسهن من الحيض ، فلا تدرون لكبر ارتفع حيضهن، ام لعارض ، فعدتهن ثلاثة أشهر ، وهن اللواتى يحضن أمثالهن لا نهن لو كنّ فى سنّ من لا تحيض لما كان للارتياب معنى .

و كذلك المطلقات اللاتى لم يحضن أصلاً ، و هن فى سنّ من تحيض ، فان شككتم فى أمر عدتهن فعدتهن ثلاثة أشهر .

و قوله تعالى: « و اولات الاحمال أجلهن ان يضعن حملهن» طال الزمان بعد الطلاق أم قصر ، ولو كان عشرين ليلة فترة الطهر من النفاس لان براءة الرحم بعد الوضع مؤكدة ، فلا حاجة إلى الانتظار، فالمطلقة تبين من مطلقها بمجرد الوضع، فلا حكمة فى انتظارها بعد ذلك ، وهى غير قابلة للرجعة إليه الا بعقد جديد على كل حال.

و قوله تعالى: « و من يتق الله يجعل له من أمره يسراً » و من يخف الله تعالى و يمتثل عن أوامره ، و يؤدّى فرائضه ، و يجتنب عن نواهيه ، و لم يتعد حدوده يسهّل الله جل و علا جميع أمور دنياه و آخرته .

٥- (ذلك أمر الله أنزله اليكم و من يتق الله يكفر عنه سيئاته و يعظم له اجراً)

ما بيّنا لكم من أحكام الطلاق و الرجعة والعدة ، و ما يتعلق بها كل ذلك حكم الله تعالى الذى أمركم به أنزله اليكم أيها الازواج لتأتمروا له و تعملوا به و من يخف الله جل و علا و يتورع عن معاصيه و يجتنب عن نواهيه و يؤدّى فرائضه يمح الله تعالى عنه ذنوبه و سيئات أعماله ، و يعظم له أجراً فى الاخرة من الجنة و نعيمها .

قال الله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا ان تتقوا الله يجعل لكم فرقاناً و

يكفّر عنكم سيئاتكم و يغفر لكم والله ذوالفضل العظيم » الانفال : ۲۸) و قال :
« ان الحسنات يذهبن السيئات ذلك ذكرى للذاكرين » هود : ۱۱۴) .

و قال : « تلك الجنة التى نورث من عبادنا من كان تقيا » مريم : ۶۳)

و قال : « و ان تؤمنوا و تتقوا فلكم أجر عظيم » آل عمران : ۱۷۹)

۶- (اسكنوهن من حيث سكنتم من وجدكم ولا تضاروهن لتضيقوا عليهن و ان كن اولات حمل فانفقوا عليهن حتى يضعن حملهن فان ارضعن لكم فاتوهن اجورهن و ائتمروا بينكم بمعروف و ان تعاسرتم فسترضع له اخرى)

« اسكنوهن » هؤلاء المطلقات الرجعيات « من حيث سكنتم » ببعض سكنا كم « من وجدكم » : من وسعكم و قدر غناكم ، فان كنتم موسرين فسعوا عليهن فى المسكن و النفقة و ان كنتم فقراء فعلى قدر الطاقة ، « ولا تضارّوهن » فى مساكنهن و نفقتهن و كسوتهن « لتضيقوا عليهن » ببعض الاسباب من إنزال من لا يوافقهن او بشغل مكانهن او غير ذلك حتى تضطروهن إلى الخروج .

« وان كن » المطلقات بائنات ، و كن « اولات » صاحبات « حمل » منكم « فانفقوا عليهن » نفقة « حتى يضعن حملهن » لان عدتهن انما تنقضى بوضع حملهن .

« فان أرضعن » هؤلاء المطلقات : الرجعيات و البائنات « لكم » اولادكم منهن « فاتوهن اجورهن » فعليكم ان تعطوهن اجرة ارضاعهن ، فللرجل أن يستأجر امرأته المطلقة للرضاع كما يستأجر أجنبية .

قال الله تعالى : « و على المولود له رزقهن و كسوتهن بالمعروف » البقرة : ۲۳۳) « وأتمروا بينكم بمعروف » الائتمار بالمعروف : هو مداولة الامر بين الرجل وامرأته المطلقة بالمعروف و اللطف ، و ذلك للاتفاق على ما فيه مصلحة الرضيع ، فليذكر كل منهما أن الامر الذى يتداولانه بينهما : هو خاص بولدهما معا ، و إن من مصلحة الوليد أن تجتمع عليه عواطف الابوة و الامومة معا ، و ألا يكون انفصال الابوين سببا فى حرمانه من هذه العاطفة من أحدهما أو كليهما .

والمعنى : و تشاوروا على التراضي في الاجرة والاشفاق على الولد بحيث يأمر بعضكم بعضاً بما يليق بالسنة ، و يحسن في المروّة ، فلايماكس الاب ، ولا تعاسر الام لانه ولدهما وهما شريكان فيه .

قال الله تعالى :« لا تضار والدة بولدها لا ومولود له بولده » البقرة:٢٣٣)

« و ان تعاسرتم » تضايقتم عن المطلقة المرضعة ، فلم ترض بما ترضع به غيرها ، و لم يزد الزوج المطلق على ذلك ، فلم يقع بين الرجل و مطلقته اتفاق على ان تقوم الام بارضاع الولد « فسترضع » الطفل « له » للاب مرضعة «اخرى» غير الام المطلقة .

قال الله تعالى : « و ان اردتم أن تسترضعوا أولادكم فلا جناح عليكم اذا سلمتم ما آتيتم بالمعروف » البقرة : ٢٣٣)

٧- (لينفق ذوسعة من سعته و من قدر عليه رزقه فلينفق مما آتاه الله لا يكلف الله نفساً الا ما آتاها سيجعل الله بعد عسريسراً)

لينفق الزوج المطلق صاحب السعة على زوجته المطلقة ، و على ولده الصغير على قدر وسعه « و من قدر » ضيق « على رزقه » رزق نفسه « فلينفق » المرضعة « مما آتاه الله » على حسب امكانه و طاقته « لا يكلف الله نفسا الا ما آتاها » الا بقدر ما أعطاها من الطاقة والغنى إذ لا يكلف الله أحداً مالايطيقه .

قال الله تعالى : « و متعوهن على الموسع قدره و على المقتر قدره متاعاً بالمعروف حقاعلى المحسنين ـ لايكلف الله نفسا الا وسعها » البقرة : ٢٣٦-٢٨٦)

« سيجعل الله بعد عسر يسراً » بعد الشدة بالطلاق والفراق ، الرخاء ، وبعد الضيق سعة ، وبعد الفقرغنى و بعد صعوبة الامر سهولة بالزواج جديداً .

قال الله تعالى : « عسى ربه ان طلقكن أن يبدله أزواجا خيراً منكن مسلمات مؤمنات قانتات تائبات عابدات سائحات ثيبات و أبكاراً » التحريم : ٥)

٨- (و كاين من قرية عتت عن أمر ربها و رسله فحاسبناها حساباشديداً و عذبناها عذابا نكرا)

و كثير من أهل قرية عصوا الله تعالى ، و طغوا عن أمر ربهم ، و عتوا على رسله ، فجاوزوا الحدفى العصيان والمخالفة ،فحاسبناهم حساباً شديداً واستقصيناه وناقشنا فيه ،وعذبناهم عذاباً صعباً غير معهود ، عذابا دهاءاً فظيعاً لايعرف وهذا هو عذاب الاستئصال فى الحياة الدنيا من الهلاك والدمار .

قال الله تعالى : « وان يكذبوك فقد كذبت قبلهم قوم نوح و عاد وثمود وقوم ابراهيم وقوم لوط وأصحاب مدين و كذب موسى فأمليت للكافرين ثم اخذتهم فكيف كان نكير فكأين من قرية اهلكناها وهى ظالمة فهى خاوية على عروشها وبئر معطلة وقصر مشيد » الحج : ٤٢ ـ ٤٥)

وقال : « وفى موسى اذ أرسلناه إلى فرعون بسلطان مبين فتولى بر كنه و قال ساحر أومجنون فأخذناه وجنوده فنبذناهم فى اليم وهومليم وفى عاد إذأرسلنا عليهم الريح العقيم ماتذر من شيء أتت عليه الا جعلته كالرميم وفى ثمود اذ قيل لهم تمتعوا حتى حين فعتوا عن أمر ربهم فاخذتهم الصاعقة وهم ينظرون فمااستطاعوا من قيام وماكانوا منتصرين » الذاريات : ٣٨ ـ ٤٥)

٩ـ (فذاقت وبال أمرها وكان عاقبة أمرها خسراً)

فذاقوا عاقبة كفرهم ومآل عتوهم بالهلاك والدمار والعذاب ، و كان عاقبة عصيانهم وطغيانهم خسراناً مبيناً لاينبغى أن يغفل عنها .

قال الله تعالى : « أولم يسيروا فى الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم كانوا هم أشد منهم قوة و آثاراً فى الارض فاخذهم الله بذنوبهم وما كان لهم من الله من واق ذلك بانهم كانت تأتيهم رسلهم بالبينات فكفروا فاخذهم الله انه قوى شديد العقاب » غافر : ٢١ ـ ٢٢)

وقال : « كذب الذين من قبلهم فاتاهم العذاب من حيث لايشعرون فاذاقهم الله الخزى فى الحياة الدنيا ولعذاب الاخرة أكبر لو كانوا يعلمون ولقد ضربنا للناس فى هذا القرآن من كل مثل لعلهم يتذكرون » الزمر: ٢٥ ـ ٢٦)

١٠ـ (أعد الله لهم عذاباً شديداً فاتقوا الله يا اولى الالباب الذين آمنوا قد أنزل الله اليكم ذكراً)

هيأ الله تعالى لهؤلاء الطغاة الذين عصوا الله جل و علا وطغوا عن أمره و خالفوا رسله « عذاباً شديداً » فى الآخرة بعد ماأذاقهم من عذاب الدنيا من الهلاك و الدمار ، فاذا كان مآل الكفر و عاقبة الطغيان هلاكا و دماراً فى الدنيا و عذاب النار فى الآخرة ، فاحذروا الله جل و علا يا أصحاب العقول ـ أن يحل بكم مثلما حلّ بهم، فلا تفعلوا مثلمافعل هؤلاء المستكبرون ، وأصحاب الاهواء المبعدون عن الله تعالى ـ « الذين آمنوا قد أنزل الله اليكم » أيها المؤمنون « ذكراً » عظيمايهديكم الى سواءالسبيل .

١١ـ (رسولا يتلوا عليكم آيات الله مبينات ليخرج الذين آمنوا وعملوا الصالحات من الظلمات الى النور و من يؤمن بالله و يعمل صالحاً يدخله جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها أبداً قد أحسن الله له رزقا)

و أرسل إليكم « رسولا يتلوا عليكم آيات الله » : آيات القرآن الكريم الذى أنزله عليه « مبينات » : يبين لكم ماتحتاجون إليه فى دنياكم وآخرتكم « ليخرج » الله جل وعلا « الذينَ آمنوا و عملوا الصالحات من الظلمات » : من ظلمة الجهل والكفر ، من ظلمة الاستكبار والطغيان، من ظلمة الهواء والعصيان ومن ظلمة العناد والعدوان « الى النور » : نور العلم والايمان ، نور الخشوع و الطاعة ، نورالعقل والتقوى ، ونور الصدق والصفاء ،فان الله جل وعلا يخرج المهتدى من الضلالة إلى الهدى ، من الباطل إلى الحق ، من الجهل إلى العلم ، من الشك إلى اليقين ، من الكفر إلى الايمان ، من الغفلة إلى اليقظة ، من الشبهات إلى الدلالات والبراهين ، من الفوضى إلى النظام وبالجملة من الانس بالشيطان إلى الانس بالرحمن .

قال الله تعالى : « قدجاءكم من الله نور كتاب مبين يهدى به الله من اتبع رضوانه سبل السلام و يخرجهم من الظلمات إلى النور باذنه و يهديهم إلى صراط مستقيم » المائدة : ١٦)

« ومن يؤمن » يصدق « بالله » جل وعلا « ويعمل»عملا « صالحا »: بطيعه فيما

أمره به ، ونهاه عنه « يدخله » الله تعالى « جنات » بساتين « تجرى من تحتها الانهار » من عسل مصفى ومن ماء غير آسن ، ومن لبن لم يتغير طعمه ، و من خمر لذة للشاربين .

قال الله تعالى : « أفمن كان على بينة من ربه كمن زين له سوء عمله و اتبعوا أهواء هم مثل الجنة التى وعد المتقون فيها أنهار من ماء غير آسن وأنهار من لبن لم يتغير طعمه وانهار من خمر لذة للشاربين وانهار من عسل مصفى ولهم فيها من كل الثمرات ومغفرة من ربهم » محمد ﷺ : ١٤ ـ ١٥)

« خالدين » ماكثين « فيها أبداً » قال تعالى : « و يبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات ان لهم أجراً حسنا ماكثين فيه أبداً » الكهف : ٢ ـ ٣)

« قد أحسن الله له رزقاً » لمن آمن بالله وعمل صالحاً من ذكر او انثى .

قال الله تعالى : « و من عمل صالحاً من ذكر اوانثى و هو مؤمن فاولئك يدخلون الجنة يرزقون فيها بغير حساب » غافر : ٤٠)

١٢- (الله الذى خلق سبع سموات ومن الارض مثلهن يتنزل الامر بينهن لتعلموا ان الله على كل شيء قدير وان الله قد احاط بكل شيء علما)

« الله الذى خلق سبع سموات » طباقاً ذات الحبك ، وجعل كل واحدة منها بالنسبة إلى ماتحيط سقفاً محفوظاً .

قال الله تعالى : « الذى خلق سبع سموات طباقاً » الملك : ٣)

وقال : « والسماء ذات الحبك » الذاريات : ٧)

و قال : و جعلنا السماء سقفا محفوظاً » الانبياء : ٣٢)

وقال : « أفلم ينظروا إلى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيناها » ق : ٦)

« و » خلق « من الارض » سبعاً « مثلهن » السموات . . .

« يتنزل الامر » من مصدره الالهى المتوجه إلى عباده « بينهن » من بين سماء إلى سماء ، ومن بين ارض إلى أرض حتى ينتهى إلى نبيه الخاتم محمد ﷺ

قال الله تعالى : « انا أنزلناه فى ليلة مباركة انا كنا منذرين فيها يفرق كل امر

حكيم أمراً من عندنا انا كنا مرسلين » الدخان : ٣ ـ ٥)

وقال :« ثم جعلناك على شريعة من الامر فاتبعها » الجاثية : ١٨)

« لتعلموا » أيها المؤمنون المتقون المنتفعون بما جاءكم الرسول ﷺ والعاملون بما فرض الله تعالى عليكم ، و المؤتمرون بأوامر الله و المنتهون عن نواهيه نظير قوله تعالى :« يا أيها الذين آمنوا لاتقتلوا الصيد وانتم حرم ـ لتعلموا ان الله يعلم مافي السموات ومافي الارض وان الله بكل شيء عليم » المائدة: ٩٥ـ٩٧)

« ان الله على كل شيء قدير » فلا يتعذر عليه شيء أراده ، ولايمتنع عليه أمر شاءه ، ولا يعجزه شيء .

قال الله تعالى : « وما كان الله ليعجزه من شيء في السموات ولافي الارض انه كان عليماً قديراً » فاطر : ٤٤)

« وان الله قد أحاط بكل شيء علما » فلا يعزب عنه مثقال ذرة في الارض ولا في السماء ، فالمؤمن والكافر ، المصلح والمفسد ، المحسن والمسيء ، المطيع و العاصي ، المصيب والمخطىء ، الخاشع والمستكبر ، المؤتمر والمتمرد ، وبالجملة اولوا الالباب وأتباع الهواء كل يجازى حسب عمله .

قال الله تعالى : « وما تكون في شأن وما تتلوا منه من قرآن ولا تعملون من عمل الا كنا عليكم شهوداً اذ تفيضون فيه وما يعزب عن ربك من مثقال ذرة في الارض ولا في السماء ولا أصغر من ذلك ولا اكبر الا في كتاب مبين ألا ان اولياء الله لاخوف عليهم ولا هم يحزنون الذين آمنوا و كانوا يتقون لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة لا تبديل لكلمات الله ذلك هو الفوز العظيم » يونس : ٦١ ـ ٦٤)

﴿جملة المعانى﴾

٥٢١٨ - (ياأيها النبى اذا طلقتم النساء فطلقوهن لعدتهن و احصوا العدة واتقوا الله ربكم لاتخرجوهن من بيوتهن ولايخرجن الا ان يأتين بفاحشة مبينة وتلك حدودالله ومن يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه لاتدرى لعل الله يحدث بعد ذلك امراً)

اذا أردتم أن تطلقوا نساءكم فطلقوهن وقت طهرهن من غير وقاع فيه، و لما طلقتموهن احصوا أيام العدة، وخافوا الله الذى بيده تربيتكم ، فلا تعصوه فيما أمركم به ،لاتخرجوا المطلقات المعتدات من مساكنهن التى كن يسكنها قبل الطلاق ، ولايخرجن هن بانفسهن الا أن يأتين بمعصية ظاهرة من الزنا والبذاء و سوء الخلق وما اليها،وتلك الاحكام حدود الله جل وعلا فلا تعتدوها أيها المؤمنون ومن جاوز حدودالله بان يطلق اتباعاً للهوى واضراراً لنفس فقد ظلم نفسه اذجعل نفسه فى عرضة السخط والعذاب ، لاتعلم لعل الله تعالى أن يقلب قلب الزوج من البغض إلى الحب .

٥٢١٩ - (فاذا بلغن أجلهن فامسكوهن بمعروف اوفارقوهن بمعروف واشهدوا ذوى عدل منكم واقيموا الشهادة لله ذلكم يوعظ به من كان يؤمن بالله واليوم الاخر ومن يتق الله يجعل له مخرجا)

فاذاقاربن آخر عدتهن فراجعوهن بحسن المعاشرة والصحبة معهن اواخرجوهن من بيوتكم بايفاء مالهن من الحقوق عليكم ، و أشهدوا أيها الازواج على الطلاق رجلين صاحبى عدل منكم المؤمنين ، وأقيموا أيها الشهود الشهادة على الطلاق

على وجهها طلبا لمرضاة الله ، ذلكم يا معشر المؤمنين من أحكام الطلاق وحدود الله يوعظ به من كان يؤمن بالله واليوم الآخر ومن خاف الله فيجتنب عن محارمه و يأتمر بأوامره يجعل الله له مخرجاً من الشدائد والمحن .

٥٢٢٠ - (ويرزقه من حيث لايحتسب ومن يتوكل على الله فهوحسبه ان الله بالغ أمره قد جعل الله لكل شيء قدراً)

ويرزق الله تعالى المتقي من حيث انه لايتوقعه ويبارك فيما آتاه ، ومن يكل اموره إلى الله جل وعلا ويثق بحسن تدبيره وتقديره فهو كافيه لان الله تعالى يبلغ كل ما أراد ، اذ جعل الله لكل شيء قدراً مقدراً .

٥٢٢١ - (و اللائي يئسن من المحيض من نساءكم ان ارتبتم فعدتهن ثلاثة اشهر واللائي لم يحضن واولات الاحمال أجلهن أن يضعن حملهن ومن يتق الله يجعل له من أمره يسراً)

والمطلقات المعتدات يئسن من حيضهن لمازاد على شهر و لم يحضن وهن في سن من تحيض إن شككتم في أمر يأسهن من الحيض فعدتهن ثلاثة أشهر و كذلك المطلقات اللاتي لم يحضن أصلا وهن في سن من تحيض ، وصاحبات الاحمال عدتهن أن يضعن حملهن طال الزمان ام قصر ، و من يخف الله جل و علا و يؤد فرائضه يسهل الله تعالى جميع اموره . . .

٥٢٢٢ - (ذلك امر الله أنزله اليكم ومن يتق الله يكفر عنه سيئاته ويعظم له أجراً)

ما بيناه لكم من أحكام الطلاق حكم الله تعالى أنزله الله تعالى إليكم ايها الازواج لتأتمروا به ، ومن يتورع عن نواهيه ويأت بأوامره يمح الله جل و علا عنه ذنوبه ، وسيئات أعماله ويعظم له أجراً في الآخرة من الجنة ونعيمها .

٥٢٢٣ - (اسكنوهن من حيث سكنتم من وجدكم ولا تضاروهن لتضيقوا عليهن وان كن اولات حمل فانفقوا عليهن حتى يضعن حملهن فان أرضعن لكم فاتوهن اجورهن وأتمروا بينكم بمعروف وان تعاسرتم فسترضع له اخرى)

أسكنوا المعتدات الرجعيات ببعض سكنا كم من قدر طاقتكم، ولاتضاروهن في السكنى والنفقة والكسوة لتضيقوا عليهن حتى تلجأن إلى الخروج ، وان كن المطلقات بائنات وكن اولات حمل منكم فانفقوا عليهن نفقة حتى يضعن حملهن فان أرضعن هؤلاء المطلقات : الرجعيات والبائنات لكم أولادكم، فاتوهن اجورهن وتشاوروا على التراضي في الاجرة والاشفاق على الولد . وان تضايقتم عن المطلقة المرضعة فسترضع الطفل له مرضعة اخرى .

٥٢٢٤ - (لينفق ذوسعة من سعته ومن قدر عليه رزقه فلينفق مما آتاه الله لايكلف الله نفساً الاما آتاها سيجعل الله بعد عسر يسراً)

لينفق الزوج المتمكن على زوجته المطلقة حسب تمكنه ، ومن ضيق عليه رزق نفسه فلينفق المرضعة مما آتاه الله تعالى حسب طاقته اذ لايكلف الله نفساً الا ما آتاها من الطاقة ، سيجعل الله بعد الشدة بالطلاق والفراق رخاءاً .

٥٢٢٥ - (وكأين من قرية عتت عن أمر ربها و رسله فحاسبناها حسابا شديداً وعذبناها عذابا نكراً)

و كثير من أهل قرية عصوا الله جل وعلا وتمردوا عن أمر ربهم وعتوا على رسله فجاوزوا الحد فحاسبناهم حساباً شديداً اذ استقصيناه وناقشنافيه وعذبناهم عذاباغير معهود.

٥٢٢٦ - (فذاقت وبال أمرها وكان عاقبة أمرها خسراً)

فذاقوا وخيم عاقبة عتوهم بالهلاك والدمار، و كان عاقبة طغيانهم خسراناً مبيناً لاينبغي لاحد ان يغفل عنها .

٥٢٢٧ - (أعدالله لهم عذاباً شديداً فاتقوا الله يا اولى الالباب الذين آمنوا قد أنزل الله اليكم ذكراً)

هيأ الله تعالى لهؤلاء العتاة والمردة الذين طغوا عن أمر ربهم وخالفوا رسله عذاباً شديداً في الآخرة ، فاذا كان مآل الكفر هلاكاً في الدنيا وعذاباً في الاخرة فاحذروا وخافوا الله يا أصحاب العقول- أن يحل بكم ما حل بهم - الذين آمنوا

بالله ورسوله قدأنزل الله إليكم ذكراً يذكركم بما حل بهم .

٥٢٢٨ - (رسولا يتلوا عليكم آيات الله مبينات ليخرج الذين آمنوا و عملوا الصالحات من الظلمات الى النور ومن يؤمن بالله و يعمل صالحاً يدخله جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها أبداً قد احسن الله له رزقاً)

أرسل اليكم رسولاً يتلوا عليكم آيات القرآن الكريم الذى أنزله الله على نبيه ﷺ يبين لكم ما تحتاجون إليه فى دنياكم و آخرتكم ليخرج الله تعالى الذين آمنوا وعملوا الصالحات من ظلمة الكفر والعصيان إلى نور الطاعة والايمان ومن يصدق بالله جل وعلا ويعمل عملا صالحا يدخله الله بساتين تجرى من تحتها الانهار ماكثين فيها أبداً قد أحسن الله تعالى له رزقاً .

٥٢٢٩ - (الله الذى خلق سبع سموات ومن الارض مثلهن يتنزل الامر بينهن لتعلموا ان الله على كل شىء قدير و ان الله قد احاط بكل شىء علما)

الله تعالى هو الذى خلق سبع سموات طباقاً و خلق من الارض سبعاً مثل السموات ، يتنزل الامر من مصدره الالهى من بين سماء وسماء ومن بين أرض وأرض إلى انتهى إلى رسوله الخاتم ﷺ لتعلموا أيها المؤمنون ان الله على كل شىء قدير لايعجزه شىء ، وان الله قد أحاط بكل شىء لايعزب عنه مثقال ذرة فى الارض والسماء .

﴿ بحث روائي ﴾

في وسائل الشيعة: عن صفوان الجمال عن أبي عبدالله عليه السلام ان رجلاقال له : اني طلقت امرأتي ثلاثاً في مجلس ؟ قال : ليس بشيء ، ثم قال : أما تقرأ كتاب الله : « يا أيها النبي اذا طلقتم النساء فطلقوهن لعدتهن - إلى قوله - لعل الله يحدث بعد ذلك أمراً » ثم قال : كلما خالف كتاب الله والسنة فهو يرد إلى كتاب الله والسنة .

اقول: رواه الحميري في قرب الاسناد بأدنى تفاوت .

وفي العلل: قال : العلة في قوله : « إياك أعني واسمعي ياجاره » قول الله لنبيه صلى الله عليه وآله وسلم : « ولا تدع مع الله إلهاً آخر فتلقى في جهنم ملوماً مدحوراً» وقوله « يا أيها النبي اذا طلقتم النساء فطلقوهن لعدتهن » و قوله : « و لو تقول علينا بعض الاقاويل لاخذنامنه باليمين» ومثله كثير مما هو مخاطبة لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والمعنى على امته فذلك علة قولك اياك اعني واسمعي ياجاره .

وفي البحار: بالاسناد في رواية المفضل بن عمر عن الامام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام - إلى أن قال - : « وبين الطلاق عز ذكره فقال : « يا أيها النبي اذا طلقتم النساء فطلقوهن لعدتهن واحصوا العدة واتقوا الله ربكم » ولو كانت المطلقة تبين بثلاث تطليقات تجمعها كلمة واحدة أو أكثر منها أو أقل لما قال الله تعالى : « واحصوا العدة واتقوا الله ربكم » إلى قوله : « تلك حدود الله ومن يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه لاتدري لعل الله يحدث بعد ذلك امرا فاذا بلغن أجلهن فامسكوهن بمعروف اوفارقوهن بمعروف وأشهدوا ذوي عدل منكم واقيموا الشهادة لله ذلكم

يوعظ به من كان يؤمن بالله واليوم الاخر .

وقوله : « لاتدرى لعل الله يحدث بعد ذلك أمراً » هو نكر يقع بين الزوج وزوجته ، فيطلق التطليقة الاولى بشهادة ذوى عدل .

وحد وقت التطليق هو آخر القروء ، والقرء هو الحيض ، والطلاق يجب عند آخر نقطة بيضاء تنزل بعد الصفرة والحمرة ، وإلى التطليقة الثانية و الثالثة مايحدث الله بينهما عطفاً او زوال ما كرهاه ، وهو قوله : « و المطلقات يتربصن بانفسهن ثلاثة قروء ولايحل لهن أن يكتمن ماخلق الله فى أرحامهن ان كن يؤمن بالله واليوم الاخر و بعولتهن احق بردهن فى ذلك إن أرادوا اصلاحاً و لهن مثل الذى عليهن بالمعروف وللرجال عليهن درجة والله عزيز حكيم » هذا لقوله فى ان للبعولة مراجعة النساء من تطليقة إلى تطليقة إن أرادوا اصلاحاً و للنساء مراجعة الرجال فى مثل ذلك .

ثم بيّن تبارك وتعالى فقال : « الطلاق مرتان : فامساك بمعروف اوتسريح باحسان » وفى الثالثة ، فان طلق الثالثة بانت فهو قوله : « فان طلقها فلاتحل له من بعد حتى تنكح زوجا غيره » ثم يكون كسائر الخطاب لها . الحديث .

و **فى تفسير القمى** : فى قوله تعالى : « ياأيها النبى اذا طلقتم النساء فطلقوهن لعدتهن واحصوا العدة » قال : المخاطبة للنبى صلى الله عليه وآله والمعنى للناس ، وهو ماقال الصادق عليه السلام : ان الله بعث نبيه : باياك اعنى واسمعى يا جاره .

وفى الكافى : باسناده عن زرارة عن أبى جعفر عليه السلام انه قال : كل طلاق لايكون على السنّة أوعلى العدة ، فليس بشىء ، قال زرارة فقلت لابى جعفر عليه السلام فسّر لى طلاق السنة وطلاق العدة ، فقال : أما طلاق السنة فاذا أراد الرجل أن يطلّق امرأته فلينتظر بها حتى تطمث وتطهر ، فاذا خرجت من طمثها طلّقها تطليقة من غير جماع ، ويشهد شاهدين على ذلك ثم يدعها حتى تطمث طمثين ، فتنقضى عدّتها بثلاث حيض ، وقد بانت منه ، ويكون خاطباً من الخطّاب إن شاءت تزوّجته ،

وإن شائت لم تتزوجه وعليه نفقتها والسكنى ماذامت في مدتها، وهما يتوارثان حتى تنقضي العدة.

قال: واما طلاق العدة الذي قال الله تعالى: «فطلقوهن لعدتهن وأحصوا العدة» فاذا أراد الرجل منكم أن يطلّق امرأته طلاق العدة، فلينتظر بها حتى تحيض و تخرج من حيضتها ثم يطلّقها تطليقة من غير جماع، و يشهد شاهدين عدلين، ويراجعها من يومه ذلك إن أحب أو بعد ذلك بايام قبل أن تحيض، ويشهد على رجعتها، ويواقعها، وتكون معه حتى تحيض، فاذا حاضت وخرجت من حيضها طلّقها تطليقة اخرى من غير جماع، ويشهد على ذلك، ثم يراجعها أيضاً متى شاء قبل أن تحيض، ويشهد على رجعتها ويواقعها، و تكون معه إلى أن تحيض الحيضة الثالثة، فاذاخرجت من حيضتها الثالثة طلّقها التطليقة الثالثة بغير جماع ويشهد على ذلك، فاذافعل ذلك فقد بانت منه، ولا تحلّ له حتى تنكح زوجاغيره

قيل له: فان كانت ممّن لاتحيض؟ قال: مثل هذه تطلق طلاق السنة.

وفي تفسير القمي: وفي رواية أبي الجارود عن أبي جعفر عليه السلام في قوله «فطلقوهن لعدتهن» والعدة: الطهر من الحيض «واحصوا العدة» و ذلك أن يدعها حتى تحيض، فاذا حاضت ثم طهرت، و اغتسلت طلقها تطليقة من غير أن يجامعها، ويشهد على طلاقها اذا طلقها، ثم ان شاء راجعها، و يشهد على رجعتها اذا راجعها، فاذا أراد طلاقها الثانية، فاذا حاضت، واغتسلت طلقها الثانية، و اشهد على طلاقها من غير أن يجامعها، ثم إن شاء راجعها، و يشهد على رجعتها ثم يدعها حتى تحيض ثم تطهر، فاذا اغتسلت طلقها الثالثة، وهو فيما بين ذلك قبل أن يطلق الثالثة أملك بها ان شاء راجعها، غير انه ان راجعها ثم بداله أن يطلقها عند ما طلق قبل ذلك.

و هكذا السنة في الطلاق لايكون الطلاق الا عند طهرها من حيضها من غير جماع كما وصفت، و كلها رجعت فليشهد، فان طلقها ثم راجعها حبسها ما بداله، ثم ان طلقها الثانية ثم راجعها حبسها بواحدة ما بداله، ثم ان طلقها تلك

الواحدة الباقية بعد ماكان راجعها اعتدت ثلاثة قروء و هى ثلاث حيضات ، و ان لم تكن تحيض فثلاثة أشهر، وان كان بها حمل ، فاذا وضعت انقضى أجلها ، و هو قوله : « واللائى يئسن من المحيض من نساء كم ان ارتبتم فعدتهن ثلاثة أشهر» و اللائى لم يحضن فعدتهن ايضا ثلاثة أشهر ، واللائى لم يحضن فعدتهن أيضاً ثلاثة أشهر « واولات الاحمال أجلهن أن يضعن حملهن »

وفى الكافى : عن الرضا عليه السلام فى قوله تعالى : « لاتخرجوهن من بيوتهن ولا يخرجن الا أن يأتين بفاحشة مبينة » قال :أذاها لاهل الرجل وسوء خلقها.

وفيه : باسناده عن محمد بن على بن جعفر قال : سئل المامون الرضا عليه السلام عن قول الله عزوجل : « لا تخرجن الا أن يأتين بفاحشة مبينة » قال : يعنى بالفاحشة المبينة ان تؤذى أهل زوجها ، فاذا فعلت فان شاء أن يخرجها من قبل أن تنقضى عدتها فعل .

وفيه : باسناده عن سعد بن أبى خلف قال : سئلت أبا الحسن موسى بن جعفر عليه السلام عن شيء من الطلاق ، فقال : اذا طلق الرجل امرأته طلاقاً لا يملك فيه الرجعة ، فقد بانت ساعة طلقها ، وملكت نفسها ، ولاسبيل له عليها ، وتعتد حيث شائت ، ولا نفقة لها ، قال : فقلت : أليس قال الله : « لاتخرجوهن من بيوتهن ولا يخرجن » ؟ قال : فقال : انما عنى بذلك الذى يطلق تطليقة بعد تطليقة فهى التى لاتخرج ، فاذا طلقت الثالثة . فقد بانت منه ، ولا نفقة لها ، والمرأة التى يطلقها الرجل تطليقة ثم يدعها حتى يخلو أجلها ، فهذه تعتد فى بيت زوجها ولها السكنى والنفقة حتى تنقضى عدتها .

وفى تفسير القمى : فى معنى قوله تعالى : « لا تخرجوهن من بيوتهن و لايخرجن الا أن يأتين بفاحشة مبينة » قال : لايحل لرجل أن يخرج امرأته اذا طلقها ـ و كان له عليها رجعة ـ من بيته و هى لا تحل لها أن تخرج من بيته الا أن يأتين بفاحشة مبينة .

و معنى الفاحشة أن تزنى أو تسرق على الرجل ، و من الفاحشة أيضاً السلاطة

على زوجها ، فان فعلت شيئاً من ذلك حل له أن يخرجها .

و في الكافي : باسناده عن الوهب بن حفص عن أحد هما عليهما السلام في المطلقة تعتدّ في بيتها ، وتظهر له زينتها لعل الله يحدث بعد ذلك أمراً .

و في الفقيه : قال: سئل الصادق عليه السلام عن قول الله عزوجل : «ولاتخرجوهن من بيوتهن ولايخرجن الا أن يأتين بفاحشة مبينة » قال : الا أن تزني ، فيقام عليها الحد .

وفيه : باسناده عن سعد بن عبدالله القمي عن القائم عليه السلام قال : فقلت له : فاخبرني عن الفاحشة المبينة التي اذا أتت المرأة بها في أيام عدتها حل لزوجها أن يخرجها من بيته ؟ قال: الفاحشة المبينة هي السحق دون الزنا، فان المرأة اذا زنت ، و اقيمت عليها الحد ليس لمن أرادها أن يمتنع بعد ذلك من التزويج بها لاجل الحد ، فاذا سحقت و جبت عليها الرجم ، والرجم خزي ، و من قد أمر الله برجمه فقد أخزاه ومن أخزاه ، فقد أبعده ، ومن أبعده ، فليس لاحد أن يقربه .

وفي نور الثقلين : بالاسناد عن عبدالله بن سنان عن أبي عبدالله عليه السلام قال : قال امير المؤمنين عليه السلام : اذا أراد الرجل الطلاق طلقها في قبل عدتها بغير جماع .

وفيه : بالاسناد عن محمد بن مسلم انه سئل أباجعفر عليه السلام عن رجل قال: لامرأته : انت عليّ حرام اوبائنة اوبتة اوبرية اوخلية ؟ قال : هذا كله ليس بشيء انما الطلاق أن يقول لها في قبل العدة بعد ماتطهر من محيضها قبل أن يجامعها: انت طالق او اعتدّي ، يريد بذلك الطلاق، ويشهد على ذلك رجلين عدلين .

وفيه : عن محمد بن قيس عن أبي جعفر عليه السلام قال الطلاق للعدة ان يطلق الرجل امرأته عند كل طهر يرسل إليها ، اعتدّي فان فلاناً قد طلقك قال : وهو املك برجعتها .

وفي العلل : باسناده عن اسماعيل بن الفضل الهاشمي قال : قال أبوعبدالله عليه السلام :لايقع الطلاق الا على الكتاب والسنة لانه حدّ من حدود الله عزوجل يقول :

« اذا طلقتم النساء فطلقوهن لعدتهن و احصوا العدة » و يقول : « و اشهدوا ذوى عدل منكم » و يقول : « و تلك حدود الله و من يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه » و ان رسول الله صلى الله عليه وآله رد طلاق عبد الله بن عمر لانه كان خلافاً للكتاب والسنة.

و فى الكافى: باسناده عن الكلبى النسابة قال : دخلت على جعفر بن محمد عليه السلام ، فقلت له : أخبرنى عن رجل قال لامرأته : انت طالق عدد نجوم السماء؟ فقال : و يحك أما تقرأ سورة الطلاق ؟ قلت : لا قال : فرجل قال لامرأته : أنت طالق ثلاثاً قال : ترد إلى كتاب الله و سنة نبيه صلى الله عليه وآله ثم قال : لا طلاق الا على طهر من غير جماع بشاهدين مقبولين .

و فيه: باسناده عن ابن اذينة عن ابن بكير و غيره عن أبى جعفر عليه السلام انه قال : ان الطلاق الذى أمر الله عزوجل فى كتابه والذى سن رسول الله صلى الله عليه وآله أن يخلى الرجل عن المرأة، فاذا حاضت وطهرت من محيضها اشهد رجلين عدلين على تطليقه ، و هى طاهر من غير جماع ، و هو أحق برجعتها مالم تنقض ثلاثة قروء ، و كل طلاق ما خلا هذا فهو باطل ليس بطلاق .

و فى المجمع : فى قوله تعالى : « الا أن يأتين بفاحشة مبينة » قيل : هى الايذاء (البذاء خ) على أهلها فيحل لهم إخراجها وهو المروى عن أبى جعفر وأبى عبد الله عليهما السلام .

وروى على بن أسباط عن أبى الحسن الرضا عليه السلام قال: الفاحشة أن تؤذى أهل زوجها و تسبهم .

و فى الكافى: باسناده عن زرارة قال : سمعت أباجعفر عليه السلام يقول: احب للرجل الفقيه اذا أراد أن يطلق امرأته أن يطلقها طلاق السنة قال : ثم قال : و هو الذى قال الله تعالى : « لعل الله يحدث بعد ذلك أمراً » يعنى بعد الطلاق ، و انقضاء العدة ، فالتزويج بها من قبل أن تزوج (تتزوج خ) زوجا غيره الحديث

و فيه : باسناده عن زرارة عن أبى عبد الله عليه السلام قال : المطلقة تكتحل و تختضب و تطيب و تلبس ما شائت من الثياب لان الله عز وجل يقول : « لعل الله

يحدث بعد ذلك امراً ، لعلها أن تقع فى نفسه فيراجعها .

و فيه : باسناده عن احمد بن محمد بن أبى نصر قال : سئلت أبا الحسن عليه السلام عن رجل طلق امرأته بعدما غشاها بشهادة عدلين ، فقال : ليس هذا بطلاق فقلت : جعلت فداك كيف طلاق السنة ؟ فقال يطلقها اذا طهرت من حيضها قبل أن يغشاها بشهادة عدلين كما قال الله عزوجل فى كتابه ، فان خالف ذلك رد إلى كتاب الله عزوجل قلت له : فان طلق على طهر من غير جماع بشاهد وامرأتين ، فقال : لا يجوز شهادة النساء فى الطلاق ، و قد تجوز شهادتهن مع غيرهن فى الدم اذا حضرته ، فقلت : اذا أشهد رجلين ناصبين على الطلاق أيكون طلاقاً فقال من ولد على الفطرة اجيزت شهادته على الطلاق بعد ان يعرف منه خير .

و فيه: باسناده عن محمد بن الفضيل قال : كنا فى دهليز يحيى بن خالد بمكة ، و كان هناك أبو الحسن موسى عليه السلام و أبو يوسف ، فقام إليه ، و تربع بين يديه ، فقال .

يا أبا الحسن جعلت فداك المحرم يظلل ؟ قال : لاقال : فيستظل بالجدار والمحمل ويدخل البيت والخباء ؟ قال: نعم، قال: فضحك أبويوسف شبه المستهزىء فقال له أبوالحسن عليه السلام :ياابا يوسف ان الدين ليس بقياس كقياسك وقياس أصحابك ان الله تعالى أمر فى كتابه فى الطلاق ، و أكّد فيه بشاهدين ، و لم يرض بهما الا عدلين ، و أمر فى كتابه بالتزويج و أهمله بلا شهود ، فاتيتم بشاهدين فيما أبطل الله ، وأبطلتم شاهدين فيما أكدالله تعالى، و أجزتم طلاق المجنون والسكران حج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فاحرم ولم يظلل، و دخل البيت والخباء واستظل بالمحمل والجدار ، ففعلنا كما فعل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فسكت .

و فيه: باسناده عن محمد بن الفضيل قال : قال أبو الحسن موسى عليه السلام لابى يوسف القاضى : ان الله تبارك و تعالى أمر فى كتابه بالطلاق و أكّد فيه بشاهدين ، و لم يرض بهاالا عدلين ، و أمر فى كتابه بالتزويج فأهمله بلاشهود فاثبتم شاهدين فيما أهمل ، و أبطلتم الشاهدين فيما اكد .

و فيه: باسناده عن جابر عن أبى جعفر عليه السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله
من كتم شهادة او شهدها ليهدر بها دم امرء مسلم او يزوى (ليزوى خ) مال امرء مسلم ، أتى يوم القيامة، ولوجهه ظلمة مدّ البصر ، و فى وجهه كدوح تعرفه الخلائق باسمه و نسبه ، و من شهد شهادة حق ليحيى بها حق امرء مسلم أتى يوم القيامة ، و لوجهه نور مدّ البصر تعرفه الملائكة باسمه و نسبه ، ثم قال أبوجعفر عليه السلام : ألا ترى ان الله تبارك و تعالى يقول : « و اقيموا الشهادة »

و فى الكافى : باسناده عن محمدالكناسى قال : حدّثنا من رفعه إلى أبى عبد الله عليه السلام فى قوله عز ذكره : « و من يتق الله يجعل له مخرجا و يرزقه من حيث لا يحتسب » قال : هؤلاء قوم من شيعتنا ضعفاء ليس عندهم ما يتحمّلون به إلينا فيسمعون حديثنا ، و يقتبسون من علمنا فيرحل قوم فوقهم ، و ينفقون أموالهم ، و يتبعون أبدانهم حتى يدخلوا علينا ، فيسمعوا حديثنا ، فينقلونه إليهم فيعيه هؤلاء ، و تضيّعه هؤلاء ، فاولئك الذين يجعل الله عز ذكره لهم مخرجاً و يرزقهم من حيث لا يحتسبون .

قوله : عليه السلام « فيرحل قوم فوقهم » فى القدرة والمال .

وقوله : عليه السلام « فيعيه هولاء » أى الفقراء ، والحاصل ان البدن كما يتقوّى بالرزق الجسمانى ، و تبقى حياته به ، فكذلك الروح يتقوى و تحيى بالاغذية الروحانية من العلم والايمان ،والهداية والحكمة و بدونها ميت فى لباس الاحياء فمراده عليه السلام ان الاية كما تدل على أن التقوى سبب التيسّر الرزق الجسمانى ، وحصوله من غير احتساب فكذلك تدل على انها تصير سبباً لتيسّر الرزق الروحانى الذى هو العلم والحكمة من غير احتساب و هى تشتملها معاً .

ومن وصايا النبى صلى الله عليه وآله لابى ذرالغفارى رضى الله عنه : ياأباذر! **إن سرّك أن تكون أقوى الناس**، فتوكل على الله عزوجل **وإن سرك أن تكون** أكرم الناس فاتق الله ، وان سرّك **أن** تكون أغنى الناس ،فكن بما فى يدالله عزوجل ،أوثق منك بما فى يدك .

يا أباذر ! لوان الناس كلهم أخذوا بهذه الاية لكفتهم : « ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لايحتسب ومن يتوكل على الله فهوحسبه ان الله بالغ أمره »

و فى وسائل الشيعة : بالاسناد عن سيف بن عميرة قال : سمعت أباعبدالله عليه السلام يقول : جاء جبرئيل الى يوسف ، وهو فى السجن ، فقال له : يا يوسف قل فى دبر كل صلاة (كل صلاة مفروضة خ) : اللهم اجعل لى من أمرى فرجاً و مخرجاً وارزقنى من حيث أحتسب ومن حيث لااحتسب » .

اقول : و فى مجالس الصدوق رحمة الله تعالى عليه عن مسمع أبى سيار عن أبى عبدالله عليه السلام مثله وفى آخره : ثلاث مرات .

و فيه : بالاسناد عن سليمان بن خالد قال : سئلته عما أقول اذا اضطجعت على يمينى بعد ركعتى الفجر ، فقال أبوعبدالله عليه السلام : اقرأ الخمس آيات التى فى آخر آل عمران إلى « انك لاتخلف الميعاد » و قل : استمسك بعروة الله الوثقى التى لاانفصام لها ، واعتصمت بحبل الله المتين و اعوذ بالله من شرفسقة العرب والعجم ،وآمنت بالله ، و توكلت على الله ألجأت ظهرى إلى الله ، فوضت أمرى إلى الله ، من يتوكل على الله فهو حسبه ان الله بالغ أمره قدجعل الله لكل شيء قدراً ، حسبى الله و نعم الوكيل اللهم من أصبحت حاجته إلى مخلوق ، فان حاجتى ورغبتى إليك ، الحمدلرب الصباح ، الحمد لفالق الأصباح ثلاثاً .

و فى الخصال : باسناده عن معاوية بن وهب عن أبى عبدالله عليه السلام قال: يامعاوية من اعطى ثلاثة لم يحرم ثلاثة : من اعطى الدعاء اعطى الاجابة ، و من اعطى الشكر اعطى الزيادة ، و من اعطى التوكل اعطى الكفاية ، فان الله يقول فى كتابه : « ومن يتوكل على الله فهوحسبه » ويقول : « لان شكرتم لازيدنكم» ويقول : « ادعونى استجب لكم » .

وفى رواية : « لم يمنع ثلاثاً » بدل « لم يحرم ثلاثة »

وفى الدرالمنثور: عن أبى ذر قال : جعل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يتلو هذه الاية :

« ومن يتق الله يجعل له مخرجاً ويرزقه من حيث لايحتسب » فجعل يرددها حتى نعست ثم قال : يا أباذر لو ان الناس كلهم اخذوا بها لكفتهم .

وفيه : عن معاذبن جبل سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول : أيها الناس اتخذوا تقوى الله تجارة يأتكم الرزق بلابضاعة ، ولاتجارة ثم قرا : « ومن يتق الله يجعل له مخرجاًويرزقه من حيث لايحتسب» .

وفيه : عن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله في قوله: « و من يتق الله يجعل له مخرجا » : من شبهات الدنيا ، و من غمرات الموت ، و من شدائد يوم القيامة .

وفيه : عن عمران بن حصين قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : من انقطع إلى الله كفاه الله كل مؤنة ، ورزقه من حيث لايحتسب ، و من انقطع إلى الدنيا و كله الله إليها .

وفى الكافي : باسناده عن علي بن السعري قال : سمعت أباعبدالله عليه السلام يقول : ان الله عزوجل جعل أرزاق المؤمنين من حيث لايحتسبون ، و ذلك ان العبد اذا لم يعرف وجه رزقه كثر دعائه .

وفيه : باسناده عن علي بن سويد عن أبي الحسن الاولى عليه السلام قال: سئلته عن قول الله عزوجل : « و من يتوكل على الله فهو حسبه » فقال : التوكل على الله درجات : منها ان تتوكل على الله في امورك كلها ، فما فعل بك كنت عنه راضياً ، و تعلم انه لايالوك خيراً و فضلا ، و تعلم ان الحكم في ذلك له ، فتوكل على الله بتفويض ذلك وثق فيها وفي غيرها .

وفيه : باسناده عن محمد بن مسلم قال : سئلت أباعبدالله عليه السلام عن قول الله عزوجل : « و من يتق الله يجعل له مخرجاً و يرزقه من حيث لايحتسب » قال : في دنياه .

وفى الفقيه : باسناده عن علي بن عبدالعزيز قال : قال أبوعبدالله : مافعل عمر بن مسلم ؟ قلت : جعلت فداك أقبل على العبادة، وترك التجارة ، فقال:ويحه

أما علم ان تارك الطلب لايستجاب له دعوة ؟! إن قوماً من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لما نزلت : « ومن يتق الله يجعل له مخرجاً ويرزقه من حيث لايحتسب » أغلقوا الابواب وا قبلوا على العبادة ، و قالوا : قد كفينا ، فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فأرسل إليهم ، فقال : ماحملكم على ما صنعتم ؟ قالوا : يا رسول الله تكفل الله عزوجل بأرزاقنا ، فاقبلنا على العبادة ، فقال : انه من فعل ذلك لم يستجب الله له، عليكم بالطلب ، ثم قال : انى لأبغض الرجل فاغراً فاه إلى ربه يقول : ارزقنى ، ويترك الطلب .

وفى نور الثقلين : عن أبي جعفر الخثعمي قال : لما سيّر عثمان أباذر إلى الربذة شيّعه أمير المؤمنين وعقيل والحسن و الحسين عليهم السلام وعمار بن ياسر رضى الله عنه ، فلما كان عند الوداع قال أمير المؤمنين عليه السلام : يا باذر انما غضبت لله عزوجل فارج من غضبت له، ان القوم خافوك على دنياهم ، وخفتهم على دينك، فادخلوك على الفلاة ، وامتحنوك بالقلاء ، والله لو كانت السماوات و الارض على عبد رتقاثم اتقى الله جعل له منها مخرجاً ، لايؤنسنك الا الحق ، ولا يوحشنك الا الباطل .

و فى نهج البلاغة : قال الامام أمير المؤمنين على عليه السلام فى خطبة - : «« اعلموا انه « من يتق الله يجعل له مخرجاً »من الفتن، ونوراً من الظلم .

وفى المجمع : وروى عن عطاء بن يسار عن ابن عباس قال : قرأ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « ومن يتق الله يجعل له مخرجا » قال : من شبهات الدنيا ، ومن غمرات الموت ، وشدائد يوم القيامة .

و فيه : و روى عن الصادق عليه السلام انه قال : « يرزقه من حيث لايحتسب » أى يبارك له فيما آتاه .

وفى امالى الشيخ الطوسى قدس سره باسناده عن الصادق عليه السلام -فى حديث- قال : « ان الله تعالى أبى الا أن يجعل أرزاق المتقين من حيث لايحتسبون » .

ان تسئل : كيف قال الله تعالى : « ومن يتق الله يجعل له مخرجاً ويرزقه

من حيث لايحتسب » ونحن نرى كثيراً من الاتقياء مضيقا عليهم رزقهم ؟

تجيب : ليس الرزق مقصوراً فى متاع الدنيا كما ان المخرج لايكون مقصوراً فى هم الدنيا ، بل يعم هموم الدنيا و الاخرة ، و شبهات الدنيا و غمرات الموت وشدائد القيامة ، فالله تعالى ينجي المتقى من كل كرب فى الدنيا والاخرة ويجعل له مخرجاً من كل ضيق على من لا يتقى كما أشارت إليها الروايات المتقدمة . واما تضييق رزق الاتقياء فهو مع ضيقه وقلته يأتيهم من حيث لايأملون ولا يرجون ، وفى تقليل الرزق لطفاً بهم ورحمة عليهم ليستوفر حظهم فى الاخرة ويخف حسابهم، ولتقل عوائقهم عن الاشتغال بمولاهم ، ولا يشغلهم الرخاء والسعة عما خلقوا له من الطاعة والعبادة ، و لذلك اختار الانبياء و الاولياء و الصديقون الفقر على الغنى .

ان تسئل : كيف قال الله تعالى : « ومن يتو كل على الله فهو حسبه » وقد نرى كثيراً من الناس يتو كلون على الله تعالى فى امورهم وحوائجهم ، ويكفيهم الله جل وعلا همها ؟

تجيب : من تو كل على الله تعالى حق التو كل فلايفسده بالقلق و الفجر واستبطاء قضاء حوائجه بقلبه ولسانه يكفيه قطعاً، وإليه أشار تعالى بقوله: «ان الله بالغ أمره » أى نافذ حكمه ، يبلغ ما يريده ، ولايفوته مراد ، ولا يعجزه مطلوب وبقوله : « قدجعل الله لكل شيء قدراً » أى جعل لكل شيء من الفقر و الغنى ، ومن المرض والصحة ، ومن الشدة والرخاء وما اليها أجلا ينتهى إليه ، لايتقدم عنه ولايتأخر .

وعن الربيع بن خيثم : انه قال : ان الله تعالى قضى على نفسه أن من تو كل عليه كفاه ، ومن آمن به هداه ، ومن أقرضه جازاه ، ومن وثق به نجاه ، و من دعاه أجاب له .

وتصديق ذلك فى كتاب الله تعالى : « و من يؤمن بالله يهد قلبه »

التغابن : ١١)

و « ومن يتوكل على الله فهو حسبه » الطلاق : ٣)
و « ان تقرضوا الله قرضاً حسناً يضاعفه لكم » التغابن : ١٧)
و « ومن يعتصم بالله فقد هدى إلى صراط مستقيم » آل عمران : ١٠١)
و « واذا سئلك عبادی عنی فانی قريب اجيب دعوة الداع اذا دعان »
البقرة : ١٨٦)

و فی المناقب : لابن شهر آشوب رضوان الله تعالى عليه : بلغ عبدالملك ان سيف رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عندعلى بن الحسين عليه السلام فبعث يستوهبه منه ، ويسئله الحاجة ، فأبى عليه ، فكتب عبدالملك يهدده ، وانه يقطع رزقه من بيت المال فاجابه عليه السلام : أما بعد فان الله تعالى ضمن للمتقين المخرج من حيث يكرهون ، والرزق من حيث لايحتبسون .

و فی العيون : فی وصية الامام على بن موسى الرضا عليه السلام لابی صلت ـ: و اتق الله وتوكل عليه فی سر امرك وعلانيته « ومن يتوكل على الله فهو حسبه ان الله بالغ أمره قدجعل الله لكل شیء قدراً »

وفی الاستبصار : باسناده عن الحلبی عن ابی عبد الله عليه السلام قال : سئلته عن قول الله تعالى : « ان ارتبتم » ما الريبة ؟ فقال : ما زاد على شهر فهو ريبة ، فلتعتد ثلاثة أشهر ، ولتترك الحيض ، وماكان فی الشهر لم تزد فی الحيض فعدتها ثلاث حيض .

قال الشيخ: الطوسی قدس سره : فالوجه فی هذا الخبر انه اذا تأخرالدم عن عادتها أقل من شهر فذلك ليس لريبة الحبل بل ربما كان لعلة فلتعتدبالاقراء بالغاً مابلغ ، فان تأخر عنها الدم شهراً فمازاد ، فانه يجوز أن يكون للحمل ولغيره فيحصل هناك ريبة ، فلتعتد ثلاثة اشهر ما لم ترفيها دماً ، فان رأت قبل انقضاء الثلاثة أشهر الدم ، ولو بيوم كان عدتها بالاقراء .

وفی المجمع: فی قوله تعالى : « واللائی يئسن من المحيض من نسائكم فلا يحضن ان ارتبتم » قال : فلاتدرون للكبر ارتفع حيضهن ام لعارض « فعدتهن

ثلاثة اشهر » و هن اللائى امثالهن يحضن لانهن لو كن فى سن من لا تحيض لم يكن للارتياب معنى ، وهذا هو المروى عن ائمتنا عليهم السلام .

وفى جوامع الجامع : فى قوله تعالى : « اللائى يئسن من المحيض من نسائكم » فلا يحضن « ان ارتبتم » فلا تدرون لكبر ارتفع حيضهن أم لعارض « فعدتهن ثلاثة أشهر » فهذه مدة المرتاب فيها ، و قدر ذلك فيما دون خمسين سنة ، وهو مذهب أهل البيت عليهم السلام

وفى الكافى : باسناده عن الحلبى عن أبى عبدالله عليه السلام قال : عدة المرأة التى لاتحيض والمستحاضة التى لاتطهر ثلاثة أشهر ، و عدة التى تحيض و يستقيم حيضها ثلاثة قروء ، وسئلته عن قول الله عزوجل : « ان ارتبتم » ما الريبة ؟ فقال : مازاد على شهر فهو ريبة فلتعتد ثلاثة أشهر ، ولتترك الحيض ، وما كان فى الشهر لم تزد فى الحيض عليه ثلث حيض فعدتها ثلث حيض .

وفيه : باسناده عن محمدبن قيس عن أبى جعفر عليه السلام قال : عدة الحامل ان تضع حملها ، وعليه نفقتها بالمعروف حتى تضع حملها .

وفيه : باسناده عن ابى الصباح الكنانى عن أبى عبدالله عليه السلام قال : اذا طلّق الرجل المرأة ، وهى حبلى أنفق عليها حتى تضع حملها فاذا وضعته أعطاها أجرها ولا تضارّها الا أن يجد من هى أرخص أجراً منها ، فان رضيت بذلك الاجر فهى أحق بابنها حتى تفطمه .

وفيه : باسناده عن الحلبى عن أبى عبدالله عليه السلام قال : لايضارّ الرجل امرأته اذا طلّقها فيضيّق عليها حتى تنتقل قبل أن تنقضى عدتها ، فان الله قدنهى عن ذلك فقال : ولاتضارّوهن لتضيّقوا عليهن .

وفى الدر المنثور: عن عبيدالله بن عبدالله بن عتبة ان أبا عمروبن حفص ابن المغيرة خرج مع على عليه السلام إلى اليمن ، فأرسل إلى امرأته فاطمة بنت قيس بتطليقة كانت بقيت من طلاقها ، وأمر لها الحارث بن هشام وعباس بن أبى ربيعة بنفقة ، فاستقلّتها ، فقالا لها : والله مالك نفقة الا أن تكونى حاملا ، فأتت النبى

صلى الله عليه وآله وسلم فذكرت له أمرها فقال لها النبي صلى الله عليه وآله وسلم : لا نفقة لك فاستأذنته في الانتقال فأذن لها .

فأرسل إليها مروان يسئلها عن ذلك فحدثته ، فقال مروان : لم أسمع بهذا الحديث الا من امرأة سنأخذ بالعصمة التي وجدنا الناس عليها ، فقالت فاطمة : بيني وبينكم كتاب الله قال الله عز وجل : « ولا يخرجن الا أن يأتين بفاحشة مبينة » حتى بلغ « لا تدري لعل الله يحدث بعد ذلك أمرا » قالت : هذا لمن كانت له مراجعة فأي أمر يحدث بعد الثلاث ؟ فكيف تقولون : لا نفقة اذا لم تكن حاملا ؟ فعلام تحبسونها ؟

ولكن يتركها حتى اذا حاضت وطهرت طلقها تطليقة ، فان كانت تحيض فعدتها ثلاث حيض ، وإن كانت لا تحيض فعدتها ثلاثة أشهر ، وان كانت حاملا فعدتها أن تضع حملها ، وإن أراد مراجعتها قبل أن تنقضي عدتها أشهد على ذلك رجلين كما قال الله : « وأشهدوا ذوي عدل منكم » عند الطلاق وعند المراجعة .

فان راجعها فهي عنده على طلقتين ، وإن لم يراجعها ، فاذا انقضت عدتها ، فقد بانت عدتها منه بواحدة ، وهي أملك لنفسها ثم تتزوج من شائت هو وغيره .

وفيه : عن مغيرة قال : قلت للشعبي : ما اصدق ان علي بن ابيطالب عليه السلام كان يقول : عدة المتوفى عنها زوجها آخر الاجلين ، قال : بلى فصدق به كأشد ما صدقت بشيء ، كان علي عليه السلام يقول : انما قوله : « و اولات الاحمال أجلهن أن يضعن حملهن » في المطلقة .

وفي نور الثقلين : بالاسناد عن أبي الصباح الكناني عن أبي عبدالله عليه السلام قال : طلاق الحامل واحدة وعدتها أقرب الاجلين .

وفيه : بالاسناد عن الحلبي عن أبي عبدالله عليه السلام قال : طلاق الحبلى واحدة وأجلها أن تضع حملها وهو أقرب الاجلين .

وفي تفسير القمي : في قوله تعالى : « اسكنوهن من حيث سكنتم من وجدكم » قال : المطلقة التي للزوج عليها رجعة لها عليه سكنى ونفقة مادامت في

العدة، فان كانت حاملا ينفق عليها حتى تضع حملها .

وفي جوامع الجامع : قال :والسكنى والنفقة واجبتان للمطلقة الرجعية بلا خلاف وعندنا ان المبتوتة ـ المطلقة البائنة ـ لاسكنى لها ولا نفقة ، وحديث فاطمة بنت قيس ان زوجها بتّ طلاقها ، فقال لها رسول الله صلى الله عليه وآله : لاسكنى لك ولا نفقة يدل عليه .

وفي الكافي : باسناده عن زرارة عن أبي جعفر عليه السلام قال : ان المطلقة ثلاثاً ليس لها نفقة على زوجها ، انماهي للتي لزوجها عليها رجعة .

وفيه : باسناده عن عبدالله بن سنان عن أبي عبدالله عليه السلام قال : سئلته عن المطلقة ثلاثاً على السنة هل لها سكنى او نفقة ؟ قال : لا .

وفيه : باسنادهعن أبي بصيرعن أبي عبدالله عليه السلام انه سئل عن المطلقة ثلاثاً لها سكنى ونفقة ؟ قال : حبلى هي ؟ قلت : لا قال : لا .

وفي تفسير القمي : في قوله تعالى : « واولات الاحمال أجلهن أن يضعن حملهن » قال : المطلقة الحامل أجلها أن تضع مافي بطنها إن وضعت يوم طلّقها زوجها ، فلها أن تتزوّج اذا طهرت ، وإن تضعمافي بطنها إلى تسعة أشهرلم تتزوج إلى أن تضع .

وفي المجمع: في قوله تعالى : « و اولات الاحمال أجلهن أن يضعن حملهن » قال ابن عباس : هي في الطلاق خاصة ، وهو المروي عن أئمتنا عليهم السلام .

وفي الكافي : باسناده عن عبدالرحمن بن الحجاج عن أبي الحسن عليه السلام قال : سئلته عن الحلبي اذا طلّقها زوجها ، فوضعت سقطاً تمّ اولم يتمّ أو وضعته مضغة ؟ قال : كل شيء وضعته يستبين انه حمل تم اولم يتمّ فقد انقضت عدّتها .

وفيه : باسناده عن عبدالرحمن البصري عن أبي عبدالله عليه السلام قالسئلتهعن رجلطلق امرأته وهي حبلى ، وكان في بطنها اثنان ، فوضعتواحداًوبقيواحد؟ قال تبين بالاول ولاتحل للازواج حتى تضع مافي بطنها .

و في الفقيه : باسناده عن أبي بصيرعن أبيعبدالله عليه السلام قال : سمعتهيقول

المطلقة الحبلى ينفق عليها حتى تضع حملها ، وهى أحق بولدها أن ترضعه بما تقبله امرأة اخرى يقول الله عزوجل : « لاتضار والدة بولدها ولا مولود له بولده وعلى الوارث مثل ذلك » لايضار بالصبى ولايضار بامه فى ارضاعه و ليس لها أن تأخذ فى رضاعه فوق حولين كاملين فاذا أراد الفصال عن تراض منهما كان حسنا والفصال هو الفطام .

وفى التهذيب : باسناده عن داود بن الحصين عن أبى عبدالله عليه السلام قال: « و الوالدات يرضعن اولادهن » قال : مادام الولد فى الرضاع فهو بين الابوين بالسوية ، فاذا فطم فالاب أحق به من الام ، فاذا مات الاب فالام أحق به من العصبة وان وجد الاب من يرضعه بأربعة دراهم ، وقالت الام : لأرضعه الا بخمسة دراهم فان له أن ينزعه منها الا أن ذلك خيرله وأرفق به أن يترك مع امه .

وفى الاستبصار : باسناده عن ابى الصباح الكنانى عن أبى عبدالله عليه السلام قال : اذا طلق الرجل المرأة وهى حبلى أنفق عليها حتى تضع حملها ، واذا أرضعته أعطاها أجرها ولايضارها إلا أن يجد من هو أرخص أجراً منها ، فان هى رضيت بذلك الاجر فهى أحق بابنها حتى تفطمه .

وفى الكافى : عن نوح بن شعيب عن بعض أصحابه عن أبى عبدالله عليه السلام قال : سئلته عن الرجل الموسر يتخذ الثياب الكثيرة الجياد والطيالة والقمص الكثيرة يصون بعضها بعضاً يتجمل بها يكون مسرفاً ؟ قال : لا ، لان الله عزوجل يقول : « لينفق ذوسعة من سعته »

وفى الفقيه : باسناده عن ربعى بن عبدالله والفضيل بن يسار عن أبى عبدالله عليه السلام فى قوله عزوجل : « ومن قدر عليه رزقه فلينفق مما آتاه الله » قال : إن أنفق عليها ما يقيم ظهرها مع الكسوة والا فرق بينهما .

وفى تفسير القمى : باسناده عن أبى بصير عن أبى عبدالله عليه السلام فى قول الله « و من قدر عليه رزقه فلينفق مما آتاه الله » قال اذا انفق الرجل على إمرأته ما يقيم ظهرها مع الكسوة ، والا فرق بينهما .

وفى الكافى : باسناده عن محمدبن سنان عن أبى الحسن عليه السلام فى قول الله عزوجل : « وكان بين ذلك قواماً » قال : القوام هو المعروف « على الموسع قدره وعلى المقتر قدره متاعاً بالمعروف حقا على المحسنين » على قدر عياله ، و مؤونتهم التى هى صلاح له ولهم و « لايكلف الله نفساً الا ما آتاها » .

وفى تفسير القمى : فى قوله تعالى : « و كاين من قرية عتت عن أمر ربها قال : أهل قرية .

وفى العيون : باسناده عن الريان بن الصلت عن الرضا عليه السلام - فيما بيّن الامام عليه السلام عندالمامون من فضل العترة الطاهرة - قال : الذكر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم و نحن أهله ، وذلك بيّن فى كتاب الله حيث يقول فى سورة الطلاق : « فاتقوا الله يا اولى الالباب الذين آمنوا قد أنزل الله اليكم ذكراً رسولا يتلوا عليكم آيات الله مبينات » قال : فالذكر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ونحن أهله .

وفى المناقب : لابن شهرآشوب قدس سره : عن ابن عباس فى قوله تعالى « ذكراً رسولا » ذكر النبى ذكره من الله ، و على ذكر من محمد كما قال الله « و انه لذكرلك ولقومك »

و فى روضة الكافى : باسناده عن الحسين بن زيد الهاشمى عن أبى عبدالله عليه السلام قال : جائت زينب العطارة الحولاء إلى نساء النبى صلى الله عليه وآله وسلم و بناته ، وكانت تبيع منهن العطر ، فجاء النبى صلى الله عليه وآله وسلم وهى عندهن ، فقال اذا أتيتنا طابت بيوتنا فقالت : بيوتك بريحك أطيب يارسول الله قال : اذا بعت فأحسنى ولا تغشّى، فانه أتقى وأبقى للمال ، فقالت : يارسول الله ! ما أتيت بشىء من بيعى ، وانما أتيت أسئلك عن عظمة الله عزوجل ، فقال : جلّ جلاله الله سأحدّثك عن بعض ذلك ، ثم قال ان هذه الارض بمن عليها عند التى تحتها كحلقة ملقاة فى فلاة قىّ ، وهاتان بمن فيهما ومن عليهما عند التى تحتها كحلقة ملقاة فى فلاة قىّ ، والثالثة حتى انتهى إلى السابعة ، وتلاهذه الاية : « خلق سبع سموات ومن الارض مثلهن » الحديث.

قوله صلى الله عليه وآله وسلم : « قىّ » - بالكسر والتشديد - : الارض القفر الخالية .

وفي نهج البلاغة : قال الامام أمير المؤمنين على عليه السلام في خطبة ـ الحمد لله الذي لاتوارى عنه سماء سماءاً ، ولاأرض أرضاً .

قال ابن ابى الحديد: في الشرح : « هذا الكلام يدل على اثبات ارضين بعضها فوق بعض كما ان السموات كذلك ، ولم يأت في الكتاب العزيز ما يدل على هذا الاقوله تعالى : « الله الذي خلق سبع سموات ومن الارض مثلهن » وهو قول كثير من المسلمين .

وقد تأوّل ذلك أرباب المذهب الاخر القائلون بانها أرض واحدة، فقالوا : انها سبعة أقاليم ، فالمثلية هي من هذا الوجه ، لامن تعدّد الارضين في ذاتها .

ويمكن ان يتأوّل مثل ذلك كلام أمير المؤمنين عليه السلام ، فيقال : انها وإن كانت أرضاً واحدة ، لكنها أقاليم وأقطار مختلفة ، وهي كرية الشكل، فمن على حدبة الكرة لايرى من تحته ، ومن تحته لايراه ، ومن على أحد جانبيها لايرى من على الجانب الاخر ، والله تعالى يدرك ذلك كله أجمع ، ولا يحجب عنه شيء منها بشيء منها .

فاما قوله عليه السلام : « لاتوارى عنه سماء سماء » فلقائل أن يقول : ولايتوارى شيء من السموات عن المدركين منّا لانها شفافة ، فأيّ خصيصة للبارى تعالى في ذلك ؟ فينبغي أن يقال : هذا الكلام على قاعدة غير القاعدة الفلسفية بل هو على قاعدته الشريعة الاسلامية التي تقتضي ان السموات تحجب ماوراءها عن المدركين بالحاسّة ، وانها ليست طباقاً متراصّة بل بينها خلق من خلق الله تعالى لايعلمهم غيره ، واتّباع هذا القول واعتقاده أولى » انتهى كلامه .

وفي تفسير ابن كثير الدمشقي : عن ابن مسعود قال : « قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم ما السموات السبع ، وما فيهن ومابينهن والارضون السبع وما فيهن وما بينهن في الكرسي الاّ كحلقة ملقاة بارض فلاة »

وفي تفسير المراغي : و روى عن مجاهد عن ابن عباس في قوله تعالى : « سبع سموات و من الارض مثلهن » الاية قوله : لو حدثتكم بتفسيرها لكفرتم

بتكذيبكم بها .

قال المراغي : و هذا من الحبر دليل على أن هناك عوالم كثيرة لايجدر بالعلماء أن يحدثوا عنها العامة، فان عقولهم تضل في فهمها ، فلتبق في صدور العلماء وأهل الذكر حتى يفتنوا بها انتهى كلامه .

وفي تفسير القمي :باسناده عن الحسين بن خالد عن أبي الحسن الرضا عليه السلام قال : قلت له : أخبرني عن قول الله عزوجل : « والسماء ذات الحبك»فقال: هي محبوكة إلى الارض ، وشبك بين أصابعه ، فقلت : كيف تكون محبوكة إلى الارض والله يقول : « رفع السماوات بغير عمد ترونها » ؟ فقال :سبحان الله أليس الله يقول : بغير عمد ترونها ؟ قلت : بلى قال : فثم عمد ولكن لا ترونها .

قلت : فكيف ذلك جعلني الله فداك ؟ قال : فبسط كفه اليسرى ثم وضع اليمنى عليها ، فقال : هذه أرض الدنيا والسماء الدنيا فوقها قبة ، والارض الثانية فوق السماء الدنيا ، والسماء الثانية فوقها قبة ، والارض الثالثة فوق السماء الثانية والسماء الثالثة فوقها قبة ، والارض الرابعة فوق السماء الثالثة والسماء الرابعة فوقها قبة ، والارض الخامسة فوق السماء الرابعة والسماء الخامسة فوقها قبة ، والارض السادسة فوق السماء الخامسة والسماء السادسة فوقها قبة ، والارض السابعة فوق السماء السادسة والسماء السابعة فوقها قبة،وعرش الرحمن تبارك وتعالى فوق السماء السابعة وهو قول الله عزوجل :

« الذى خلق سبع سموات طباقاً»و«ومن الارض مثلهن يتنزل الامر بينهن» فاما صاحب الامر فهو رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والوصي بعد رسول الله قائم على وجه الارض فانما يتنزل الامر إليه من فوق السماء من بين السموات والارضين ، قلت : فما تحتنا الا أرض واحدة ؟ فقال : ماتحتنا الا أرض واحدة ، وان الست لهن (لهي خ) فوقنا .

﴿ بحث فقهي قرآني في الطلاق ﴾

يدور البحث في المقام حول خمس آيات من هذه السورة وهي : ١و٢و ٤ و٦ و٧)

اما الاية الاولى: ففيها بيان امور :

أحدها ـ في حقيقة الطلاق وهو في الاصل اسم للتطليق اوالاطلاق بمعنى إزالة القيد ، و حلّ العقد و يطلق على الارسال والترك يقال : ناقةطالق : مرسلة ترعى حيث تشاء ، وفي الشرع إزالة قيد النكاح ، و هو اما من قبيل التخصيص او النقل والاول اولى لما تقرّر في الاصول .

تفريع : لايقع الطلاق الاّ بلفظه الصريح الدال على الجملة بالمواطاة لكلمة الحصر في قول الامام جعفر بن محمد عليه السلام : « إنما الطلاق أن يقول لها : انت طالق اواعتدّي يريد بذلك الطلاق »

ويجوز أن يقول : أنت اوهذه اوفلانة طالق ، ولايقع بالكنايات نحو خليّة اوبريّة ونحوهما او كان من لفظه ولكن لاتدل بالمواطاة نحو : انت طلاق اوالطلاق اومن المطلقات وغيرها من العبارات المختلفة . . .

ثانيها ـ ان النساء في الاية عام مخصص بالاجماع و النص بذوات الاقراء المدخول بهن غير ذوات الاحمال .

ثالثها ـ مايظهر من سوق الاية انه لابد من وقوع الطلاق في وقت خاص صالح للعدة وان ذلك واجب وشرط لصحة الطلاق لان الاية بصدد تعليم الطلاق الصحيح . فكأنه قال: اذاأردتم الطلاق الصحيح فطلقوهن وقت الطهر الذي يعتددن

بعده لاوقت الحيض على ان اللام فى « لعدتهن » للتوقيت ، وفيه دلالة على وجوب ايقاع الطلاق فى طهر لان الاقراء هى الاطهار ، وقد خرج من هذا العموم موارد ثلاثة :

الاول : يجوز طلاق غير المدخول بها فى وقت الحيض .

الثانى : يجوز طلاق الغائب عنها زوجها غيبة يعلم انتقالها من طهر إلى آخر اوخرج عنها فى طهر لم يجامعها فيه .

الثالث : يجوز طلاق ذوات الاحمال وهن يحضن فى الحمل وهذا نادر جداً فلا بد فى الطلاق أمران :

أحدهما ـ وقوعه حال الطهر وظاهر قوله تعالى : « فطلقوهن لعدتهن » ان الطلاق لابد أن يقع قبل العدة ، ويكفى فى القرء الاول بلحظة منه بعد الطلاق اجماعاً ضرورة اكتفائهافى خروج المطلقة فى الطهر من العدة برؤية الدم الثالث سواء كان طلاقها فى ابتداءه اووسطه اوآخره .

ثانيهما ـ عدم وقوع الجماع فى هذا الطهر ، والمرأة ممن تحبل ولم يظهر حملها ، فان المراد الامر بطلاقهن فى طهر يكون من عدتهن ، والحائض حال حيضها ليس كذلك ، و كذا ذات الطهر المواقعة فيه .

رابعها ـ امر باحصاء العدة وضبطها وا كمالها بثلاثة قروء لما يتعلق بها حقوق المطلقة من السكنى والنفقة ، وحقوق الزوج من الرجوع ومنعها من الازدواج و الخطبة قبل انقضاء العدة .

خامسها ـ أمرهم بالتقوى فى ضبط العدة اذ فى تطويل العدة إضرار بهن كما ان التقصير من المرأة ودعوى الانقضاء كاذبة ـ لئلا يكون للزوج رجوع و لتتزوج بمن تميل ـ فساد فى النسل والحرث :

سادسها ـ نهى الازواج عن إخراج المطلقات المعتدات الرجعيات عن البيوت ونهيهن عن الخروج منها، فيحرم على الازواج إخراجهن مادمن فى العدة الرجعية مطلقا سواء كان برضاهن أم لا ، و كذا يحرم عليهن الخروج مطلقا وإن أذن لهن

الزوج لعدم القيد فى الاية الكريمة .

سابعها - جواز إخراج المطلقات عن البيوت عند إرتكابهن فاحشة ظاهرة.

ثامنها - بيان ان ماذكر من حدود الله تعالى فمن جاوزها فقد جعل نفسه عرضة للسخط والعذاب .

تاسعها - ترغيب الازواج إلى المطلقات والرجوع عن عزمهم الاولى على المفارقة ، وفيه دلالة على كون المراد بذلك : الطلاق الرجعى لا البائن .

وأما الاية الثانية: ففيها امور :

الاول : ان المراد بالاجل هنا العدة ، والمراد ببلوغه مقاربته و مشارفة انقضائه لاانقضائه اذليس بعد انقضاء الاجل للزوج رجوع .

الثانى : جواز الرجوع فى العدة و إليه أشار بقوله تعالى : « فامسكوهن بمعروف » .

الثالث : يجب على الازواج إقامة الشهادة من رجلين صاحبى عدل من المؤمنين على الطلاق - فان الامر للوجوب - لاحتمال وقوع النزاع فى وقوعه وعدمه ، فيحتاج إلى طريق فى اثباته لوادعى وقوعه ، وذلك بالاشهاد اذليس غيره الا اعتراف الزوجة فيمكن عدمه اويمينها فيجوز عدم علمها ، اورد اليمين على الزوج فيجوز موته ، ويكون النزاع مع ورثته .

والمراد بوجوب الاشهاد : ايقاع المشهود به على وجه يعلم الشاهد ذلك لا الاخبار والاعلام : بانه : اشهد انى أفعل كذا .

واما استبعاد رجوع وجوب الاشهاد إلى الطلاق فمدفوع بوجود القرينة ، و عدم الفصل بكلام اجنبى ، فان القصة واحدة ، نظير قولك لو كيلك : « اشتر من فلان سلعة كذا وبع على فلان سلعة كذا واقبض الثمن وسلمه إلى البائع واهد السلعة إلى فلان وأشهد عليه ذوى عدل » فى أن الاشهاد يعود إلى ما يحتاج إلى الاشهاد

الرابع : يجب على الشهود اقامة الشهادة عند الاستشهاد والحاجة ابتغاء لوجه الله جل وعلا من غير شائبة غرض آخر .

و أما الاية الرابعة : ففيها بيان امور :

أحدها : اذا حصلت ريبة فى انقطاع حيض اللائى هن فى سن من تحيض هل هو لكبر ؟ام لعارض من مرض؟اورضاع اوغير ذلك؟فعدتهن ثلاثة أشهر، فالشك فى سبب الانقطاع بان حصل لهن صفة الآئسات ، وهو انقطاع الحيض مع الريبة فى سببه ، فيجب عليهن العدة لعدم العلم بتحقق الوصول إلى حد اليأس للاصل و الاستصحاب .

ثانيها: اللائى لم يحضن أصلا و هن فى سن من تحيض فعدتهن ثلاثة أشهر ايضاً وذلك كالمرأة التى تزوجت قبل البلوغ فدخلهازوجها قبل الحيض بعدالبلوغ أم قبله فلم تحض بعده، فطلقهاوليس الشك فى سبب عدم الحيض سنهن بعدم وصولهن إلى حد البلوغ ، والا فما كانت لهن عدة للاصل والاستصحاب .

و لايكون حينئذ فى الاية دليل على عدم العدة فى اليائسة والصغيرة، ولا على وجودها نعم لاعدة عليهما لان الغاية والحكمة فى شرعيتها العلم باستبراء الرحم وهو منتف فيهما .

ثالثها: المطلقات المعتدات اللائى كن اولات الاحمال فعدتهن أن يضعن حملهن ، فتبين بالوضع بعد الطلاق ولو بلحظة ، وان الوضع للحمل يتساوى فيه الحرة والامة ، وإن كانت عدة الامة فى الاشهر نصف الحرة .

وأما الاية السادسة : ففيها بيان امور :

الاول : يجب على المطلقين أن يسكنوا المطلقات الرجعيات بعض ماسكنوا حسب التمكن .

الثانى : يجب أن يكون المسكن مما يليق بها كافياً لينتفى المضارة المنهى عنها اذقال : « ولا تضاروهن لتضيقوا عليهن »

الثالث : المطلقة الحامل تستحق السكنى والنفقة بائنة كانت أم رجعية لاطلاق الاية من غير تقييد ، وان اختلفت كلمات الفقهاء فى نفقة الحامل البائن هل النفقة لها اوللحمل ؟ فقيل : للحامل بشرط الحمل ، و قيل : للحمل فقط اذ

لولاه لماكان للحامل شيء، وعلى الاول يجب قضاءها .

قال تعالى : « وان كن اولات حمل فانفقوا عليهن حتى يضعن حملهن »وهذا يدل على وجوب النفقة للحامل ،ويمكن فهم عدم وجوب الانفاق على غير الحامل بالمفهوم ويؤيده الأصل والاخبار والاجماع .

الرابع : ان الحامل اذا وضعت وانقضت عدتها لايجب عليها ارضاع الولد، وسقطت نفقتها بخروج العدة ، فان تبرّعت بارضاع الولد فبها ونعمت والاّ يجب على الاب اجرة رضاعه لقوله تعالى : « فاتوهن اجورهن » وفيه دلالة على جواز الاستيجار على الرضاع .

وفي قوله تعالى : « فان أرضعن لكم فاتوهن اجورهن »دلالة على عدم وجوب الارضاع على الام بل يجب الأجرة لها على الاب لوجوب النفقة عليه .

الخامس : تشاور الزوجين في أمر الرضاع بان لايقع خسران على الوالد بان يؤخذ منه أزيد من الاجرة ، ولا على الوالدة بان ينقص من أجرها ، ولا على الولد بان يرضع أقل من المقدر الشرعي .

السادس: جواز أخذ الولد من والدته ،واستيجار مرضعة اخرى لقوله تعالى: « وان تعاسرتم فسترضع له اخرى » وذلك ليس على اطلاقه بل إن تبرّعت فهي أحق بولدها ، وكذا اذا رضت بما يرضى به غيرها، وأما اذا لم ترض ، وهو المراد بالتعاسر فيقدّم حق الزوج لاصالة البراءة ويسلّمه إلى اخرى ترضعه ، وهل يسقط ذلك حضانة الام أم لا ؟ ففيه خلاف .

قيل : نعم لحصول الحرج ، وقيل :لا لتغاير الموضوعين وهو الاحوط .

و أما الاية السابعة : ففيها امور ثلاثة :

أحدها - يجب على الزوج المتمكن الانفاق على الزوجة حسب تمكنه في المعيشة ماكلا ومشرباً وملبساً ومسكناً بلاتقتير ولا اسراف .

ثانيها - يجب على الزوج الفقير الانفاق على الزوجة حسب طاقته ، فلا يتكلف تكلف الاغنياء ، ولاينقص عن اللائق بحاله .

ثالثها - ان الله تعالى نفى الوجوب زائداً عن وسعه على طريق الاخبار .

﴿ مسائل فقهية فى الطلاق ﴾

وفى المقام فصول ثمانية :

الفصل الاول فى اركان الطلاق : وهى أربعة :

الركن الاول: المطلق ويعتبر فيه أربعة امور :

أحدها ـ البلوغ نصاً وفتوى فلايصح طلاق الصبى وإن أذن له الولى أوبلغ عشراً وكان مميزاً لابتوكيل الغير ولا بالمباشرة . ولوطلّق ولى صبى ومن إليه عنه لما صح اجماعاً لاختصاص الطلاق بمالك البضع ، وأما الوكالة فى البالغ التى هى فى الحقيقة طلاق من المالك عرفاً فيجوز سواء كان الزوج حاضراً ام غائباً عن مجلس الطلاق .

ثانيها ـ العقل ، فلا يصح طلاق المجنون مطبقا كان جنونه أوإدواراً حال جنونه ، ولا السكران ولامن زال عقله باغماء او شرب خمر او نوم لعدم القصد الذى يترتب عليه الحكم، ولايطلق الولى عن السكران وشبهه لتوقع زوال عذرهم نعم ان المجنون فاسد العقل والمعتوه ما لم يتوقع برئهما فيجوز طلاق وليهما عنهما ، ولو لم يكن لهما ولى من أب اوجد طلق عنهما الحاكم الشرعى او من نصبه .

ثالثها ـ الاختيار اجماعاً ، فلا يصح طلاق المكره بلا خلاف ، و إن رضى بعدذلك على الاصح .

رابعها ـ القصد بأن يكون قاصداً بلفظ الطلاق معناه لما ورد صحيحاً عن الامام باقر العلوم عليه السلام قال : « لاطلاق الا لمن أراد الطلاق » .

فمن لم ينو الطلاق وان نطق به لم يقع كالساهى والنائم والغالط والهازل ..

الركن الثانى: المطلقة، وفيها خمسة شروط :

أحدها ـ أن تكون زوجة دائمة، فلو طلّق الموطوئة بالملك اوطلّق اجنبية، وان تزوجها بعد ذلك اوعلّق الطلاق بالتزويج لم يصح سواء عيّن الزوجة بان يقول : إن تزوجت فلانة فهى طالق أو اطلق بان يقول : كل من اتزوجها فهى طالق اذلا طلاق الا بعد نكاح لانه لازالة قيده .

فلايقع الطلاق بالامة المحللة التى لاتندرج فى اسم النكاح الذى نفى الطلاق قبله ، ولا المستمتع بها ولوكانت حرة إجماعاً .

ثانيها ـ أن تكون طاهراً من الحيض والنفاس، فلايصح الطلاق فيهما، وهذا شرط فى المدخول بها غير الحامل ، وأما غير المدخول بها والحامل فيصح طلاقهما حائضين بناءاً على مجامعة الحيض للحمل اجماعاً وذلك لان غير المدخول بها لا عدة لها كما ان عدة الحامل وضع الحمل على كل حال ، ومن هنا يعلم كونهما خارجين من اطلاق النهى عن طلاق الحائض .

وهذا الشرط يعتبر فى الحاضر زوجها لا الغائب عنها فى طهر مواقعتها مدة يعلم بمقتضى عادتها انتقالها من القرء الذى وطئها فيه إلى وقت آخر وان احتمل انها فى حال الطلاق حائض أو باقية على الطهر الاول .

فلو طلقها وهما فى بلد واحد متمكنا من تعرف حالها ولو باقرارها ، وان لم يكن فى طهر واقعها فيه او كان غائبا عنها فى طهر مواقعتها دون المدة المعتبرة بناء على اعتبارها ، وقد بان انها كانت حائضا او نفساء لبطل الطلاق علم بذلك او لم يعلم لوقوع الطلاق فى غير العدة أما لو انقضى من غيبته عنها فى طهر مواقعتها ما يعلم انتقالها فيه من طهر إلى وقت آخر بمقتضى العادة ثم طلق صح ، ولو اتفق فى الحيض لتأخر العادة اتفاقاً ، و كذا لو خرج فى طهر لم يقربها فيه جاز طلاقها ولو بان انها حائض سواء مضت مدة يعلم بانتقالها فيها من ذلك الطهر إلى آخر أم لا ، و كذا يجوز طلاق التى لم يدخل بها ، وهى حائض اذلا عدة لها فلاتندرج

في الامر بالاية وأدنى زمان الغيبة : هو انتقال الزوجة من طهر الى طهر آخر و هذا شهر ، فاذا مضى شهر ولم يعلم الزوج حال زوجته انتقلت إلى طهر آخر أم لا جازله الطلاق ، ولو بعد يوم المفارقة الذى واقعها فيه بثلاثة ايام لاحتمال حيضها فى ذلك اليوم وطهرها منه بعد الثلاثة ، ولوكان الزوج حاضراً وهو لايصل إليها ولكنه يعلم حيضها وطهرها فهو كالغائب فى الحكم كما ان الغائب لو فرض امكان علمه بحالها كان كالحاضر .

رابعها ـ أن تكون مستبرأة عن المواقعة التى واقعها اياه ، فلو طلقها فى طهر واقعها فيه لم يقع الطلاق ، و يسقط هذا الشرط فى اليائسة التى لاعدة لها ، وفيمن لم تبلغ سن الحيض الذى هو التسع ، و فى الحامل ، و فى المسترابة ـ و هى التى فى سن من تحيض و هى لاتحيض لخلقة او عارض لكن بشرط أن يمضى عليها ثلاثة أشهر لم تردماً معتزلا لها .

لايشترط فى تربص ثلاثة أشهر فى المسترابة أن يكون اعتزاله عنها لاجل ذلك وبقصد أن يطلقها بعد ذلك ، فلو واقعها ثم لم يتفق له المواقعة بسبب من الاسباب الى أن مضى ثلاثة أشهر ثم بداله أن يطلقها صح طلاقها فى الحال ولم يحتج إلى تجديد الاعتزال ، فلو طلقها قبل مضى ثلاثة أشهر من حين المواقعة لم يقع الطلاق .

لو واقعها فى حال الحيض لم يصح طلاقها فى الطهر الذى بعد تلك الحيضة بل لابد من ايقاعه فى طهر آخر بعض حيض آخر لان ما هو شرط فى الحقيقة هو كونها مستبرأة بحيضة بعد المواقعة لامجرد وقوع الطلاق فى طهر غير طهر المواقعة

خامسها ـ تعيين المطلقة لفظاً او نية او اشارة بأن يقول: فلانة طالق او يشير إليها بما يرفع الابهام والاجمال مع فرض تعدد الزوجات ، فلو كان له زوجة واحدة فقال : زوجتى طالق صح لعدم الاجمال حينئذ فلو كان له زوجتان مثلا او زوجات فقال : زوجتى طالق ، فان نوى معينة صح فان لم ينو طلاق واحدة معينة فالاقوى عدم صحته ، ولو قال : هذه اوهذه طالق ثم عيّن من شاء صح الطلاق و

الأ فلا لاصالة بقاء النكاح ، فلايزول الا بسبب محقق السببية ، و لان الطلاق أمر معين فلابد له من محل معين ، وحيث لامحل فلا طلاق ، ولان الاحكام من قبيل الاعراض فلا بدلها من محل تقوم به ، ولان توابع الطلاق من العدة وغيرها لابد لها من محل معين .

الركن الثالث : فى صيغة الطلاق وبها يزول قيد النكاح وهى : انت طالق او فلانة اوهذه اوما يشبهها من الالفاظ الدالة على تعيين المطلقة دون غيرها من الصيغ لصحيح محمد بن مسلم سئل أباجعفر عليه السلام عن رجل قال لامرأته : انت على حرام او بائنة او برية او خلية قال : هذا كله ليس بشيء انما الطلاق أن يقول لها فى قبل العدة بعد ما تطهر من حيضها قبل أن يجامعها : أنت طالق او اعتدي يريد بذلك الطلاق ويشهد على ذلك رجلين عدلين.

وههنا مسائل :

مسئلة ١ـ لوقال : انت الطالق اوطلاق اومن المطلقات لم يصح ، وإن نوى به الطلاق اجماعاً ، و كذا لوقال : انت مطلقة .

مسئلة ٢ـ لايقع الطلاق بالكناية التى تحتمل الطلاق وغيره كالسراح و الفراق وان عبّر بهما عن الطلاق فى القرآن الكريم كقوله تعالى : « اوتسريح باحسان اوفارقوهن » لانهما عند الاطلاق لايطلقان على الطلاق، فكانا كناية عنه لا صراحة فيهما والتعبير بهما لايدل على جواز ايقاعه بهما ، و كذا الخلية و البرية والبتة والبتلة و حرام و بائن و غيرها من الكنايات وان قصد بها الطلاق لاصالة بقاء النكاح إلى أن يثبت شرعاً ما يزيله .

مسئلة ٣ـ لايقع الطلاق بغير العربية مع القدرة على التلفظ بها ، و كذا لا يقع بالاشارة الا مع العجز عن النطق، فيقع حينئذ بالاشارة المفهمة لارادة الانشاء ويقع طلاق الاخرس بالاشارة الدالة على ذلك كغيره من مقاصده لخبر أبى بصير عن الامام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام قال : « طلاق الاخرس أن يأخذ مقنعتها ويضعها على رأسها ويعتزلها » ويقع الطلاق بالكتابة عند العجز عن النطق من غير

فرق في ذلك بين الحاضر والغائب ، ولو عجز عن النطق ولو لعارض في لسانه فكتب ناوياً به الطلاق صح اتفاقاً .

مسئلة ٤ ـ لو خيّر الزوجة بين الطلاق والبقاء بقصد الطلاق وقصد تفويض الطلاق إليها وجعله بيدها ، فان اختارت الزوج اوسكتت و لو لحظة تقدح في الاتصال عرفاً فلا حكم له ، وإن اختارت نفسها بقصد الطلاق في الحال قيل : تقع الفرقة رجعية والاقوى لاحكم له أصلا ايضاً .

مسئلة ٥ ـ يجوز للزوج أن يوكّل غيره في تطليق زوجته بنفسه مباشرة اوبتوكيل غيره سواءكان الزوج حاضراً ام غائباً بل و كذاله أن يوكل نفس الزوجة في تطليق نفسها بنفسها اوبتوكيل غيرها .

مسئلة ٦ ـ يجوزأن يوكلها على انه لوطال سفره أزيد عن ثلاثة شهورمثلا او سامح في انفاقها أزيد من شهر طلّقت نفسها لكن بشرط أن يكون الشرط قيداً للموكّل فيه لاتعليقا في الوكالة فتبطل .

مسئلة ٧ ـ يشترط في صيغة الطلاق تجرّدها عن التعليق على الشرط المحتمل وقوعه نحو : ان جاء زيد ، وعلى الصفة المعلوم حصولها نحو : اذا طلعت الشمس، وأما تعليقه بماهو مقوّم لصحة الطلاق كما اذا قال : ان كانت فلانة زوجتي فهي طالق سواء كان عالماً بانها زوجته اوجاهلا به فلايبعد بجوازه ، ولو كان الشرط معلوم الوقوع للمطلق حالة الصيغة كمالو قال : انت طالق إن كان الطلاق يقع بك وهو يعلم وقوعه يجوز لانه حينئذ غير معلق ومن الشرط تعليقه على مشية الله تعالى .

مسئلة ٨ ـ لايقع الطلاق ثلاثاً في مجلس واحد ، فمن طلّق ثلاثاً في مجلس بطل كالطلاق المعلق والحلف به ، و الطلاق في طهر المواقعة و الحيض و بغير شاهدين .

مسئلة ٩ ـ لو كرّر صيغة الطلاق ثلاثاً ، فقال : هي طالق ، هي طالق ، هي طالق من دون تخلّل رجعة في البين قاصداً تعدّد الطلاق تقع واحدة، ولغت الاخريان

ولو قال: هي طالق ثلاثاً لم تقع الثلاث قطعا، و هل تقع واحدة كالصورة السابقة او يبطل الطلاق ولغت الصيغة بالمرة قولان أقواهما الثاني، وان كان الا شهر هو الاول وعند العامة وقوع الثلاث في الصورتين، فتبين منه وحرمت عليه حتى تنكح زوجاً غيره.

مسئلة ١٠- قال الشيخ: لوقال الرجل لاربع زوجات: أوقعت بينكن أربع طلقات وقع بكل واحدة طلقة، ولكنه لايخلو من اشكال.

مسئلة ١١- لوكان الزوج من العامة ويعتقد وقوع الثلاث بثلاث مرسلة او مكررة واوقع الطلاق ثلاثاً باحد النحوين ألزم بذلك سواء كانت المرءة شيعية اوعامية، ونرتب نحن عليها آثار الطلقة ثلاثاً فلو رجع إليها نحكم ببطلانه -الا اذا كانت الرجعة في مورد صحيحة عندهم- فنتزوج بها بعد انقضاء العدة و كذلك الزوجة اذا كانت شيعية جاز لها التزويج بالغير ولافرق في ذلك بين الطلاق ثلاثاً وغيره مما هو صحيح عندهم فاسد عندنا كالطلاق المعلق والحلف بالطلاق والطلاق في طهر المواقعة والحيض وبغير شاهدين فان المذكورات وان كانت فاسدة عندنا، فاذا وقعت من رجل منا لانترتب على زوجته آثار المطلقة ولكن اذا وقعت من احد المخالفين القائلين بصحتها نرتب على طلاقه بالنسبة إلى زوجته آثار الطلاق الصحيح فنتزوج بها بعد انقضاء العدة، و هذا الحكم جار في الطلاق ايضا فنأخذ بالعول والتعصيب منهم الميراث مثلاً مع انهما باطلان عندنا وتفصيل ذلك في محله.

الركن الرابع: في الاشهاد وفيه مسائل:

مسئلة ١- يجب في الطلاق أن يشهد عليه رجلان عدلان، فلو قال: زوجتي هند طالق والشاهدان العدلان ليس لهما معرفة سابقة الا بهذا الاسم الذي ذكره صح، و كذلك المطلق اذا علما ان اسمه زيد مثلا فانه يكفي في العلم به ولا يشترط أزيد من ذلك بل وان اعتقد الشاهدان غيرهما.

مسئلة ٢- لابد في الطلاق من حضور شاهدين عدلين أن يسمعا الانشاء او

بريانه فى إشارة الاخرس و كتابة العاجز سواء قال لهما : أشهدا أم لم يقل لعدم توقف صدق شهادتهما على ذلك بل يجوز أن يطلّق فى جماعة يكون فيها شاهدان عدلان اذا سمعوا التلفظ بانشاء الطلاق اوما يقوم مقامه .

مسئلة ٣ـ يشترط اجتماع الشاهدين حين سماع الانشاء ، فلوشهدأحدهما وسمع فى مجلس ثم كرر اللفظ و سمع الاخر فى مجلس آخر بانفراده لم يقع الطلاق ، نعم لوشهدا باقراره بالطلاق لم يعتبر اجتماعهما لافى تحمل الشهادة ولافى أدائها .

مسئلة ٤ـ لو كان أحد الشاهدين الزوج ففى صحة طلاق الو كيل اشكال لانه هوالمدعى كما لايكتفى بالمو كل مع عدل آخر .

مسئله ٥ـ لاتقبل شهادة النساء فى انشاء الطلاق ولا الخناثات و إن كثرن لامنفردات ولامنضمات إلى الرجال .

مسئلة ٦ـ لو كان الشاهدان عادلين فى اعتقاد المطلق ـ سواء كان المطلق زوجاً او و كيله ـ فاسقين فى الواقع فالاقوى عدم جواز ترتيب آثار الطلاق الصحيح لمن يطلع على فسقهما ، و كذلك اذا كانا عادلين فى اعتقاد الو كيل دون المو كل .

الفصل الثانى فى أقسام الطلاق :

ان الطلاق سواء كان صحيحاً ام فاسداً على قسمين :

أحدهما ـ طلاق البدعة يقال : طلاق بدعى بمعنى البدعة المحرمة لانه غير جامع لشرائطه وهذا من اقسام فاسدة من الطلاق عند الشيعة الامامية الاثنى عشرية وصحيح عند العامة .

ثانيهما ـ طلاق السنة ، يقال : طلاق سنى بمعنى السنة المشروعة و جوباً مخيراً كطلاق المولى و المظاهر الذى يأمر بعد المدة بالفيء او الطلاق ونبدباً كالطلاق مع الشقاق و عدم العفة و كراهة كالطلاق عند إلتيام الاخلاق على كل حال .

أما طلاق البدعة فثلاث : أحدها ـ طلاق الحائض الحائل بعد الدخول مع حضور الزوج معها بل ومع غيبته دون المدة المشترطة اوفى طهر قربها فيه مع عدم اليأس والصغر والحمل ومضى المدة مع حضوره اومطلقا ، وطلاق المسترابة قبل انتهاء ثلاثة اشهر .

ثانيها ـ طلاق النفساء فانها كالحائض فى الأحكام .

ثالثها ـ طلاق الثلاث من غير رجعة بينها مرسلة اومترتبة بان يقول : هى طالق ثلاثاً اوهى طالق هى طالق هى طالق .

وذلك كله محرم باطل شرعاً كغيره من الطلاق الباطل بفقد بعض شرائط الصحة عدا طلاق الثلاث فان فيه تصح واحدة ويبطل الزائد والتحريم هنا يرجع إلى المجموع من حيث هومجموع وذلك لاينافى تحليل بعض أفراده وهو الطلقة الاولى اذلامنع منها اذا اجتمعت الشرائط .

فرع : اذا طلق المخالف زوجته طلاقاً بدعيا جاز لنا تزويجها الزاماً له بما ألزم به نفسه ، ولو طلقها ثلاثاً بانت منه حتى تنكح زوجاً غيره فلا يجوز له مراجعتها ، نعم اذا تبصّر جرى عليه حكم المتبصر.

و اما الطلاق السنة : فثلاث ايضا :

أحدها ـ طلاق بائن ثانيها ـ طلاق رجعى ثالثها ـ طلاق العدة ولكن المعروف ان الاخير قسم من الثانى فليس قسيما له ، فحينئذ ينقسم طلاق السنة إلى بائن و رجعى ، والرجعى إلى عدى وغيره .

أما الطلاق البائن: فهو ما لا يصح للزوج بعده الرجعة بها وهو على ستة اقسام بلا خلاف :

الاول : طلاق اليائسة وهى من بلغت خمسين اوستين سنة .

الثانى : طلاق التى لم يدخل بها وإن خلابها خلوة ، وانها بائن باعتبار عدم الدخول قبلا ودبراً فانه معتبر كالقبل لصدق المس والادخال والدخول والمواقعة والتقاء الختانين ان فسّر بالتحاذى ، و امكان سبق المنى فيه إلى الرحم و كونه احد

المائين نعم يعتبر كون الدخول موجباً للغسل بغيبوبة الحشفة وان لم ينزل الخروج مادونها عما ذكر .

الثالث : طلاق من لم تبلغ سن من تحيض أى التسع وإن دخل بها للامن من اختلاط المائين .

ولا عدة لهذه الثلاث ولا الرجوع للمطلق .

الرابع : طلاق المختلعة مالم ترجع فى البذل ، فان رجعت به كان رجعياً فتلحقه أحكام الرجعى من وجوب الانفاق والاسكان و تحريم الأخت و الخامسة و رجوع الزوج إليها وغيرها فهى حينئذ بائن فى حال ورجعى فى آخر .

الخامس: طلاق المباراة ، فلا يجوز الرجوع له فيه مالم ترجع الزوجة فى البذل قبل انتهاء العدة وحكم المباراة حكم المختلعة .

السادس: المطلقة ثلاثاً و بينها رجعتان و لو كان الرجوع إلى الزوجية بعقد جديد بعد الخروج من العدة إن كانت حرة ، والمطلقة طلقتين بينهما رجعة ولو بعقد جديد إن كانت أمة .

واما الرجعى :- فهو الذى يجوز للزوج مراجعتها اثناء العدة ـ سواء راجع ام لم يراجع فاعتدت بالاقراء او الشهور او الوضع و ان اطلاق الرجعى عليه باعتبار جواز الرجوع فى العدة كاطلاق الكاتب على مطلق الانسان من حيث صلاحيته لها .

واما طلاق العدة : فهو الذى يكون قسماً مركبا من البائن والرجعى بناء على أنه مجموع الثلاث ، وهو أن يطلق على الشرائط ثم يراجعها قبل خروجها من عدتها ويواقعها قبلا اودبراً ثم يطلقها فى طهر آخر غير طهر المواقعة ثم يراجعها ويواقعها ثم يطلقها فى طهر آخر فانها تحرم عليه حتى تنكح زوجاً غيره .

فان نكحت وخلت ثم تزوجها فان اعتمد ما اعتمده اولا حرمت فى الثالثة عليه أيضاً حتى تنكح زوجاً غيره ، فان نكحت ثم خلت فنكحها ثم فعل كالاول حرمت فى التاسعة تحريماً مؤبداً ، ولا يقع الطلاق للعدة مالم يطأها بعد الرجعة

اجماعاً ، فمن طلّق تسع تطليقات على ماذكر لم تحل له أبداً على وقوعها بحيث يحتاج كل ثلاث منها إلى محلل بان كان المحلل بعد الثلاث والست سواء كان بعد التسع أم لا .

وفى المقام مسائل :

مسئلة ١ـ اذا طلقها فخرجت من العدة ثم نكحها مستأنفاً ثم طلقها وتركها حتى قضت العدة ثم استأنف نكاحها ثم طلقها ثالثة حرمت عليه حتى تنكح زوجاً غيره فاذا فارقها ،واعتدت جازله مراجعتها ، ولاتحرم هذه فى التاسعة ، ولايهدم استيفاء عدتها تحريمها فى الثالثة .

مسئلة ٢ـ اذا طلّق الحامل وراجعها جاز أن يطأها ويطلقها ثانية بعد شهر او مطلقا للعدة إجماعاً ،ويجوز طلاق الحامل بعد المراجعة بلا مواقعة لانها زوجة بالرجوع الذى لايعتبر فى صحة المواقعة نصاً وفتوى فهى محل للطلاق بعموم الادلة

مسئلة ٣ ـ اذا طلق الحائل طلاقاً رجعياً ثم راجعها ، فان واقعها وطلقها فى طهر آخر صح نصاً واجماعاً . وان طلقها فى طهر آخر من غير مواقعة فيه يقع الطلاق ويكون ثانيا ثم لو راجعها ، وطلقها ثالثاً فى طهر آخر حرمت عليها حتى تنكح زوجاً آخر غيره على المشهور ، ثم لو راجع وطلقها ثالثا فى طهر آخر حرمت عليه و كذلك لووقع الطلاق بعد المراجعة وقبل المواقعة فى الطهر الاول وإن كان الاولى تفريق الطلقات على الاطهار إن لم يقع وطىء حتى يكون لكل طلقة طهر ، وأما لو وطىء لم يجز الطلاق ألا فى طهر ثان اذا كانت المطلقة ممن يشترط فيها الاستبراء لاشتراط صحة الطلاق بكونه فى غير طهر المواقعة .

مسئلة ٤ ـ لوشك المطلق فى ايقاع أصل الطلاق لم يلزمه الطلاق لرفع الشك ، وكان النكاح باقياً للاصل ، ولوعلم وشك فى عدده لزمه اليقين وهو الاقل من غير فرق بين الثلاث والتسع للاصل ، ولان الشك فى شرط التوقف على المحلل وعدد الحرمة المؤبدة شك فى المشروط .

مسئلة ٥ ـ اذا طلّق غائباً مثلا بائناً اورجعياً ، و انقضت العدة ثم حضر و

دخل بالزوجة ثم ادعى الطلاق لم تقبل دعواه فيما يتعلق بحق غيره ولا بينته تنزيلا لتصرف المسلم على المشروع ، فكأنه بفعله مكذب بينته وقوله ، وحينئذ فلو كان أولدها لحق به الولد .

مسئلة ٦ ـ اذا طلّق الغائب مثلا طلاقاً رجعياً ، وأراد العقد على رابعة او على اخت الزوجة صبر تسعة أشهر لاحتمال كونها حاملا لاتنقضى عدتها الا بذلك فيستصحب حرمة نكاح الخامسة حتى يعلم الحل .

وقيل : سنة احتياطاً نظراً إلى حمل المسترابة التى رأت الدم و تأخرعنها الدم الثانى والثالث ، فانها تصبر تسعة أشهر ثم تعتد بثلاثة أشهر وذلك سنة .

ولوكان يعلم خلوّها من الحمل كفاه ثلاثة أقراء إن علم عادة المرأة او ثلاثة أشهر للعلم بانتفاء الحمل الذى يلحظ خروجها عن العدة بوضعه والمراد بالتسعة أشهر من حين الوطىء لاحين الطلاق ، فاذا فرض كونه ستة أشهر مثلا ثم طلقها صبر ثلاثة أشهر ، فتكمل له تسعة أشهر التى هى مدة التربص المزبور و كذا الاربعة والخمسة وهكذا .

الفصل الثالث فى اللواحق :

الاول : فى طلاق المريض وفيه مسائل .

مسئلة ١ ـ يكره للمريض أن يطلق زيادة على كراهة أصل الطلاق ولو طلّق صح اجماعاً .

مسئلة ٢ ـ وهو يرث زوجته مادامت فى العدة الرجعية اجماعاً لكونها زوجة كباقى الاحكام . . .

مسئلة ٣ ـ لايرثها فى البائن ولا بعد العدة الرجعية اجماعاً لانتفاء الزوجية وانقطاع العصمة بينهما فاصالة عدم الارث بحاله .

مسئلة ٤ ـ ترثه هى سواء كان طلاقها بائناً أم رجعياً مابين الطلاق وبين سنة لاأزيد ، ولو لحظة مالم تتزوج اويبرء من مرضه الذى طلقها فيه ، ولو برء ثم مرض ثم مات لم ترثه الا فى العدة الرجعية .

مسئلة ٥ ـ لو قال : طلقت فى‌الصحة ثلاثاً او نحو ذلك مما ينفى ارثهامنه قبل فى حقه قطعا لعموم‌اقرار العقلاء .

مسئلة ٦ ـ لو قذفهاو هو مريض فلاعنها و بانت باللعان لم ترثه بلاخلاف لا ختصاص موضوع الحكم نصا و فتوى بالطلاق .

مسئلة ٧ ـ لو طلق الامة مريضاً طلاقا رجعياً فاعتقت فى العدة و مات فى مرضه ورثته فى العدة لانها زوجة ممنوعة بالرق ، و قد زال بالعتق ، و لم ترثه بعدها لا نتفاء التهمة بارادة حرمانها من الارث وقت الطلاق لكونها غير وارثه على كل حال .

مسئلة ٨ ـ اذا ادعت المطلقةان الميت طلقها فى المرض ، و انكر الوارث و زعم ان الطلاق‌وقع‌فى‌الصحة ، فالقول قوله‌لتساوى الاحتمالين ، و كون الاصل عدم الارث الا مع تحقق السبب اذالشك فى الشرط شك فى المشروط .

مسئلة ٩ ـ لو طلق أربعاً فى مرضه و تزوج أربعاً و دخل بهن ثم مات فيه كان الربع بينهن بالسوية ، و لو كان له ولد تساوين فى الثمن .

فرع : اذا وقعت الثلاث على الوجه المشترط من كونها مترتبة لا مرسلة و بعدتخلل الرجعة لا قبلهاحرمت المطلقة حتى تنكح زوجاً غير زوجهاالمطلق من غير فرق فى ذلك بين الطلاق السنى والعدى و غيرهما كطلاق غير المدخول بها و التى رجع بها فى العدة من غير مواقعة فى ذلك الطهر اوغير .

الثانى : فيما يزول به تحريم الثلاث ، فيعتبر فى زوال التحريم بالثلاث امور أربعة : أحدها ـ أن يكون الزوج المحالل بالغاً ، فلا يكفى غير المراهق من الصبيان الذين لا يلتذون بالنكاح ، و لا يلتذذن بهم اجماعاً ، و أما المراهق فالاقوى‌انه لايحلل‌نصاً و شهرة لعدم‌اطلاق الزوج عليه واقعاً و ان الطلاق لا يقع من غير البالغ .

ثانيها ـ أن‌يطأهافى القبل وطئاً موجباً للغسل بغيبوبته الحشفة اومقدارها من مقطوعها لان ذلك‌مناط أحكام الوطيء ولا عتبار ذوق العسيلة من جانبين .

ثالثها ـ أن يكون ذلك بالعقد لا بالملك ولا بالاباحةلو كانت أمة فضلا عن الوطىء بالحرام او بالشبهة ولو بالعقد الفاسد لعدم صدق الزوج عليه ، فلابد من العقد والنكاح كالاول .

رابعها ـ أن يكون العقد دائماً لا متعة نصاً و فتوى ، ولا فرق في المحلل بين العبد والحر لا طلاق الاية والنص فان العبد أحد الازواج .

فاذا استكمل الشرائط يزول تحريم الثلاث .

و في المقام مسائل :

مسئلة ١ ـ لو طلّق مرّة و تزوجت المطلقة ثم تزوج بها الاول بقيت معه على ثلاث مستأنفات و بطل حكم السابق .

مسئلة ٢ ـ لو طلق الذمي الذمية ثلاثاً فتزوجت بعد العدة ذمياً جامعاً لشرائط التحليل ثم بانت منه ،و ترافعا إلينا حكمنا لهما بالحل، ولو أسلم الذمي ثم أسلمت هي بعد المحلل الذمي حل للاول نكاحها بعقد مستأنف بلا خلاف ، و كذا الكلام في كل مشرك .

مسئلة ٣ ـ اذا طلّقت الامة مرتين حرمت حتى تنكح زوجاً غيره سواء كانت تحت حر او عبد لان العبرة في عدد الطلقات عندنا النساء لا الرّجال ، فالحرة ثلاث و ان كانت تحت عبد ، و الامة اثنتان و ان كانت تحت حر .

مسئلة ٤ ـ لاتحل للاول بوطىء المولى ، و كذا لا تحل لو ملكها المطلق لسبق التحريم على الملك فيستصحب لا طلاق نفي الحل كتاباً و سنة حتى تنكح زوجاً غيره .

مسئلة ٥ ـ لو طلّق الامة مرّة ثم اعتقت ثم تزوّجها بعد العدة او راجعها فيها بقيت معه على واحدة استصحاباً للحال الاولى ، و حينئذ ، فلو طلقها اخرى حرمت عليه حتى يحللها زوج ، فان عتقها او عتقه او أعتقهما لا يهدم الطلاق ولا يغيّرها عن حالها السابق للنص والاصل .

مسئلة ٦ ـ لو تزوجها المحلل فارتد بعد وطئه لها حصل التحليل قطعاً ،

فوطئها فى الردة لم تحل لانفساخ عقد النكاح بالردة اذ لا عدة لها فوطئه حينئذ وطىء أجنبى ، وكونها زوجته سابقا غير مجدهنا .

مسئلة ٧ ـ لو انقضت مدة ، فادعت انها تزوجت و فارقها الزوج و مضت العدة وكان ذلك ممكنا فى تلك المدة يقبل اذاكانت المرأة ثقة صدقت فى قولها .

مسئلة ٨ ـ اذا أدخل المحلل فادعت الاصابة فان صدقها حلت للاول بلا خلاف و إن كذّبها يعمل الاول بما يغلب على ظنه من صدقها او صدق المحلل .

مسئلة ٩ ـ لو وطئها محرماً كالوطىء فى الاحرام او فى الصوم الواجب و فى الحيض و نحوها لا تحلّ له لانه وطىء منهى عنه لا يكون مراداً للشارع و لا مندرجاً فى أدلة التحليل الظاهرة فى اعتبار الواقعه فيه المستفاد منهاالاذن فيه .

الفصل الرابع فى الرجعة :

وهى لغة : المرّة من الرجوع،و شرعاً : ردّ المرأةالمطلقةإلى النكاح السابق.

و فى المقام مسائل :

مسئلة١ـ تصح الرجعه نطقاً كقوله: راجعتك ورجعتك وارتجعتك مطلقا اومع اضافة قوله إلى نكاحى و نحو ذلك من الالفاظ الدالة على انشاء المعنى المزبور بنفسها على تفادتها بالصراحة او بقرينة حال او مقال على حسب غيره من المعانى التى يراد ابرازها بالالفاظ الدالة عليها وفعلاً كالوطىء بل لو قبّل اولامس بشهوة او بدونها او نحو ذلك مما لا يحل الاّ للزوج كان ذلك رجعة أيضاً ، و لا يفتقر استباحته إلى الوطىء او التقبيل اواللمس بشهوة إلى تقدم الرجعة فى اللفظ لانها زوجة ما دامت فى العدة ، فله فعل ذلك و غيره بها من دون تقدم رجوع لفظاً لان المطلقة الرجعية زوجة او بحكم الزوجة فيستباح منها للزوج مايستباح منها فيجوز النظر إلى المطلقة الرجعية ما دامت فى العدة ولو لم يكن بقصد الرجوع

مسئلة ٢ ـ لو أنكر الطلاق فى العدة كان ذلك رجعة اتفاقاً لانه يتضمن التمسك بالزوجية .

مسئلة ٣ ـ لا يجب الأشهاد فى الرجعة بلا خلاف عندنا بل يستحب لحفظ الحق و دفع النزاع و لكن الاحتياط لا يترك .

مسئلة ٤ ـ لو قال : راجعتك اذا شئت او إن شئت أو اذا جاء رأس الشهر لم يقع ، و لو قالت : شئت ففيه تردد .

مسئلة ٥ ـ لو طلقها رجعياً فارتدت فراجع لم يصح كما لا يصح ابتداء الزوجية ، فلو أسلمت بعد ذلك استأنف الرجعة إن شاء لفساد الرجعة السابقة .

مسئلة ٦ ـ لو كان عنده ذمية فأسلم فطلقها رجعياً ثم راجعها فى العدة يجوز لانها لم تخرج عن زوجيته ، فهى برجوعه لها فى العدة كالمستدامة التى لم يطلقها على أن النكاح الاول لو كان زائلاً بالطلاق الرجعى لكان العائد بالرجعية اما الاول أو غيره والاول مستلزم لاعادة المعدوم و الثانى منتف اجماعاً و الا لتوقف على رضاها ، فالنكاح الاول باق غايته انه متزلزل واستدامته غير ممتنعة بالذمية اذا منعنا ابتداء نكاحها و الأسقط التفريع .

مسئلة ٧ ـ لو طلق و راجع ، فانكرت الدخول بها اولاً ، و زعمت انه لا عدة عليها ولا رجعة ، و ادعى هو الدخول كان القول قولها مع يمينها لانها تدعى الظاهر الموافق للاصل مع عدم الخلوة بها والا كان فيه البحث السابق فى النكاح.

مسئلة ٨ ـ رجعة الاخرس بالفعل كغيره بالقول ، و بالاشارة الدالة على الرجوع من أخذ القناع من رأسها و غيره .

مسئلة ٩ ـ اذا ادعت انقضاء العدة بالحيض فى زمان محتمل و أقله فى الحرة ستة و عشرون يوماً و لحظتان : أحدهما بعد وقوع الطلاق و الاخرى لتحقق الطهر الثالث أو للخروج من العدة لا جزء منها لانها ثلاثة قروء ، و قد انقضت قبلها ، فلا يصح الرجعة فيها و يصح العقد ، و أما الامة فأقل عدتها بالحيض ثلاثة عشر يوماً و لحظتان فانكر الزوج مع اتفاقهما على تاريخ او سكوتهما فالقول قولهما مع يمينها .

لقول الامام جعفر بن محمد عليه السلام فى قوله تعالى : « ولا يحل لهن أن يكتمن

ما خلق الله فى أرحامهن » : فقد فوّض الله تعالى إلى النساء ثلاثة أشياء : الحيض والطهر والحمل .

مسئلة ١٠ - لو ادعت انقضاء العدة بالاشهر و كان تاريخ الطلاق معلوماً رجع إلى الحساب ، و ان لم يعلم أو اختلفا فيه ، فانكر الزوج انقضائها لم يقبل و كان القول قول الزوج لان مرجع هذا الاختلاف فى الحقيقة إلى الاختلاف فى زمان ايقاع الطلاق ، ولا ريب ان القول قوله فيه لاصالة بقائها فى العدة مؤيداً باصالة تأخر الحادث .

مسئلة ١١ - و كذا لوادعى الزوج الانقضاء للتخلص من النفقة مثلاً فانكرت هى فان القول قولها ، و ان كان الطلاق فعله لان الاصل بقاء علقة الزوجية التى كانت اولاً مؤيداً بأن الاصل تأخر زمان وقوع الطلاق من غير فرق فى ذلك بين كون العدة بالحيض والاشهر .

مسئلة ١٢ - لوكانت حاملاً فادعت انقضاء عدتها مثلا بالوضع فانكر الزوج وضعها بعد اعترافه بحملها قبل قولها بيمينها اجماعاً ، ولم تكلّف بالبينة ولاباحضار الولد الذى قد يعجز عن إحضاره لا طلاق مادل على تصديقهن فى العدة و لجواز وضعه بحيث لم يطلع عليه غيرها ثم موته او سرقته .

مسئلة ١٣ - لو ادعت فانكر الزوج كان القول قوله ، و إن أحضرت ولداً فانكر ولادتها له لاحتمال التقاطها له ،و أما الولد للفراش فانما هو بعد ثبوت و لادتها له على فراشه .

مسئلة ١٤ - اذاادعت انقضاء العدة التى يرجع أمرها إليه او الأشهر فصدّقها الزوج فى هذه الدعوى ثم ادعى هو الرجعة قبل ذلك بالقول أو الفعل فالقول قول المرأة بيمينها على البتّ فى الفعلى و على عدم العلم فى القولى لاصالة عدم مقتضى لانفساخ الطلاق الذى هو سبب البينونة .

مسئلة ١٥ - لو راجعها فادعت هى بعد اعترافها بتحقق الرجعة من انقضاء العدة قبل الرجعة لتقع الرجعة فى غير محلها فالقول قول الزوج اذ الاصل صحة

الرجعة فمد عيها حينئذ يقدم على مدعى الفساد و قبول قولها انما يقبل مع عدم معارضته لمثل الاصل المزبورالذى لاطريق لا فسادها ولو باخبارها بالانقضاءقبل تحقق الرجعة منه .

مسئلة ١٦ - لو ادعى انهراجع زوجتهالامة فى العدة فصدقته فانكرالمولى و ادعى خروجها قبل الرجعة فالقول قول الزوج فلا يقبل من المولى ذلك الاّ ببينة لان أمر العدة إليهن و لكون الحق بينهما .

الفصل الخامس فى العدد : و هى جمع عدة من العدد لا شتماله عليه غالباً ، و فى الشرع : أيام تربّص المرأة الحرة بمفارقة الزوج أو ذى الوطىء المحترم بفسخ او طلاق ، أوموت أو زوال اشتباه بل و الامة اذا كان الفرقة عن نكاح ، أو وطىء شبهة ، ولوكان عن وطىء ملك تسمى بالاستبراء .

وههنا مسائل :

مسئلة ١ - لا عدة على من لم يدخل بها قبلا ولاد برأسواء بانت بطلاق او فسخ اوهبة مدة ولا رجعة كتاباً و سنة عدا المتوفى عنها زوجها ، فان العدةتجب مع الوفاة ولو لم يدخل بها .

مسئلة ٢ - يتحقق الدخول بايلاج الحشفة قبلا أودبراً و ان لم ينزل ، و إن كان مقطوع الانثيين فضلا عن مغيبهما نصاً و فتوى .

مسئلة ٣ - لو كان مقطوع الذكر سليم الانثيين تجب العدة احتياطاً إن ساحقها ، فان كانت حاملاً فبالوضع و الاّ فبالاشهر دون الاقراء لا مكان الحمل عادة بالمساحقة،وان عدةالاقراءتكون عن طلاق بعددخول،والدخول يتعذرمن جهته .

مسئلة ٤ -لوكان مقطوع الذكر والانثيين تعتد بالوضع لو ساحقهافحملت و عدم وجوب العدة بدون الحمل .

مسئلة ٥ - لا تجب العدة فيما بينها و بين الله بالخلوة منفردة عن الوطىء و عن وضع ماءه فيها اجماعاً ، و ان كانت كاملة بالبلوغ و عدم اليأس ، و كانت الخلوة تامة بكونها فى منزله و وطئها فيما دون القبل والدبر .

مسئلة ٦ ـ لو خلا ثم اختلف فى الاصابة فالقول قوله فى العدم مع يمينه للاصل .

مسئلة ٧ ـ ان عدة ذات الاقراء ـ وهى المستقيمة الحيض ـ التى يأتيها حيضها فى كل شهر مرة على عادة النساء فتعتد بثلاثة اقراء كتاباً و سنة .

مسئلة ٨ ـ ذلك اذا كانت المعتدة حرة سواء كانت تحت حر او عبد اتفاقاً لان المدار فى العدة النساء دون الرجال ، ولو كانت امة فقرءآن وان كانت تحت حر .

مسئلة ٩ ـ لو طلقها و حاضت بعد الطلاق بلحظة احتسبت تلك اللحظة قرءاً ثم أكملت قرئين آخرين فاذا رأت الدم الثالثة ، فقد قضت العدة هذا اذا كانت عادتها مستقرة بالزمان أى مضبوطة الوقت سواء كانت مع ذلك مضبوطة العدد أولاً و ان لم تكن كذلك بان اختلفت صبرت إلى انتفاء أقل الحيض أخذ بالاحتياط .

مسئلة ١٠ ـ أقل زمان تنقضى به العدة لذات الحيض ستة وعشرون يوماً و لحظتان : إحداهما ـ بعد الطلاق من الطهر الذى وقع فيه .

ثانيهما ـ من الحيض الثالث لكن الاخيرة ليست من العدة وانما هى للدلالة على الخروج منها فاعتبارها حينئذ مقدمة لحصول العلم بذلك ضرورة أن العدة الاقراء بمعنى الاطهار ، و ليست اللحظة المتاخرة من الطهر قطماً كالقطع بعدم إعتبار شىء زائد على الطهر .

مسئلة ١١ ـ لو طلقها فى الحيض على الوجه الذى قد مضى فى الشرائط لم يقع الطلاق ، ولو وقع فى الطهر ثم حاضت مع انتهاء التلفظ بحيث لم يحصل زمان يتخلل الطلاق والحيض صح الطلاق لوقوعه فى الطهر المعتبر ، ولم تعتد بذلك الطهر لانه لم يتعقب الطلاق حتى يكون له عدة اذلاوجه لاعتدادها بما وقع فيه الطلاق لعدم صدق كونها مطلقة الا بعده و حينئذ فتفتقر فى انقضاء عدتها إلى ثلاثة أقراء مستأنفة ـ بعد الحيض وذلك لايكون الا برؤية الدم الرابع بلاخلاف.

مسئلة ١٢ـ لو اختلفافقالت كان قدبقى من الطهر جزء بعد الطلاق لتحتسب

به قرء فتقتصر العدة بذلك ، و انكر هوذلك لتحصيل طول مدة العدة التي يكون له الرجوع والتوارث و غيرهما ، فالقول قولها لكونها أبصر بذلك منه و كون المرجع في الطهر و الحيض إليها و بهما يخرج عن أصالة بقاء العدة و استصحاب الزوجية لكن ليس له مطالبتها بما دفع إليها من النفقة أخذاً له باعترافه كما انه ليس لها مطالبته بها إن لم يكن قد دفعها لها أخذاً باعترافها .

فروع :

الاول : في ذات الشهور و فيه مسائل :

مسئلة ١ ـ التي لاتحيض خلقة او لعارض و هي في سن من تحيض تعتد من الطلاق والفسخ مع الدخول بثلاثة أشهر اذا كانت حرة لقوله تعالى : «و اللائي يئسن من المحيض من نساء كم ان ارتبتم فعدتهن ثلاثة أشهر» من غير فرق بين الطلاق والفسخ و غيرهما من أنواع الفراق بل و وطىء الشبهة عدا الوفاة على نحو ذات الاقراء .

مسئلة ٢ ـ اليائسة التي بلغت سن اليأس : خمسين اوستين فالاول ان لم تكن قريشية او نبطية و الا فالثاني و التي لم تبلغ التسع الذي هو اول سن امكان الحيض لا عدة عليهما .

فحد اليأس ان تبلغ المرأة خمسين سنة في غير القرشية والنبطية وفيهما ستين سنة .

مسئلة ٣ ـ لوكان التي لا تحيض وهي في سن من تحيض بمعنى انقطاع الدم عنها لامر لايعلم حاله اعتدت بثلاثة أشهر ، فتراعي الشهور و الحيض فان سبقت الاطهار ، فقد خرجت العدة وكذا ان سبقت الشهور .

مسئلة ٤ ـ لو رأت في الثالث حيضاً و تأخرت الثانية او الثالثة صبرت تسعة أشهر لاحتمال الحمل بسبب التأخر المزبور ثم إن تم أقراؤها او وضعت فذاك والا اعتدت بعد ذلك بثلاثة أشهر وهي هو أطول عدة .

مسئلة ٥ ـ لو رأت الدم مرة ثم بلغت اليأس أكملت العدة شهرين نصاً

و فتوى .

مسئلة ٦ـ لو استمر بالمعتدة الدم مشتبها بان تجاوز العشرة رجعت إلى عادتها فى زمان الاستقامة و اعتدت به وقتاً و عدداً أو أحدهما إن كانت وامكن اختبارها بان لم تتقدم على ما اعتادته من الوقت ولا تأخرت عنه وتجعل الباقى استحاضة فتلحق بالاول حكم الحيض و الباقى حكم الطهر إلى وقت العادة من الشهر الاخر وتنقضى بذلك العدة كغير المستمربها الدم من المستقيمة .

مسئلة ٧ ـ لولم تكن لها عادة لابتداءها أواضطرابها او كانت نسيتهااعتبرت صفة الدم بشرائطه المتقدمة فى باب الحيض ، فاعتدت بثلاثة اقراء لانه طريق شرعى فى تشخيص الحيض المقتضى لتشخيص الطهر ، فيتبعه حكم العدة .

مسئلة٨ـلو اشتبه على وجه لايتحقق به التمييز المعتبرشرعاً رجعت إلى عادة نساءها من أقر بائها او أقرانهاولو اختلفن او فقدن اعتدت بالاشهر كفاقدالتمييز من المضطربة .

مسئلة ٩ـ لوكانت لاتحيض الا فى سنة او أربعة او خمسة أو ازيد أوأنقص من ذلك ولو بعد كل ثلاثة أشهر اعتدت بالاشهر دون الاقراء .

مسئلة ١٠ـ متى طلقت فى أول الهلال بان انطبق آخر لفظ الطلاق مع الغروب ليلة الهلال اعتدت بثلاثة أشهر أهلة لا نصراف الشهر إلى الهلال شرعاً و عرفاً .

مسئلة ١١ـ لو طلقت فى أثنائه اعتدت بهلالين لتمكنها منهما و أخذت من الثالث بقدر الفائت من الشهر الاول ليتحقق صدق الثلاثة عرفاً والاحوط اكمال ثلاثين لا مكان الهلالية فى الشهرين و تعذره فى الباقى فينصرف الى العددى .

مسئلة ١٢ـ لو ارتابت بالحمل لحركة او ثقل او نحوهما بعد انقضاء العدة و النكاح لم يبطل النكاح للاصل و لعدم اعتبار الريبة بعد ثلاثة أشهر .

مسئلة ١٣ـ و كذا يجوز لها التزويج لو حدثت الريبة بعد العدة و قبل النكاح امالو ارتابت به قبل انقضاء العدة لم يجز لها أن تنكح ، و إن كان الجواز

ما لم يتيقن بالحمل حسناً ، و على سائر التقديرات اذا ظهر حمل النكاح الثانى لتحقق وقوعه فى العدة التى هى وضع الحمل دون الاقراء والثلاثة فانها أمارة فى الظاهر لا تعارض الواقع بعد فرض حصوله .

الفرع الثانى : فى عدة الحامل و هنا مسائل :

مسئلة ١ـ ان الحامل ولوكانت امة تعتد بالطلاق بوضعه ولو بعد الطلاق بلا فصل كتاباً و سنة سواء كان تاماً او غير تام ولو كان علقة بعد أن تحقق انه حمل يندرج فى اطلاق الكتاب والسنة ، فلا عبرة بالنطفة مع عدم استقرارها اجماعاً لعدم صدق الوضع عليها .

مسئلة ٢ـ لو طلقت فادعت الحمل صبر عليها أقصى الحمل وهو تسعة أشهر من حين الوطىء لانها بزعمها حينئذ من اولات الاحمال الواجب عليهن الاعتداد ثم لا يقبل دعواها للعلم ببطلانها حينئذ .

مسئلة ٣ـ لو كان حملها اثنين مثلا لبانت بوضع الاول ، و ان كان لاتنكح الا بعد وضع الاخير ، فلا تبين الا بوضع الجميع الذى هو مصداق حملهن فلايصدق بوضع بعضه ، و كون الواحد حملا لا يقتضى صدق وضع حملهن .

مسئلة ٤ـ لوطلق الحائل طلاقاً رجعياً ثم مات فى العدة استأنفت عدة الوفاة اتفاقاً .

مسئلة ٥ـ لوكان بائنا اقتصرت على إتمام عدة الطلاق لانها أجنبية ، فهى على استصحاب عدتها .

مسئلة ٦ـ لوحملت من زنا ثم طلقها الزوج اعتدت بالسابق من الاشهر كما لولم تكن زنالا بالوضع ولها التزويج بعد انقضاء العدة لعدم العدة لها بوضعه و كذا لولم تكن ذات بعل و كانت حاملة من زنا .

مسئلة ٧ـ لو وطئت المرأة شبهة والحق الولد بالواطى لبعد الزوج عنها و نحوه مما يعلم به عدم كونه له ثم طلقها الزوج اعتدت بالوضع من الواطى ثم استأنف عدة الطلاق بعد الوضع فلو فرض تأخر دم النفاس عنه لحظة حسب قرءاً

من العدة الثانية و الا كان ابتداء العدة بعده .

مسئلة ٨- اذا اتفق الزوجان فى زمن الطلاق و اختلفا فى زمن الوضع كان القول قولها سواء ادعت تقدمه او تأخره لانه اختلاف فى زمان الولادة وهى من فعلها المؤتمنة عليها لانها ذات يد ، فكما تصدق فى أصله تصدق فى وقته ايضاً و من هنا لو فرض انهما اتفقا فى زمن الوضع و اختلفا فى زمن الطلاق فالقول قوله سواء ادعى تقدمه او تأخره لانه اختلاف فى فعله الذى هو الطلاق الذى كما يصدق فى أصله يصدق ايضا فى وقته ولكن فى المسئلتين اشكال لان الاصل عدم الطلاق و عدم الوضع فالقول قول المنكر لهما لقاعدة تأخر مجهول التاريخ عن معلومه.

مسئلة ٩- لو اقرت بانقضاء العدة ثم جائت بولد لستة أشهر فصاعداً منذ طلقها ، و يلحق به الولد مالم يتجاوز أقصى الحمل من آخر وطىء او من الطلاق او من انقضاء العدة الرجعية ولم تكن ذات بعل لا نها حينئذ على حكم الفراش السابق فى لحوق كل ما يحتمل كونه منه و لذالو لم تخبر بانقضاء العدة لم يكن اشكال فى لحوق الولدبه .

الفرع الثالث : فى عدة الوفاة ، وهنا مسائل :

مسئلة ١- تعتدّ الحرةالمنكوحة بالعقد الصحيح الدائم أربعة أشهروعشراً ان كانت حائلا كتاباً و سنة صغيرة كانت او كبيرة ، مسلمة او ذمية من ذوات الاقراء أم لا ، بالغاً كان زوجها اولم يكن ، حراً كان او عبداً دخل بها اولم يدخل لا طلاق الادلة والاجماع ، وتبين بغروب الشمس من اليوم العاشر الذى يتحقق بذهاب الحمرة المشرقية لانه نهاية اليوم اتفاقاً .

مسئلة ٢- لو كانت حاملا اعتدت بأبعد الاجلين من وضع الحمل و مضى اربعة أشهر و عشراً ، و حينئذ فان وضعت قبل استكمال الاربعة أشهر و عشرة أيام صبرت إلى إنقضائها و كذا العكس،و يلزم المتوفى عنها زوجها اذا كانت حرة الحداد ، و هو ترك ما فيه زينة من الثياب والادهان المقصود بها الزينة والتطيب فيها أوفى البدن والاكتحال بالا سود او بغيره فيما فيه زينة بلونه او بغيره نعم

لابأس بالثوب والارزق و نحوهما لبعده عن شبهة الزينة في العادة التي قد عرفت انها المدار و كيف كان فتستوى ذلك فيالصغيرة والكبيرة والمسلمة والذمية ، و أما الحداد في الامة اذا كانت زوجة ففيه تردد و خلاف أظهره ان لاحداد عليها وفاقاً لجماعة .

مسئلة ٣ـ لا يلزم الحداد المطلقة بائنة كانت او رجعية بل استفاضت النصوص بتزيين الثانية و تشوقها لزوجها لعل الله يحدث بعد ذلك أمراً أى يرجع إلى النكاح السابق .

مسئلة ٤ـ لو وطئت المرأة بعقد الشبهة ثم مات وقد انحلت الشبهة اعتدت عدة الطلاق حائلاً كانت او حاملاً اتفاقاً ، و ذلك لانه بعد ان ظهر الحال كان الحكم الوطى لا العقد اذ ليست زوجة كي تندرج في المتوفى عنها زوجها فلم يبق الا انها موطوئة وطئاً محترماً تعتد منه عدة الطلاق كما في حال حياته .

مسئلة ٥ ـ لوكان له أكثر من زوجة مثلاً فطلق واحدة لا بعينها فان قلنا: ان التعيين شرط في الطلاق فلا طلاق ، و ان لم نشترطه ومات الزوج قبل التعيين فعلى كل واحدة الاعتداد بعدة الوفاة تغليبا لجانب الاحتياط اللازم مراعاته دخل بهن او لم يدخل اذا كن من ذوات الاقراء .

مسئلة ٦ـ لو كنّ حوامل اوإحداهن اعتددن بأبعد الاجلين من عدالوفاة، و من انقضاء الاقراء .

مسئلة ٧ـ و كذاالحال لو طلّق احداهن بائناً معيناً لها في نفسه مثلاومات قبل ذكر التعيين فعلى كل واحدة منهن الاعتداد بعدة الوفاة الا في ذات الاقراء ولوعيّن قبل الموت انصرف الطلاق الواقع فيهما اولا إلى المعينة التي ذكرها أخيراً ولكن تعتد من حين الطلاق لما تقدم من وقوع الطلاق بالاول و إن تأخر التعيين و لا تعتد من حين الوفاة ، و ذلك لان الفرض كون طلاقها بائناً مبهما ثم عيّن .

مسئلة ٨ـ لو كان طلاقاً رجعياً اعتدت عدة الوفاة من حين الوفاة لا نقلاب

عدة الرجعية إلى عدة الوفاة لومات المطلق فى أثنائها .

مسئلة ٩- المفقود زوجها ان عرف خبره او انفق على زوجته و ليه عن نفسه او تبرع او كان له مال يمكن الانفاق منه عليها فلا خيار لها فلتصبر للاصل والنصوص .

مسئلة ١٠- و لو جهل خبره و لم يكن من ينفق عليها و لو متبرع ، فان صبرت فلابحث ضرورة كون ذلك كله للارفاق بها و ان رفعت أمرها إلى الحاكم أجلها أربع سنين ، و فحص عنه ، فان عرف خبره صبرت ، و على الامام أن ينفق عليها فى الأجل المزبور من بيت المال المعد للمصالح التى هذه منها و ان لم يعرف خبره أمرها بالاعتداد عدة الوفاة ثم تحل للازواج نصاً و فتوى لكن بعد الطلاق من وليه أو الوالى .

مسئلة ١١- لوجاز زوجها او ثبتت حياته ، و قد خرجت من العدة ونكحت زوجاً آخر ، فلا سبيل له عليها اجماعاً ، و ان جاء وهى فى اثناء العدة فهو أملك بها نصا و فتوى لانها بحكم العدة الرجعية .

مسئلة ١٢- ان خرجت من العدة ولم تتزوج لا سبيل له عليها على الاشهر.

مسئلة ١٣- لو نكحت بعد العدة ثم بان موت الزوج كان العقد الثانى صحيحاً بلاخلاف ، ولا عدة عليها من موته سواء كان موته قبل العدة او معها او بعدها ، و ذلك لان عقد الاول سقط اعتباره شرعاً بالطلاق او بالامر بالاعتداد ، فلا حكم له بموته فى حال حياته .

مسئلة ١٤- لا نفقة على الغائب فى زمان العدة ، و لو حضر قبل انقضائها نظراً إلى أنها عدة نشات من حكم الحاكم بالفرقة فهى اماعدة وفاة ، و إن جازله الرجوع فى اثنائها اوعدة طلاق ولكن لادليل على النفقة فيه .

مسئلة ١٥- لو طلقها الزوج او ظاهر أو آلى و اتفق كون ذلك فى ز من العدة التى هى من طلاق الحاكم او أمره صح لان العصمة باقية .

مسئلة ١٦- لو اتفق كون ذلك بعد العدة لم يقع ، ولو قبل التزويج لانقطاع

العصمة بينهما بانقضاء العدة على كل حال مع فرض عدم معرفة خبره .

مسئلة ١٧ ـ لو أتت بولد بعد مضى ستة أشهر من دخول الثانى لحق به لان الولد للفراش ، ولو ادعاه الاول و ذكرانه وطئها سرّاً لم يلتفت إلى دعواه لزوال فراشه .

مسئلة ١٨ـ لا يرثها الزوج لو ماتت بعد العدة و كذا لا ترثه لانقطاع العصمة بينهما بانقضائها ولو لم تتزوج .

مسئلة ١٩ـلو خطأ الحاكم فى الحساب فأمرها بالاعتداد، فاعتدت وتزوجت قبل مضى مدة التربص بطل النكاح الثانى لو قوعه على غير الوجه الشرعى بل هو نكاح لذات بعل شرعاً ، بل الاقرب تحريمها عليه أبداً مع الدخول لكونه تزويجاً لذات بعل وهو محرم أبداً نصاً و اجماعاً ، نعم لو بان كون نكاحه لها بعد موته أمكن القول بعدم حرمتها عليه .

الفرع الرابع : فى عدة الاماء والاستبراء لهن وهنا مسائل :

مسئلة ١ـ عدة الاماء فى الطلاق مع الدخول والبلوغ وعدم اليأس قرءآن نصاً و فتوى كما ان طلاقها تطليقتان نصاً و اتفاقاً ، و أقل زمان تنقضى به عدتها ثلاثة عشر يوماً و لحظتان : لحظة بعد وقوع الطلاق ، و لحظة اخرى من الحيض كما مرّ فى الحرة .

مسئلة ٢ـ لو كانت لاتحيض وهى فى سن من تحيض اعتدت بشهر ونصف سواء كانت تحت حرّ او عبد .

مسئلة ٣ ـ لو اعتقت الامة و طلقت فعدتها عدة الحرّة بلا خلاف ضرورة كونها حرة مطلقة فتندرج فى أدلتها .

مسئلة ٤ـ لا تعود عدتها ان وقع العتق بعد انقضائها لكونها طلقت امة و اعتدت .

مسئلة ٥ـ لو طلقت طلاقاً رجعياً ثم اعتقت فى العدة أكملت عدة الحرة لدليل خاص ، ولو كانت بائناً أتمت عدة الامة اجماعاً لعدم خروجها بذلك عن صدق

كونها أمة قد طلقت فيجب لها عدتها .

مسئلة ٦ـ عدة الذمية عدة الحرة في الطلاق و مايلحق به والوفاة بلاخلاف.

مسئلة ٧ـ عدة الامة من الوفاة لزوجها شهران و خمسة أيام ، و لو كانت حاملاً اعتدت بأبعد الاجلين من الوضع او المدة بلا خلاف .

مسئلة ٨ـ لوكانت أم ولد لمولاها كانت عدتها أربعة أشهر و عشراً .

مسئلة ٩ـ لو طلقها الزوج رجعية ثم مات وهى فى العدة استأنفت عدة الحرة من الوفاة ، و هى أربعة اشهر وعشراً بلا خلاف ، و انها لو لم تكن أم ولد إستأنفت للوفاة عدة الامة شهرين و خمسة أيام .

مسئلة ١٠ـ لوكان الطلاق بائناً اتمت عدة الطلاق حسب بقيت على عدتها منه للاصل و غيره .

مسئلة ١١ـ لومات زوج الامة غير ذات الولد ثم اعتقت اتمت عدة الحرة تغليبا لجانب الحرية .

مسئلة ١٢ـ لوكان المولى يطأها ثم دبّرها اعتدت بعد وفاته مع بقائها على حكم وطئه بأربعة أشهر وعشرة ايام ، ولو اعتقها منجزاً فى حياته اعتدت من وطئه المزبور بثلاثة أقراء ان كانت من ذواته ، والا فبالاشهر الثلاثة كالحرة المطلقة بلاخلاف

مسئلة ١٣ـ كل من يجب استبراؤها اذا ملكت بالبيع يجب استبراؤها لو أملكت بغيره من استغنام أو صلح أو ميراث أو غير ذلك ، و من يسقط استبراؤها فى البيع يسقط فى الاقسام الاخر لاتحاد المدرك فى الجميع فلا حاجة إلى عادته.

مسئلة ١٤ـ اذا كاتب الانسان أمته حرم عليه وطئها .

مسئلة ١٥ـ ان انفسخت الكتابة للعجز مثلا حلت له ولايجب عليه الاستبراء مالم يكن وطيء محرم اجماعاً و ان كان يحرم عليه وطئها بالكتابة .

مسئلة ١٦ـ لو ارتد المولى او المملوكة عن ملة ثم عاد المرتد منهما إلى الاسلام لم يجب الاستبراء ، و ان حرم عليه الوطيء حال الارتداد .

مسئلة ١٧ـ لو طلقت الامة بعد الدخول بها لم يجز للمولى الوطيء الا بعد

الاعتداد و ان لم تنتقل عن ملكه ، ولكن تكفى العدة عن الاستبراء للمولى الاول للاصل و ظهور النصوص فى جواز وطئها له بعد الفراغ من العدة بل و للثانى المشترى لها فى العدة لذلك أيضا .

الفصل السادس فى اللواحق : و فيها مسائل :

مسئلة ١- لا يجوز لمن طلق رجعياً أن يخرج الزوجة من بيته الا أن تأتى بفاحشة ظاهرة - حاملاً كانت او حائلاً كما أنها لا يجوز لها أن تخرج بنفسها بلاخلاف - بان تفعل ما يجب به الحد عليها فتخرج لاقامته ، و أدنى ما تخرج له أن تؤذى أهله .

مسئلة ٢- يحرم الخروج عليها مالم تضطر إليه .

مسئلة ٣- لو اضطرت إلى إخراج خرجت بعد انتصاف الليل و عادت قبل الفجر .

مسئلة ٤- لاتخرج فى حجة مندوبة مثلا الا باذنه بلا خلاف .

مسئلة ٥- تخرج فى الواجب المضيق ، و ان لم يأذن لانه من الضرورة حينئذ كما فى كل واجب كذلك ، نعم لو كان موسعاً اتجه المنع خصوصاً فى المقام الذى اجتمع فيه حق الاعتداد والنكاح ، و كذلك الكلام فى جميع ما تضطر إليه ولا وصلة لها اليه الا بالخروج من حفظ مال أو نفس أو عرض .

مسئلة ٦- تخرج فى العدة البائنة أينما شائت لانقطاع العصمة بينهما و ان كانت حاملاً تجب نفقتها على الزوج اجماعاً .

مسئلة ٧- نفقة الرجعية لازمة فى زمن العدة و كسوتها و سكانها يوماً فيوماً مسلمة كانت او ذمية .

مسئلة ٨- لانفقة للبائن ولا سكنى الا أن تكون حاملاً فلها النفقة والسكنى حتى تضع الا انها سكنى اعتداد على وجه يحرم عليه إخراجها إلى منزل آخر لائق بها و يحرم الخروج عليها .

مسئلة ٩- تثبت العدة للوطىء بالشبهة ، و أما ثبوت النفقة لو كانت حاملاً

ففيه اشكال ينشاء من توهم اختصاص النفقة سواء قلنا انها للحمل أو للحامل بالمطلقة الحامل دون غيرها من البائنات .

مسئلة ١٠- لوانهدم المسكن على وجه لا يمكن اصلاحه أو تعسّر السكونة فيه اوكان مستعاراً قد رجع به المعير اومستأجراً ، فاذا انقضت المدة جاز للزوج إخراجها ، فليس لها الزامه بذلك وجاز لها الخروج فليس له الزامها بذلك لانه اسكان غير جائز فى الاخيرين قطعاً لكونه مالاً للغير .

مسئلة ١١ - لو طلقت فى مسكن دون مستحقها من المنازل فان رضيت بالمقام فيه ، و الاّ جاز لها المطالبة بالخروج عند الطلاق إلى مسكن يناسبها ، و ان كانت رضيت به حال النكاح لاستصحاب الجواز السابق لها قبل الطلاق باعتبار كون ذلك حقاً لها .

مسئلة ١٢- لو طلقها ثم باع المنزل من غير ذكر للمشترى استحقاقها الاعتداد فيه تخير المشترى بين الصبر والفسخ سواء كان اعتدادها بالاقراء او بالاشهر فان كانت معتدة بالاقراء او الحمل لم يصح البيع حينئذ تستحق سكنى غير معلومة باعتبار تقدم العادة و تأخرها ونقصانها و زيادتها فيمن استقام و كذا الحمل فتتحقق الجهالة بالشرط فيبطل ، و يبطل العقد والعادة المستقيمة فى الاقراء والحمل لا تجدى لا مكان تغير العادة .

مسئلة ١٣ - لو كانت معتدة بالاشهر صحّ لارتفاع الجهالة .

مسئلة ١٤ - لو طلقها ثم حجر عليه الحاكم ، فهى أحق بالسكنى لتقدم حقها على الغرماء كالمرتهن والمستأجر و غيرهما .

مسئلة ١٥- لو حجر عليه ثم طلق كان حقها من اجرة المثل اسوة مع الغرماء اذ لامزية لها عليهم .

مسئلة ١٦- لو طلقها فى مسكن لغيره قد تبرّع به لها مثلا لاله استحقت السكنى فى ذمته لانها من جملة النفقة اللازمة له اذ لم تكن فى بيت له يحرم عليه إخراجها منه ، فليس حينئذ الاّ استحقاق النفقة .

مسئلة ١٧ـ ان كان له غرماء و قدفلسه الحاكم ضربت مع الغرماء باجرة مثل سكناها اللائقة بها ، فان كانت معتدة بالاشهر فالعذر معلوم عادة ، واحتمال التخلف زيادة ونقصاناً منفى بالاصل ، و ان كانت معتدة بالاقراء او بالحمل ضربت مع الغرماء باجرة سكنى أقل الحمل و أقل الاقراء لانه المتيقن فان اتفق كذلك فلا اشكال ، و الا اخذت نصيب الزائد لتبين استحقاقها حينئذ كدين ظهر بعد القسمة .

مسئلة ١٨ـ لو فسد الحمل باسقاط و نحوه قبل أقل المدة رجع عليها بالتفاوت لظهور الزيادة عندها على ما تستحقه .

مسئلة ١٩ـ لو مات فورث المسكن جماعة جازلهم قسمته لانقلاب عدتها حينئذ عدة وفاة ولا سكنى لها فيها حتى لو كانت حاملا لم يكن لهم قسمتها اذا كان بقدر مسكنها الا باذنها ، ومع انقضاء عدتها لانها استحقت السكنى فيه على صفته وفى قسمتها ضرر عليها ، فلا يجوز كمن استأجر داراً من جماعة ثم ارادوا قسمتها وهو بعد تقييده بالقسمة المضرة .

مسئلة ٢٠ـ لو أمرها بالانتقال من منزل كانت تسكن فيه سواء كان ملكا لزوجها او مستأجراً او مستعاراً ، فنقلت رحلها وعيالها ثم طلقت فى الاول اعتدت دون الثانى الذى يصير بيتها اذا انتقلت ببدنها إليه اذ المعتبر عندنا الانتقال بالبدن الذى به يتحقق الصدق عرفا دون المال .

مسئلة ٢١ـ ان البدوية تعتد فى المنزل الذى طلقت فيه ، و ان كان بيتها من صوف اوشعر او غيرهما اذلا فرق بينه وبين الآجر والطين فى صدق البيت الذى هو العنوان فى الكتاب والسنة ، فلو ارتحل النازلون به ارتحلت معهم دفعاً لضرر الانفراد من الوحشة والخوف و غيرهما ، و ان بقى أهلها فيه اقامت معهم ما لم يغلب الخوف بالاقامة ولو رحل أهلها التى كانت تستأنس بهم فى بيتها و بقى من النازلين من فيه منعة وتأمن معهم يجوز النقل دفعاً لضرر الانفراد والوحشة.

مسئلة ٢٢ـ لو طلقها فى السفينة فان لم تكن مسكناً لها بان كانت مسافرة

مثلاً اسكنها حيث شاء لانها حينئذ كغيرها من المسافرات ، و ان كانت مسكناً لها بان كان زوجها ملاً حاً مثلا اعتدت فيها لانها حينئذ بيتها بمنزلة الدار للحضرية .

مسئلة ٢٣- اذا طلقت وهى فى مسكنه فخرجت بغير إذنه و سكنت فى منزلها فلا اجرة لها قطعاً ، و ان كانت قبل الطلاق ساكنة فى منزلها ، و طلقها و بقيت فيه ولم تطالب بمسكن مع حضوره ، فليس لها المطالبة بالاجرة لان الظاهر منها التطوع بالاجرة فهى حينئذ كمن قضى دين غيره بغير اذنه ، و كذا لو استأجرت مسكناً فسكنت فيه لانها انما تستحق السكنى عليه حيث يسكنها لاحيث تشاء .

مسئلة ٢٤- لا نفقة للمتوفى عنها زوجها ولا سكنى من مال الزوج اذ لامال له ، ولو كانت حاملاً للاصل ، نعم ينفق عليها من نصيب الحمل الذى بقيت له فلها أن تبيت حيث شاءت .

مسئلة ٢٥ - لو تزوجت فى العدة لم يصح نصاً وفتوى وحينئذ لم تنقطع عدة الاول لان مجرد العقد الفاسد لا يقطعها فحينئذ ان عقدها ولم يدخل الثانى بها فى عدة الاول بل ان وطئها الثانى عالماً بالتحريم ، فالحكم كذلك ايضاً حملت أم لم تحمل ، فهى حينئذ فى عدة الاول ، ولا عدة عليها للثانى .

مسئلة ٢٦- لو كان جاهلاولم تحمل أتمت عدة الاول لانها أسبق واستأنفت اخرى للثانى على أشهر الرواتين عملاً .

مسئلة ٢٧ - لو حملت هنا و كان ما يدل على انه للاول ، ولو بفرض انه طلقها حاملاً ثم وطئها المشتبه اعتدت بوضعه للاول قطعا و للثانى بثلاثة اقراء بعد وضعه ان كانت معتدة بها والافبالاشهر .

مسئلة ٢٨- لو كان ما يدل على انتفاء الحمل عنهما بان ولدته لاكثر من مدة الحمل من وطىء الاول ولاقل من ستة أشهر من وطىء الثانى لم يعتبر زمن الحمل به من العدتين لفرض خروجه عنهما ، فليس محكوماً بكونه من زنا ، فالمتجه حنيئذ اذا كان الامر كذلك أتمت بعد وضعه عدة الاول و استأنفت عدة الاخير .

مسئلة ٢٩ـ لو احتمل أن يكون منهمايقرع بينهما و يكون الوضع حينئذ عدة ممن يلحق به ، وان كان فيه اشكال ينشاء من كونها فراشاً للثانى بوطىء الشبهة ، فيكون أحق به تقديماً للفراش الفعلى على غيره .

مسئلة ٣٠ ـ تعتد زوجة الحاضر من حين الطلاق او الوفاة لقاعدة اتصال العدة بسببها .

مسئلة ٣١ـ تعتد من الغائب فى الطلاق من وقت الوقوع اجماعاً .

مسئلة ٣٢ ـ تعتدزوجة الغائب منه فى الوفاة من حين البلوغ لا من حين الوفاة على المشهور .

مسئلة ٣٣ـ لو كان الذىأخبر غيرالعدللكن لاتنكح الا بعد الثبوتشرعاً و فائدته الاجتزاء بتلك العدة لوبان صدق الخبر بل لوتزوّجت فبان كونه بعد عدتها صح ولا تحرم عليه .

مسئلة ٣٤ـ لو علمت الطلاق ولم تعلمالوقت اعتدت عند البلوغ بلاخلاف.

مسئلة ٣٥ـاذاطلقها بعدالدخولثمراجع فىالعدة ثمطلق قبل المسيس لزمها استيناف العدة لبطلان الاولى بالرجعةالمقتضية لفسخ الطلاق و عود النكاحالسابق بل هو معنى الرجوع فى الحقيقة ، و ليست هى سبباً لانشاء نكاح جديد ، و الا يتوقف على رضاها ، و كذا الحال فيما لو خالعها بعد الرجعة اذ هو كا لطلاق بالنسبة إلى ذلك أما لو خالعها من أول الامر بعد الطلاق ثم تزوجها فى العدة و طلقها قبل الدخول لم تلزمها العدةلانالعدة الاولىبطلت بالفراش الجديدالمنافى للاعتداد ضرورة كونها زوجة حينئذ و قد انقطع حكم الطلاق ، و الفرض ان العقد الثانى لم يحصل معه دخول ، فيندرج فيما دلّ من الاية والرواية علىعدم العدة على المطلقة غير المدخول بها .

مسئلة ٣٦ـ انّ وطيء الشبهة يسقط معه الحد الذى عنوانه الزنا وتجبله العدة لا طلاق مادل على وجوبها بالادخال .

مسئلة ٣٧ـ لو كانت المرأة عالمة بالتحريم وجهل الواطى لحق به النسب

و وجبت له العدة و تحد المرأة حد الزانية ولا مهرلها لانها بغى بلا خلاف كما انه لو انعكس الامر لحق الولد بالامرأة و يحد الرجل حدّ الزانى و لها عليه مهر المثل ولا عدة عليها .

مسئلة ٣٨ـ لوكانت الموطوئة العالمة بالتحريم مع جهل الواطى امةلحق به الولد قطعا لانه أشرف الابوين ، وان كان على الواطى قيمته لمولاه حين سقط و مهر مثل الامة و ان كانت هى بغياً .

مسئلة ٣٩ـ اذا طلقها بائنا ثم وطئها الشبهة تتداخل العدتان بان تستأنف عدة كاملة للاخير منهما ، و تدخل فيها بقية الاولى لانهما لواحد والموجب لها حقيقة انما هو الوطىء ، و اذا استأنفت عدة كاملة ظهرت براءة الرحم لا نقضائها ولا ولويته من التداخل الشخصى الذى جاء به النصوص حاملاً كانت المطلقة او حائلاً .

مسئلة ٤٠ـ اذا نكحت فى العدة الرجعيةلمشتبه و حملت من الثانى اعتدت بالوضع من الثانى قطعا دون الاول لان الحمل له دونه ، و أكملت عدة الاول بعد الوضع باشهر او اقراء لما عرفت من عدم التداخل وكان للاول الرجوع فى تلك العدة التى هى له دون زمان الحمل الذى هو عدة المشتبه خلافاً .

مسئلة ٤١ـ الموجب للعدة امور :

الوفاة ، والطلاق باقسامه والفسخ بالعيوب والانفساخ بمثل الارتداداوالاسلام او الرضاع والوطىء بالشبهة مجرداً عن العقداومعه وانقضاء المدة اوهبتهاويشترط فى الجميع كونها مدخولاً بها عدا الاول والوطى بالشبهة .

الفصل السابع : فى الخلع و فيه مسائل :

مسئلة ١ـ الخلع ـبفتح الخاءـ :النزع لغة،و بضمهاإزالة قيدالنكاح شرعاً ، استعارة من خلع الثوب وهونزعه لقوله تعالى : «هن لباس لكم و انتم لباس لهن» و هو نوع طلاق بعوض مقصود معين لازم لجهة الزوج ببذل من الزوجة و كراهة منهاله خاصة بحدّ يخاف منها الوقوع فى الحرام ، من غير فرق بين انحاء الكراهة

الذاتية من قبح المنظر اوفقر الزوج او سوء خلقه و ما إليها و العرضية من السرقة و شرب الخمر والزنا و ارتكاب النواهى . . .

فى خبر زرارة عن الامام أبى جعفر الباقر عليه السلام قال : لا يكون الخلع حتى تقول : لا اطيع لك أمراً ولا ابر لك قسماً ، و لا اقيم لك حداً فخذ منى و طلقنى ، فاذا قالت ذلك فقد حل له أن يخلعها بما تراضيابه من قليل او كثير . الحديث .

مسئلة ٢ـ صيغة الخلع أن يقول الزوج : خلعتك او خالعتك على كذا ،أو أنت او فلانة مختلعة - بفتح اللام - على كذا ثم يتبعه بالطلاق على الفوراحتياطاً فيقول بعد ذلك : فانت او فلانة طالق .

مسئلة ٣ـ لو طلقها بعوض مع عدم كراهة الزوجة لزوجها ، و كون الاخلاق ملتئمة لم يصح الخلع ، ولم يملك العوض ولكن صح الطلاق اذا جاء بلفظ الطلاق بعد الخلع ، ثم لو كان مورد الطلاق الرجعى كان رجعياً والا كان بائناً .

مسئلة ٤ ـ الخلع و إن كان نوعاً من الطلاق و هو من الايقاعات و لكنه أشبه بالعقود لاحتياجه إلى طرفين وانشائين : بذل شىء من طرف الزوجة ليطلقها الزوج ، و انشاء الطلاق من جانب الزوج بما بذل .

مسئلة ٥ـ يعتبر فى صحة الخلع عدم الفصل بين انشاء البذل و الطلاق بما لا يخلّ بالفورية العرفية ، فلو أخل بها بطل الخلع ، ولم يستحق الزوج العوض ولكن لم يبطل الطلاق اذا أوقعه بلفظ الطلاق او أتبعه بذلك. فوقع رجعياً مع فرض اجتماع شرائطه والا كان بائناً .

مسئلة ٦ـ كلما يصح أن يكون مهراً من العين والدين والمنفعة و التعليم و ما إليها مما يكون متمولا صح أن يكون بذلاً فى الخلع ، ولاتقدير فى المجعول فدية فى طرفى الزيادة والنقصان بعد أن يكون متمولاً ، فيجوز أن تكون ازيد من المهر و أنقص .

مسئله ٧ ـ يعتبر أن تكون الفدية باختيار الزوجة ، فلا يصح الخلع مع

إكراهها على بذلها سواء كان الاكراه من الزوج أم من غيره .

مسئلة ٨ ـ يصح التوكيل فى الخلع مايتعلق به من شرط العوض وتعيينه وقبضه ، وايقاع الطلاق ، ومن المرأة فى جميع ما يتعلق بها من استدعاء الطلاق وتقدير العوض وتسليمه .

مسئلة ٩ ـ اذا وقع الخلع بمباشرة الزوجين ، فاما أن تبتدء الزوجة وتقول بذلت لك اواعطيتك ما عليك من المهر اوالشيء الفلانى لتطلقنى ، فيقول فوراً : انت طالق أومختلعة على مابذلت أو على ما أعطيت وأما أن يبتدء الزوج بعد ما توطئّا على الطلاق بعوض معين ، فيقول : انت طالق اومختلعة بكذا اوعلى كذا فتقول فوراً : قبلت اورضيت وان وقع من وكيلين يقول وكيل الزوجة مخاطبا لوكيل الزوج: عن قبل موكلتى فلانة بذلت لموكلك ماعليه من المهر أوالمبلغ الفلانى ليخلعها وليطلقها .

فيقول وكيل الزوج فوراً : زوجة موكلى طالق على ما بذلت اويقول عن قبل موكلى خلعت موكلتك على مابذلت .

وإن وقع من وكيل أحدهما مع الاخر كوكيل الزوجة مع الزوج يقول وكيلها مخاطبا للزوج عن قبل موكلتى فلانة اوزوجتك بذلت لك ما عليك من المهر او الشيء الفلانى على ان تطلقها فيقول الزوج فوراً هى اوزوجتى طالق على مابذلت ، أو يبتدء الزوج مخاطباً لوكيلها : موكلتك اوزوجتى فلانة طالق على كذا فيقول : عن قبل موكلتى قبلت ذلك وان وقع ممن كان وكيلا عن الطرفين يقول : عن قبل موكلتى فلانة بذلت لموكلى فلان الشيء الفلانى ليطلقها ثم يقول فوراً : زوجة موكلى طالق على مابذلت، أويبتدء من طرف الزوج ويقول :زوجة موكلى طالق على الشيء الفلانى ثم يقول من طرف الزوجة : عن قبل موكلتى قبلت .

ولو فرض ان الزوجة وكلت الزوج فى البذل ، فيقول : عن قبل موكلتى زوجتى بذلت لنفسى كذا لاطلقها ثم يقول فوراً : هى طالق على مابذلت .

مسئلة ١٠ ـ يجوز أن يكون البذل من جانب الزوجة باستدعائها الطلاق من الزوج بعوض معلوم بان تقول له : طلقني او اخلعني بكذا فيقول فوراً - : انت طالق اومختلعة بكذا فيتم الخلع ولكن الاقوى اتباعه بالقبول منها بان تقول بعد ذلك : قبلت .

مسئلة ١١ ـ لابد في البذل مما يملكه المسلم فلا يقع الخمر والخنزير، نعم يصح الخلع من الذمي بل والحربي لاطلاق الادلة وإن كان البذل خمراً اوخنزيراً معاملة لهم بدينهم وإن لم يجز ذلك بين المسلمين .

مسئلة ١٢ ـ طلاق الخلع بائن لايقع فيه الرجوع مالم ترجع المرأة فيما بذلت فلها الرجوع فيه كلا اوبعضاً في العدة ، فاذا رجعت كان له الرجوع إليها

مسئلة ١٣ ـ لو خالعها وشرط الرجوع لم يصح الشرط لكونه مخالفاً للسنة المقتضية لكون الخلع طلاقاً بائنا بل يبطل الخلع أيضاً .

مسئلة ١٤ ـ يعتبر في جواز رجوعها في المبذول إمكان رجوعه بعد رجوعها فلولم يجزله الرجوع كالمطلقة ثلاثاً اولم يكن للمختلعة عدة لكونها يائسة اوغير مدخول بها لم يكن لها الرجوع في البذل ، فاذا رجعت صار الطلاق رجعياً ، فيترتب عليه أحكامه من النفقة ، وتحرم الاخت ، والرابعة ورجع الزوج إن شاء مادامت العدة باقية ولم يمنع من رجوعه مانع كما لوتزوج باختها اورابعة قبل رجوعها لوجوز ناهما .

مسئلة ١٥ ـ المختلعة لايلحقها طلاق بعد الخلع لان وقوع الثاني بها مشروط بالرجعة والفرض انتفاؤها نعم لورجعت في البذل ، فرجع هو بها جاز استيناف الطلاق لصيرورتها زوجة حينئذ .

مسئلة ١٦ ـ يعتبر في الزوج الخالع البلوغ والعقل والاختيار والقصد كما تقدم في الطلاق ، ولايشترط في الزوجة المختلعة البلوغ ولا العقل على الاقوى فيصح خلعها ويتولى الولي البذل .

مسئلة ١٧ ـ يعتبر في الخلع حضور شاهدين عادلين حال ايقاع الخلع ،

وأن لايكون معلقاً على الشرط مشكوك الحصول ، بل لا معلوم الحصول اذا كان مستقبلا فلو انتفت الكراهة منها لم يصح خلعاً ولم يملك الزوج البذل ، واذا وقع بدون حضور شاهدين عادلين بطل من أصله ، و كذا اذا كان معلقاً على شرط ، نعم اذا كان معلقاً على شرط يقتضيه العقد صح كما اذا قال : خلعتك ان كنت زوجتي او كارهة .

مسئلة ١٨ ـ يشترط فى المختلعة أن تكون حال الخلع طاهراً من الحيض والنفاس ، وأن لايكون الطهر طهر مواقعة ، فلو كانت حائضاً اونفساء او طاهرة طهراً واقعها فيه الزوج لم يصح الخلع ، وذلك اذا كانت المختلعه مدخولا بها بالغة غير آيس حائلا ، وكان الزوج حاضراً ، والأصح الخلع .

مسئلة ١٩ ـ لاتوارث بين الزوج والمختلعة لومات أحدهما فى العدة الا اذا رجعت فى البذل ، فمات أحدهما بعد ذلك فى العدة .

مسئلة ٢٠ ـ لايصح الخلع مع كون البذل من متبرع كما لايصح اذا بذلت مال غيرها مالم يملكها اياه ، وفى بذل المولى لزوج أمته على أن يخلعها اشكال.

مسئلة ٢١ ـ كما يصح بذل الفدية من المختلعة ومن وكيلها الباذل له من مالها يصح ممن يضمن البذل فى ذمته باذنها ، فيقول للزوج : طلق زوجتك على مأة وعلى ضمانها، والفرق بين الضامن والوكيل ان الاول يبذل ماله باذن المختلعة والثانى يبذل مالها باذنها .

مسئلة ٢٢ ـ لو تلف العوض المعين المبذول قبل القبض ، فعليها ضمانه مثلاً إن كان مثلياً اوقيمة ان كان قيمياً سواء أتلفته باختيارها أم تلف بآفة من الله تعالى اوأتلفه أجنبى لكن فى الثالث يتخير الزوج بين الرجوع عليها وعلى الاجنبى.و ترجع هى على الاجنبى لورجع عليها إن أتلفها بغير إذنها ، ولو عاب فله أرشه.

مسئلة ٢٣ ـ لو ظهر ان المبذول من مال غيرها صح الخلع لولم يعلم الخالع بذلك ، فعليها المثل ان كان مثلياً اوالقيمة إن كان قيمياً .

مسئلة ٢٤ ـ لوتنازعا فى قدر البذل حلفت لاصالة عدم الزيادة عما تعترف

به منه ، ويقدم قولها أيضاً مع اليمين لو تنازعا فى الجنس مع اتفاقهما على القدر.

مسئلة ٢٥ ـ لوطلبت منه طلاقاً بعوض فخلعها مجرداً عن لفظ الطلاق يقع سواء قلنا بان الخلع فسخ أم طلاق على الاقوى لكونه مصداقـاً لما طلبته ، اذليس معنى قولها : طلقنى بعوض أى اخلعنى بصيغة انت طالق بكذا بل المراد حصول الطلاق بالعوض الذى لافرد له الا الخلع فهوعين ماطلبته .

مسئلة ٢٦ ـ لو خالعت فى مرض الموت صح ،وإن بذلت أكثر من الثلث و كان من أصل مالها لعموم الناس مسلطون على أموالهم المقتصر فى الخروج منها على التبرعات المحضة كالصدقة والهبة ونحوهما ، وان الاحوط أن يكون الزائد عن مهر المثل من الثلث لكونه كالمحاباة فى المعاوضات .

مسئلة ٢٧ ـ لوكان الفداء ارضاع ولده منها او من غيرها او حضانته صح للعمومات لكن مشروطاً بتعيين المدة دفعاً للجهالة القادحة فى أصل المعاوضة .

مسئلة ٢٨ ـ يصح أن يطلقها على نفقته بشرط تعيين القدر الذى يحتاج إليه من المأكل والكسوة والمدة ، فلو مات الولد قبل المدة كان للمطلق استيفاء ما بقى ، فان كان رضاعاً رجع باجرة المثل ، وان كان انفاقاً رجع بمثل ما كان يحتاج إليه فى تلك المدة مثلا اوقيمة ، ولايجب عليها دفع العوض من الاجرة والنفقة دفعة معجلا لان موت الولد لامدخل له فى حلول الدين .

مسئلة ٢٩ ـ لو خالع اثنتين فصاعداً بفدية واحدة صح ،وكانت الفدية بينهما بالسوية .

مسئلة ٣٠ ـ لو قالتا : طلقنا بألف ، فطلّق واحدة صح ، وكان له النصف بناءاً على التسوية .

مسئلة ٣١ ـ لوعقب بطلان الاخرى كان رجعياً انكان مورده كذلك و لا عوض له لتأخر الجواب عن الاستدعاء المقتضى للتعجيل الذى قدعرفت اعتباره فى الخلع .

مسئلة ٣٢ ـ يصح خلع الحامل مع رؤية الدم كما يصح طلاقها ولو قيل :

انها تحيض لانها احدى الخمس التى يطلقن على كل حال .

مسئلة ٣٣ - و كذا التى لم يدخل بها ، ولو كانت حائضاً وتخلع اليائسة و إن وطئها فى طهر المخالعة .

مسئلة ٣٤ - يصح الخلع من المحجور عليه لتبذير أوفلس لاطلاق الادلة وعمومها السالمة عن معارضة الحجر الذى لاينا فى ذلك .

مسئلة ٣٥ - لو أكرهها الزوج على الفدية فعل حراماً ، فلوطلق بالاكراه صح الطلاق ولم تسلم له الفدية التى فرض الاكراه عليها ، وكان له الرجعة ان كان المورد مما له الرجعة فيه ، والا بطل أصل الطلاق أوكان بائناً .

مسئلة ٣٦ - اذا قال أبوها طلقها وأنت برىء من صداقها او بعضه بمعنى انه بذل له مالها فى ذمته على طلاقها ، فطلق صح الطلاق رجعيا ان كان مورده كذلك ولم يلزمها الابراء ، ولايضمنه الاب الذى هو اجنبى بالنسبة إلى ذلك مع بلوغ البنت ورشدها ، والفرض عدم وكالته ، فلا ضمان عليه للزوج ولاللبنت بعدعدم حصول الخلع والبراءة ، نعم لو أجازت هى ذلك ، و قلنا بصحة الفضولى فى ذلك صح البذل و كان خلعاً .

الفصل الثامن فى المباراة : وفيها مسائل :

مسئلة ١ - المباراة : المفارقة لغة ، وفى الشرع : إزالة قيد النكاح بفدية منها مع كراهة الجانبين ، فلوكانت الكراهة من جانب الزوج خاصة ، فلم يكن خلعاً ولامباراة .

مسئلة ٢- يعتبر فى المباراة ما اعتبر فى الخلع ،وتقع المباراة بلفظ الطلاق مجرداً بأن يقول الزوج بعد ما بذلت المرأة له شيئاً ليطلقها : انت طالق على ما بذلت ، وبلفظ بارئتك متبعاً بلفظ الطلاق بان يقول الزوج : بارئتك على كذافأنت طالق ، ولايقع بلفظ بارئتك مجرداً .

مسئلة ٣ - طلاق المبارات بائن كالخلع ، فليس للزوج فيه رجوع الا أن ترجع الزوجة فى البذل قبل انقضاء العدة فله الرجوع حينئذ اليها كما تقدم

فى الخلع .

مسئلة ٤ ـ ان المبارات ، وان كانت كالخلع ولكنها تفارقها بامور ثلاثة

أحدها : لابدمن كراهة الجانبين : كل من الزوجة والزوج لصاحبه فى المبارات بخلاف الخلع إذ كان فيه كراهة الزوجة لزوجها خاصة .

ثانيها ـ يعتبر فى المبارات أن لايكون البذل أكثرمن مهرها بل الاحوط أن يكون أقل منه بخلاف الخلع ، فانه فيه على ماتراضيا به ساوى المهر اوزاد عليه اونقص عنه .

ثالثها ـ انه اذا أوقعت بلفظ بارئت يجب فيها اتباعه بالطلاق بقوله : فانت اوفلانة اوهى طالق بخلاف الخلع اذ كان يجوز أن يقعه بلفظ الخلع مجرداً، وان كان الاحتياط فى الاتباع .



﴿ بحث مذهبي ﴾

تستدل الشيعة الامامية الاثنى عشرية بقوله تعالى : « لايكلف الله نفساً الا ماآتاها » الطلاق : ٧) على منع التكليف بما لايطاق بل بما يشق ، وعلى القبح العقلي رداً على الأشاعرة اذتقول : بجواز تكليف ما لايطاق ، ودليلها : ان لايجب على الله شيء ولا يقبح منه فعل فيفعل مايشاء ويحكم مايريد ، فيجوز أن يكلف مقطوع اليد بالكتابة ، ومن لامال له بالزكاة ، والانسان بالطيران ، والزمانة بالمشي ، وان يجعل القديم محدثا والعكس ، وان الله تعالى أخبر بعدم ايمان أبي لهب مع انه كلّفه بالايمان ، وليس هذا الا تكليفا بمالا يطاق اذايمانه محال و فوق طاقته لانه إن آمن لزم الكذب في خبر الله تعالى وهو محال .

في احياء العلوم : (ج ١ في الأصل الخامس من الركن الثالث من الفصل الثالث في العلم بافعال الله تعالى) قال : « انه يجوز على الله أن يكلف الخلق مالا يطيقونه ولولم يجز ذلك لاستحالة سؤال دفعه ، وقد سئلوا ذلك فقالوا : « ربنا و لا تحملنا مالا طاقة لنا به » ولان الله تعالى أخبر نبيه صلى الله عليه وآله وسلم بان أبا جهل لايصدقه ثم أمره بان يأمره بان يصدقه في جميع أقواله وكان من جملة أقواله انه لايصدقه فكيف يصدقه في انه لايصدقه وهل هذا الا محال وجوده ؟ »

ومثله الفخر الرازي وأذنابه . . .

اقول : ان الايات القرآنية والروايات الواردة عن طريق أهل بيت الوحي عليهم السلام في منع التكليف بما لايطاق ، و في القبح العقلي كثيرة أوردناها في باب

التكليف وقد اشبعنا الكلام فيه بحيث لايقدر أحد أن يتلجلج الا من كان مريض القلب وفاسدة العقيدة وأعمى البصيرة.

ومن البديهى ان الله قد أودع فى العباد قدرة على الفعل وحددها بامكانيات وشروط معينة ، وان التكليف يجب أن يكون متفقاً مع حقيقة هذه القدرة و مراعياً للشروط التى تعمل بها ، فاذا لم يتوفر ذلك فى التكليف فان العبد قد كلف مالا يطيقه وهذا لايجوز على الله سبحانه.

ومن الضرورة : ان نفس القدرة لاتلجأ العبد على اتيان المقدور مالم يكن مريداً به ، ومن غير خفى ان اباجهل وأبالهب كانا قادرين على التصديق والايمان ولكن صميمهما عناداً على بقاء الكفر كان مانعاً عنه ، وهما قادران على رفعه ، فاخبر الله تعالى بانهما لايؤمنان لكونهما على الصميم على بقاء الكفر ، و أمرهما بالايمان لكونهما قادرين على رفع المانع ثم الايمان ، مضافاً إلى ان الامتناع بالاختيار لاينافى الاختيار.

وان العقل السليم يحكم بتاً على أن تكليف المقعد على المشى قبيح ، وان الله سبحانه لايختار القبيح لانه عالم بقبح القبيح ، وباستغنائه عنه لايختاره ، فالذى يعلم قبح الكذب وانه غنى بالصدق عنه لايختار الكذب بحال.

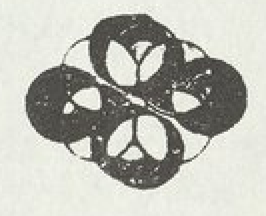
فى تفسير البرهان : عن ابراهيم بن أبى محمود عن أبى الحسن الرضا عليه السلام قال : سئلته عن الله عزوجل هل يجبر عباده على المعاصى ؟ فقال : بل يخيرهم ويمهلهم حتى يتوبوا ، قلت : فهل يكلف عباده مالايطيقونه ؟ فقال : فكيف يفعل ذلك وهو يقول : « وما ربك بظلام للعبيد » ؟

ثم قال : حدثنى أبى موسى بن جعفر عن أبيه جعفر بن محمد عليهم السلام انه قال من زعم ان الله تعالى يجبر عباده على المعاصى ويكلفهم مالا يطيقون فلا تأكلوا ذبيحته ولا تقبلوا شهادته ، ولاتصلّوا ورائه ، ولا تعطوه من الزكاة شيئاً »

وقد ذهب المحققون من المفسرين إلى ان قوله تعالى : « الله الذى خلق سبع سموات ومن الارض مثلهن يتنزل الامر بينهن » الطلاق : ١٢) يدل على ان

الارض سبع كالسموات لان المراد هنا العدد لاالكيفية لان كيفية السماء مخالفة لكيفية الارض ، ويؤيد ذلك قوله تعالى : « والارض جميعا قبضته يوم القيامة و السموات مطويات بيمينه » الزمر : ٦٧) اذ قصد من قوله : « جميعاً » الارضون السبع مثل السموات . . .

أقول : وقد أشبعنا الكلام حول الارض ، و أشرنا إلى الارضين السبع فى سورة الذاريات فراجع . .



﴿الطلاق قبل الاسلام﴾

وقد كان للعرب في زمن الجاهلية طلاق وعدة ومراجعة في العدة على المرأة المطلقة من غير أن يكون للطلاق حدٌ محدود، ولا عدد معدود، فان وقع الطلاق بينهما لغضب عارض على الزوج يرجع إلى زوجته واستقامت بينهما العشرة وان كان لمضارة الزوجة راجعها قبل انقضاء العدة واستأنف طلاقاً جديداً، وهكذا يفعل مرة بعد مرة، فكانت المرءة ملعوبة بيد الرجل يضارّها بالطلاق والرجعة كيف شاء، وحيثما يريد.

ولما جاء الاسلام أصلح مما أصلح من شئونهم الاجتماعية امور الزوجة و الطلاق والرجعة وأحرّها وأقرّ حقوقها بعد أن كان الرجل يعاملها معاملة الاماء والسلع والحيوانات كما كان ذلك باروبا وامريكا في عصر الفضاء مع ادعائهم بحرية النساء استحماراً واستثماراً.

ان الاسلام كما ساوى بين الرجل والمرأة فيما تقتضيه طبيعتهما فقال: « و لهن مثل الذي عليهن بالمعروف » ميّز بينهما باقتضاء غريزتهما اذ قال: « و للرجال عليهن درجة » البقرة: ٢٢٨) وقال: « الرجال قوامون على النساء » النساء ٣٤) اذ على قدر القوة يحمل الراحلة، وعلى قدر الهمة يتعهد الامور، فلكمال قدرة الرجال وشرف هممهم حملوا امور النساء كما قيل: على قدر أهل العزم تأتي العزائم، حتى قد يرى بين الحيوانات ايضاً كأنّ الذكر منها يرى نفسه مالكا للبضع مسلطاً على الانثى، و لذلك تتنازع الفحولة منها على الاناث من غير عكس، فلا تثور الانثى على مثلها اذا مال إليها الذكر بخلاف العكس، وبذلك

تبدأ الخطبة من ناحية الذكر دون الانثى، و ليس ذلك الا ان الطبيعة والغريزة تحكم على ان الذكر هو الفاعل المستعلي والانثى هي القابل الخاضع.

ولا يستطيع أحد أن ينكر التفاوت التكويني والغرائز النفسية بين الرجل والنساء - الا من تطابع بطبائعهن - فلابد بينهما من التفاوت التشريعي، وان كانا شريكين في كثير من الحقوق والاحكام، فالرجال قوامون على النساء لما تقتضيه غريزتهما، ومن مصاديق قيامهم عليهن ولاية الازواج على الزوجات في أمر الطلاق و كونه بيد الزوج واطاعة الزوجة له في الفراش وعدم خروجها من بيته الا باذنه.

ومن الشئون المشروعة للرجال القيام على النساء بالحماية والرعاية والولاية والكفاية، ومن لوازم ذلك ان يفرض عليهم الجهاد دونهن، فانه يتضمن الحماية لهن، وأن يكون حظهم من الميراث أكثر من حظهن لان عليهم من النفقة ماليس عليهن، وذلك لان الله تعالى فضّل الرجال على النساء تكويناً، وأعطاهم مالم يعطهن من الحول والقوة...

فكان التفاوت في التشريع إثر التفاوت في التكوين، وثم سبب آخر كسبي يدعم السبب الفطري وهو ماأنفق الرجال على النساء من اموالهم قال الله تعالى: «وبما أنفقوا من أموالهم» النساء: ٣٤)

فان في المهور تعويضاً للنساء ومكافاة على دخولهن بعقد الزوجية تحت رياسة الرجل، فالشريعة أكرمت المرأة اذا فرضت لها مكافأة عن أمر تقتضيه الفطرة، ونظام المعيشة و هو أن يكون زوجها قيّماً عليها، فجعل هذا الامر من قبيل الامور العرفية التي يتواضع الناس عليها بالعقود لاجل المصلحة كأن المرأة تنازلت باختيارها عن المساواة التامة وسمحت بان يكون للرجل عليها درجة واحدة هي درجة القيامة والرياسة، ورضيت بعوض مالي عنها قال الله تعالى: «الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما أنفقوا من أموالهم» النساء: ٣٤) وقال «وللرجال عليهن درجة» البقرة: ٢٢٨) أوجب الله تعالى للرجال درجة تقتضيها الفطرة البشرية ولذلك كان من تكريم المرأة اعطائها عوضاً ومكافأة تجاه هذه

الدرجة وجعلها بذلك من قبيل الامور العرفية لتكون طيبة النفس مثلجة الصدر قريرة العين ، ولايقال : ان الفطرة لاتجبر المرأة على قبول عقد يجعلها مرؤسة للرجل بغير عوض ، فانا نرى النساء في بعض الامم يعطين الرجال المهور ليكن تحت رياستهم ، فهل هذا الا بدافع الفطرة الذى لايستطيع عصيانه الابعض الافراد.

ولوكان المراد بالقيام « قوامون على النساء » الرياسة ، فليس معناها أن يكون المرؤس مقهوراً مسلوب الارادة لايعمل عملا الا مايوجهه اليه رئيسه، فان كون الشخص قيماً على آخر هو عبارة عن إرشاده ، والمراقبة عليه في تنفيذ ما يرشده اليه أى ملاحظته في أعماله وتربيته ومنها حفظ المنزل وعدم مفارقته، ولو لنحو زيارة اولى القربى الا في الاوقات والاحوال التى يأذن فيها لها الرجل و يرضى .

ومنها مسئلة النفقة فان الامر فيها للرجل فهو يقدر للمرأة تقديراً اجمالياً يوماً فيوماً او شهراً فشهراً اوسنة فسنة ، وهى تنفذ مايقدره على الوجه الذى ترى انه يرضيه، ويناسب حاله سعة وضيقاً، فالمراد بتفضيل بعضهم على بعض في قوله تعالى « فضل الله بعضهم على بعض » البقرة : ٢٢٨) تفضيل الرجال على النساء والتعبير بذلك دون « بما فضلهم عليهن » او « بتفضيلهم عليهن »

اذ في هذا التعبير نكتة دقيقة لاتفيد في غير هذا التعبير و هى ان المرأة من الرجل ، والرجل من المرأة بمنزلة الاعضاء من بدن الشخص الواحد و ان الرجل بمنزلة الرأس بل بمنزلة القلب والمرأة بمنزلة سائر الاعضاء ، فلا ينبغى للرجل أن يبغى بفضل قوته على المرأة قال الله تعالى : « فان أطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلا » النساء : ٣٤)

كما ان القلب لايبغى على سائر الاعضاء ، فكما ان سائر الاعضاء تحتاج إلى القلب يحتاج القلب أيضاً إلى سائر الاعضاء ، فتفضيل بعض اعضاء البدن على بعض لمصلحة البدن كله لاضرر في ذلك على عضو ما ، وانما تتحقق و تثبت منافع جميع الاعضاء بوجود الرئيس كما يكون بالعكس ، فالرئيس ، من المرؤس و

المرؤس من الرئيس و بذلك يتيسر القيام لكل من الرئيس والمرؤس بوظيفتهما الفطرية ، فالرجل بالكسب والحماية والولاية ، والمرأة بالحمل والولادة و تربية الاولاد وتدبير المنزل . . . فلكل وظيفة على طاقته

فالرجال قوامون بحسب ناموس الخلقة والفطرة والشريعة على النساء بالاستحقاق والفضيلة لاتحكماً بل بما اقتضته الحكمة فى الخلق و حسن النظام و حكمة الاجتماع والاشتباك فى العشرة المدنية والتناسل والتربية أن يخلق الله جل وعلا هذين الصنفين من الانسان فى هذا الناموس لكى ينضوى الصنفين فى كنف الاخر ، فتستحكم الروابط ، ويستوثق الارتباط مع أن صفات كل من الصنفين هى النعمة بحسب ذلك الصنف فيما يراد منه فى حياته الفردية والاجتماعية ، وهى النعمة على مجموع النوع فى بقائه وانتظام أمره ، فرب فضل لفاضل يعود بالنعمة على المفضول ورب مفضولية هى نعمة على المفضول ، فشرع للرجال أن يكونوا قوامين على من يرتبط معهم فى العشرة من النساء بسبب فضل الرجال ، و من ثم يعلم حكمة عقدة النكاح بيد الزوج حسب العدل ألذى أراد الخالق جل و علا به إمتداد الحياة .

الطلاق في الاسلام
وحكمة كونه بيد الرجال دون النساء

ان سورة الطلاق هى السورة الكاملة فى القرآن الكريم جائت لتنظيم حال الطلاق وقبله وبعده ، ولكونه أمراً هاماً بالغ الاهمية والخطورة لحد كأنه بحاجة شديدة إلى رعايته باهتمام كافة المؤمنين يرأسهم صاحب الرسالة اذ اختص بالخطاب فى البداية رغم ان الحكم عام للمسلمين ، ففيه من الترغيب و التأكيد فى حفظ حدوده ، ومن التحذير وتوعيد المتلعبين المضارين ما ليس فى سواه ، و فيه من الدلالة على أن الطلاق أبغض الحلال ، والمحرمات فيه أبغض الحرمات عندالله جل وعلا ما لا يخفى .

وأما تشريع الطلاق فى الاسلام فتسمع كثيراً من القصص عن المآسى التى تنجم عن الطلاق من تشريد للزوجة والاطفال ، و منازعات فى المحاكم لاتكاد تنتهى حتى تبدأ من جديد تكون المرأة فى بيتها هادئة مستقرة بل مكدودة ناصبة ترضع طفلا ، وتنظر فى طلبات طفل آخر ، وتعمل مع هذا وذاك على تهيئة راحة الزوج ، فاذا هى تفاجأ دون انذار سابق بوثيقة الطلاق على يد المأذون . . لماذا لان نزوة طارئة خطرت فى نفس الزوج رأى امرأة اخرى ظنها أجمل أو مل (الروتين) الزوجى، فرغب فى التغيير اولانه طلب من زوجته أن تسقيه، فرفضت او تكاسلت لانها متعبة.

أما من طريق يا قوم لتحطيم هذا السلاح الخطر الذى يلهو به الرجل فى لحظة غادرة بكيان امرأة صابرة وعش هادى ومستقبل سعيد كان ينتظر أفراخه الصغار ، ولاشك فى وجود هذه المآسى الكثيرة التى يتحدث بها الناس ، ولكن

ما السبيل ؟ هل تلغى الطلاق و كيف تصنع فى المآسى الأخرى التى تنجم من تحريم الطلاق بتلك المآسى التى تعرفها جيداً الدول الكاثوليكية التى لم تأخذ بمبدأ الاباحة ؟

وهل يصير البيت بيتاً واحد الطرفين او كلاهما يكره الاخر ولا يطيق عشيرته ، ومع ذلك فالقيد مؤبد والخلاص مستحيل ؟

أوليس هذا يؤدى إلى الجريمة يتخذ الزوج عشيقة يلبى معها دوافع الجنس والزوجة المنبوذة تتخذ نفس الطريق ؟!

وهل ينفع الاطفال أن ينشاؤا فى مثل هذا الجو الكابى الملبد بالغيوم ليس المهم هو مجرد حياتهم فى كنف الوالدين ،ولكن المهم هو الجو الذى يعيشون فيه والا فما اكثر المنحرفين والمنحرفات الذى جاء انحرافهم من حياتهم من أبوين متخاصمين لاينتهى لهما خصام .

ان الدين الاسلامى لم يجعل أمر الطلاق بيد الرجال اطلاقاً اذ لايقع الطلاق بمجرد القاء الرجل لكلمة الطلاق متى شاء وحيثما يريد لانه يقول : « وإن خفتم شقاق بينهما فابعثوا حكما من أهله وحكماً من أهلها ان يريدا اصلاحاً يوفق الله بينهما » النساء : ٣٥)

وفيه تنبيه على ان من أصلح نيته فيما يتواخاه وفقه الله جل وعلا لمبتغاه ، ولم يذكر مقابل التوفيق وهو التفريق لانه تعالى يبغضه وفيه اشعار على أن لاينبغى للمسلمين أن يودوه ، ومنه يعلم شدة عناية الاسلام باحكام نظام الاسر والبيوت أشد عناية له بالمجتمع الاسلامى لانه متشكل من التجمعات الجزئية الاسرية ، فالانفصام فيها يتخطى إلى تهدم المجتمع ،ولذلك ترى ان فراق الطلاق اسلامياً نظم بحيث كأنه وفاق آخر بعد الطلاق يخلفه ، وفاق هو من مخلفات العدل فى الفراق لحد يحبب بعضهم إلى بعض رغم الطلاق « وبعولتهن أحق بردهن فى ذلك ان ارادوا اصلاحاً ولهن مثل الذى عليهن بالمعروف » البقرة : ٢٢٨)

« وائتمروا بينكم بمعروف » الطلاق : ٦)

وبما أن الاسلام يعنى من إلتقاء جسدين في الزواج خلق الخلية الاولى من جسد الامة أي إلتقاء قلبين لاقالبين فحسب ، انما التقاء انسانين كأنهما انسان واحد ، ولذلك يراعى في باب الطلاق أن يبقى الالتقاء الانسانى بوحدة القلبين باقياً ، رغم فراق القالبين كأنهما شريكان مسلمان متسالمان في تجارة « لاتضار والدة بولدها ولا مولود له بولده ـ فان أرادا فصالا عن تراض منهما و تشاور فلا جناح عليهما » البقرة: ٢٣٣) عرفا بعد التجربة ردحاً من الزمن أن ليس بينهما إنسجام فيها العلل خارجة عن طوقهما ففضلا الفراق فيها لكيلا تتخطاهما إلى الفراق عن الاخوة الدينية او التخلف عن شرعة الله جل وعلا ، فانهما الاصلان الجذريان في كافة القوانين والأنظمة الاسلامية . . .

لذلك ترى الآيات في باب الطلاق هنا وفي البقرة و سواهما تتشدد على من يستغل الطلاق للمضارة : « ولاتضاروهن لتضيقوا عليهن » الطلاق : ٦) وانما امساك بمعروف او تسريح باحسان » البقرة: ٢٢٩) ثم بعد الطلاق لهن زيادة حق في المعروف ليزيل عنهن بغض ووصمة الفراق : « وللمطلقات متاع بالمعروف حقاً على المتقين » البقرة : ٢٤١)

« ولا يحل لكم أن تأخذوا مما آتيتموهن شيئاً الا أن يخافا ألا يقيما حدود الله فان خفتم ألا يقيما حدود الله فلا جناح عليهما فيما افتدت به » البقرة :٢٢٩) كما قال في الخلع و المبارات : « ومتعوهن على الموسع قدره وعلى المقتر قدره متاعاً بالمعروف حقا على المحسنين » البقرة : ٢٣٦) « ولا تنسوا الفضل بينكم » البقرة : ٢٣٧)

مضارة ممنوعة على أشراف الطلاق ، و متاع بالمعروف حينه ، ثم يستمر المعروف بعده متجليا في تحريرهن في الزواج : « واذا طلقتم النساء فبلغن أجلهن فلا تعضلوهن أن ينكحن ازواجهن » البقرة :٢٣٢) زواجاً بمن طلقهن فأحرى أوزواجاً بغيرهم فلاجناح ولما ذا العضل ؟ ! هذه جولة مختصرة في شرائط الطلاق ومخافاته ، تجعله فراقاً قالبياً ، مع الحفاظ على الوفاق قلبياً قدر المستطاع ،و

هذا هو الطلاق فى الاسلام ،لايهدم البيوت ، ولايهدر النفوس ، ولا يهتك الاعراض ولا تلعب به المرأة ، ولايضار به على الولد فلا بد من تقييد الزوجين بحدود الله تعالى : « ومن يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه »

نزلت سورة الطلاق هنا وآيات الطلاق فى سورة البقرة والنساء لالثورة نسائية عربية او عالمية ، ولا لان المرأة دخلت الندوات اوالشورآت ، ولالانها سيطرت زمنياً على الزمن ورجاله ورجّاله ، وانما كانت هى الشريعة الاسلامية و عدالته إرادته بحق المرأة المظلومة المنكوبة التى كانت حيوانة وأردىء منه ردحاً بعيداً من الزمن فأصبحت على الشرعة الاسلامية : وليدة لاتوأد ولا تهان ، ومخطوبة لا تنكح الا باذنها ، و زوجة لها حقوقها و كراماتها، و أمّا لها ضماناتها الكريمة ، فارتفعت حياة هذه الهزيلة الذليلة من تلك الهوة والوهدة إلى حياة عزيزة أمينة رفيعة .

ترى ان هذاالدّين المتين الامين يعرض عنه اوينكره الأمطموس منكوس موكوس ، وفيه ضمانات الحياة كلها و كراماتها كلها . . .

ولكن المسلمين لم يعملوا بهذه الوصية الجليلة ، ولم ينظروا بتلك العناية الالهية فدبّ الفساد فى بيوتهم ، وانتشرت العداوة والبغضاء فى عروقهم ، وارتحل أخلاق الحسنة والاداب الممدوحة من بين أيديهم وسرى الاخلاق المذمومة من الوالدين إلى الاولاد فهلكوا وأهلكوهم ، ودسّت الام فى تعيش بنتها ، والاب فى حياة ابنه ، و كل من ناحية البنت والابن والزوج والزوجة يختلفون فى أمر ليس له شأن ويذوقون مرّ الحياة على الزوجين وانهدما تعيشهما .

ومن تدبر فيما يتعلق بالطلاق من الايات النازلة والروايات الواردة لايجد أنقاضاً من البيت المتهدم ، و لا غباراً يملأ النفوس فيخنقها ، و لا قلا قل تثير الاضطراب ، فما حصل هنا ليس الا تفريق الجسدين والبيتين ليس الا لو رعيت أحكام الطلاق ، فكافة الوساوس والهواجس الدافعة إلى الظلم و الضيم ازيلت بهذه الحكم الرصينة ، والعلاجات المتينة اذ مسح على ذلك كله بيد الرفق والتجمل

ونسم عليها من رحمة الرحمن الرحيم .

إن حواجز القانون الجاف الجارف الزمنى ليست بالتى تحجز الانسان الشره الطموع : الطموع عن طيشه ، وانما الحواجز التى تتعامل مع القلوب و الضمائر هى القادرة على تحقيق هذا العدل الحنون ، إذ تستجيش حاسة التقوى والخوف من الله جل وعلا المطلع على السرائر .

ان الزوجين يتفارقان جسدياً فى ظل هذه الاحكام ، وفى قلوبهما بذور للود لم تمت ، وجذور لانماء العلاقات قد تنبت : « لعل الله يحدث بعد ذلك أمراً »

ومن ثم يكرر الوعيد على المتخلفين ، والوعد للمتقين ، بما يجعلنا نعرف أن باب الطلاق من أهم الابواب فى حقوق الانسان رعاية وحائطة .

نعم :

انما يقع الطلاق فى المحكمة ، والمحكمة ترسل فى طلب حكم من أهله وحكم من أهلها و يبحثون الموضوع و يراجعون الزوج و يعظونه و يحاولون الصلح : « وان خفتم شقاق بينهما فابعثوا حكما من أهله و حكما من أهلها إن يريدا اصلاحاً يوفق الله بينهما »

فلعل ذلك كله أن يرد الرجل عن غيّه، ويبقى على الاسرة وروابط الزوجية فاذا لم تجد المحاولة ، فمند ذلك فقط ينفذ الطلاق على يد الحاكم الشرعى لا على يد الزوج .

ان الاسلام صرّح بالاصلاح اطلاقاً : كان الرجل ناشزاً كقوله تعالى :«وان امرأة خافت من بعلها نشوزاً أواعراضاً فلا جناح عليهما أن يصلحا بينهما صلحاً والصلح خير » النساء : ١٢٨)

ام كانت المرأة ناشزة كقوله جل وعلا : « واللاتى تخافون نشوزهن فعظوهن فلا تبغوا عليهن سبيلا » النساء : ٣٤)

أمر الله تعالى بان يقوم اهل الرجل وأهلها بالتوفيق والاصلاح بينهما من غير تدخل المحكمة فى الحوادث اليومية التافهة التى تتجدد كل دقيقة ، وتنتهى من نفسها كل دقيقة ، فلا نحتاج إلى اقامة محكمة فى كل بيت تعمل ليلا ونهاراً...

واذا لم يمكن الاصلاح فلا يرى الاسلام للمرأة أية كرامة أن تبقى في بيت رجل يكرهها ولا يريدها في بيتها ويذكرها صباحاً ومساءاً بانه لا يرغب فيها ولا محل لها في قلبه وينبذها ويتصل بغيرها ، وهي تعلم أتبقى هناك للمكايدة؟ و هذا هدف يطلب من التشريع أن يقرّه ؟ أو هل سبيل المكايدة الوحيد أن تبقى معه ، وهو راغم ، وهي مسلوبة الكرامة والسلطان ؟ أم تبقى لتربية الاولاد أكرم للاولاد وأقوم لتربيتهم أن يكونوا منفصلين مع أمّهم من أن يكونوا ليلا ونهاراً في هذا الجو المظلم الكريه ؟

كلا لاتحلّ المشكلة الاّ بتشريع الطلاق فحسبه عدالة أن يعطى الحق للطرفين فيعطى المرأة كذلك حق الانفصال حين ترى حياتها مع الرجل لا تؤدى إلى الوفاق المنشود ، والطلاق بعد هو أبغض الحلال عند الله تعالى .

وجعل الله تعالى أمر الطلاق بيد الزوج لكونه أهلا لما ليست الزوجة أهلا له.

في الكافي : عن الامام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام في امرأة نكحها رجل فأصدقته المرأة وشرطت عليه أن بيدها الجماع والطلاق ، فقال : خالف السنة و ولّى الحق من ليس أهله ، وقضى أن على الرجل الصداق ، وان بيده الجماع الطلاق وتلك السنة .

الطلاق أبغض حلال عند الله تعالى

ان الطلاق من غير داع مكروه لكونه خلاف النكاح المطلوب ، و ان الطلاق أبغض حلال عند الله جل و علا ، و قد ورد فيه روايات كثيرة نشير إلى ما يسعه المقام :

١ ـ فى الكافى باسناده عن صفوان بن مهران عن أبى عبدالله عليه السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم : تزوّجوا و زوّجوا ألا فمن حظّ امرء مسلم إنفاق قيمة ايمة ، وما من شى أحب إلى الله عزوجل من بيت يعمر بالنكاح ، وما من شىء أبغض إلى الله عز و جل من بيت يخرب فى الاسلام بالفرقة يعنى الطلاق ، ثم قال أبو عبد الله عليه السلام : ان الله عزوجل إنما وكّد فى الطلاق و كرّر القول فيه من بغضه الفرقة .

٢ ـ و فيه باسناده عن سعد ابن طريق عن أبى جعفر عليه السلام قال : مر رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم برجل فقال : ما فعلت امرأتك ؟ قال : طلقتها يا رسول الله قال : من غير سوء قال: من غير سوء ثم قال: ان الرجل تزوّج فمرّ به النبى صلى الله عليه و آله و سلم فقال: تزوّجت ؟ قال: نعم ثم قال له بعد ذلك : ما فعلت امرأتك ؟ قال: طلقتها قال : من غير سوء ؟ قال من غير سوء ثم ان الرجل تزوّج فمرّ به النبى صلى الله عليه و آله و سلم فقال : تزوّجت ؟ فقال : نعم ثم قال له بعد ذلك : ما فعلت امرأتك ؟ قال : طلقتها قال : من غير سوء؟ قال: من غير سوء فقال رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم : انّ الله عزوجل يبغض او يلعن كل ذوّاق من الرجال و كل ذوّاقة من النساء .

٣ ـ و فيه باسناده عن أبى عبد الله عليه السلام قال : ما من شىء مما أحله الله

عزوجل أبغض إليه من الطلاق ، وان الله يبغض المطلاق الذواق .

اقول : الزواق : السريعي النكاح والسريعي الطلاق .

٤ - في رواية : عن معاذ بن جبل قال : قال لي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : يا معاذ ماخلق الله شيئاً على وجه الارض أحب إليه من العتاق ولا خلق الله شيئا على وجه الارض أبغض من الطلاق .

٥ - في المجمع : عن الامام امير المؤمنين علي بن أبيطالب عليه السلام عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم انه قال : تزوّجوا ولا تطلقوا فان الطلاق يهتزّ منه العرش .

٦ - في الكافي : باسناده عن أبي خديجة عن أبي عبدالله عليه السلام قال : ان الله عزوجل يحب البيت الذي فيه العرس ، و يبغض البيت الذي فيه الطلاق ، و مامن شيء أبغض إلى الله عزوجل من الطلاق .

٧ - و فيه : باسناده عن أبي عبدالله عليه السلام قال : بلغ النبي صلى الله عليه وآله وسلم أن أبا ايوب يريد أن يطلّق امرأته فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : ان طلاق ام ايوب لحوب .

اقول : اللحوب : الاثم

٨ - في كنز العرفان للفاضل المقداد قدس سره : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : أيما امرأة سئلت من زوجها الطلاق من غير مابه باس فحرام عليها رائحة الجنة.

٩ - و فيه : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : لا تطلقوا النساء الاّ من ريبة ان الله لا يحب الذواقين والذواقات .

١٠ - و فيه : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : ما حلف بالطلاق ، ولا استحلف به الاّ منافق .

و غيرها من الروايات الواردة في الباب .

فالشريعة الاسلامية و إن أباحت الطلاق بغّضت فيه و قبحته و بينت انه ضرورة لا يلجأ إليها الاّ بعد استنفاد جميع الوسائل لبقاء رباط الزوجية الذي حبّبت فيه ، و جعلته من أجل النعم ، فرغّبت في إرسال حكم من أهله و حكم من أهلها قبل حدوث الطلاق لعلهما يزيلان ما بين الزوجين من نفور اذ قال :

« و ان خفتم شقاق بينهما فابعثوا حكماً من أهله و حكما من أهلها ان يريدا اصلاحاً يوفق الله بينهما » النساء « ٣٥)

كما رغبت في أن تكون الطلقات الثلاث متفرقات : « الطلاق مرتان فامساك بمعروف او تسريح باحسان » البقرة : ٢٢٩)

لعل النفوس تصفو بعد الكدر ، والقلوب ترعوى عن غيّها ، و لعلهما يندمان على ما فرط منهما ، فتكون الفرصة مواتية ، يمكن الرجوع إلى ما كانا عليه، بل قد يعودان إلى حال أحسن مما كانا من قبل .



﴿ الحكمة فى عدد الطلاق ﴾

فى العلل : باسناده عن محمد بن سنان أن أبا الحسن على بن موسى الرضا عليه السلام كتب إليه فيما كتب من جواب مسائله علة الطلاق ثلاثاً لما فيه من المهلة فيما بين الواحدة إلى الثلاث لرغبة تحدث أو سكون غضب ان كان، و ليكون ذلك تخويفاً وتأديباً للنساء و زجراً لهن عن معصية أزواجهن، فاستحقت المرأة الفرقة والمباينة لدخولها فيما لا ينبغى من معصية زوجها، و علة تحريم المرأة بعد تسع تطليقات، فلا تحل له أبداً عقوبة لئلا يتلاعب بالطلاق، ولا تستضعف المرأة و ليكون ناظراً فى اموره متيقظاً معتبراً، و ليكون يائساً لها من الاجتماع بعد تسع تطليقات، وعلة طلاق المملوك اثنتين لان طلاق الامة على النصف وجعله اثنتين احتياطاً لكمال الفرائض و كذلك فى الفرق فى العدة للمتوفى عنها زوجها.

وفيه : باسناده عن الحسن بن على بن فضال قال : سئلت الرضا عليه السلام عن العلة التى من أجلها لا تحل المطلقة لعدة لزوجها حتى تنكح زوجاً غيره فقال : ان الله تبارك و تعالى انما أذن فى الطلاق مرتين، فقال : « الطلاق مرتان فامساك بمعروف أو تسريح باحسان » يعنى فى التطليقة الثالثة، و لدخوله فيما كره الله تعالى له من الطلاق الثالث حرمها عليه فلا تحل له حتى تنكح زوجاً غيره لئلا يوقع الناس الاستخفاف بالطلاق، ولا تضارّ النساء.

اقول : فكحمة حق الرجعة فى الطلاق الرجعى : ان الانسان لا يحس خطر النعمة و جليل قدرها الا اذا فقدها، و ربما ظهرت المحبة للمرأة بعد فراقها أو استبانت له الحاجة إليها، و عظمت المشقة عليه فى تركها، و البعد عنها،

فيندم على ما فرّط منه في شأنها كما احسّت على ما عملت بالزوج في الشئون المنزلية، فتمنت أن لو كانت لها عودة تمكنها من إصلاح ماسلف منها، واستدركت بما فاتت من حق زوجه، وقد يحدث أحياناً أن يرجع الرجل سيرته الاولى من المغاضبة و سوء الخلق، أو يحدث من الزوجة كذلك، فكان تشريع الطلاق الثانى لذلك و لكن يمكن أن يندم الزوج او الزوجة، فاجاز الرجوع، فابيح له العودة مرّة اخرى، ولكن اذا استبان استخفاف حقوق الزوجية، و لم يبق حقوق الانسانية من المال والعرض والنفس، وانقطع رباط الزوجية.

فينبغي أن يكون الفراق لا رجعة بعده، و انظر على تشريع الطلاق الرجعى بذلك التدريج لترى فيه منتهى الرأفة والسجاحة في تلك الشئون الاجتماعية التي يترتب عليها صلاح الاسرة و حسن تهذيب الاخلاق و تربية الاولاد.

كما ان قوله تعالى: «فابعثوا حكماً من أهله و حكماً من أهلها ان يريدا اصلاحاً» النساء: ٣٥) لطف كبير من الله جل وعلا ببقاء العصمة الاولى اذا المرأة اذ طلقت لامر من الامور، فقلما يرغب إليها الرجال، فبعلها المطلق، فيندم على طلاقها، و يرى ان ما طلقها لاجله لا يقتضى مفارقتها دائماً، فيرغب في مراجعتها لا سيّما اذا تألفتا في الماضى على طريق الفطرة، و بذلك حكم تعالى لطفاً بعباده بان البعل المطلق أحق بردّها في زمن العدة إن أرادوا اصلاحاً «و بعولتهن أحق بردّهن في ذلك إن أرادوا اصلاحاً» البقرة: ٢٢٨)

ففى التربص فوائد:

منها: تبيّن الحمل أو براءة الرحم.

ومنها: امكان المراجعة، و تجديد المعاشرة و حفظ العصمة السابقة مع كون الاولاد منهما، و عدم تفريق الحياة في معيشتهم، وغيرها من الفوائد التي ترجع إلى المطلق والمطلقة.

ففى فترة معقولة يختبر فيها الزوجان عواطفهما بعد افتراقهما لانه قد يكون في قلوبهما رمق من ودّ يستعاد و عواطف تستجاش، وقد يكون الطلاق انما وقع

نتيجة نزوة أو غلظة او كبرياء ، فاذا سكن الغضب و هدأت النفس استصغرت تلك الاسباب التي رفعت إلى الفراق وعاودها الحنين إلى استئناف الحياة والطلاق أبغض الحلال إلى الله تعالى ، وهو عملية بتر لا يلجأ إليها الا حين يخيب كل علاج ، و هذه الطلقة الاولى تجربة يعلم الزوجان منها حقيقة مشاعرهما ، فاذا اتضح ان استئناف الحياة مستطاع فالطريق مفتوح « و بعولتهن أحق بردهن في ذلك » : في فترة الانتظار والتربص « ان أرادوا اصلاحاً » وقد جعل هذا الحق بيد الرجل لانه المطلق ، وليس من المعقول أن يطلق هو ، و يعطى حق المراجعة للزوجة.

ان الطلاق الذي يجوز بعده استئناف عشرة الزوجين مرتان « الطلاق مرتان » البقرة : ٢٢٩) فاذا تجاوزهما المتجاوز لم يكن إلى العودة من سبيل الا بشرط نكاحها زوجاً غيره : « فان طلقها فلا تحل له من بعد حتى تنكح زوجاً غيره » البقرة : ٢٣٠)

فالمرة الاولى قد سبقت حكمها ، وأما الثانية فهي تجربة اخرى وامتحان أخير ، فان صلحت الحياة بعدها فذاك ، والا فالطلقة الثالثة دليل على فساد أصيل في حياة ذينك الزوجين لا تصلح معه هذه العشرة ، فبعد فساد أصيل الحياة لا سبيل إلى اصلاحه من قريب « حتى تنكح زوجا غيره » فتلتمس إلى زوج جديد لتكون هذه التجربة والفرقة شديدة بينهما إن طلقها الزوج الثاني ، و انكح الزوج الاول، و أحيت في أنفسهما بذور الحب والمودة والصفاء.

وفي تفسير العياشي : عن محمد بن مسلم عن الامام محمد بن علي الباقر عليه السلام قال : قلت له : جعلت فداك كيف صارت عدة المطلقة ثلاث حيضات او ثلاثة أشهر ، و صارت عدة المتوفى عنها زوجها أربعة أشهر و عشراً ؟ فقال : أما عدة المطلقة ثلاثة قروء فلأجل استبراء الرحم من الولد ، و أما عدة المتوفى عنها زوجها فان الله تعالى شرط للنساء شرطاً ، و شرط عليهن شرطاً ، فلم يجز فيما شرط لهن ، ولم يجز فيما شرط عليهن أما ما شرط لهن ففي الايلاء أربعة أشهر اذ يقول تعالى : « للذين يؤلون من نسائهم تربص أربعة أشهر » فلن يجوز لاحد

أكثر من أربعة أشهر في الايلاء لعلمه تعالى انها غاية صبر المرأة من الرجل ، و أماماشرط عليهن فانه أمرها أن تعتد اذامات زوجها أربعة أشهر وعشراً ،فأخذله منها عند موته ما أخذ لها منه في حياته .

و في العلل : باسناده عن أبي الهيثم قال : سئلت أبا الحسن الثاني عليه السلام كيف صارت عدة المطلقة ثلاث حيض او ثلاثة أشهر و عدة المتوفى عنها زوجها أربعة أشهر و عشراً ؟ قال : أما عدة المطلقة ثلاث حيض او ثلاثة أشهرفلاستبراء الرحم من الولد ، و أما المتوفى عنها زوجها ، فان الله تعالى شرط للنساء شرطاً فلم يحلهن فيه ، و فيما شرط عليهن بل شرط عليهن مثل ما شرط لهن ، فأما ما شرط لهن فانه جعل لهن في الايلاء أربعة أشهر لانه علم ان ذلك غاية صبر النساء فقال عزوجل : « للذين يؤلون من نسائهم تربص أربعة أشهر »

فلم يجز للرجل أكثر من أربعة أشهر في الايلاء لانه علم ان ذلك غاية صبر النساء عن الرجال ، و أما ما شرط عليهن ، فقال : « عدتهن أربعة أشهر و عشراً » يعني : اذاتو في عنها زوجها ، فأوجب عليها اذا اصيبت بزوجها و توفي عنها مثل ما أوجب عليها في حياته اذا آلى منها ، و علم أن غاية صبر المرأة أربعة أشهر في ترك الجماع فمن ثم أوجب عليها ولها .

و فيه : باسناده عن عبدالله بن سنان قال : قلت لابي عبدالله عليه السلام لأي علة صار عدة المطلقة ثلاثة أشهر ، وعدة المتوفى عنها زوجها أربعة أشهر و عشراً ، قال : لان حرقة المطلقة تسكن في ثلاثة أشهر ، و حرقة المتوفى عنها زوجها لا تسكن الا أربعة أشهر و عشراً .

﴿عمر بن الخطاب و طلاق خلاف السنة﴾

و قد جاء عن طريق العامة ان عمر بن الخطاب خالف السنة فى أمر الطلاق و تعدى حدود الله تعالى :

فى **تفسير الواضح** : لمحمد محمود الحجازى من أعلام العامة قال : ان الظاهر النظم الكريم من قوله تعالى : « الطلاق مرتان » ان الطلاق الثلاث يقع طلقة واحدة مضافاً على ظهور الاية تدل على ذلك رواية نقلها ابن عباس : كان الطلاق على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وخلافة أبى بكر وصدر من خلافة عمر الطلاق الثلاث واحدة ، فقال عمر بن الخطاب : ان الناس قد استعجلوا فى أمر كانت لهم فيه أناة ، فلو أمضيناه عليهم ، فأمضاه عليهم .

ثم قال الحجازى : و رأى عمر بانه الثلاث ، و تبعه جمهور من العلماء فى ذلك ، و ان قال بعضهم بان يقع واحدة خلافاً لعمر و جمهور ، و أخذوا ظهور الاية ، و عمل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم و حكم قبل رأى عمر .

و فى **تفسير المنار** : عن ابن القيم : ان الاصحاب كانوا مجمعين على أن الطلاق لا يقع بالثلاث مجتمعة الا واحدة من أول الاسلام إلى ثلاث سنين من خلافة عمر .

وفى تفسير **محاسن التأويل** : للقاسمى الشامى : قال ابن عباس : كان الطلاق الثلاث على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم و أبى بكر وسنتين من خلافة عمر طلاق الثلاث واحدة ، فقال عمر بن الخطاب : ان الناس قد استعجلوا فى أمر كانت لهم فيه أناة ، فلو أمضيناه عليهم ، فأمضيناه عليهم

وفيه : قال ابن عباس: طلّق ركانة ابن عبد يزيد أخو بني مطلب امرأته ثلاثاً في مجلس واحد ، فحزن عليها حزناً شديداً فسئله رسول الله ﷺ كيف طلقها؟ قال : طلقها ثلاثاً قال : فقال في مجلس واحد ؟ قال : نعم ، قال : فانما تلك واحدة فارجعها إن شئت قال : فرجعها .

ثم قال القاسمي : ان عمر بن الخطاب لم يخف عليه ان هذا هو السنة ، و انه توسعة من الله لعباده اذ جعل الطلاق مرة بعد مرة ، وما كان مرة بعد مرة لم يملك المكلف ايقاع كله جملة واحدة ، وكان ثلاث سنين من عصر عمر على هذا المذهب مع ان الله تعالى شرع الطلاق مرةً بعد مرة و لم يشرعه كله مرة واحدة فمن جمع الثلاث في مرة واحدة فقد تعدى حدود الله و ظلم نفسه و لعب بكتاب الله فهو حقيق أن يعاقب .

ثم قال : ولا يستريب أحد في ان الرجوع إلى ما كان عليه الصحابة في عهد النبي ﷺ و أبي بكر وصدر من خلافة عمر أولى من الرجوع إلى التحليل .

و في تفسير المراغي : قال عمر : لا اوتى بمحلّل ومحلل له الا رجمتهما، فسئل ابنه عن ذلك فقال : كلاهما زان .

وفيه : سئل رجل ابن عمر فقال : ما تقول في امرأة تزوجتها لا حلها لزوجها لم يأمرني ولم يعلم ؟ فقال ابن عمر : لا الا بنكاح رغبة ان اعجبتك امسكتها و ان كرهتها فارقتها ، و ان كنا نعدّ هذا سفاحاً على عهد رسول الله ﷺ .

وفي الجامع لاحكام القرآن للقرطبي و في الصحيحين عن عبد الله بن عمر قال : طلقت امرأتي و هي حائض ، فذكر ذلك عمر لرسول الله ﷺ فتغيظ رسول الله ﷺ فقال : ليراجعها ثم ليمسكها حتى تحيض حيضة مستقبلة سوى حيضتها التي طلقها فيها ، فان بداله أن يطلقها ، فليطلقها طاهراً من حيضتها قبل أن يمسّها فذلك الطلاق للعدة كما أمر الله .

وفيه : في رواية عن ابن عمر ان رسول الله ﷺ قال : هي واحدة .

وفي كنز العمال: عن قتادة قال : سئل عمر بن الخطاب عن رجل طلّق

امرأته فى الجاهلية تطليقتين ، و فى الاسلام تطليقة ؟ فقال : لاآمرك ولا أنهاك ، فقال عبد الرحمن : لكنى آمرك ليس طلاقك فى الشرك بشىء .

أقول : و يظهر مما سبق ان ابن عمر كان مقلداً لابيه أو على رأيه و كان رأيه فى زمن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم على ماكان عليه فى عصر الجاهلية ، فأظهره بعد ثلاث سنين من صدر خلافته لتناسب الجو للاظهار .

وفى الكافى : باسناده عن سعيد الاعرج قال : سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: طلّق ابن عمر امرأته ثلاثاً ، وهى حائض فسئل عمر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فأمره أن يراجعها ، فقلت : ان الناس يقولون : انما طلقها واحدة وهى حائض فقال :فلأىّ شىء سئل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اذا كان هو أملك برجعتها ؟ كذبوا و لكنه طلقها ثلاثاً فأمره رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن يراجعها ثم قال: إن شئت فطلق و إن شئت فامسك.

وفيه : باسناده عن زرارة عن أبى جعفر عليه السلام قال : كنت عنده اذ مرّ به نافع مولى ابن عمر ، فقال له أبوجعفر عليه السلام : أنت الذى تزعم ان ابن عمر طلّق امرأته واحدة وهى حائض فأمر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عمر أن يأمره أن يراجعها ؟ قال : نعم فقال له : كذبت والله الذى لا اله الاّ هو على ابن عمر أنا سمعت ابن عمر يقول : طلقتها على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ثلاثاً فردّها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم علىّ و امسكتها بعد الطلاق ، فاتق الله يا نافع ولا ترو على ابن عمر الباطل .

بحث روائي

في جواز طلاق الزوجة غير الموافقة

وقد وردت الروايات في جواز تطليق المرأة غير الصالحة لسوء خلقها و ايذائها على زوجها وأهله أولخيا نتها عليه في المال أوفي العرض اوفي الفراش...

في الكافي : عن رجل عن أبي جعفر عليه السلام انه كانت عنده إمرأة تعجبه، و كان لها محباً ، فاصبح يوما و قد طلّقها ، و اغتمّ لذلك ، فقال له بعض مواليه : لم طلّقتها ؟ فقال : اني ذكرت علياً عليه السلام فتنقّصته ، فكرهت أن الصق جمرة من جمر جهنم بجلدي.

و فيه : باسناده عن خطاب بن سلمة قال : كانت عندي امرأة تصف هذا الامر و كان أبوها كذلك ، و كانت سيئة الخلق ، و كنت أكره طلاقها لمعرفتي بايمانها و ايمان أبيها ، فلقيت أبا الحسن موسى عليه السلام و أنا اريد أن أسئله عن طلاقها ـ **إلى أن قال** ـ : فابتدأني فقال : كان أبي زوّجني ابنة عمّ لي و كانت سيئة الخلق ، و كان أبي ربما أغلق عليّ وعليها الباب رجاء أن ألقاها ، فأتسلّق الحائط و أهرب منها ، فلما مات أبي طلقتها ، فقلت : الله أكبر أجابني و الله عن حاجتي من غير مسئلة .

قوله : « فأتسلق الحائط » : أصعد عليه .

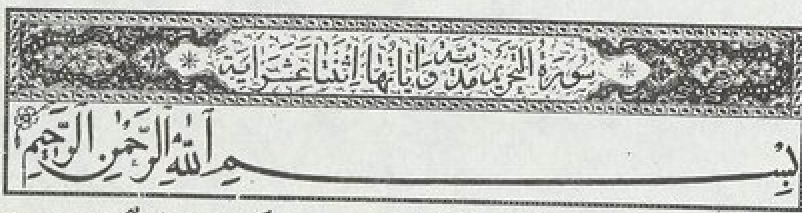
و فيه : باسناده عن خطاب بن سلمة قال : دخلت عليه يعني أبا الحسن موسى عليه السلام وأنا اريد أن أشكو إليه ما ألقى من امرأتي من سوء خلقها فابتدأني،

فقال : ان أبي كان زوّجني مرة امرأة سيئة الخلق ، فشكوت ذلك إليه ، فقال لي : ما يمنعك من فراقها ، قد جعل الله ذلك إليك ؟ فقلت : فيما بيني و بين نفسي قد فرّجت عني .

و في الخصال : باسناده عن محمد بن حمّاد الحارثي عن أبي عبدالله عليه السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : خمس لايستجاب لهم : رجل جعل بيده طلاق امرأته وهي تؤذيه ، وعنده مايعطيها ولم يخلّ سبيلها ، و رجل أبق مملوكه ثلاث مرات ولم يبعه ، ورجل مرّ بحائط مائل وهو يقبل اليه ولم يسرع المشي حتى سقط عليه ورجل أقرض رجلا مالا فلم يشهد عليه ، ورجل جلس في بيته و قال : اللهم ارزقني ولم يطلب .

و في وسائل الشيعة : بالاسناد عن عبدالله بن سنان عن الوليد بن صبيح عن أبي عبدالله عليه السلام قال : سمعته يقول : ثلاث تردّ عليهم دعوتهم : أحدهم رجل يدعو على إمرأته وهو لها ظالم فيقال له : ألم يجعل أمرها بيدك؟ الحديث.

تمت سورة الطلاق والحمد لله رب العالمين
وصلى الله على محمد وآله الطاهرين



يٰٓاَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ اَحَلَّ اللّٰهُ لَكَ تَبْتَغِيْ مَرْضَاتَ اَزْوَاجِكَ وَاللّٰهُ غَفُوْرٌ رَّحِيْمٌ
۝١ قَدْ فَرَضَ اللّٰهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ اَيْمَانِكُمْ وَاللّٰهُ مَوْلٰىكُمْ وَهُوَ الْعَلِيْمُ الْحَكِيْمُ ۝٢ وَاِذْ اَسَرَّ النَّبِيُّ
اِلٰى بَعْضِ اَزْوَاجِهٖ حَدِيْثًا فَلَمَّا نَبَّاَتْ بِهٖ وَاَظْهَرَهُ اللّٰهُ عَلَيْهِ عَرَّفَ بَعْضَهٗ وَاَعْرَضَ عَنْ
بَعْضٍ فَلَمَّا نَبَّاَهَا بِهٖ قَالَتْ مَنْ اَنْبَاَكَ هٰذَا قَالَ نَبَّاَنِيَ الْعَلِيْمُ الْخَبِيْرُ ۝٣ اِنْ تَتُوْبَآ اِلَى اللّٰهِ فَقَدْ
صَغَتْ قُلُوْبُكُمَا وَاِنْ تَظٰهَرَا عَلَيْهِ فَاِنَّ اللّٰهَ هُوَ مَوْلٰىهُ وَجِبْرِيْلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِيْنَ وَالْمَلٰٓئِكَةُ بَعْدَ ذٰلِكَ ظَهِيْرٌ ۝٤
عَسٰى رَبُّهٗٓ اِنْ طَلَّقَكُنَّ اَنْ يُّبْدِلَهٗٓ اَزْوَاجًا خَيْرًا مِّنْكُنَّ مُسْلِمٰتٍ مُّؤْمِنٰتٍ قٰنِتٰتٍ تٰٓئِبٰتٍ عٰبِدٰتٍ سٰٓئِحٰتٍ
ثَيِّبٰتٍ وَّاَبْكَارًا ۝٥ يٰٓاَيُّهَا الَّذِيْنَ اٰمَنُوْا قُوْٓا اَنْفُسَكُمْ وَاَهْلِيْكُمْ نَارًا وَّقُوْدُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلٰٓئِكَةٌ
غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُوْنَ اللّٰهَ مَآ اَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُوْنَ مَا يُؤْمَرُوْنَ ۝٦ يٰٓاَيُّهَا الَّذِيْنَ كَفَرُوْا لَا تَعْتَذِرُوا
الْيَوْمَ اِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُوْنَ ۝٧ يٰٓاَيُّهَا الَّذِيْنَ اٰمَنُوْا تُوْبُوْٓا اِلَى اللّٰهِ تَوْبَةً نَّصُوْحًا عَسٰى رَبُّكُمْ اَنْ
يُّكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّاٰتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنّٰتٍ تَجْرِيْ مِنْ تَحْتِهَا الْاَنْهٰرُ يَوْمَ لَا يُخْزِى اللّٰهُ النَّبِيَّ وَالَّذِيْنَ اٰمَنُوْا
مَعَهٗ نُوْرُهُمْ يَسْعٰى بَيْنَ اَيْدِيْهِمْ وَبِاَيْمَانِهِمْ يَقُوْلُوْنَ رَبَّنَآ اَتْمِمْ لَنَا نُوْرَنَا وَاغْفِرْ لَنَا اِنَّكَ عَلٰى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيْرٌ

٨ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ ۚ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ٩
ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُوا ٱمْرَأَتَ نُوحٍ وَٱمْرَأَتَ لُوطٍ ۖ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا
صَٰلِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا وَقِيلَ ٱدْخُلَا ٱلنَّارَ مَعَ ٱلدَّٰخِلِينَ
١٠ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا ٱمْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ٱبْنِ لِي عِندَكَ
بَيْتًا فِي ٱلْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِۦ وَنَجِّنِي مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ١١ وَمَرْيَمَ ٱبْنَتَ
عِمْرَٰنَ ٱلَّتِيٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَٰتِ رَبِّهَا
وَكُتُبِهِۦ وَكَانَتْ مِنَ ٱلْقَٰنِتِينَ ١٢

﴿ فضلها و خواصها ﴾

روى الصدوق رحمة الله تعالى عليه في ثواب الاعمال باسناده عن أبي بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: من قرأ سورة الطلاق والتحريم في فريضته (فرائضه خ) (فريضة خ) أعاذه الله من أن يكون يوم القيامة ممن يخاف او يحزن، و عوفي من النار، و أدخله الله الجنة بتلاوته اياهما و محافظته عليهما لانهما للنبي صلى الله عليه وآله وسلم.

اقول: رواه الطبرسي في المجمع، والمحدث الحر العاملي في وسائل الشيعة، والبحراني في البرهان، والحويزي في نور الثقلين، والمجلسي في البحار. ومن غير مراء ان التدبر في آيات السورة، و خاصة آيتي (٦ و ٨) يلهمنا بمساس الروايةلها

و في تفسير البرهان: روى عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم انه قال: من قرأها أعطاه الله توبة نصوحاً، و من قرأها على ملسوع شفاه الله، و لم يمش السم فيه، و ان كتبت ورش ماؤها على مصروع احترق شيطانه.

وفيه: و قال الصادق عليه السلام: من قرأها على المريض سكنه، و إن قرأها على الرجفان بردته، و إن قرأها على المصروع تفيقه، و إن قرأها على السهران تنومه، و من أد من في قرائتها من كان عليه دين كثير لم يبق شيئا باذن الله تعالى.

اقول: و ذلك لان من قرأ هذه السورة و تدبر فيها و علم بحصيلة التوبة

و ثمرات الايمان و عاقبة صالح العمل يشب الا من كان مريض القلب أو فاقد الشعور و فاسد العقل فى الامور الاعتقادية . ...

و من غير بعيد أن يكون من خواص السورة لمن آمن بالله تعالى ورسوله و اليوم الاخر و عمل صالحاً و تاب توبة نصوحاً ما جاء فى الروايتين الا خيرتين فتدبر و اغتنم جداً .



﴿ الغرض ﴾

تستهدف السورة بتذكير مشهد من مشاهد السيرة النبوية الخاصة بحياة النبي ﷺ الزوجية مما وقع بين رسول الله ﷺ و بين بعض زوجاته عظة و تذكيراً و انذاراً و تنديداً و تعليماشاملاً لكافة المسلمين فى الحالاتالمماثلة التى هى من مشاهد الحياة الزوجية .

و فيها تلقين قرآنى و اخلاقى : اسروى و اجتماعى عظيم المغزى والمدى و تلقين تقريرى لشخصية المرأة و استقلالها السلوكى و أهليتها لتحمل حصيلة هذا السلوك خيرها أو شرها .

اذ ترى امرأة نوح نفسها و بال كفرها ، و ترى إمرأة لوط تبعة خيانتها كما ان امرأة فرعون ترى عاقبة ايمانها ، وترى مريم ابنة عمران نتائج عفتها و عصمتها .

فجائت السورة بامثال ضربتها موجهة إلى كافة المسلمين و مستمر التلقين و خاصة بصدد ان المرء لا ينجيه الا عمله مستقلاً عن أية رابطة تربطه بغيره ، فاستشهدت ـ تذكيراً ـ بحالات ثلاث فئات من النساء و موقفهن و مصائرهن :

الاولى : كافرات فى رباطزوجية المؤمنين الصالحين،والمثال عليهاإمرأتا نوح و لوط ، فقد كفرتا و خانتا زوجيهما ، فلم تنفعهما زوجيتهما ، ولم يغن زوجاهما عنهما من الله تعالى شيئا ، فحقت عليهما كلمة العذاب و خلود النار .

الثانية : مؤمنة فى رباط زوجية كافر طاغ متمرد على الله جل و علا ، و المثال علىذلك إمرأة فرعون مصر،فقد آمنت و أنابت إلى الله تعالى واستنكرت

استكبار زوجها و كفره و ظلمه ، ودعت الله جل وعلا بأن ينجيها منه ، ومن تبعة طغيانه ، و بان يكون لها بيت عند ربه في الجنة .

و ينطوى فى هذا تقرير كون زوجيتها لفرعون لم تضرّها ، و كونها نالت من الله تعالى الرضا و حسن الجزاء .

الثالثة : مؤمنة من غير رباط الزوجية لاحد ، والمثال عليها مريم ابنة عمران ، فقد آمنت بالله جل و علا و كتبه ، و خضعت له ، و اعتصمت به تمام العصمة ، و أحصنت فرجها ، فكرمها الله تعالى بان نفخ فيها من روحه ، و ينطوى فى ذلك ايضا تقرير كونها نالت رضاء الله عنها .

و فيها تذكير لنساء النبى الكريم ﷺ اللائى صدر من بعضهن ما صدر اذ حدّث ﷺ واحدة منهن بحديث وطلب منها كتمانه ، فلم تكتمه ، وأخبرت به غيرها ، فعاتبها الله تعالى على إفشاء سرّ زوجها لبعض الاخرى فضلاً عن غيرها ، فأخبر الله تعالى نبيه ﷺ بافشائها ثم حثّ المخبرة و المستمعة على التوبة لما كان منهما الخيانة والزيغ و الكيد على النبى الكريم ﷺ و ان كان هو فى حماية الله جل و علا ، مع تقرير ان رابطتهن الزوجية بالنبى ﷺ ليس من شأنها وحدها أن تنجيهن من عذاب الله تعالى او تضمن لهن رضاء الله جل و علا ، و ان هذا و ذاك متوقف على عملهن و سلوكهن .

و فى القصة تذكير قوى لكون الحادث مما أزعج النبى ﷺ كثيراً ، فجائت هذه القوة متناسبة مع شدة الازعاج و الالم اللذين ألما بالنبى ﷺ و مع مقام النبوة السامي الذى هو جدير بالتعظيم والتوقير ، و بخاصة من نساء النبى ﷺ أكثر من أىّ شخص آخر .

مع كونها وسيلة للعظة و التذكير و التمثيل ، و هذا شأن كل الامثال التاريخية التي وردت فى القرآن الكريم .

و فى السورة بعث رهبة و رغبة فى السامعين اذ اطلاق الهتاف فى قوله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم و أهليكم ناراً ـ يا أيها الذين آمنوا

توبوا إلى الله توبة نصوحاً» التحريم : ٦ ـ ٨) يجعله شاملاً لكل المؤمنين فى كل ظرف و مكان ، فعلى رب البيت المؤمن ان يعلم أهله و او لاده و مماليكه ما فرض الله تعالى عليهم ، و مانها هم عنه و أن يراقبهم فى ذلك و أن يز جرهم عن مجاوزة حدود الله تعالى ، و أن يحثهم على التوبة و الانابة . . .



﴿ النزول ﴾

سورة التحريم مدنية نزلت بعدسورة الحجرات و قبل سورة الصف ، وهي السورة السابعة والمأة نزولاً ، و السادسة والستون مصحفاً ، و تشتمل على ثنتي عشرة آية ، سبقت عليهار ٥٩٠٠ آية نزولاً ، و / ٥٢٢٩ مصحفاً على التحقيق .

و مشتملة على / ٢٤٠ كلمة و قيل :٢٤٦ و قيل : ٢٤٧ و قيل : ٢٤٩ كلمة و على / ١٠٦٠ حرفاً و قيل : ١١٦٠ و قيل : ١٦٠٠ حرفاً على ما في بعض التفاسير و لهذه السورة خمسة أسماء :

أحدها ـ سورة التحريم . ثانيها ـ سورة المحترم . ثالثها ـ سورة لم تحرم رابعها ـ سورة النبي صلى الله عليه وآله وسلم خامسها ـ سورة النساء .

و لكل وجه لا يخفى على القارىء المتدبر الخبير .

في تفسير القمي: باسناده عن ابن سيّار عن أبي عبد الله عليه السلام في قوله : « يا أيها النبي لم تحرّ م ما أحل الله لك تبتغي مرضات أزواجك » قال : اطلعت عائشة و حفصة على النبي صلى الله عليه وآله وسلم وهو مع مارية ، فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم : والله ما أقربها ، فأمره الله أن يكفّر عن يمينه .

ثم قال علي بن ابراهيم رضوان الله تعالى عليه : كان سبب نزولها : ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان في بعض بيوت نسائه ، و كانت مارية القبطية تكون معه تخدمه ، و كان ذات يوم في بيت حفصة ، فذهبت حفصة في حاجة لها ، فتناول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مارية ، فعلمت حفصة بذلك ، فغضبت و أقبلت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقالت :يا رسول الله هذا يومي و في داري ، و على فراشي ، فاستحيى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم منها،

فقال : كفى فقد حرمت مارية على نفسى و لا أطأها بعد هذا أبداً و أنا أفضى إليك سراً ، فان أنت أخبرت به فعليك لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، فقالت نعم ما هو ؟ افض ، فقال : ان أبابكر يلى الخلافة بعدى ثم بعده أبوك ، فقالت : من أنبأك هذا (أخبرك بها خ) ؟ قال : نبانى العليم الخبير (قال : الله أخبرنى) فأخبرت حفصة به عائشة من يومها ذلك ، و أخبرت عائشة أبابكر فجاء ابوبكر إلى عمر ، فقال له : ان عائشة أخبرتنى عن حفصة بشىء ، ولا اثق بقولها ، فاسئل حفصة ، فجاء عمر الى حفصة ، فقال لها : ماهذا الذى أخبرت عنك عائشة؟ فانكرت ذلك، و قالت : ما قلت لها من ذلك شيئاً ، فقال لها عمر : ان كان هذا حقاً فاخبرينا حتى نتقدم فيه ، فقالت : نعم قال : ذلك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، فاجتمعوا أربعة على أن يسمعوا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فنزل جبرئيل على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بهذه السورة : « يا أيها النبى لم تحرم ما أحل الله لك تبتغى - إلى قوله - تحلة أيمانكم » يعنى قد أباح الله لك أن تكفر عن يمينك « والله مولاكم وهو العليم الحكيم » .

و فى **أسباب النزول** للواحدى النيسابورى باسناده عن عمر قال : دخل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بام ولده مارية فى بيت حفصة ، فوجدته حفصة معها ، فقالت : لم تدخلها بيتى ؟ ما صنعت بى هذا من بين نسائك الا من هوانى عليك ، فقال لها لا تذكرى هذا لعائشة ، هى علىّ حرام إن قربتها ، قالت حفصة : و كيف تحرم عليك وهى جاريتك ، فحلف لها لا يقربها و قال لها : لا تذكريه لاحد ، فذكرته لعائشة ، فأبى أن يدخل على نسائه شهراً ، و اعتزلهن تسعاً و عشرين ليلة ، فانزل الله تبارك و تعالى : « لم تحرم ما أحل الله لك » الاية .

وفيه : عن عائشة قالت : كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يحبّ الحلواء والعسل ، و كان اذا انصرف من العصر دخل على نسائه ، فدخل على حفصة بنت عمر واحتبس عندها أكثر مما كان يحتبس ، فعرفت فسئلت عن ذلك ، فقيل لى : أهديت لها امرأة من قومها عكة عسل ، فسقت منه النبى صلى الله عليه وآله وسلم شربة ، قلت : أما والله لنحتال له ، فقلت لسودة بنت زمعة : انه سيدنو منك ، اذا دخل عليك فقولى له : يارسول

الله أكلت مغافير ، فانه سيقول لك سقتني حفصة شربة عسل ، فقولي : جرست نحله العرفط ، و سأقول ذلك ، و قولي أنت يا صفية ذلك ، قالت تقول سودة : فوالله ما هو الا أن قام على الباب ، فكدت أن أباديه بما أمرتني به ، فلما دنا منها قالت له سودة : يا رسول الله أكلت مغافير ؟

قال : لا قالت : فما هذه الريح التي أجد منك ؟ قال : سقتني حفصة شربة عسل ، قالت : جرست نحله العرفط ، قالت : فلما دخل علي قلت له مثل ذلك ، فلما دار الى صفية قالت له مثل ذلك ، فلما دار إلى حفصة قالت : يا رسول الله أسقيك منه ؟ قال : لا حاجة لي فيه ، تقول سودة : سبحان الله لقد حرمناه ، قالت لها : اسكتي .

و في تفسير الطبري : عن زيد بن أسلم ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أصاب ام ابراهيم في بيت بعض نسائه قال : فقالت : أي رسول الله في بيتي و على فراشي ، فجعلها عليه حراما ، فقالت : يا رسول الله كيف تحرم عليك الحلال ؟ فحلف لها بالله لا يصيبها ، فأنزل الله عزوجل : «يا أيها النبي لم تحرم ما أحل الله لك تبتغي مرضات أزواجك» .

وفيه : عن أنس عن عمر قال : بلغني عن بعض امهات المؤمنين شدة (عن امهات المؤمنين شيء خ) على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم واذاهن اياه ، فاستقريتهن أقول لتكففن عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اعظها وأنهاها عن اذى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حتى اتيت على احدى امهات المؤمنين ، فقالت : يا عمر اما في رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ما يعظ نساؤه حتى تعظهن انت ، فامسكت ، فأنزل الله : «عسى ربه ان طلقكن أن يبدله أزواجاً خيراً منكن مسلمات مؤمنات» الاية .

و في التبيان : قال الشيخ قدس سره : حرم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ام ولده ابراهيم ، وهي مارية القبطية على نفسه ، فأسر بذلك إلى زوجته حفصة ، فافضت به إلى عائشة ، وكانت حفصة بنت عمر قد زارت عائشة فخلا بيتها ، فوجه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى مارية القبطية ، و كانت معه صلى الله عليه وآله وسلم و جائت حفصة ، فأسر إليها

التحريم .

وفي المجمع : اختلف أقوال المفسرين في سبب نزول الآيات :

فقيل : ان رسول الله ﷺ كان اذا صلى الغداة يدخل على أزواجه إمرأة إمرأة وكان قد اهديت لحفصة بنت عمر بن الخطاب عكة من عسل فكانت إذا دخل عليها رسول الله ﷺ حبسته و سقته منها و ان عائشة انكرت احتباسه عندها ، فقالت لجويرية حبشية عندها اذا دخل رسول الله ﷺ على حفصة فادخلى عليها فانظرى ماذا تصنع ، فاخبرتها الخبر ، و شأن العسل فغارت عائشة و أرسلت الى صواحبها، فأخبرتهن وقالت : اذا دخل عليكن رسول الله ﷺ فقلن : انا نجد منك ريح المغافير وهو صمغ العرفط كريه الرائحة ، و كان رسول الله ﷺ يكره و يشق عليه أن يوجد منه ريح غير طيبة لانه يأتيه الملك ، قال : فدخل رسول الله على سودة قالت : فما أردت أن أقول ذلك لرسول الله ﷺ ثم انى فرقت من عائشة فقلت : يا رسول الله ماهذه الريح التى أجدها منك اكلت المغافير فقال : لا ولكن حفصة سقتنى عسلاً ثم دخل على إمرأة إمرأة وهن يقلن له ذلك فدخل على عائشة، فاخذت بأنفها ، فقال لها: ما شأنك ؟ قالت : اجد ريح المغافير؟ اكلتها يا رسول الله قال : لا بل سقتنى حفصة عسلاً فقالت : جرست اذاً نحلها العرفط فقال : والله لا بل اطعمه أبداً فحرّمه على نفسه .

و قيل : ان التى كانت تسقى رسول الله ﷺ العسل ام سلمة عن عطاء بن أبى مسلم .

و فى أسباب النزول للواحدى: عن ابن أبى مليكة ان سودة بنت زمعة كانت لها خؤولة باليمن ، و كان يهدى اليها العسل ، و كان رسول الله ﷺ يأتيها فى غير يومها يصيب من ذلك العسل ، و كانت حفصة و عائشة متواخيتين على سائر أزواج النبى ﷺ فقالت إحداهما للاخرى :

ما ترين إلى هذا ؟ قد اعتاد هذه يأتيها فى غير يومها يصيب من ذلك العسل، فاذا دخل فخذى بأنفك ، فاذا قال مالك ؟ قولى : أجد منك ريحاً لا أدرى ماهى،

فانه اذا دخل على قلت مثل ذلك ، فدخل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فاخذت بأنفها ،فقال: مالك ؟ قالت ريحاً أجد منك وما أراه الا مغافير وكان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يعجبه أن يأخذ من الريح الطيبة اذ وجدها، ثم اذ دخل على الاخرى ، فقالت له مثل ذلك ، فقال : لقد قالت لي : هذا فلانة ، و ما هذا الا من شيء أصبته في بيت سودة ، و والله لا أذوقه أبداً قال ابن أبي مليكة : قال ابن عباس : نزلت هذه الآية في هذا: « يا أيها النبي لم تحرم ما أحل الله لك تبتغي مرضاة أزواجك »

وفيه : عن ابن عباس قال : و جدت حفصة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مع ام ابراهيم في يوم عائشة ، فقالت : لا خبرنها ، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : هي علي حرام إن قربتها، فأخبرت عائشة بذلك ، فأعلم الله رسوله صلى الله عليه وآله وسلم ذلك ، فعرف حفصة بعض ما قالت فقالت له : من أخبرك ؟قال : نبأني العليم الخبير ، فآلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من نسائه شهراً ، فأنزل الله تبارك و تعالى : « إن تتوبا إلى الله فقد صغت قلوبكما » الاية.

و في أمالي الطوسي قدس سره باسناده عن ابن عباس قال : وجدت حفصة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مع ام ابراهيم في يوم عائشة ، فقالت : لاخبرنها ، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : اكتمي ذلك وهي علي حرام ، فاخبرت حفصة عائشة بذلك ، فأعلم الله نبيه ، فعرفت حفصة أنها أفشت سره ، فقالت له : « من أنبأك هذا قال نبأني العليم الخبير » فآلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من نسائه شهراً ، فأنزل الله عز إسمه : « ان تتوبا إلى الله فقد صغت قلوبكما » قال ابن عباس : فسئلت عمر بن الخطاب من اللتان تظاهرتا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ؟ فقال : حفصة و عائشة .

وفي الدر المنثور : عن ابن عباس قال : كانت عائشة و حفصة متحابتين ، فذهبت حفصة إلى بيت أبيها تحدث عنده ، فأرسل النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلى جاريته، فظلت معه في بيت حفصة ، وكان اليوم الذي يأتي فيه عائشة فوجدتهما في بيتها فجعلت تنتظر خروجها وغارت غيرة شديدة ، فأخرج النبي صلى الله عليه وآله وسلم جاريته و دخلت حفصة، فقالت ، قد رأيت من كان عندك والله لقد سوأتني، فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم : والله لارضينك و اني مسر إليك سراً فاحفظيه قالت : ما هو ؟ قال : اني اشهدك أن سريتي هذه

على حرام رضاً لك ، فانطلقت حفصة إلى عائشة ، فأسرّت إليها أن أبشرى ان النبى ﷺ قد حرّم عليه فتاته ، فلما أخبرت بسرّ النبى ﷺ أظهر الله النبى ﷺ عليه فانزل الله : « يا أيها النبى لم تحرم ما أحل الله لك »

وفيه : عن ابن عباس فى قوله : « و اذ أسرّ النبى إلى بعض أزواجه حديثا » قال : دخلت حفصة على النبى ﷺ فى بيتها وهو يطأ مارية ، فقال لها رسول الله ﷺ : لا تخبرى عائشة حتى ابشّرك بشارة ، فان أباك يلى الامر بعد أبى بكر اذا أنامت ، فذهبت حفصة ، فأخبرت عائشة ، فقالت عائشة للنبى ﷺ ما أنباك هذا ؟ قال : نبّأنى العليم الخبير ، فقالت عائشة : لا انظر إليك حتى تحرّم مارية فحرّمها فانزل الله : « يا أيها النبى لم تحرّم »

و فى المجمع : و قيل : ان رسول الله ﷺ قسم الايام بين نسائه ، فلما كان يوم حفصة قالت : يا رسول الله ان لى إلى أبى حاجة ، فأذن لى أن أزوره فأذن لها ، فلما خرجت ارسل رسول الله ﷺ إلى جاريته مارية القبطية و كان قد أهداها له المقوقس ، فادخلها بيت حفصة ، فوقع عليها فأتت حفصة ، فوجدت الباب مغلقاً فجلست عند الباب ، فخرج رسول الله ﷺ و وجهه يقطر عرقاً ، فقالت حفصة انما أذنت لى من أجل هذا ادخلت امتك بيتى ثم وقعت عليها فى يومى و على فراشى اما ما رأيت لى حرمة و حقاً ، فقال ﷺ : أليس هى جاريتى قد أحل الله ذلك لى ؟ اسكتى فهو حرام علىّ التمس بذلك رضاك ، فلا تخبرى بهذا امرأة منهن ، و هو عندك امانة ، فلما خرج رسول الله ﷺ قرعت حفصة الجدار الذى بينها و بين عائشة ، فقالت : ألا أبشرك ان رسول الله ﷺ قد حرّم عليه امته مارية ، و قد أراحنا الله منها ؟ و أخبرت عائشة بما رأت و كانتا متصافيتين متظاهرتين على سائر أزواجه ، فنزلت : « يا أيها النبى لم تحرم » فطلق حفصة و اعتزل سائر نسائه تسعة و عشرين يوماً وقعد فى مشربة ام ابراهيم مارية حتى نزلت آية التخيير عن قتادة والشعبى و مسروق .

وفيه : و قيل : ان النبى ﷺ خلا فى يوم لعائشة مع جاريته ام ابراهيم

مارية القبطية ، فوقفت حفصة على ذلك ، فقال لها رسول الله صلى الله عليه وآله: لا تعلمى عائشة ذلك و حرّم مارية على نفسه ، فاعلمت حفصة عائشة الخبر و استكتمتها اياه فاطلع الله نبيه صلى الله عليه وآله على ذلك و هو قوله : « و اذ أسرّ النبى إلى بعض أزواجه حديثا » يعنى حفصة عن الزجاج قال : و لما حرّم مارية القبطية أخبر حفصة انه يملك من بعده أبوبكر ثم عمر فعرفها بعض ما أفشت من الخبر وأعرض عن بعض ان ابابكر و عمر يملكان بعدى .

و قريب من ذلك ما رواه العياشى بالاسناد عن عبد الله بن عطاء المكى عن أبى جعفر عليه السلام الاّ انه زاد فى ذلك أن كل واحدة منهما حدثت أباها بذلك فعاتبهما رسول الله صلى الله عليه وآله فى أمر مارية و ما افشتا عليه من ذلك و أعرض عن أن يعاتبهما فى الامر الاخر .

و غيرها من الروايات على ألفاظها المختلفة وطرقها المتشتتة ، وفى أكثرها ان رسول الله صلى الله عليه وآله حرّم مارية القبطية على نفسه لقول حفصة لا لقول عائشة و ان التى قالت للنبى صلى الله عليه وآله : « من أنباك هذا » هى حفصة تريد من أخبرك أنى أفشيت السرّ دون عائشة .

قال بعض المعاصرين : و هى مع ذلك لاتزيل إبهام قوله تعالى : « عرّف بعضه و أعرض من بعض »

نعم فيما رواه ابن مردويه عن علىّ عليه السلام قال : ما استقصى كريم قط لان الله يقول : عرّف بعضه و أعرض عن بعض . و روى عن أبى حاتم عن مجاهد و ابن مردويه عن ابن عباس : ان الذى عرّف أمر مارية والذى أعرض عنه قوله : « ان أباك و أباها يليان الناس بعدى مخافة أن يفشو »

ثم قال : و يتوجه عليه انه ما وجه الكرم فى أن يعرّف صلى الله عليه وآله ما قاله من تحريم مارية و يعرض عما أخبرها من ولايتهما مع أن العكس أولى وأقرب.

وفى شواهد التنزيل : للحاكم الحسكانى الحنفى : عن ابن عباس فى قوله تعالى : « و ان تظاهرا عليه » قال : نزلت فى عائشة و حفصة و قوله : « فان الله

هو مولاه و جبرئيل » نزلت فی رسول الله خاصة و قوله : « و صالح المؤمنين » نزلت فی علیّ خاصة .

وفيه : باسناده عن سدير الصيرفى عن أبی جعفر قال : لقد عرّف رسول الله علياً أصحابه مرّتين أما مرّة حيث قال : من كنت مولاه فعلی مولاه و أما الثانية حيث نزلت هذه الاية : « فان الله هو مولاه » الاية أخذ رسول الله بيد علی فقال : أيها الناس هذا صالح المؤمنين .

اقول : رواه حملة آثار العامة فی أسفارهم بطرق عديدة نشير الى نبذة منها:

١ ـ اسمعيل بن كثير دمشقی فی (تفسيره ج ٤ ص ٣٨٩ ط مطبعة مصطفى محمد بمصر) بسنده عن علی عليه السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فی قوله تعالى : « و صالح المؤمنين » : هو علی بن أبيطالب عليه السلام و عن مجاهد انه قال : هو علی بن أبيطالب .

٢ ـ السيوطی فی (تفسيره : الدر المنثور ج ٦ ص ٢٤٤ ط مصر) عن ابن عباس فی قوله : « و صالح المؤمنين » علی بن أبيطالب .

٣ ـ الشوكانی فی (تفسيره : فتح القدير ج ٥ ص ٢٤٦ ط مصطفى الحلبی) عن أسماء بنت عميس سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول : « و صالح المؤمنين » علی بن أبيطالب . و عن ابن عباس أيضاً .

٤ ـ محمود الآلوسی فی (تفسيره : روح المعانی ج ٢٨ ص ١٣٥ ط المنيرية بمصر) عن اسماء بنت عميس و ابن عباس كما ذكر .

٥ ـ ابن بطريق فی (العمدة عن تفسير الثعلبی ص ١٥٢ ط تبريز)

٦ ـ الكنجی الشافعی فی (كفاية الطالب ص ٥٣ ط الغری)

٧ ـ القرطبی فی (تفسيره : الجامع لا حكام القرآن ج ١٨ ص ١٨٩ ط القاهرة)

٨ ـ أبو حيان الاندلسی فی (تفسيره : البحر المحيط ج ٨ ص ٢٩١ ط السعادة بمصر)

٩ ـ سبط ابن الجوزی فی (التذكرة ص ٢٦٧ ط النجف) عن ابن أبی

الدنيا انه كان ابن زياد زيد ابن أرقم فقال له : ارفع قضيبك فوالله لطالما رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقبل ما بين هاتين الشفتين ثم جعل زيد يبكى ، فقال ابن زياد أبكى الله عينيك - إلى أن قال - فنهض زيد و هو يقول : « أيها الناس أنتم العبيد بعد اليوم قتلتم ابن فاطمة ، و أمرتم ابن مرجانة - إلى أن قال : يابن زياد لاحدثنك حديثا أغلظ من هذا ؟

رأيت رسول الله أقعد حسناً على فخذه اليمنى و حسينا على فخذه اليسرى ثم وضع يده على يافوخيهما ثم قال : اللهم انى استودعك إياهما و صالح المؤمنين.

١٠ - ابن همام فى (حبيب السير ج ٢ ص ١٢ ط الحيدرى بطهران) عن مجاهد .

١١ - الاربلى فى (كشف الغمة ص ٢٥ ط تهران) .

١٢ - الحسكانى الحنفى فى (شواهد التنزيل ج ٢ ص ٢٥٩ دار الصادق بيروت سنة : ١٣٩٣ هـ) باسناده عن عمار بن ياسر قال : سمعت على بن أبيطالب عليه السلام يقول : دعانى رسول الله فقال : ألا أبشرك ؟ قلت : بلى يا رسول الله و ما زلت مبشراً بالخير قال : قد أنزل الله فيك قرآناً قلت : و ما هو يا رسول الله ؟ قال : قرنت بجبرئيل ثم قرأ « و جبرئيل و صالح المؤمنين » فانت و المؤمنون من بنى أبيك الصالحون .

أقول : وفى البرهان : « من بيتك » بدل من « من بنى أبيك » و فى كنز الفوائد للكراجكى : « من بنيك » و هو الصحيح .

١٣ - و فيه باسناده عن حذيفة قال : دخلت على النبى صلى الله عليه وآله وسلم فقال : « و صالح المؤمنين » على بن أبيطالب .

١٤ - و فيه باسناده عن ابن سيرين فى قوله : « و صالح المؤمنين » قال : هو على بن أبيطالب .

و غير ذلك مما رواه العامة و الخاصة بطرق عديدة لا يسعه المقام .

قال العلامة فى كشف الحق : أجمع المفسرون ، و روى الجمهور : ان

صالح المؤمنين على عليه السلام ، و قال المحدثا لجليل السيد البحرانى فى تفسيره بعد ايراد حديث عن أبى بصير : محمد بن العباس أورد اثنين و خمسين حديثاً هنا من طريق الخاصة والعامة .

و فى البرهان : عن ابن عباس انه رأت حفصة النبى صلى الله عليه وآله وسلم فى حجرة عائشة مع مارية القبطية ، فقال عليه : اتكتمى على حديثى ؟ قالت : نعم قال : انها على حرام لطيب قلبها فاخبرت عائشة وسرتها من تحريم مارية ، فكلمت عائشة النبى صلى الله عليه وآله وسلم فى ذلك ، فنزل : « و اذ أسر النبى الى بعض أزواجه حديثا - إلى قوله - فان الله هو مولاه و جبريل و صالح المؤمنين » قال : صالح المؤمنين والله علىّ يقول والله حسبه والملائكة بعد ذلك ظهيراً .

وفى نور الثقلين : عن ابن مسعود قال : لما نزلت هذه الاية : « يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم ناراً وقودها الناس والحجارة » تلاها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على أصحابه ، فخر فتى مغشيا عليه ، فوضع النبى صلى الله عليه وآله وسلم يده على فؤاده فوجده يكاد يخرج من مكانه فقال : يافتى قل : لا اله الا الله ، فتحرك الفتى ، فقالها فبشره النبى صلى الله عليه وآله وسلم بالجنة ، فقال القوم: يا رسول الله من بيننا ؟ فقال النبى صلى الله عليه وآله وسلم أما سمعتم الله تعالى يقول : « ذلك لمن خاف مقامى وخاف وعيد »

و فى كشف الغمة : مما أخرجه العز المحدث الحنبلى قوله تعالى : « يوم لا يخزى الله النبى والذين آمنوا معه نورهم يسعى بين أيدهم وبايمانهم » نزلت فى على و أصحابه .

و فى مناقب مرتضوى للمير محمد صالح الكشفى الترمذى عن المحدث الحنبلى ان قوله : « يوم لا يخزى الله النبى و الذين آمنوا معه » الاية نزلت فى شأن علىّ و محبيه .

نقل عن ابن مردويه بسنده عن ابن عباس ان أول من يكتسى حلل الجنة سيدنا ابراهيم الخليل عليه السلام لكونه خليل الرحمن ثم نبينا محمد صلى الله عليه وآله وسلم لاصطفاء الله إياه ثم على عليه السلام و هو بينهما يمشون إلى الجنة ثم قال : المراد من قوله : « آمنوا معه نورهم يسعى بين أيديهم » الاية على عليه السلام و أصحابه رضى الله عنهم .

﴿القراءة﴾

قرأ الكسائي «عرف» بالتخفيف و نسب هذا إلى الامام علي عليه السلام والباقون بالتشديد.

و قرأ عاصم و حمزة «ان تظاهران»، و الباقون «ان تظاهرا» بحذف النون و قرأ أهل الكوفة «تظاهرا» خفيفة الظاء على حذف احدى التائين والباقون «تظاهرا» بتشديد الظاء على ادغام إحدى التائين في الظاء.

و قرأ نافع و حفص «جبريل» بكسر الجيم و الراء و حذف الهمزة واثبات الياء، والباقون «جبرئيل» بفتح الجيم والراء مع الهمزة.

و قرأ نافع و أبو جعفر و أبو عمرو «أن يبدله» بتشديد الدال من باب التفعيل، والباقون بتخفيفها من باب الافعال.

و قرأ القراء السبعة «نصوحاً» بفتح النون، و بعض الاخرين بضمها.

و قرأ حفص و أبو عمرو «كتبه» على الجمع، و الباقون «كتابه» على الافراد.

﴿الوقف والوصل﴾

« لك ج » لاحتمال ان الجملة بعده حال أو استفهامية بحذف الحرف، وقيل هذا أحسن لان تحريم الحلال بغير ابتغاء مرضاتهن أيضا غير جائز ، و« أزواجك ط» لتمام الكلام و استيناف ما بعده ، و « أيمانكم ج » لعطف الجملتين المختلفتين ، و« مولا كم ج» للابتداء بذكر ما لم يزل من الوصفين مع اتفاق الجملتين ، و«حديثا ج» لتمام الكلام و. الفاء الآتية ، و « عن بعض ج » كالمتقدم ، و « هذا ط » لتمام الكلام

« قلوبكما ج » لتمام الجزاء والعطف ، و« المؤمنين ج » لتناهي الشرط إلى الاخبار ، و « اليوم ط » لتمام الكلام واستيناف ما بعده ، و « نصوحاً ط » كالمتقدم و « الانهار لا» بناء على ان الظرف « يوم » يتعلق بقوله « يدخلكم » ، و «معه ج» لاحتمال تعلق الظرف بقوله « يسعى » وبقوله « آمنوا » ، و « اغفر لنا ج » للابتداء بـ « ان » مع احتمال اللام للتعليل .

« عليهم ط » لتمام الكلام ، و « جهنم ط » كالمتقدم ، و « لوط ط » لابتداء الحكاية ، و « الداخلين ى » و هى علامة العشر التى توضع عند انتهاء عشر آيات.

« فرعون م » لئلا يتوهم ان الظرف متعلق بـ « ضرب » بل التقدير : اذكروا ، و « الظالمين لا » للعطف .

﴿ اللغة ﴾

١٩ ـ التوبة ـ ١٩٠

تاب إلى الله تعالى يتوب توباً وتوبة و متاباً ـ من باب نصر نحو : قال ـ : رجع عن المعصية ، فهو تائب ، و هي تائبة ، وهم تائبون ، وهن تائبات .

قال الله تعالى : « إن تتوبا إلى الله ـ يا أيها الذين آمنوا توبوا إلى الله توبة نصوحاً » التحريم: ٤ ـ ٨) أي اقلعوا عن المعاصي و ارجعوا إلى الله تعالى رجوعاً بالغاً في النصح عظيم الشأن مرضياً عند الله جل وعلا نادماً بالقلب ، و مستغفراً باللسان ، و عملاً صالحاً بالاركان .

التوب : ترك الذنوب صغيرها و كبيرها على أجمل الوجوه ، و هو أبلغ وجوه الاعتذار ، فان الاعتذار ، على ثلاثة اوجه : فان المعتذر إما أن يقول : لم أفعل ، و إما أن يقول: فعلت لأجل كذا أو فعلت و أسات و قد أقلعت ، ولارابع لذلك ، و هذا الاخير هو التوبة ، وهي في الشرع : ترك الذنب لقبحه ، و الندم على ما فرط منه ، والعزيمة على ترك المعاودة ، و تدارك ما أملكه أن يتدارك من الاعمال بالاعادة ، فمتى اجتمعت هذه الاربع فقد كمل شرائط التوبة .

المتاب : التوبة التامة ، و هو الجمع بين ترك القبيح ، و تحرّى الجميل قال الله تعالى : « و من تاب و عمل صالحاً فانه يتوب إلى الله متابا» الفرقان : ٧١)

التواب : مبالغة أي كثير الرجوع إلى الله جل وعلا بتركه كل وقت بعض الذنوب على الترتيب حتى يصير تاركاً لجمعه، وجمعه: التوابون ، قال الله تعالى : « ان الله

يحب التوابين » البقرة : ٢٢٢)

و يقال لله تعالى لكثرة قبوله توبة عباده حالاً بعد حال قال الله تعالى :« ان الله كان تواباً رحيما » النساء : ١٦)

تاب الله عليه : عادبالمغفرة عليه أو رجع عليه بفضله ، و قبل توبته وغفر له فالله جل وعلا تواب ، ففى التوبة معنى الرجوع : العبد يرجع عن ذنبه ، و الله يرجع برحمته وغفرانه .

قال الله تعالى : « فمن تاب من بعد ظلمه و أصلح فان الله يتوب عليه » المائدة : ٣٩) أى يقبل توبته .

و فى تاء التوبة وجوه : أحدها ـ انها للتأنيث ثانيها ـ انها للوحدة كضربة ثالثها ـ انها تاء مصدرية .

استتابة : سئله أن يتوب .

٣٠ ـ الصغى و الاصغاء ـ ٨٦٠

صغى إلى الشيء يصغى صغياً و صغى ـ من باب علم نحو : رضى ـ : مال إليه . وصغايصغوا صغواً ـ من باب نصر نحو : دعا ـ : استمع .

و قد جاء من المادة فى القرآن الكريم الثلاثى ماضياً من أحد البابين كقوله تعالى : « فقد صغت قلوبكما » التحريم : ٤)

و مضارعاً نحو : يرضى كقوله تعالى ، « و لتصغى إليه افئدة الذين لايؤمنون بالاخرة » الانعام : ١١٣)

الصغى : الميل الحسّى : ميل الحنك والعين والشق و الشمس للغروب ، والصواغى : النجوم التى مالت للغروب ، و يقال : صغى فلان : مال حنكه أوإحدى شفتيه ، و منه صغت إليه اذنه اذا مالت .

و فى الحديث : « ينفخ فى الصور فلا يسمعه أحد الا أصغى » أى مال صفحة عنقه . الصغواء : القطاة التى مال حنكها و أحد منقاريها .

الصغى : الميل المعنوى ، يقال : صغاه معك : أى ميله ، وصغى على القوم اذا كان هواه مع غيرهم ، وصاغيتك : الذين يميلون اليك فى حوائجهم ، و هم خاصة الانسان والمائلون إليه ، و يقال : صاغية الرجل لقومه الذين يميلون إليه تقول : أكرموا فلانا فى صاغيته ، و فى حديث ابن عوف : « كانت امية بن خلف أن يحفظنى فى صاغيتى بمكة و أحفظه فى صاغيته بالمدينة » و منه حديث الامام أمير المؤمنين على عليه السلام : « كان اذا خلامع صاغيته و زافرته انبسط »

أصغى إلى كلام : مال إليه بسمعه ليستمع ، و أصغى الاناء : أمالها ، وأصغى الشيء : نقصه ، وقد كنى به عن الهلاك ، وأصغى حقه : اذا نقصه ، و أصغت الناقة: مالت برأسها إلى الرجل أو إلى الرحل حين يشدّ عليها كالمستمع شيئا .

٦٧ - القنت والقنوت - ١٢٥٩

قنت له يقنت قنوتاً قنتاً - من باب نصر - : ذلّ و خضع كما يخضع العبد لسيده ، وقنت لله جل وعلا : أقرّ له بالعبودية ، فخضع له و أطاعه .

قال الله تعالى : « بل له ما فى السموات والارض كل له قانتون » البقرة : ١١٦) أى خاضعون لارادته مقرون بالوهيته شاهدون عليها بألسنة أحوالهم .

للقنوت معان : الخشوع ، و خفض الجناح ، و سكون الاطراف ، و ترك الالتفات من رهب الله تعالى ، والطاعة ، والسكوت ، والدعاء والامساك عن الكلام و طول القيام ، و إدامة الحج ، و إطالة الغزو ، والتواضع ، والعبادة ، والصلاة ، و الاقرار بالعبودية .

و يمكن أن يقال : ان السكوت والامساك عن الكلام واحد ، وان الخشوع داخل فى التواضع ، و إدامة الحج و إطالة الغزو داخلان فى عموم دوام الطاعة فانهما من أعظم الطاعة .

قال الله تعالى : « و من يقنت منكن لله و رسوله » الاحزاب : ٣١) أى تخضع لهما و تواظب على طاعتهما .

وقنت : أطال القيام في الصلاة والدعاء فهو قانت ، قال تعالى : « أمن هو قانت آناء الليل ساجداً و قائماً يحذر الآخرة » الزمر : ٩) أى عابد مطيع لله يطيل الصلاة و الدعاء ليلا ، وفى الحديث : « أفضل الصلاة طول القنوت » أى طول القيام.

وقنتت المرأة لزوجها : أطاعته قال تعالى : « مسلمات مؤمنات قانتات تائبات » التحريم : ٥) أى مطيعات لله تعالى ولازواجهن، و امرأة قنوت :مطيعة لزوجها .

و أقنت : دعا على عدوه ، و أقنتت امرأة اقتناتاً : انقادت .

قنت الرجل يقنت قناتة ـ من باب كرم ـ : كان قليل الاكل ، و امرأة قنيت : قليلة الطعم ، و سقاء قنيت : مسيك أى يمسك الماء .

فى المفردات : القنوت : لزوم الطاعة مع الخضوع ، و فسّر بكل واحد منهما فى قوله : « و قوموا لله قانتين » و قوله تعالى : « كل له قانتون » قيل : خاضعون ، و قيل : طائعون ، و قيل : ساكتون .

و فى النهاية : فيه ـ الحديث ـ «تفكر ساعة خير من قنوت ليلة » قد تكرر ذكر « القنوت » فى الحديث ، و يرد بمعان متعددة كالطاعة والخشوع والصلاة و الدعاء والعبادة والقيام و طول القيام والسكوت ، فيصرف فى كل واحد من هذه المعانى إلى ما يحتمله لفظ الحديث الوارد فيه .

و قال ابن الانبارى : القنوت على أربعة اقسام : الصلاة و طول القيام و إقامة الطاعة والسكوت .

و فى اللسان : القنوت : الامساك عن الكلام .

وفى القاموس و شرحه : القنوت الطاعة ، و هذا هو الاصل ، و منه قوله تعالى : « و القانتين و القانتات » و قال الضحاك : كل قنوت فى القرآن ، فانما يعنى به الطاعة ، و قال الزجاج : المشهور فى اللغة ان القنوت : الدعاء ،وأقنت: إذا أدام الحج ، أقنت : أطال الغزو عن ابن الاعرابى .

١٠٦ - السيح - ٧٦٥

ساح فلان في الارض يسيح سيحاً وسياحة وسيحاناً و سيوحاً - من باب ضرب نحو : باع - :ذهب و مر فيها حيث شاء ، و يقال : ساح الرجل : ذهب في الارض للعبادة .

السياحة : الضرب في الارض بقصد العبادة و الترهب ، والسائح هو الذي يتحرى ما اقتضاه ، و السائح : الملازم للمساجد لانه يسيح في النهار بلا زاد .

قال الله تعالى : « فسيحوا في الارض أربعة أشهر » التوبة : ٢)

و أشهر السياحة : شوال ، و ذو القعدة و ذو الحجة و المحرم .

و قال تعالى : « تائبات عابدات سائحات » التحريم : ٥)

فسرت بالصائمات لان الصائم ينقطع عن شهواته كما ينقطع السائح في الارض للعبادة ، و بالمهاجرات في سبيل الله تعالى ، و قيل : هن ماضيات في طاعة الله و رسوله صلى الله عليه وآله وسلم و مطيعات لازواجهن .

و قال بعضهم : الصوم ضربان: أحدهما - حقيقي و هو ترك المطعم والمشرب و المنكح . . . ثانيهما - صوم حكمي و هو حفظ الجوارح عن المعاصي كالسمع و البصر و اللسان ، والسائح هو الذي يصوم هذا الصوم الاخير دون الاول .

و في الحديث : « سياحة هذه الامة الصيام » قيل للصائم سائح لان الذي يسيح في الارض متعبداً بلا زاد ولا ماء له فاذا وجد يطعم ، والصائم يمضي نهاره ولا يأكل ولا يشرب شيئا ، فشبه به .

و في الحديث : « لا سياحة في الاسلام » يريد بمن يفارق الامصار وسكنى

البرارى و ترك شهود الجمعة والجماعات . . .

و فى الحديث : « سياحة امتى الغزو والجهاد » .

و فى الحديث من أوصاف الامام عليه السلام : « سياحة الليل و سياحة النهار » .

و منه المسيح بن مريم عليه السلام اذ كان يذهب فى الارض ، فاينما أدركه الليل صفّ حتى الصباح ، فان كان كذلك فهو مفعول بمعنى فاعل .

و فى الحديث : « كان من شرائع عيسى عليه السلام السيح فى البلاد » .

السيح : الماء الجارى الظاهر جمعه : سيوح و أسياح والسيّاح : كثير السياحة وساح الماء : جرى على وجه الارض ، و يقال : و هذه الارض تسقى بالماء سيحاً ، و السائح : الماء الدائم الجرية فى ساحة ، و منه الحديث : « ماسقى بالسيح ففيه العشر »

أساح النهر : أجراه ، و سيّح فلان كلامه : نمّقه ، و انساح باله : اتسع قلبه ، و الثوب : تشقق ، و انساح البطن : اتسع و دنامن السمن .

المسياح : من يمشى بالنميمة والشر فى الارض والافساد بين الناس و منه حديث الامام على عليه السلام : « اولئك امة الهدى ليسوا بالمسابيح ولا بالمذابيع البذر » يعنى الذين يسيحون فى الارض بالنميمة والشر والافساد بين الناس ، والمذابيع الذين يذيعون الفواحش . . . المسيّح : المخطّط من الجراد ، و من البرود ، مسيحة الطرق : المبين طرقه الصفار .

الساحة : المكان الواسع ، و منه ساحة الدار قال تعالى : « فاذا نزل بساحتهم » الصافات : ١٧٧) وفى الدعاء : « اللهم انى حللت بساحتك » على سبيل الاستعارة و فى الحديث : « تباعدوا عن ساحة الظالمين » أن لا تقربوا إليهم بوجه من الوجوه مهما أمكن .

سيحان : نهر بالعواصم قريباً من طرسوس ، و هو نهر كبير بالثغر من نواحى المصيصة ، و هو نهر اذنة بين انطاكية والروم يمرّ باذنة ثم ينفصل عنها نحو ستة أميال ، فيصبّ فى بحر الروم .

و في الخبر : « سيحان وجيحان والفرات و نيل مصر من أنهار الجنة » قيل : خصّ الاربعة لعذوبة مائها و كثرة منافعها كأنها من أنهار الجنة .

و في الحديث : « سيحون أحد الانهر الثمانية التى خرقها جبرئيل بابهامه »

و في الصحاح : سيحان نهر بالشام ، و سيحون نهر بالهند ، و ساحين نهر بالصبرة .

وفي القاموس و شرحه : الساحة : الناحية ، وهي فضاء يكون بين دور الحي ، وساح الظل أي فاء ، والسيح : الكساء المخطط يستتر به و يفترش ، وقيل: هو ضرب من البرود .

٢٣ - الثيب - ٢١٦

الثيب - كسيّب - من النساء : نقيض البكر جمعه : ثيبات ، و هنّ اللاتى فارقن أزواجهن بموت او طلاق بعد أن مسّوهن .

قال الله تعالى : « ثيبات و أبكاراً » التحريم : ٥)

ثيّبت المرأة و تثبت : صار ثيباً ، و ان الذكر والانثى فيه سواء ، يقال للامرأة التى فارقت زوجها : ثيب ، و للرجل المتزوج : ثيب ، ولكن اطلاقه على المرأة أكثر لان المرأة ترجع إلى أهلها دون الثاني .

و في الخبر : « لايبين رجل عند ثيب » خصّها بالذكر لان البكر تكون أعصى و أخوف على نفسها .

و قد اختلف اللغويون في أصل « ثيب » فقيل : واوى فاصله : ثوب وقيل: يائى و أصله ثييب ، و قيل بالهمزة ، و أصله : ثؤب .

٢٧- الغلظة و الغلاظة - ١٠٩٦

غلظ الرجل يغلظ غلظاً وغلظة - مثلثة الغين - من بابى كرم وضرب - : اشتد و قوى و صعب وصار غليظا .

و رد من المادة : المصدر و الثلاثى والاستفعال و الفعيل ، فتارة للحسّى على الحقيقة كقوله تعالى : « ملائكة غلا ظ شداد » التحريم : ٦) و قوله : « و نجينا هم من عذاب غليظ » هود :٥٨) .

و تارة اخرى للمعنوى على الاستعارة كقوله تعالى : « و أخذن منكم ميثاقاً غليظا » النساء : ٢١)

غلظ الكبد : كناية عن القساوة ، ويقال : بينهما غلظة و مغالظة أى عداوة، و غلّظ اليمين : قوّاها و أكّدها ، و يقال : اغلظ له فى القول غلاظاً : عنفه ، و اغلظ له فى القول : خشن .

الغلظة فى الأجسام : ضد الرقة فى الخلق والطبع ، و خلاف الدقة فى الفعل و المنطق والعيش ، فهى شدة و خشونة ، و غلظا و غلاظة فهو غليظ و منه الحديث فى وصف على عليه السلام : « كنت على الكافرين غلظة و غيظاً » أى شدة و قلة رحمة.

استغلظ : تهيّأ للغلظ ثم يستعار للمعانى كالكبير و الكثير مثل ميثاق غليظ و قلب غليظ ، و أمر غليظ : صعب ، و عذاب غليظ أى شديد الاليم قال الله تعالى « و من ورائه عذاب غليظ » ابراهيم : ١٧)

استغلظت السنبلة : اشتدّت وخرج فيها الحب ، قال الله تعالى : «فاستغلظ فاستوى على سوقه » الفتح : ٢٩)

و كذلك جميع النبات و الشجر اذا استحكمت نبتته وصار غليظاً ، والغلظ - بالفتح - :الارض الخشنة ، و الدية المغلظة : هى فى العمد المحض ، وقيل :فى شبه العمد ، و قيل : فى الخطاء

﴿ النحو ﴾

١ - (يا أيها النبى لم تحرم ما أحل الله لك تبتغى مرضات از واجك والله غفور رحيم)

« لم » أصله : لما،اللام للتعليل و « ما » استفهامية لانكار التحريم ثم حذفت ألفها لكثرة الاستعمال ، و « تحرم » فعل مضارع من باب التفعيل ، خطاب للنبى صلى الله عليه و آله و سلم و « ما » موصولة فى موضع نصب ، مفعول به ، و « أحل » فعل ماض من باب الافعال ، و « الله » فاعل الفعل ، والجملة صلة الموصول على حذف العائدأى أحله الله ، و « لك » متعلق بـ « أحل » .

« تبتغى » فعل مضارع من باب الافتعال ،خطاب للنبى صلى الله عليه و آله و سلم ، و«مرضات» مفعول به ، اضيفت إلى «أزواج »جمع زوج ، اضيف إلى كاف الخطاب ، و«مرضات» اسم مصدر من الرضا ، أصله : مرضوة ، فانقلبت الواو ألفاً لوقوعها رابعاً و فتح ما قبلها ، و « مرضات » إما مضاف إلى المفعول ، فتقديره أن ترضى أزواجك ، و إما إلى الفاعل أى أن يرضين هن .

وفى جملة« تبتغى مرضات أزواجك »وجوه: أحدها ـ مستأنفة ثانيها ـ مفسّرة لقوله : « تحرم » ثالثها ـ فى موضع نصب على الحال من فاعل « تحرم » أى مبتغيابه مرضات أزواجك . رابعها ـ تعليل للتحريم .

« والله » الواو للاستيناف، و « الله » مبتداء ، و « غفور » خبره و « رحيم » خبر بعد خبر .

٢ -(قدفرض الله لكم تحلة ايمانكم والله مولاكم و هو العليم الحكيم)

« تحلة » مفعول به ، و أصله :تحللة على وزن تبصرة مصدرمن باب التفعيل فأسكن الاول و أدغم فى الثانى ، ثم اضيف إلى « أيمان » جمع يمين ، اضيف إلى ضمير الخطاب .

٣ ـ (و اذ أسر النبى الى بعض أزواجه حديثاً فلما نبات به وأظهره الله عليه عرف بعضه و أعرض عن بعض فلما نبأها به قالت من أنباك هذا قال نبأنى العليم الخبير)

« اذ » ظرف متعلق لمحذوف أى و اذ كر اذ ، و « أسر » فعل ماض من باب الافعال ، و « حديثا » مفعول به ، و « نبأت » فعل ماض من باب التفعيل ، وفاعله ضمير مستترفيه راجع إلى بعض الازواج على حذف إحدى المفعولين أى أخبرت بالحديث بعض الازواج الاخرى وترك إحدى المفعولين دون الاخرى لان المحذوف ليس بمقصود ، و انما الغرض ذكر خيانة حفصة بنت عمر بن الخطاب فى الاخبار بما أسرّه عليها النبى صلى الله عليه وآله وسلم من تحريم مارية القبطية أو تصدّى أبيها أمر الخلافة بعد النبى صلى الله عليه وآله وسلم من غير لياقة .

« أظهره » الفعل ماض من باب الافعال ، والضمير فى موضع نصب مفعول به راجع إلى النبى صلى الله عليه وآله وسلم و ضمير « عليه » راجع إلى افشاء حفصة سرّ النبى صلى الله عليه وآله وسلم لعائشة ، و « عرّف » فعل ماض من باب التفعيل ، و فاعله : ضمير مستتر فيه ، راجع إلى النبى صلى الله عليه وآله وسلم و « بعضه » مفعول اول و حذف الثانى أى عرّف النبى صلى الله عليه وآله وسلم بعضه بعض نسائه ، و « أعرض » فعل ماض من باب الافعال ، عطف على « عرف » و هو جواب لـ « لمّا »

« فلما » الفاء للتفريع و « لما » حرف وجود لوجود ، و « نبّأ » فعل ماض من باب التفعيل ، و فاعله : ضمير مستترفيه ، راجع إلى النبى صلى الله عليه وآله وسلم و « ها » فى موضع نصب مفعول اول ، راجع إلى بعض الازواج ، و « به » مفعول ثان والضمير راجع إلى إفشاء بعض الازواج سرّ النبى صلى الله عليه وآله وسلم لبعضهن ، و « قالت » جواب لـ « لما » و فاعل الفعل بعض الازواج المخبرة بسرّ النبى صلى الله عليه وآله وسلم « من » اسم للاستفهام

فى موضع رفع على الابتداء ، و « أنبأك » الفعل ماض من باب الافعال ، وضمير الخطاب فى موضع نصب ، مفعول اول ، و « هذا » مفعول ثان ، والاشارة لا نبائها و افشائها السر لغيرها من بعض أزواجه ، والجملة خبر المبتداء ، و « قال » القائل هو النبى صلى الله عليه وآله وسلم و « نبانى » النون فى موضع نصب ، مفعول اول والياء للوقاية و المفعول الثانى محذوف أى أخبرنى بالافشاء ، و « العليم » فاعل الفعل و «الخبير» نعت من « العليم »

٤ - (ان تتوبا الى الله فقد صغت قلوبكما و ان تظاهرا عليه فان الله هو مولاه و جبرئيل و صالح المؤمنين والملائكة بعد ذلك ظهير)

« إنْ » شرطية ، و « تتوبا » فعل مضارع مجزوم بحرف الشرط خطاب لبعض أزواج النبى صلى الله عليه وآله وسلم التى أخبرت سره صلى الله عليه وآله وسلم لبعضهن الاخرى ، و « إلى الله » متعلق بفعل التوبة و « فقد » الفاء للجزاء ، و مدخولها للتحقيق ، و « صغت » فعل ماض ، و « قلوبكما » فاعل الفعل ، و الجملة جزاء للشرط ، و قيل : ان الجواب محذوف أى إن قبلت توبتكما ، فالفاء فى « فقد » للتعليل ، والشرط فى معنى الامر أى توبا فقد صغت قلوبكما ، و قيل : على تقدير : فذلك واجب عليكما ، أو يتب الله عليكما ، و دلّ على المحذوف قوله تعالى : « فقد صغت » لان اصغاء القلب إلى ذلك ذنب .

و فى جمع القلب وهما اثنان « قلوبكما » وجوه : أحدها - لان لكل انسان قلبا واحداً ، و ما ليس فى الانسان منه الا واحد جاز أن يجعل الاثنان فيه بلفظ الجمع ، و جاز أن يجعل بلفظ التثنية

ثانيها - أن التثنية جمع فى المعنى ، فوضع الجمع موضع التثنية كما قال : « و كنا لحكمهم شاهدين » و انما هو داود و سليمان .

ثالثها - ان أكثرما فى الانسان اثنان اثنان نحو اليدين و الرجلين والعينين و اذا جمع اثنان إلى اثنين صار جمعاً ، فيقال : أيديهما و أعينهما و أيديهما ، ثم حمل ما كان فى الانسان واحداً على ذلك لئلا يختلف حكم لفظ أعضاء الانسان.

رابعها ـ اذكان المضاف إليه تثنية كره الفصحاء و أصحاب البلاغة أن يجمعوا بين تثنيتين ، فصرفوا الاول منهما إلى لفظ الجمع لان لفظ الجمع أخف و أشبه بالواحد ، فانه يعرب باعراب الاول ، و يستأنف كما يستأنف الواحد، وليست كذلك لانها لاتكون التثنية الا على حد و احد و لايختلف .

« وان تظاهرا عليه » الوا وللعطف ، و مدخولها حرف شرط ، و« تظاهرا » فعل مضارع من باب التفاعل على حذف إحدى التائين تخفيفاً ، و حذفت نون الرفع جزماً بحرف الشرط ، والفعل خطاب لحفصة وعائشة بنتي عمر و أبي بكر و ضمير « عليه » راجع إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم و « فان الله » الفاء للجزاء و مدخولها حرف تاكيد و « الله » اسمها و « هو » ضمير فصل يفصّل بين النعت و الخبر ، ويسميه الكوفيون عماداً ، أو مبتداء و « مولاه » خبر لحرف التأكيد على الاول وخبر للضمير على الثاني ، فالجملة خبر لحرف التأكيد والجملة بتمامها جزاء للشرط .

و في « جبرئيل » وجوه : أحدها ـ مبتداء و خبره محذوف أي مواليه و قيل : خبره قوله : « ظهير » و « صالح المؤمنين » و « الملائكة » عطفان على « جبرئيل » فقوله : « ظهير » خبر للجميع و هو واحد في معنى الجمع أي ظهراء فان الفعيل يكون للواحد والجمع .

ثانيها ـ عطف على الضمير في « مولاه »

ثالثها ـ عطف على معنى الابتداء .

و في « الملائكة » و جهان : أحدهما ـ عطف على « جبرئيل » ثانيهما ـ مبتداء و « ظهير » خبره

٥ ـ (عسى ربه ان طلقكن أن يبدله ازواجا منكن مسلمات مومنات قانتات تائبات عابدات سائحات ثيبات و أبكاراً)

« عسى » من أفعال المقاربة ، و « عسى » لدنو الخبر للاسم رجاءاً و« ربه» اسمها والضمير راجع إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم و « عسى ربه » مع خبرها الآتي جزاء مقدم للشرط الآتي ، و « إن » شرطية و « طلقكن » الفعل ماض من باب التفعيل،

و فاعله : ضمير مستتر فيه راجع إلى النبى صلى الله عليه وآله وسلم ، و ضمير جمع التأنيث فى موضع نصب ، مفعول به ، والجملة شرطية ، و « أن يبدله » فعل مضارع من باب الافعال ، منصوب بحرف المصدر ، و الضمير فى موضع نصب مفعول اول ، راجع إلى النبى صلى الله عليه وآله وسلم و « أزواجا » مفعول ثان ، والجملة فى موضع نصب ، خبر لفعل المقاربة .

« خيراً منكن » نعت من « أزواجاً » و « مسلمات » نعت ثان ، و ما بعده من الصفات كذلك ، و أما الواو فى قوله تعالى : « و أبكاراً » فلابد منها لان المعنى : بعضهن ثيبات ، و بعضهن أبكار ، و تسمى هذه الواو و او الثمانية الا أن للواو فى هذا المقام فائدة اخرى و هى ان وصفى الثيابة والبكارة متنافيان لايكون الا أحدهما بخلاف الصفات المتقدمة فانها ممكنة الاجتماع ، فالمراد ان اولئك النساء جامعات للاوصاف المتقدمة و لأحد هذين :

٦ - (ياأيها الذين آمنوا قوا أنفسكم و أهليكم ناراً وقودها الناس والحجارة عليها ملائكة غلاظ شداد لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون)

« قوا » فعل أمر من الوقاية ، و أصله : « إوقيوا » نحو اضربوا ، وحذفت الواو كما حذفت من « يقى » و حذفت من « يقى » لوقوعها بين ياء و كسرة ، و لما حذفت من « اوقيوا » استغنى عن همزة الوصل لتحرك القاف لان الهمزة انما اجتلبت لاجل الابتداء بالساكن ، و قد زال الساكن ، فينبغى أن يزول لزوال العلة التى اجتلبت من أجلها ، فبقى « قيوا » ولما استثقلت الضمة على الياء نقلت إلى القاف بعد اسكانها ، فبقيت الياء ساكنة ، و او الجمع بعدها ساكنة ، فاجتمع الساكنان ، فحذفت الياء لاجتماع الساكنين ، وكان حذفها أولى لانها لم تدخل لمعنى ، و واو الجمع دخلت لمعنى ، فكان تثبيتها اولى .

« أنفسكم » مفعول أول ، و « أهليكم » عطف على « أنفسكم » و أصله : أهلين على الجمع ، فحذفت النون بالاضافة ، و « ناراً » مفعول ثان ، و « وقودها » مبتداء ، والضمير راجع إلى « نارا » و « الناس » خبره والجملة نعت من « ناراً »

و « الحجارة » عطف على « الناس » و « عليها » متعلق بمحذوف ، خبر مقدم ، و « ملائكة » مبتداء مؤخر ، و« غلاظ »: جمع غليظ نعت من « ملائكة » و« شداد » جمع شديد نعت ثان والجملة نعت ثان من « ناراً » و« لا يعصون » فعل مضارع منفى بحرف النفى وأصله : يعصيون كيضربون ولما استثقلت الضمة على الياء نقلت إلى الصاد بعد حذف كسرها فبقيت الياء و واو الجمع بعدها ساكنتان ، فحذفت الياء لاجتماع الساكنين ، و« الله » مفعول اول ، و « ما » موصولة فى موضع نصب، مفعول ثان و « أمر » فعل ماض ، فاعله : ضمير مستتر فيه راجع إلى « الله » و « هم » فى موضع نصب ، مفعول به و الضمير راجع إلى الملائكة ، و الجملة صلة الموصول على حذف العائد أى امرهم الله تعالى به ، و « يفعلون » عطف على « لا يعصون » من عطف الموجب على المنفى ، و « ما » موصولة فى موضع نصب مفعول به ، و « يؤمرون » فعل مضارع مبنى للمفعول ، صلة الموصول على حذف العائد أى به .

٧ - (يا أيها الذين كفروا لا تعتذروا اليوم انما تجزون ما كنتم تعملون)

« لا تعتذروا » فعل مضارع لخطاب الجمع المذكر من باب الافتعال مجزوم بحرف النهى ، و « اليوم » منصوب على الظرفية ، و « انما » حرف قصر ، و « تجزون » فعل مضارع لخطاب الجمع المذكر مبنى للمفعول ، و « ما » موصولة فى موضع نصب ، مفعول به ، و « كنتم » فعل ناقص مع اسمها ، و« تعملون » فى موضع نصب ، خبر لفعل الناقص ، والجملة صلة الموصول على حذف العائد أى تعملونه .

٨ - (يا ايها الذين آمنوا توبوا الى الله توبة نصوحاً عسى ربكم أن يكفر عنكم سيئاتكم ويدخلكم جنات تجرى من تحتها الانهار يوم لا يجزى الله النبى والذين آمنوا معه نورهم يسعى بين أيديهم و بايمانهم يقولون ربنا أتمم لنا نورنا واغفرلنا انك على كل شىء قدير)

« توبوا » فعل أمر لجمع المذكر المخاطب ، و « الى الله » متعلق به و « توبة » مصدر نوعى ، و« نصوحاً » نعت من « توبة » على النسب والمبالغة أى توبة

بالغة في النصح نحو : امرأة صبور ، ومن ثم لم يقل : نصوحة ، وقيل : « نصوحا » مصدر نصح ، وقيل : هو اسم فاعل أى ناصحة على سبيل المجاز .

« أن يكفر » في موضع نصب ، خبر عن فعل المقاربة « عسى » و « يدخلكم » عطف على « يكفر » وضمير الخطاب في موضع نصب ، مفعول اول ، و « جنات » مفعول ثان ، و« تجرى » في موضع نصب ، نعت من « جنات » و « يوم » ظرف متعلق بـ « يدخلكم » وقيل : عامله فعل مقدر ، و « لا يخزى » فعل مضارع من باب الافعال منفى بحرف النفى ، نعت من« يوم » و « النبى » مفعول به « والذين آمنوا » عطف على « النبى » وضمير « معه » راجع إليه ﷺ و « نورهم» مبتداء و « يسعى » خبره والجملة نعت من المؤمنين فقط أولهم وللنبى ﷺ .

قيل : « والذين آمنوا معه » مبتداء أول و« نورهم » مبتداء ثان ، و« يسعى بين أيديهم » خبر الثانى ، والجملة خبر الاول

و قيل : « والذين آمنوا » مبتداء و « معه » خبره و « نورهم يسعى » خبر ثان و « يقولون » خبر ثالث .

وقيل : « معه » متعلق بـ« آمنوا » و « نورهم يسعى » خبر أول وثان للموصول « يقولون » نعت ثان من المؤمنين ، وقيل : في موضع نصب على الحال ، و قيل : تحتمل الاستيناف .

« ربنا » مناد لحرف النداء المحذوفة ، و « أتمم » فعل أمر من باب الافعال و « نورنا » مفعول به ، « واغفرلنا » عطف على « أتمم » و« على كل شيء » متعلق بـ « قدير » وهو خبر لحرف التأكيد .

٩ ـ (يا أيها النبى جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم ومأواهم جهنم وبئس المصير)

« جاهد » فعل أمر من باب المفاعلة ، و« الكفار » مفعول به ، و« المنافقين » عطف على « الكفار » و « اغلظ » فعل امر ، عطف على « جاهد »

« ومأواهم جهنم » الواو للاستيناف و مدخولها مبتداء و « جهنم » خبره

و « بئس المصير » الواو للاستيناف ، و مدخولها من أفعال الذم ، و « المصير » فاعل الفعل على حذف المخصوص بالذم أى بئس المصير مصيرهم إلى جهنم .

١٠ ـ (ضرب الله مثلا للذين كفروا امرأت نوح وامرأت لوط كانتا تحت عبدين من عبادنا صالحين فخانتاهما فلم يغنيا عنهما من الله شيئاً و قيل ادخلا النار مع الداخلين)

« مثلا ـ وامرأة نوح » منصوبان على أنهما مفعولا « ضرب » وقيل : « امرأة نوح » منصوبة على البدل من « مثلا » على تقدير حذف مضاف ، و تقديره : مثل امرأة نوح ، ثم حذف « مثلا » الثانى لدلالة الاول عليه .

« للذين » متعلق بقوله : « مثلا » والمعنى : ضرب الله مثلا يمثّل به حال الذين كفروا أنهم لاينفعهم الاتصال بالعباد الصالحين ، و قيل : متعلق بقوله : « ضرب » والمعنى: ضرب الله الامرأتين، وما انتهت إليه حالهما مثلا للذين كفروا ليعتبروا به ، وليعلموا انهم لاينفعهم الاتصال بالصالحين من عباده ، وانهم بخيانتهم النبى صلى الله عليه وآله وسلم من أهل النار لامحالة .

« وامرأة لوط » عطف على « إمرأة نوح » و « كانتا تحت عبدين » نعت من « امرأة نوح وإمرأة لوط » وقيل : حال منهما ، و قيل : مستأنفة . و « صالحين » نعت من « عبدين » و « فخانتاهما » الفاء للتفريع ، ومدخولها فعل ماض لتثنية المؤنث : امرأة نوح وامرأة لوط ، و « هما » فى موضع نصب ، مفعول به ، راجع إلى « عبدين » و « فلم يغنيا » الفاء للتفريع و « لم يغنيا » فعل مضارع لتثنية المذكر مجزوم بحرف الجحد ، وضمير التثنية راجع إلى « عبدين صالحين » و ضمير « عنهما » راجع إلى « امرأة نوح وإمرأة لوط » و « ادخلا » فعل أمر، خطاب لامر أتى نوح ولوط و « النار » مفعول به وقيل : مفعول فيه أى فى النار .

١١ ـ (وضرب الله مثلا للذين آمنوا امرأة فرعون اذقالت رب ابن لى عندك بيتاً فى الجنة ونجنى من فرعون وعمله ونجنى من القوم الظالمين)

« امرأة فرعون » بدل من قوله : « مثلا » على تقدير : مثل امرأة فرعون،

و « اذ » ظرف ، عامله « مثلا » و « عندك » ظرف متعلق بـ « ابن » وقيل :متعلق بمحذوف حال من « بيتا » و « رب » مناد على حذف حرف النداء ، وياء التكلم اذ أصله : ياربي ، و « ابن » فعل أمر و « بيتا » مفعول به ، و« نجني » فعل أمر من باب التفعيل ، والنون للوقاية، والياء للتكلم وحده .

١٢ - (ومريم ابنت عمران التي أحصنت فرجها فنفخنا فيه من روحنا و صدقت بكلمات ربها وكتبه وكانت من القانتين)

« ومريم ابنت عمران » عطف على « امرأت فرعون » و قيل : على تقدير : اذكر مريم ، وقيل : على تقدير : مثل مريم ، و « التي » موصولة ، و « أحصنت » فعل ماض من باب الأفعال ، و فاعله : ضمير مستترفيه راجع إلى الموصول ، و « فرجها » مفعول به ، والجملة صلة الموصول ، والجملة بتمامها في موضع نصب نعت من « مريم » و « فنفخنا » الفاء للتفريع ، ومدخولها فعل ماض للتكلم مع غيره ، و ضمير « فيه » راجع إلى « فرجها » و « صدقت - و كانت » عطف على أحصنت .

﴿ البيان ﴾

١ - (يا أيها النبى لم تحرم ما أحل الله لك تبتغى مرضات أزواجك والله غفوررحيم)

نداء إقبال وتشريف للنبى الكريم ﷺ وتنبيه بالصفة على عصمته ﷺ واشعار بانه الذى ينبىء بأسرار التحليل والتحريم الالهى ، وتعليم لعباده كيف يخاطبون نبيّهم اثناء محاوراته ، ويذكرونه خلال كلامهم .

وانماهودعوة من رب كريم فى لطف ورفق الى النبى الكريم ﷺ ألاّ يمنع نفسه عما أحل الله جل وعلاله ، وألاّ يشقّ على نفسه إرضاءاً لبعض أزواجه الخائنة وقد جعله الله تعالى فى سعة من أمره .

وفى تعليق الخطاب والنداء بوصف النبوة دون الرسالة تخصيص به ﷺ فى نفسه دون غيره حتى يلائم وصف الرسالة .

ومن هنا يعلم : ان القول : بان الخطاب مشوب بعتاب لتحريم النبى ﷺ لنفسه بعض ما أحل الله له غير وجيه .

قوله تعالى: « لم تحرم ما أحل الله لك » سؤال تلطف ، ولذلك قدّم قوله : « يا أيها النبى » كما فى قوله جل وعلا : « عفى الله عنك لم اذنت لهم » و معنى « تحرّم » : تمنع لا التحريم المشروع بوحى من الله تعالى ، و انما هو امتناع لتطييب خاطر بعض أزواجه المتظاهرة عليه ﷺ وليس فى ارتكاب ذلك جناح .

وفى ابهام حظر نفسه عما كان له حلال إشعار بان المبهم ليس بأهمية مالابد أن يعلم كنهه ، إلا ان فى قوله تعالى : « تبتغى مرضات أزواجك » ايماءاً إلى

انه كان من الامور الزوجية لاترتضيه أزواجه ﷺ فتظاهرن عليه ﷺ و كدن له وآذينه حتى أرضاهن بالحلف على تركه من بعد لرفع ما كنّ عليه من الكيد والاذى . . . ودفاع عن كيانه اذ هددنه بالمظاهرة عليه ﷺ .

فتوهم بعض المستشرقين : ان النبي ﷺ غيّر بعض أحكام الله تعالى ، وليس هذا منه الا إخلالا بوظيفته ، وهذا مناف لامانته على رسالته مدفوع .

قيل : اريد بالتحريم : التسبب إلى الحرمة بالحلف لظاهر قوله تعالى : «قد فرض الله لكم تحلة أيمانكم» بان رسول الله ﷺ حلف على ذلك ، ومن شأن الحلف انه ان كان الحلف على الفعل يوجب عروض الوجوب ، و إن كان على الترك يوجب الحرمة، فحلف ﷺ على ترك المحلل ، فقد حرّمه بالحلف ،فليس المراد تشريعه ﷺ على نفسه الحرمة فيما شرّع الله جل وعلا له فيه الحلية ثم أمره الله تعالى بتحلة يمينه .

وقوله تعالى : «تبتغي مرضات أزواجك» تقرير لبيان الداعي إلى حظر النبي ﷺ نفسه عما أحل الله تعالى له ، وعتاب على أزواجه ﷺ فانهن أوجبن على ذلك ويؤيده قوله تعالى خطاباً لهما : «ان تتوبا إلى الله فقد صغت قلوبكما مع قوله فيه «غفور رحيم» .

وقوله تعالى : «والله غفور رحيم» مستأنف سيق للحث على التوبة وندامة الازواج عما كن عليه من الكيد والزيغ وايذاء النبي ﷺ ، و وعد بالغفران والرحمة .

٢ - (قد فرض الله لكم تحلة أيمانكم والله مولاكم وهو العليم الحكيم)

إلتفات من خطاب النبي الكريم ﷺ إلى خطاب المؤمنين لتقرير ما جرى بين رسول الله ﷺ وبين بعض أزواجه بعد ما أشار إليه على سبيل الابهام في خطابه تعالى لنبيه ﷺ ، وإشعار إلى بعض آثار مغفرة الله جل و علا ورحمته وهو مافرضه الله تعالى وحكم به من التحلل من الايمان بالكفارة عنها إذا كان التحلل من اليمين خيراً من إمضائها .

و فى الاية دلالة على أن النبى صلى الله عليه وآله وسلم كان قد حلف على الترك ، و أمرله بتحلّة يمينه بالكفارة ، فالتحلة تحليل اليمين ، فكأن اليمين عقدو الكفارة حلّ.

و فيها تذكير بان الله تعالى قدشرع كفارة اليمين للمسلمين وهى تكون وسيلة للرجوع عما أقسموا الايمان عليه من امور يجوز الرجوع عنها ، و ينطوى فى التذكير تنبيه النبى صلى الله عليه وآله وسلم إلى هذه الوسيلة .

قوله تعالى : « والله مولاكم » إشارة إلى سبب غفرانه و رحمته و لطفه و رعايته لمواليه ، فالخلق كلهم عبيد الله جل و علا والله سيدهم و مولاهم .

قيل : و فى هذا إشارة إلى ـ مارية ـ التى كانت مولاة ، و ملك يمين لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ولم تكن زوجاً له بعد . . و ان مارية و غيرها من نساء النبى صلى الله عليه وآله وسلم على سواء عند الله تعالى لانهنّ جميعاً من موالى الله عزوجل ، فلم ينظرن إلى ـ مارية ـ هذه النظرة التى يرينها فيها أبعد من أن تاخذ مكانها معهن فى بيت الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ؟

و قوله تعالى : « و هو العليم الحكيم » إشارة إلى تعليل تشريع الحكم ، و ما فيه من الحكمة .

٣ ـ (و اذ أسر النبى الى بعض أزواجه حديثا فلما نبات به وأظهره الله عليه عرف بعضه و أعرض عن بعض فلما نباها به قالت من أنباك هذا قال نبانى العليم الخبير)

تقرير لما هو كالدليل على علم الله جل و علا ، و بيان لما وقع بين النبى الكريم صلى الله عليه وآله وسلم وبين بعض أزواجه ، و لما أطلع الله تعالى رسوله صلى الله عليه وآله وسلم على إفشاء حفصة ما أسره النبى صلى الله عليه وآله وسلم لها ، و طلب منها أن تكتمه ، ولا تنبىء به أحداً ، و لكنها خانت و نبأت به عائشة وفى التعبير عن كشف هذا السرّ بقوله : «نبأت به » إشارة إلى ماكان لهذا الحديث عند إظهاره من أثر فى بيت النبى صلى الله عليه وآله وسلم و انه أحدث هزّة كما ان هذا شأن كل نباء . . لان النباء هو الخبر المثير الذى يغطّى على غيره من الاخبار .

و فى الآية ايماء إلى امور اجتماعية هامة :

أحدها ـ انه لا مانع من الا باحة بالا سرار إلى ما تركن إليه من زوجة او صديق .

ثانيها ـ انه يجب على من استكتم الحديث أن يكتمه .

ثالثها ـ انه يحسن التلطف مع الزوجات فى العتب والاعراض من الاستقصاء فى الذنب .

٤ ـ (ان تتوبا الى الله فقد صغت قلوبكما و ان تظاهرا عليه فان الله هو مولاه و جبرئيل و صالح المؤمنين والملائكة بعد ذلك ظهير)

التفات من الغيبة إلى الخطاب لحفصة بنت عمر بن الخطاب ، و عائشة بنت أبى بكر لتقرير ان قلوبهما قد انحرفت عن سواء السبيل بما فعلتا من الكيد و الخيانة والتظاهر على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم و ايذائهما اياه صلى الله عليه وآله وسلم . . .

و فى الالتفات مبالغة فى التوبيخ والعتاب عليهما ، و ذلك لان المبالغ فى العتاب يصير المعاتب اولاً بعيداً عن ساحة الحضور ثم اذا اشتد غضبه توجه إليه وعاتبه بما يريد ، و من هنا لم يأمرهما بالتوبة بل خيّرهما بالتوبة ـ و إن كانت بعيداً عنهما الاعتقاد قلبيهما خلاف الاستقامة فى طاعة النبى صلى الله عليه وآله وسلم ـ و بالتظاهر مع الانذار و التنديد لان الله تعالى ناصره و أعظم جنده معينه .

قوله تعالى : « فقد صغت قلوبكما » تعليل لعرضة التوبة عليهما و إشارة إلى سبيلها وحسم لمادة الاعتذار عنهما .

فهذه استعارة و معنى صغت قلوبكما : مالت و انحرفت ، و لم تمل على الحقيقة وانما اعتقد قلباهما خلاف الاستقامة فى طاعة النبى صلى الله عليه وآله وسلم ـ فحسن أن توصف بميل القلبين من هذا الوجه .

ولا يبعد أن يكون جمع القلوب إشارة إلى أن القلبين قد أصبحا قلوباً لما وقع فيهما من خواطر مختلفة : من الزيغ و الكيد والايذاء . . ذهب كل خاطر بشطر منها ، فكان كل قلباً مجموعة من القلوب .

وقوله تعالى : « وإن تظاهرا عليه الخ » وعد وتبشير وتسلية للنبى الكريم ﷺ بانه فى حماية الله جل و علا و ينصره روح الامين ، و يدفع عنه ﷺ صالح المؤمنين خاصة والملائكة كافة فى كل موقف من مواقفه ، وتهديد ووعيد شديد على ابنتى عمر بن الخطاب وأبى بكر : حفصة وعائشة لخيانتهما وتظاهرهما على رسول الله ﷺ وايذائهما اياه ﷺ .

وقد أعظم الله تعالى شأن الحماية والنصرة لنبيه ﷺ على هاتين الضعيفتين تنبيهاً إلى عظم كيدهما وايذائهما ، و مبالغة فى قطع أطماعهما و لتوهين أمر تظاهرهما . وفى الجملة من الأمر السياسى حقاً مالا يخفى على أهله .

وقوله تعالى : « فان الله هو مولاه » سبب متصل بالشرط الثانى ، وتعليل لما تقدم أى فلن يعدم من يظاهره ، فان الله تعالى هو ناصره وتطمين وتأييد للنبى ﷺ وفيه دلالة على أن لله جل وعلا عناية خاصة بنبيه ﷺ ينصره و يتولى أمره من غير واسطة من خلقه ، والمولى : الولى الذى يتولى أمره و ينصره على من يريده بسوء .

وقوله تعالى : « و جبرئيل » فى تخصيص جبرئيل بالذكر مع كونه من الملائكة تعظيم وتشريف له .

وقوله تعالى : « وصالح المؤمنين » ايماء إلى فرد كامل وهو مظهر الايمان والصلاح بخلاف أن يقال : الصالح من المؤمنين اوصالحو المؤمنين ، فانه لا يفيد الا التساوى بين الافراد فى الصلاح والايمان .

وفى إفراد « صالح المؤمنين » إشارة إلى أن الذى يكون فى هذا الركب الكريم الذى ينتظم جبرئيل روح الامين و الملائكة لابد أن يكون على درجة عالية من الايمان والصلاح يكاد يرتفع بها إلى عالم الملائكة بل هو أعلى منه ، وهذا نفر قليل من المؤمنين .

و هذا يناسب ماورد عن فريقين : ان المراد بصالح المؤمنين هو الامام أمير المؤمنين على بن ابيطالب عليه السلام فانه فرد اكمل الصلحاء والمؤمنين .

فالقول - بان فيه شمولا لجميع المؤمنين فلو قيل : صالحون من المؤمنين او صالحو المؤمنين لم يكن الشمول على حدّ الذى يقال : و صالح المؤمنين مدفوع .

وقوله تعالى : « و الملائكة » هذا من باب عطف العام على الخاص لافادة التعميم ، وافراد الاول بالذكر اهتماماً بشأنه .

و قوله تعالى : « بعد ذلك » فى الاشارة وجوه : أحدها - إشارة إلى مظاهرة صالح المؤمنين خاصة . ثانيها - إشارة إلى مظاهرة جبرئيل فقط . ثالثها - إلى العموم ، وعلى هذا فى الاشارة بيان بعدية مظاهرة الملائكة تدارك لما يوهمه الترتيب الذكرى من أفضلية المقدم ، فكأنه قيل بعد ذكر مظاهرة المتقدم ان سائر الملائكة بعد ذلك ظهير له صلى الله عليه وآله وسلم ، وفيه ايذان بعلو رتبة مظاهرتهم ، و بعد منزلتها وجبر لفصلها عن مظاهرة جبرئيل عليه السلام .

وقوله تعالى : « ظهير » فى إفراد الخبر دلالة على أنهم متصفون فى نصرة متحدون صفاً واحداً . و ان جبريل وصالح المؤمنين و الملائكة كلهم جند الله جل وعلا ينصرون رسوله صلى الله عليه وآله وسلم ، وفى جعل الملائكة بعد ولاية الله تعالى وجبريل وصالح المؤمنين تعظيم وتشريف .

و فيه انذار يتضمن معنى التنديد أيضاً موجه لاثنتين من أزواج النبى صلى الله عليه وآله وسلم ، فلتعلما ان الله تعالى حافظه و حاميه ، وروح الامين و صالح المؤمنين والملائكة أعوانه صلى الله عليه وآله وسلم ...

٥- (عسى ربه ان طلقكن أن يبدله أزواجا خيراً منكن مسلمات مؤمنات قانتات تائبات عابدات سائحات ثيبات وأبكاراً) .

توبيخ شديد ثان وتهديد لازواج النبى صلى الله عليه وآله وسلم بالطلاق ، وايماء إلى أنهن كأنهن لسن « مسلمات - إلى - سائحات » فان التظاهر على النبى الكريم صلى الله عليه وآله وسلم لايناسب أية من تلك الصفات ، اذاً فطلاقهن و تبديلهن بمسلمات ليس الاّ طلاق نساء عاديات عاريات عن تلك الصفات الفاضلة .

و في الالتفات من التثنية إلى الجمع تغليب و تعميم يعم لاكثر نساء النبي ﷺ.

قوله تعالى: «مسلمات مؤمنات الخ» بيان للخيرية، وملاكها على النساء المتقدمات، فالملاك ليس اتصالهن بالرسول ﷺ ظاهراً، و مشرفات بشرف زوجية النبي ﷺ، فما هو ملاك الخيرية هو الاتصال القلبي والرابطة المعنوية والعمل على مقتضاها.

وفي ذكر الصفات دلالة على عدم اتصاف حفصة بنت عمر وعائشة بنت أبي بكر اللتين اشير إليهما في الاية السابقة بتلك الصفات، والا لم تكن غيرهما خيراً منهما، وفي الاية ردّ على من زعم: ان عائشة كانت مبرأة من العيوب الاعتقادية

و فيها دلالة على أنها نزلت لتفضيحهما بين المؤمنات بانهما تظاهران على النبي ﷺ و تؤذيانه ﷺ و هما رأس المنافقات، كما ان سورة المنافقين نزلت لتفضيح المنافقين رأسهم عبدالله بن ابي.

وفيها وعد وتبشير وتسلية للنبي ﷺ واستغناء إلهي بترجي ابداله ﷺ إن طلقهن أزواجاً خيراً منهن.

٦ - (يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم و أهليكم ناراً وقودها الناس و الحجارة عليها ملائكة غلاظ شداد لايعصون الله ما أمرهم و يفعلون مايؤمرون).

اطلاق الهتاف يجعله عاماً شاملا لكل المسلمين في كل ظرف و مكان ليقوا أنفسهم وأهليهم من أهوال القيامة وعذابها اذ فيها فزع ونارها شديدة هائلة وحرّاسها أشداء أقوياء من الملائكة يسارعون إلى تنفيذ أوامر الله تعالى من غير تثاقل وتوان ولايعصونه في شيء.

و في الاية ايماء إلى انه يجب على كل مسلم: التعلم بأوامر الله جل وعلا و نواهيه، وتعليمها لاهله ليأتمروا بما امروا به وينتهوا عما نهوا عنه و يؤدّبوا أنفسهم وأهليهم بالآداب الاسلامية.

وان الاية قوية نافذة من شأنها بعث الرغبة والرهبة في السامعين : الرغبة فيما يقى أنفسهم وأهليهم من أهوال القيامة ، والرهبة من عذابها .

و فيها تنبيه للانسان من غفلته عن الأعداء المتربصة به وبأهله ، والتى إن لم يأخذ حذره منها أوردته موارد الهلاك هو وأهله .

قوله تعالى : « وقودها الناس والحجارة » إشارة إلى قوة الطاقةالحرارية لهذه النار التى تجعل الحجارة وقوداً لها كما توقدنار الدنيا بالحطب .

وقوله تعالى : «عليها ملائكة غلاظ شداد » عرض لخزنة جهنم وحرّاسها وماهم عليه من غلظة وشدة ، وهم بهذه الغلظة ، وتلك الشدة يتعاملون مع أعتى المجرمين ، وأضل الضالين ، وهم بما يطلع على أهل النار من غلظتهم و شدتهم هم عذاب إلى عذاب .

وقوله تعالى : « لايعصون الله ما أمرهم الخ » تقرير لانقياد الملائكة و امتثالهم بأو امر الله تعالى ، وعصمتهم عن مخالفتها وعن إرتكاب القبائح .

٧- (يا أيها الذين كفروا لاتعتذروا اليوم انما تجزون ماكنتم تعملون)

حكاية وموعظة للمؤمنين على سبيل الخطاب للكافرين بما يقال لهم عند دخولهم النار بان يومئذ لاعذرلكم ، وعدم قبول العذر والعذاب فى النارليس ظلماً

قوله تعالى : « انما تجزون ما كنتم تعملون » تعليل لدخولهم النار كما ان « كفروا » سبب لمنع الاعتذار ، وفى اتباع الايات السابقة بما فى هذهالاية من خطاب القهر تهديد ضمنى ، واشعار بان معصية الله تعالى و رسوله ربما أدى إلى الكفر .

٨- (يا أيها الذين آمنوا توبوا الى الله توبة نصوحاً عسى ربكم أن يكفر عنكم سيئاتكم ويدخلكم جنات تجرى من تحتها الانهار يوم لايخزى الله النبى والذين آمنوا معه نورهم يسعى بين أيديهم وبأيمانهم يقولون ربنا أتمم لنا نورنا واغفرلناانك على كل شيء قدير) .

إرشاد للمؤمنين إلى طريق التوبة المفيدة على طريق الاسناد المجازى ،

حيث ان النصح صفة التائبين ، وهو أن ينصحوا أنفسهم بالتوبة لايكون فيها شوب رياء و نفاق ، فهذه استعارة لان نصوحاً من أسماء المبالغة يقال : رجل نصوح اذا كان كثير النصح لمن يستنصحه ، وذلك غير متأت في صفة التوبة على الحقيقة، فنقول : ان المراد بذلك : ان التوبة لما كانت بالغة غاية الاجتهاد في تلافي ذلك الذنب كانت كأنها بالغة غاية الاجتهاد في نصح صاحبها ، و دلالته على طريق النجاة بها ، فحسن أن تسمى نصوحاً من هذا الوجه ، أو على سبيل الحقيقة بان النصح يكون صفة التوبة بان تنصح الناس وتدعوهم إلى مثلها بسبب ظهور أثرها من صاحبها .

قوله تعالى : « عسى ربكم أن يكفر عنكم سيئاتكم » في الايثار بصيغة الاطماع دلالة على لزوم كون الانسان بين الخوف و الرجاء جرياً على سنن الكبرياء ، وإشعار بانه تفضل منه جل وعلا ، فالتوبة وحدها غير موجبة وحيدة للغفران .

وقوله تعالى : « يوم لايخزي الله النبي والذين آمنوا معه » عرضهم يوم القيامة في معرض التشريف و التكريم ، حيث يعرض الكافرون معرض الخزي والهوان ، وفيه تعريض بمن أخزاهم الله تعالى من أهل الكفر والعصيان و إشعار بان الايمان هو وسيلة النجاة ومانع الخذلان .

وقوله تعالى: « يسعى بين أيديهم وبأيمانهم » بيان لبعض أحوال المؤمنين في هذا اليوم ، وذلك انهم سائرون إلى الجنة يتقدمهم نور يسعى بين أيديهم ونور يتشعشع في أيمانهم .

وقوله تعالى : « يقولون ربنا أتمم لنا نورنا واغفرلنا » بيان لما يطلبونه من ربهم يوم القيامة .

وقوله تعالى : « انك على كل شيء قدير » تعليل لما طمعوا في إجابة الدعاء

٩- (ياأيها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم ومأواهم جهنم وبئس المصير) .

هتاف للنبي ﷺ أمر ﷺ بان يقوم في هذه الحياة الدنيا بما يملك من وسائل الردع والكبت للكافرين ومن إليهم من المنافقين ، وان النبي الكريم ﷺ سلطان الله تعالى ، وبهذا السلطان يؤدّب الكفار والعصاة ويأخذ المجرمين .

قوله تعالى : « ومأواهم جهنم وبئس المصير » إشارة إلى موقف التوأمين: الكفار والمنافقين يوم القيامة وسوء عاقبتهم ، ووعيد شديد عليهم .

١٠ـ (ضرب الله مثلا للذين كفروا امرات نوح وامرأت لوط كانتا تحت عبدين من عبادنا صالحين فخانتاهما فلم يغنيا عنهما من الله شيئا وقيل ادخلا النار مع الداخلين) .

ضرب المثل في أمثال تلك المواقع عبارة عن ايراد حالة غريبة ليعرف بها حالة اخرى مشاكلة لها في الغرابة ، فضرب الله تعالى في المقام مثلاً لهاتين ضعيفتين : حفصة وعائشة حالاً ومآلاً بامرأة نوح وامرأة لوط اذ نافقتا وخانتا زوجيهما النبيين حثاً لهما وللنساء عامة على التوبة والطاعة ، وتقريراً لهما ان مصاحبة الرسول ﷺ مع مخالفته لاتنفعهما ، اذ لايغني أحداً في الاخرة قريب ولانسيب اذا فرّق بينهما الدين .

قوله تعالى : « امرأة نوح وامرأة لوط » هذا شرح وتفصيل لحالهما ويتضح بذلك حال حفصة وعائشة زوجتي النبي الكريم ﷺ .

وقوله تعالى : « كانتا تحت عبدين من عبادنا الصالحين » اشارة إلى ان سبب الكرامة وملاك الرجحان عند الله تعالى ليس الا العبودية والصلاح كائناً من كان ، وبيان لحالهما الداعية لهما إلى الخير والصلاح وهي العبودية .

ولم يقل تحتهما تعظيما وتكريماً لهما وتفريقاً لهما منهما مع كونهما تحتهما كناية عن كمال قربهما منهما أي كانتا في عصمة نبيين عظيمي الشان متمكنتين من تحصيل خير الدنيا والاخرة ، وحيازة سعادتهما ولكنهما ما اكتسبتاهما .

في تلخيص البيان : للسيد **الرضي** رضوان الله تعالى عليه في قوله سبحانه : « كانتا تحت عبدين » قال : وهذه استعارة لان وصف المرأة بانها تحت

الرجل ليس يراد به حقيقة الفوق والتحت ، انما المراد : ان منزلة المرأة منخفضة عن منزلة الرجل لقيامه عليها ، و غلبته على أمرها كما قال سبحانه : « الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما أنفقوا من أموالهم » و كما يقول القائل : فلان الجندى تحت يدى فلان الامير اذا كان من شحنة عمله ومتصرفاً على أمره ، و كما يقول الاخر : لا أخذ رزقى من تحت يدى فلان اذا كان هو الذى يلى اطلاق رزقه وتوفية مستحقه وذلك مشهور فى كلامهم . انتهى كلامه رفع مقامه .

ان تسئل : مافائدة قوله تعالى : « من عبادنا » بعد قوله جل وعلا « عبدين »

تجيب : فائدته مدحهما و الثناء عليهما باضافتهما إليه إضافة التشريف و التخصيص والتكريم كما فى قوله تعالى : « وعباد الرحمن » و قوله سبحانه : « فادخلى فى عبادى » وهو مبالغة فى المعنى المقصود ، وهو ان الانسان لا ينفعه الا صلاح نفسه لا صلاح غيره ، وان كان ذلك الغير فى أعلى مراتب الصلاح والقرب من الله تعالى ، ومن نفسه .

وقوله تعالى : « فخانتاهما » بيان لما صدر عنهما من الجناية العظيمة مع تحقق ماينافيها من صحبة النبى ، وتصوير لحالهما المحاكية لحال هؤلاء الكفرة فى خيانة حفصة وعائشة على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بالنفاق والعصيان مع تمكنهما التام من الايمان والطاعة .

وما كانت خيانة امرأة نوح وامرأة لوط فجوراً ، وانما هى نفاقهما وابطانهما الكفر وتظاهرهما على النبيين كما كانت خيانة حفصة وعائشة نفاقهما وابطانهما الكفر وتظاهرهما على رسول الله الاعظم صلى الله عليه وآله وسلم وايذائهما اياه .

وقوله تعالى : « فلم يغنيا الخ » بيان لما أدى اليه خيانتهما ، وفى بناء الفعل « قيل » للمفعول ، واطلاق « الداخلين » من غير تعيينهم بانهم قومهما او الكفار إشارة الى هوان أمرهما ، وعدم كرامة لهما اصلا ، فلم يبال بهما أين هلكتا

١١ - (وضرب الله مثلا للذين آمنوا امرأة فرعون اذ قالت رب ابن لى عندك بيتا فى الجنة ونجنى من فرعون وعمله ونجنى من القوم الظالمين)

فى التمثيلين تعريض بزوجتى النبى صلى الله عليه وآله وسلم لما فرط منهما من التظاهر و الايذاء والخيانة على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وتحذير لهما على أغلظ وجه ، و إشارة إلى أن من حقهما أن تكونا فى الاخلاص والايمان وصالح العمل كهاتين المؤمنتين ـ آسية امرأة فرعون ومريم ـ وأن لا يتكلا على أنهما زوجا نبى الله صلى الله عليه وآله وسلم و أن لا تكونا فى النفاق والخيانة والايذاء كامرأة نوح وامرأة لوط.

ففى الاول تحذير لهما عما كانتا عليه سالكتين مسلك امرأة نوح وامرأة لوط ، والثانى ترغيب فى التمسك بالايمان والاخلاص والثبات فى الدين ذاهبتين مذهب آسية زوجة فرعون ومريم بنت عمران، وفيه تنبيه إلى ان الرابطة الزوجية بالنبى صلى الله عليه وآله وسلم ليس من شأنها أن تنجيهما من عذاب الله تعالى او تضمن لهما رضائه وان هذا وذاك متوقف على سلوكهن وعملهن : حقاً وباطلا ، صلاحاً وفساداً ،فلا ينجى المرء الاّ عمله مستقلا عن أية رابطة تربطه بغيره .

وفى التمثيلين تلقين تقريرى لشخصية المرأة واستقلالها السلوكى وأهليتها لتحمل نتائج هذا السلوك وتذوق حصيلته .

قوله تعالى حكاية : « رب ابن لى عندك بيتا فى الجنة » فى الجمع بين كون البيت المبنى لها عندالله سبحانه ، وفى الجنة لكون الجنة دار القرب من الله جل وعلا وجوار رب العالمين، مع ان الحضور عنده تعالى ، والقرب منه كرامة معنوية ، والاستقرار فى الجنة كرامة صورية ، فسؤال الجمع بينهما سؤال الجمع بين الكرامتين . وفى « رب » تنبىء إلى تربية خاصة الهية تنجيها عن هذه الورطة المهلكة وفى « ابن لى » رفض لكل عامر ملائكى و سواه إلى معمار الكون أن يبنى لها بيتا بمشيئة دون وسائط . . .

وقوله تعالى حكاية: عن امرأة فرعون أيضاً : « ونجنى من فرعون وعمله» تبرأ آسيه من زوجها فرعون وعمله تجنبا عن الأسرة الفاسدة ، وسؤال أن ينجيها الله تعالى من شخص فرعون و عمله الذى تدعو ضرورة المصاحبة والمعاشرة إلى الشركة فيه والتلبس به .

وقوله تعالى : حكاية ايضاً : « ونجنى من القوم الظالمين » هذا تبرء آخر منها ، وسؤال أن ينجيها من المجتمع العام الفاسد كما ان الجملة السابقة كانت سئوال أن ينجيها من المجتمع الخاص الفاسد .

وفيه دلالة على ان الاستعاذة بالله جل وعلا من الاشرار والابتعاد عن أعداء الله تعالى دأب الصالحين .

وفى تقديم آسية إمرأة فرعون على مريم بنت عمران دلالة على أن بنوة عمران واخوة هارون وامومة عيسى لاتغنى عنها شيئاً ، وما يغنى المرء هو التقوى كما ان آسية امرأة فرعون كانت متحللة نسبيا وسببياً عن ذلك كله ، ولكنها بالتقوى فى بيت الطاغى وجو الباغى تستحل مكانة عليا لحد تقدمها فى الذكر على مريم عليها السلام لا لسبق زمنى فحسب .

ومن غير خفى : ان الامرأة الوحيدة بمملكة عريضة عند أعظم ملوك الارض وأطغاهم وأقواهم فى قصر عديم النظير ، تجد فيه المرأة كل ما تشتهيه ، فهى فى هذه الاوساط الكافرة ، تحت ضغط الملك والحاشية والبلاط ، وضغط المجتمع السام فى خضم هذه الظلمات الطاغية ... انها وحدها ترفضها كلها و تعتبرها سجناً و شراً ونحساً تستعيذ بالله جل وعلا منها .

وهى تطلب من الله تعالى أن يبنى لها بيد الالوهية بيتا فى الجنة يعوضها به عن قصرها وأن ينجيها من شر الطاغية ـ فرعون ـ وهى ألصق الناس به ! ومن عمله ، وهى تعيش تحت رحمته ومن آله وأتباعه : « ونجنى من القوم الظالمين » .

وحقاً ان امرأة فرعون لنموذج عال فى الاستعلاء على عرض الحياة وزهرتها فى أجمل صورة وأزهرها ، والتجرد لله جل وعلا من كافة الجواذب المتخلفة و الهواتف المضللة والمعوقات القوية ، ولتسمح لنفسها أن تطلبه هذا الطلب العظيم

« رب ابن لى عندك بيتا فى الجنة » ثم تطلب النجاة الثلاث : من « فرعون » الطاغى « و عمله » الفاسد و « من القوم الظالمين » همج الرعا والمردة العمياء .

١٢ ـ (ومريم ابنت عمران التى أحصنت فرجها فنفخنا فيه من روحنا وصدقت بكلمات ربها وكتبه وكانت من القانتين)

تقرير لنيلها رضا الله تعالى عنها وتكريم الله جل وعلا لها بالايمان والطاعة والعفة بلا أية رابطة بعصمة الرجال .

قوله تعالى : « التى أحصنت فرجها » تطهير وثناء عليها ، احصان الفرج كناية عن طهارتها وعفتها عما رماها به اليهود العنود من البغاء والفجور .

وقوله تعالى : « من روحنا » إضافة تكريم وتشريف كما ان جمع المضاف اليه للتعظيم، فلا تعنى أنها بعض من ذات الله سبحانه على ماتوهمه بعض المتوهمين تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً .

وفى تذكير « القانتين » من غير أن يقال : « من القانتات » وجوه: احدها للتغليب والاشعار بان طاعتها لم تقصر عن طاعة الرجال الكاملين حتى عدت من جملتهم أو من نسلهم لانها من أعقاب هارون أخى موسى عليه السلام فهى ولدت « من القانتين » فتكون « من » لابتداء الغاية .

فالمعنى : كانت مريم عليها السلام من القوم المطيعين لله جل وعلا فهم رهطها و أهلها فكأنه تعالى قال : وكانت من بنات الصالحين المطيعين .

ثانيها - ان التذكير تذكير لنا ان القنوت فى الرجل يتغلب على مافى النساء عدة وعدة ، فكان من الافضل أن تعدفى قنوتها من عداد الرجال ، رجولة فى قنوطها وبطولة فى تصديقها .

وذلك لانه لما كان القنوت صفة تشمل من قنت من القبيلين غلب ذكوره على إناثه ، فيكون « من » للتبعيض .

ثالثها - فى التذكير مبالغة بمساواتها فى الطاعة لكامل الرجال .

رابعها - ان الله تعالى لما تقبلها فى النذر وأعطاها مرتبة الذكور الذين كان لايصلح النذر الا بهم ، فعاملها الذكور فى بعض الخطاب إشارة إلى ذلك قال الله تعالى : « واركعى مع الراكعين » .

خامسها - رعاية للفواصل كقوله تعالى : « انك كنت من الخاطئين » فلم يقل : « من الخاطئات »

﴿الاعجاز﴾

ان هذه السورة تهتف أولا بالنبى ﷺ إلفات رفيق وعتاب كريم أن يتهيأ لاستقبال ماجرى بينه وبين أزواجه لما فيه من عظات وعبر تخفيفاً عن نفسه و تسرية لهمومه ﷺ .

فالسورة إذاً أدب معجز فى اسلوبها ونظمها ، و تأديب معجز فى منهجها و تربية معجزة فى تقديرها وحسابها للنفس الانسانية الكريمة ، وما يعلق بها من شوائب . . .

وهذا النظم يبهر ويسحر فى تناغم الكلمات وتجاوب ألحانها مع المواقف الذى تعرضه و تدعو الناس اليه ، انها تعلن عن مأساة انسانية فى بيت من بيوت النبوة التى جعلها الله تعالى شموساً تطلع فى الحياة ، وتكشف عن الناس ماغشيهم من ظلال وضلال .

ولو كان القرآن الكريم من تلقاء نفس محمد ﷺ لما عاتب نفسه ظاهراً وصراحاً ، وما أفشى مالابد من إسراره من الامور الاسروية والرباط الزوجية .

وبالتدبر فيما ابتدأت السورة واختتمت بها نجدها كتاباً لايشبهه كتاب ، و آية إلهية و معجزة لا كسائر المعجزات ، نجدها نوراً لا كسائر الانوار ، سراً لا كسائر الاسرار ، و كلاماً لايشبهه كلام .

فهى كلام الله الحى القيوم الذى ليس لروح القدس : جبرئيل الامين عليه السلام منه الا نقله بلفظه العربى من سماء الافق الاعلى إلى هذه الارض ، ولا لمحمد رسول الله وخاتم النبيين ﷺ الا بيانه للناس سواء كان فى معرض التوجيه أو

الملاطفة والعتاب أوالانعام والامتنان ،أوالمواساة والتسرية أوالتعليم والتدريب.. إلى غير ذلك مما حمل القرآن الكريم من ألوان الخطاب للنبي ﷺ والحديث إليه ليهتدوا .

وهذه السورة معجزة للخلق بلفظها ونظمها و اسلوبها ، وبمعارفها و كشف حقائق وأسرار لم يكن في استطاعة محمد ﷺ أن يأتيها .

وان التدبر في قوله تعالى حكاية عن رسوله ﷺ : « قال نبأني العليم الخبير » : ٢) يلهمنا وجه اعجازه من كونه اخباراً بالغيب فتدبر جيداً .



﴿ التكرار ﴾

نشير فى المقام إلى صيغ ست لغات - أوردنا معانيها اللغوية على سبيل الاستقصاء فى بحث اللغة - جائت فى هذه السورة وفى غيرها من السور القرآنية:

١- جاءت كلمة (التوبة) على صيغها فى القرآن الكريم نحو: ٨٧ مرة:

٢- « « (الأصفاه) « « « « « : مرتين:

١- التحريم : ٤) ٢- الانعام : ١١٣) .

٣- « « (القنت) « « « « « : ١٣ مرة:

٤- « « (السيح) « « « « « : ثلاث مرات:

١- التحريم : ٥) ٢و٣- التوبة : ٢ - ١١٢)

٥- « « (الثيب) « « « « « : مرة واحدة: وهى سورة التحريم : ٥) .

٦- « « (الغلظ) « « « « « : ١٣ مرة:

لم يذكر فى القرآن الكريم إسم إمرأة صراحة غير مريم عليها السلام ، و قد ذكرت هى فيه بصراح نحو : أربع وثلاثين مرة فى اثنتى عشرة سورة على ماتليه:

١- البقرة : ٨٧-٢٥٣) .

٢- آل عمران : ٣٦ - ٣٧ - ٤٢ - ٤٣ - ٤٤ - ٤٥)

٣- النساء : ١٥٦ - ١٥٧ - ١٧١)

٤- المائدة : ١٧ - ٤٦ - ٧٢ - ٧٥ - ٧٨ - ١١٠ - ١١٢ - ١١٤ - ١١٦) .

٥- التوبة : ٣١) .

٦- مريم : ١٦- ٢٧ - ٣٤)

٧- المؤمنون : ٥٠)

٨- الاحزاب : ٧)

٩- الزخرف : ٥٧)

١٠- الحديد : ٢٧)

١١- الصف : ٦ - ١٤)

١٢- التحريم : ١٢) .

و قد جاء قوله تعالى : « التي أحصنت فرجها فنفخنا فيه من روحنا» في هذه السورة : ١٢) وفي سورة الانبياء : « والتي أحصنت فرجها فنفخنا فيها من روحنا » : ٩١)

وذلك لان مافي سورة التحريم مقصور على ذكر إحصانها وتصديقها بكلمات ربها و كتبه ، فكأن النفخ أصاب فرجها و هو مذكر فخصّت بالتذكير « فيه » .

وأما المقصود في سورة الانبياء ،فذكرها وما آل إليه أمرها حتى ظهر فيها إبنها ، وصارت هي ووليدها آية ، وذلك لايكون الا بالنفخ في حملها وتحملها ، والاستمرار على ذلك إلى ولادتها ، فاختصت بالتأنيث « فيها »

« التناسب »

ان البحث فى المقام على جهات ثلاث

أحدها ـ التناسب بين هذه السورة وما قبلها نزولاً .

ثانيها ـ التناسب بينها وما قبلها مصحفاً .

ثالثها ـ التناسب بين آيات هذه السورة نفسها

أما الاولى : فان هذه السورة نزلت بعد سورة الحجرات ، فالتناسب بينهما فبامور : أحدها ـ لما جاء فى سورة الحجرات مافيه تأديب لأبى بكر وعمر إنما ورد فى نزول أوائلها : ان وفداً من بنى تميم قدم إلى المدينة ، فاقترح أبوبكر تأمير شخص منهم عليهم ، واقترح عمر تأمير شخص آخر ، فقال أبوبكر لعمر : ما أردت الا خلافى ، ونفى عمر ذلك ، وتماريا حتى ارتفعت أصواتهما ، و ذلك كان فى حضرة النبى صلى الله عليه وآله وسلم وقبل أن يسئلهما رأيهما، أويبدى رأيه صلى الله عليه وآله وسلم فنزلت تأديباً لهما ، نزلت هذه السورة فى ابنتيهما ـ حفصة وعائشة ـ إذخانتا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وآذتاه ، وتظاهرا عليه تأديباً لهما وتفضيحهما .

ثانيها ـ لما جاء فى سورة الحجرات نهى المؤمنين عن الكفر و الفسق و العصيان والخلاف والبغى وما إليها من ذميم الصفات ، وتهديد من لم يتب، جاءت هذه السورة بتفضيح بنت عمر وعائشة بنت أبى بكر لارتكا بهما مانهيتا عنه .

ثالثها ـ لماجاء فى سورة الحجرات هتاف للناس جميعا بان الله تعالى خلقهم مساوين من ذكر وانثى، وان تفرقهم إلى شعوب وقبائل للتعارف وليس للتفاضل، و انما التفاضل والكرامة عندالله جل وعلا بالايمان والطاعة و التقوى ، فلاشأن

للنسب والقرابة ورباط الزوجية في التفاضل والكرامة ،جائت هذه السورة مستشهدة على ذلك بامرأة نوح وإمرأة لوط في جانب الخلاف ، وبحال إمرأة فرعون ومريم في جانب الوفاق ؛ فلابد من تطبيق حفصة وعائشة على صاحبتيهما .

رابعها ـ لما نفت سورة الحجرات الايمان عن طائفة ، و اثبتته للاخرين اشير في سورة التحريم إلى الفريقين على طريق انطباق الجزء على الكل . . .

وأما الثانية: فتناسب هذه السورة بما قبلها مصحفاً فبامور أيضاً :

أحدها ـ لما جاء في سورة الطلاق أحكامه ، والحدود التي لابد للامة المسلمة كافة أن يلتزموها في حال رباط الزوجية من حسن معاشرة النساء و القيام بحقوقهن ، وفي حال ينتهي الامر فيها إلى الفراق ، و حل عرا الزوجية القائمة بين المرء وزوجه ، جائت سورة التحريم لتقرير ماحصل بين النبي الكريم ﷺ وبعض أزواجه ، وما وقع في محيط حياته الزوجية من الخيانة والايذاء والتظاهر عليه ﷺ تسلية من جهة ، وتعليماً من جهة اخرى لامته ﷺ أن يجدوا أمر النساء ، وأن يعاملوهن بسياسة اللين والغلظة حسب الاقتضاء كما عامل النبي ﷺ بعض أزواجه ـ حفصة بنت عمر بن الخطاب وعائشة بنت أبي بكر ـ بذلك إذ خانتا وتظاهرا على رسول الله ﷺ وأن ينصحوهن ، و يهددوهن عند الاقتضاء .

ثانيها ـ اشتراك السورتين في الاحكام المخصوصة بالنساء ، و اشتراك الخطاب بالطلاق في أول السورة السابقة ، والخطاب بالتحريم في أول هذه السورة مع كونهما مفتتحتين بخطاب النبي الكريم ﷺ .

ثالثها ـ ان السورة السابقة بصدد خصام نساء الأمة ، وهذه السورة في خصومة نساء النبي الكريم ﷺ وقد أفردن بالذكر تحذيراً وتفضيحا لهن بانهن اللائي يتوقع منهن في الزوجية ـ وهن في أسرة الوحي وبيت النبوة بحيث كان لنساء الامة فيهن اسوة حسنة ـ مالا يتوقع من غيرهن ، فاذا كانت نساء النبي ﷺ متظاهرات على رسول الله ﷺ فكيف بغيرهن ؟

فاذاً لابد أن يكون لنساء الامة اسوة حسنة فى امرأة فرعون ومريم عليهما السلام من الايمان والتقوى والطاعة والعفاف . ...

فجاءت هذه السورة بذكر أربع نساء : ثنتان منها خائنتان : و هما إمرأة نوح وامرأة لوط ـ وقد تبعتهما حفصة وعائشة ـ وزوجهما نبيان مرسلان ، واثنتان اخريان صالحتان : وهما امرأة فرعون الطاغي ومريم عليهما السلام لازواج لها ، فنساء الامة فى خيار بين اتباع الفريقين: فريق الكفر والخيانة ، وفريق الايمان والامانة فريق النفاق وايذاء الزوج ، وفريق الاخلاص وطاعة الزوج . . . تنبيها على ان الكرامة عندالله تعالى بالايمان وصالح العمل لابالزوجية للنبى والرسول اذكانت زوجة الطاغي والتى لازوج لها من أهل الجنة وزوجة النبى من أصحاب النار .

رابعها ـ لما ختمت السابقة بما يدل على عظمة الله تعالى و كمال علمه و قدرته ، وإحاطته بالكون وما فيه ، افتتحت هذه السورة بان الامر اذاكان كذلك فلا ينبغى للعبد أن يمتنع عما أحله الله تعالى له إرضاءاً لبعض أزواجه ، وخاصة اللائى صغت قلوبهن وليس فيها إلا النفاق .

وحقاً ان أسرار التنزيل ورموزه فى كل باب بالغة من اللطف والخفاء حداً يدق عن تفطن العالم ويزل عن تبصره .

وقيل: لما ختمت سورة الطلاق المتضمنة لاحكام الطلاق وتهديد الكفار على مخالفة أحكامه وتعظيم شأن رسوله صلى الله عليه وآله وسلم عقّبها سورة التحريم المتضمنة لبيان حكم تحريم الزوجة بالحلف على ترك مقاربتها ، وتهديد الكفار وتعظيم الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ، ووعده بالنصر على أعدائه ، وغيرها من جهات الارتباط .

وقيل: ان الله تعالى كما خاطب فى السورة السابقة رسوله صلى الله عليه وآله وسلم بصفة النبوة إجلالا له ، خاطبه صلى الله عليه وآله وسلم فى هذه السورة ايضاً بصفة النبوة تكريماً له صلى الله عليه وآله وسلم و فى الاولى عند ذكر حكم تحريم الزوجة بالطلاق ، وفى الثانية عند بيان حكم تحريم الزوجة بالحلف على ترك المقاربة .

وقيل: ان السورة السابقة مشتملة على طلاق النساء ، و هذه السورة على

تحريم الاماء .

واما الثالثة: فلما خاطب الله تعالى نبيه ﷺ بحسن التلطف وتنويه شأنه بقوله : « يا أيها النبى . . الخ » وجه الخطاب إلى امته ﷺ فشرع لهم تحليل أيمانهم بالكفارة عنها تعظيما لقدر النبوة وإجلالا لمنصب الرسالة ، فكأن الامتناع عما أحله الله تعالى باليمين ما وقع من النبى ﷺ فقال : « قد فرض الله لكم..الخ مع الاشارة إلى علة التشريع .

ثم أخذ بتفضيح بعض نساء النبى ﷺ ـ التى طلب ﷺ رضاها بامتناع ما أحله الله تعالى له ﷺ فكانت هى سبباً لذلك الامتناع ـ بقوله : « وا ذأسر النبى . . الخ » مع الاشارة إلى ماهو الدليل القاطع ، والبرهان الساطع على علمه تعالى بخفايا الامور . . .

ثم وجّه الخطاب لحفصة وعائشة مبالغة فى العتاب والتهديد مع التنبيه إلى وجههما ، ووعد نبيه ﷺ بالنصر على من يريده بالكيد والخداع بقوله تعالى : « إن تتوبا إلى الله . . الخ »

ثم وجّه الخطاب إلى نساء النبى ﷺ عامة تخويفاً وتهديداً لهن أن يتبعن حفصة وعائشة فى الخيانة والايذاء والتظاهر على النبى ﷺ مع تسلية النبى الكريم ﷺ ووعده بخيرهن لو اتبعن هاتين الخائنتين . .

لما حكت الايات الخمس السابقة ماحكته من الحادث الذى وقع فى بيت الوحى من بعض نساء النبى ﷺ بما آلمه ﷺ حيث هناك أطهر النفوس و أكرمها ، وأنذرتهن ونددت بهن ، وطلبت منهن التوبة ، و مع هذا فان النفس البشرية لم تسلم من العوارض التى تظهر فى سمائها حينا بعد حين ، فتحتاج إلى مراقبة ومحاسبة حتى تنقشع السحب الظلام عن سمائها ، و يعود إليها صفائها و إشراقها ، فاذا كان هذه فى بيت النبوة فماظنك بما يقع فى آفاق النفوس خارج هذا البيت الكريم من زلات وهزّات تتصدع لها النفوس وتضلّ معها القول ؟ وإذن فالامر يحتاج إلى مراقبة دائمة من الانسان لنفسه و لاهله ، وحراسة واعية من

الافات التى تتهدد ايمانه وايمان أهله ، وترعى مواطن الخير . .

جاء هتاف عام بالمؤمنين فى قوله تعالى: « يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم و أهليكم ناراً . . الخ » مع الاشارة إلى أوصاف النار وخزنتها تنبيها إلى أن من خالف ما امر به فهو والنار من غير اعتذار له يوم القيامة و من ثم وجّه الخطاب للكفار نافياً عنهم الاعتذار بقوله : « يا أيها الذين كفروا . . الخ » مع الاشارة إلى سبب النهى عن الاعتذار .

ثم وجّه الخطاب إلى المؤمنين دعوة لهم الى التوبة الصادقة الخالصة قبل ذهاب الفرصة لو أهملوا فيما امروا به من وقاية أنفسهم وأهليهم مع الاشارة إلى نتائج التوبة حثالهم عليها ليقوا أنفسهم و أهليهم بذلك من أهوال يوم القيامة و عذابها ، ويستحقوا فيه مغفرة الله جل وعلا ، ورحمته ورضوانه وجناته بقوله تعالى: « يا أيها الذين آمنوا توبوا إلى الله توبة نصوحاً . . . الخ » .

لما وعّد الله تعالى الكافرين بالنار التى وقودها الناس والحجارة من غير قبول عذرلهم بعد فوت الاوان لما خالفوا دعوة الحق إلى الايمان بالله تعالى ووقفوا تجاه هذه الدعوة و صدّوا الناس عن سبيل الله علانية ، و أمر المؤمنين بالتوبة الخالصة والرجوع إلى الله تعالى فوقف المنافقون موقف الخلاف سراً أمر الله جل وعلا نبيه ﷺ بالوقوف من الفريقين ـ وهما التوأمان يرتضعان من لبن واحد ـ موقف المجاهدة والشدة ، ولينذر بمصيرهم الاخروى المحتم وهو جهنم حتى يتوبوا إلى رشدهم اوتقطع أذنابهم حتى لاتكون فتنة بين المجتمع البشرى ويكون الدين كله لله تعالى ، فقال : « يا أيها النبى جاهد الكفار والمنافقين . . الخ »

لما جاءت الايات الخمس من أوائل السورة لعرض موقف بعض أزواج النبى ﷺ الذى لايناسب بيت الوحى ، وقد كاد هذا الموقف الذميم يخرجهن من بيت النبى ﷺ ويحرمهن هذا المكان الكريم اللائى هن فيه محفوفات برحمة الله تعالى ورضوانه ، انتهى الكلام إلى تعرّض أحوال مختلفة لبعض النساء اذ كان بعضهن فى بيت النبوة، فلما لم يستقمن على طريق الحق والخير والطاعة و الامانة

فى سر الاسرة أخذ هن الله تعالى ببأسه ، وألقى بهن خارج بيت النبوة يتخبطن فى ظلمات الكفر والضلال .

وكانت عاقبتهن الخسران والوبال والدخول فى نار جهنم مع الداخلين من غير إغناء حرم النبوة عنهن اللائى تحصّن فيه ظاهراً وهتكن ستره خفاءاً ، فجاء بحالة ثلاث فئات من النساء وموقفهن ومصائرهن بقوله تعالى : « ضرب الله مثلا للذين كفروا . . . إلى آخر السورة »

الفئة الاولى : كافرات في عصمة نبيين كريمين ، والمثل البارز هنا امرأة نوح وامرأة لوط ، فقد خانتا زوجيهما وكفرتا فلم تنفعهما زوجيتهما بنبى ولم يغن زوجاهما عنهما من الله شيئاً ، وحقت عليهما كلمة العذاب فالنار مثواهما مع أهل الكفر الضلال .

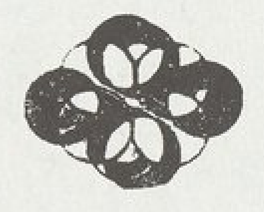
الفئة الثانية : مؤمنة -عكس الاولى- فى عصمة كفار طغاة متمردين على الله تعالى ، والمثال على ذلك آسية بنت مزاحم امرأة فرعون الطاغى ، أشد عباد الله كفراً وطغياناً ، ومع هذا فقد استنارت بصيرة امرأته بنور الهدى فآمنت بالله جل وعلا ، وأنابت إليه تعالى ، وأبصرت طريقها إليه وسط هذا الظلام المتراكم واستنكرت ظلم زوجه و كفره ، ودعت الله تعالى أن - ينجيها منه ومن عمله ومن كل من اتصف بالظلم والطغيان ، وأن يكون لها بيت عنده فى الجنة .

الفئة الثالثة : مؤمنة لم ترتبط بعصمة الرجال ، والمثال عليها مريم ابنة عمران ، فقد آمنت بالله تعالى و كتبه وخضعت له واعتصمت به و أحصنت فرجها فكرمها الله تعالى بان ينفخ فيه من روحه .

وفى ذلك كله تقرير بان الرابطة الزوجية بالنبى ليس من شانها أن تنجى الزوجة من عذاب الله تعالى اوتضمن لها رضاه ، وان هذا وذاك متوقف على عملها وسلوكها ، مع التنبيه إلى ان المرء لاينجيه الا عمله مستقلا عن أية رابطة ترابط بغيره فتدبر واغتنم

* الناسخ والمنسوخ والمحكم و المتشابه *

ولم أجد من الباحثين كلاماً يدل على أن في هذه السورة ناسخاً أومنسوخاً او متشابهاً ، فظاهر آياتها محكمات والله تعالى هو أعلم .



﴿ تحقيق في الاقوال ﴾

١ - (ياأيها النبي لم تحرم ما أحل الله لك تبتغي مرضات أزواجك والله غفور رحيم)

في قوله تعالى: « لم تحرم ما أحل الله لك تبتغي مرضات أزواجك » أقوال:

١ - عن عائشة: كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يمكث عند زينب بنت جحش ويشرب عندها عسلاً و يأكل، فتوا طأت أنا و حفصة ان أيتنا ما دخل عليها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فلتقل: إني أجد منك ريح مغافير أكلت مغافير؟ فدخل صلى الله عليه وآله وسلم على إحداهما، فقالت له ذلك، فقال صلى الله عليه وآله وسلم: بل شربت عسلاً عند زينب ولن أعود له.

المغافير: بقلة او صمغة متغيرة كريهة الرائحة فيها حلاوة ينضحها شجر يقال له: العرفط يكون بالحجاز.

٢ - قيل: ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم شرب عند حفصة عسلاً، فقالت عائشة له صلى الله عليه وآله وسلم: أنت شربت المغافير؟ فحرّم العسل على نفسه.

وعن عائشة أيضا: كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يحب الحلواء والعسل، فكان اذا صلى العصر دار على نسائه، فيدنو منهن، فدخل على حفصة، فاحتبس عندها أكثر مما كان يحتبس، فسئلت عن ذلك، فقيل لي: أهدت لها امرأة من قومها عكّة من عسل، فسقت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم منه شربة، فقلت: أما والله لنحتا لن له، فذكرت ذلك لسودة و قلت: اذا دخل عليك فانه سيدنو منك، فقولي له: يا رسول الله أكلت مغافير؟ فانه سيقول لك لا، فقولي له: ما هذه الريح؟ و كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يشتد عليه أن يوجد منه الريح - فانه سيقول لك سقتني حفصة شربة عسل،

فقولى له : جرست نحلة العرفط ، و سأقول ذلك له ، و قوليه أنت يا صفية فلما دخل على سودة ـ قالت ـ تقول سودة والله الذى لا اله الا هو لقد كدت أن أباديه بالذى قلت لى و انه لعلى الباب فرقاً منك ، فلما دنا رسول الله ﷺ قالت : يا رسول الله أكلت مغافير ؟ قال : لا قالت : فما هذه الريح ؟ قال : سقتنى حفصة شربة عسل قالت : جرست نحلة العرفط ، فلما دخل على قلت له مثل ذلك ، ثم دخل على صفية ، فقالت بمثل ذلك ، فلما دخل على حفصة قالت : يارسول الله ألا أسقيك منه ، قال : لاحاجة لى به ، قالت : تقول سودة : سبحان الله لقد حرمناه قالت : قلت : لها اسكتى .

٣ ـ عن ابن عباس : ان رسول الله ﷺ شرب العسل عند سودة ، فتواطأت عائشة و حفصة على أن تقولا له ﷺ : نجد منك ريح المغافير ، فحرم على نفسه شرب العسل ، فقال : والله لاأذوقه .

٤ ـ عن مجاهد والضحاك و قتادة وعطاء و ابن عباس أيضاً و ابن زيد وعمر بن الخطاب و زيد بن أسلم ومسروق : كان ذلك مارية القبطية ام ابراهيم ، وهى مملوكة النبى ﷺ قد أهداها له ﷺ المقوقس ملك الاسكندرية ، فأصابها فى بيت حفصة ، فعلمت به ، فجزعت منه لانها كانت غارت بان خلا بها رسول الله ﷺ فى يومها وفى حجرتها ، فقال لها : ألا ترضين أن احرمها بيمين فلاأقربها؟ قالت : بلى ، فحرمها ، وقال ﷺ : لا تذكرى ذلك لاحد ، فذكرته لعائشة ، فتظاهرا عليه ﷺ فأظهره الله تعالى عليه ﷺ فآلى لايدخل على نسائه شهراً ، فاعتزلهن تسعاً و عشرين ليلة فى بيت مارية حتى نزلت الايات .

وقيل : دخل رسول الله ﷺ بام ولده مارية فى بيت حفصة فوجدته حفصة معها وكانت حفصة غابت إلى بيت أبيها ، فقالت له ﷺ : تدخلها بيتى ما صنعت بى هذا من بين نسائك الا من هوانى عليك ، فقال ﷺ لها : لاتذكرى هذا لعائشة فهى حرام ان قربتها فذكرته لعائشة .

٥ ـ عن شداد بن الهاد وابن أبى مليكة : كان النبى ﷺ حرم شراباً من

الاشربة المحللة .

٦ - قيل : قد حرّم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم شيئاً من الاشياء المحللة من غير علم لنا به .

٧ - قيل : قد حرّم الله تعالى طعاماً من الأطعمة .

٨ - عن عطاء والسدى : حرّم النبى صلى الله عليه وآله وسلم عسلاً شربه عندام سلمة ابتغاء مرضاة بعض زوجاته لانعلمها .

٩ - قيل : ان النبى صلى الله عليه وآله وسلم حرّم مارية القبطية و العسل معاً على نفسه لما تقدم .

١٠ - عن عكرمة و ابن عباس أيضاً : ان المرأة هيام شريك وهبت نفسها للنبى صلى الله عليه وآله وسلم فلم يقبلها لاجل أزواجه .

١١ - قيل : خلارسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بمارية فى يوم عائشة وعلمت بذلك حفصة فقال لها: اكتمى علىّ وقد حرّمت مارية على نفسي فاخبرت به عائشة وكانتامتصادقتين

١٢ - قيل : ان الله تعالى لم يبيّن ما حرّمه نبيه صلى الله عليه وآله وسلم ما هو ؟ وماذا كان؟ الاّ ان قوله تعالى : « تبتغى مرضاة أزواجك » يؤمى انه كان عملاً من الاعمال المحللة التى يقترفها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لا ترتضيه أزواجه فضيّقن عليه صلى الله عليه وآله وسلم و آذينه حتى أرضاهن بالحلف على أن يتركه ولا يأتى به بعد .

أقول : و يؤيد السياق الرابع منها وخاصة قوله تعالى : « تبتغى مرضات أزواجك » اذ ليس فى ترك شرب العسل اوترك أكل الطعام رضا أزواجه وفى ترك قرب مارية رضاهن و يؤيده ايضاً ما أوردناه فى بحث النزول .

وفى قوله تعالى : « والله غفور رحيم » أقوال : ١ - قيل أى ينبغى على نساء النبى صلى الله عليه وآله وسلم أن يطلبن رضاك ، فلولم يفعلن ذلك « و الله غفور » يغفر لهن « رحيم » يرحمهن فى عدم سعيهن فى تحصيلهن رضاك ، و يرحم بهن اذا تابوا من الذنوب .

٢ - قيل : يغفرلك لمنعك نفسك عن انتفاع ما أحل الله تعالى من باب :

حسنات الابرار سيئات المقربين ، رحيم بك با عطاءك الاجر العظيم على تحملك مشاق صحبتهن و ايذائهن و كيدهن .

٣ ـ أى غفور لما أوجب المعاتبة على ترك الاولى ، و انه لم تكن له صغيرة ولا كبيرة ، رحيم برفع المؤاخذة .

و ذلك لان الامتناع من انتفاع الملاذ لسبب او لغير سبب لايكون ذنباً ولا قبيحاً ؛ وان تطييب قلوب النساء ولو كان بترك بعض الملاذ مما لا تنكره العقول .

٤ ـ قيل : أى والله غفور لعباده ، رحيم بهم اذا رجعوا إلى ما هو الاولى و الأليق بالتقوى يرجع لهم إلى التولى .

٥ ـ قيل : اى وقد غفر لك امتناعك عما أحله لك ، رحيم بهم أن يعاقبهم على ماتوا منه من الذنوب .

٦ ـ قيل : هذا دعوة النبى الكريم صلى الله عليه وآله وسلم إلى أن يتحلل من يمينه التى حلفها بألا يقرب مارية ، فالله تعالى يغفر له صلى الله عليه وآله وسلم هذه اليمين بالكفارة عنها والله جل وعلا غفور ، وهو سبحانه رحيم يرحم الرسول الكريم نفسه صلى الله عليه وآله وسلم

ان الغفران هنا الستر على ما كان يخشاه منهن ، والغفر على الحرمة الحاصلة باليمين اذ فرض له صلى الله عليه وآله وسلم تحلته ، وبذلك نعرف انه صلى الله عليه وآله وسلم ما فعل محظوراً فى الشريعة يبادر بالغفران « غفور » وبالرحمة البالغة « رحيم » فلو كان إثماً لم يغفر الا بالتوبة .

أقول : و الاخير هو المستفاد من السياق ، وهو المؤيد با لروايات الآتية فانتظر .

٢ ـ (قد فرض الله لكم تحلة أيمانكم والله مولاكم وهو العليم الحكيم)

فى جمع الضمائر الثلاثة : « لكم ـ أيمانكم ـ مولاكم » أقوال : ١ ـ عن الحسن : اريد بهم الامة الاسلامية كافة ، و أما النبى صلى الله عليه وآله وسلم فلم يكفر فانه قد غفر له ماتقدم من ذنبه ، وما تأخر ، و كفارة اليمين فى هذه السورة انما امر بها الامة.

٢ ـ عن مقاتل : اريد منها النبى صلى الله عليه وآله وسلم ، فأتى بالجمع تعظيما و تكريماً

لانه ﷺ أعتق رقبة فى تحريم مارية القبطية وعاد إليها.

٣ـ قيل: ان الحكم عام شامل للنبى ﷺ والامة.

أقول: و الأخير هو المؤيد بالروايات الآتية، والانسب بسياق العموم.

وفى قوله تعالى: «تحلة أيمانكم» أقوال: ١ـ قيل: أى تحلة اليمين: تحليلها بالكفارة، فكأن اليمين عقد، والكفارة حلّ.

وليست هذه التحلة المفروضة عن مطلق الايمان بالكفارة فانه حرام لكونه حنثاً لما فرض، و انما هي التحليل عما حرم باليمين دون مبرر واقعي، و إن كان له مبرر حسب ما يراه الحالف، وتحلة يمين النبى ﷺ كانت بأداء الكفارة، فالتحلل عما حرّم على نفسه ﷺ.

فالكفارة وسيلة للتحلل من الايمان، فشرع الله تعالى كفارة اليمين للمسلمين لتكون وسيلة للرجوع عما أقسموا الايمان عليه من امور يحسن الرجوع عنها، فالمعنى: شرع الله تعالى لكم تحليلها بالكفارة، وقد قدّر تعالى لكم ما تحللون به أيمانكم اذا فعلتموها وشرع لكم الحنث فيها لان اليمين ينحل بالحنث، فسمى ذلك تحلة.

٢ـ قيل: التحلة: الاستثناء أى فدشرع الله تعالى لكم الاستثناء فى أيمانكم

٣ـ قيل: التحلة: الكفارة أى أنها تحلّ للحالف ما حرّم على نفسه أى اذا كفّر صار كمن لم يحلف، فسمى الكفارة تحلة لانها تجب عند انحلال اليمين، وفى هذا دلالة على انه قد حلف، ولم يقتصر على قوله: هى عليّ حرام. لان هذا القول ليس بيمين.

والمعنى: فرض الله عليكم كفارة أيمانكم.

أقول: وعلى الاول أكثر المحققين.

٣ ـ (و اذ أسر النبى الى بعض أزواجه حديثاً فلما نبات به وأظهره الله عليه عرف بعضه و أعرض عن بعض فلما نباها به قالت من أنباك هذا قال نبانى العليم الخبير)

فى قوله تعالى : « حديثا » أقوال : ١ ـ قيل : هذا حديث تحريم الرسول ﷺ مارية القبطية اذ امتنع عنها ، فحرّمها على نفسه ، فأخبر ذلك بحفصة و نهاها أن لاتقول لغيرها ، فقالت لعائشة .

٢ ـ قيل : هذاحديث توطئة أبى بكر وعمر للخلافة بعد وفاة النبىّ الكريم ﷺ فأخبر رسول الله ﷺ بحفصة بذلك بعائشة ، فأظهرتا ذلك فعصيانهما : إفشاء ما أسر الرسول ﷺ من توطئة أبى بكر وعمر للخلافة بعد وفاته ﷺ و إفشاع سرّ الاسرة ذنب و معصية ، و فى الاية دستور النساء الامة المسلمة فى حفظ أسرار الاسرة ، و عدم افشاعها ، و من هناذم الله تعالى إمرأتى لوط و نوح حيث تفشيان أسرار أسرتهما للناس .

فى الجامع لاحكام القرآن للقرطبى ـ من أعلام العامة ـ روى الدار قطنى فى سننه عن الكلبى عن أبى صالح عن إبن عباس فى قوله تعالى : « واذأسر النبى إلى بغض أزواجه حديثا » قال: اطلعت حفصة على النبى ﷺ مع ام ابراهيم فقال : « لا تخبرى عائشة » وقال لها: « ان أباك وأباها سيملكان او سيليان بعدى فلا تخبرى عائشة » قال : فانطلقت حفصة فاخبرت عائشة فأظهره الله عليه ، فعرّف بعضه و أعرض عن بعض قال : أعرض عن قوله : « ان أباك وأباها يكونان بعدى» كره رسول الله ﷺ أن ينشر ذلك فى الناس .

٣ ـ قيل : هذا ما أسرّه إلى حفصة انه كان يشرب عسلا عند زينب بنت جحش وقال : لن أعود له وقد حلفت لاتخبرى بذلك أحداً .

٤ ـ قيل : هذا حديث شامل لما جرى بين النبى ﷺ وبين حفصة من قصة مارية القبطية وماأسرّه إلى حفصة : ان أباك وأبا عائشة يتصديان أمر الخلافة بعدى على امتى .

اقول : وعلى الاول أكثر المفسرين ولكن ما ورد النزول يؤيد الاخير.

وفى قوله تعالى : « وأظهره الله عليه » أقوال : ١ ـ قيل : أى اطلع الله تعالى بلسان جبرئيل نبيه ﷺ على المنبأ به من إفشاء حفصة سرّ النبى ﷺ وقدطلب

منها أن تكتمه .

٢ ـ قيل : أى أعلم الله تعالى رسوله ﷺ على ما أخبرت به حفصة عائشة وما همّوا على قتل النبى الكريم ﷺ .

٣ـ قيل : أىأظهرالله تعالى الحديث على النبى ﷺ فيكون من الظهور.

أقول : و الاول هو الانسب بظاهر السياق .

وفي قوله تعالى : « عرّف بعضه و أعرض عن بعض » **أقوال** : ١ ـ **قيل**:معناه عاتب النبى ﷺ حفصة على بعض ما أفشته من سرّه ﷺ وصفح وعفى عن الباقى.

٢ ـ عن السدى : أى عرّف النبى ﷺ حفصة بعض ما اوحى إليه ،فأخبرت عائشة بمانهاها عن أن تخبرها ، و أعرض عن بعض كراهة أن ينشر بين الناس،فلم يخبرها بما يعلم مما همّوا من قتله .

٣ ـ قيل : معناه ان رسول الله ﷺ أعلم حفصة جميع ذلك وعرّفها اياه، فلما أخبر ﷺ زوجته بذلك عرفها انها أفشت سرّه .

٤ ـ قيل : أى عرّف النبى ﷺ حفصة بعض الحديث الذى أفشته لعائشة وهو حديث مارية القبطية ، وأعرض عن بعض الاخر من الحديث ، فلم يخبرها ببعض وهو : ان أبابكر وعمرسيملكان بعده و يتصديان أمر الخلافة .

٥ ـ قيل : المعرّف هوحديث الخلافة ، و المعرض عنه حديث مارية ، و انما أعرض عن بعض تكرماً .

عن الحسن : أى ما استقصى كريم قط ، اذ عرف النبى ﷺ حفصة بعض ما أفشته ، و أعرض عن بعضه الاخر ، فلم يخبرها جميع ما أفشته ، وكان ﷺ قد علم جميع ذلك لان الاعراض انما يكون بعد المعرفة لكنه اخذ بمكارم الاخلاق والتغافل عن خلق الكرام .

٦ـ قيل : فكشف النبى ﷺ عن بعض الحديث الذى أذاعته حفصة ولم يذكرلها كل ما دار بينها و بين من أفشت لها به ، و ما اتفقتا عليه من كيد فيما بينهما .

فكان الحديث متبعضاً عرف بعضه يستحق الاسرار حفاظاً عن كرامة النبى ﷺ التى تمس منها بمظاهرتهما، وله علاقة عريقة بالقضايا النسائية تحرضهن على المظاهرة، فحرّم رسول الله ﷺ مارية على نفسه أسر المجموع إلى حفصة ابقاء للسر فى البعض الاول، واسراراً لما خلف فى الثانى، وكان الثانى ضماناً لعدم افشاء القصة فى اولاها فلما نبأت عائشة بهما مما أبدى فيها الغيرة النسائية، فأخذتا فى التظاهر عليه ﷺ.

٧- قيل: أى غضب النبى ﷺ على حفصة، وجازاها بان طلّقها تطليقة ثم راجعها بأمر الله تعالى هذا على قراءة «عرف» بالتخفيف ثلاثياً. وقيل، جازاها بان همّ بطلاقها.

اقول: وعلى الرابع المحققون، وعلى الخامس أكثر المفسرين.

٤- (ان تتوبا الى الله فقد صغت قلوبكما وان تظاهرا عليه فان الله هو مولاه وجبريل وصالح المؤمنين والملائكة بعد ذلك ظهير)

فى قوله تعالى: «فقد صغت قلوبكما» أقوال: ١- قيل: أى مالت قلوبكما إلى ما كرهه رسول الله ﷺ من الامتناع من مارية القبطية.

٢- عن مجاهد وابن مسعود والضحاك وسفيان: أى زاغت ومالت عن الحق قلوبكما إلى الباطل، وعن الاستقامة إلى الانحراف، وعن الامانة وحفظ الاسرار إلى الخيانة و إفشاء الاسرار...

٣- عن ابن عباس و مجاهد أيضاً: أى أثمت قلوبكما بمعصية الرسول ﷺ و ايذائه.

٤- عن ابن زيد: أى مالت قلوبهما بان سرّهما أن يحتبس عن ام ولده فسرّهما ما كرهه رسول الله ﷺ.

٥- عن مجاهد: أى فقد مالت قلوبكما إلى التوبة.

٦- قيل: أى ضاقت قلوبكما عن سبيل الاستقامة، و عدلت عن الثواب إلى ما يوجب الاثم.

اقول : و على الثانى أكثر المفسرين .

و فى قوله تعالى : «وان تظاهرا عليه» أقوال : ١ - عن ابن عباس : أى إن تتعا ونا على النبى صلى الله عليه وآله وسلم بالايذاء و المعصية .

٢ - عن الضحاك : أى تظاهرا على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بالكيد و الخداع و الخيانة و الميل إلى الفساد و الانحراف عن الصلاح والاستقامة .

٣- قيل : كان أذى حفصة برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إفشاءها سرّه صلى الله عليه وآله وسلم وأذى عائشة به صلى الله عليه وآله وسلم عتابها عليه صلى الله عليه وآله وسلم بالسرّ .

أقول : ان الشمول هوالمستفاد من ظاهر الاطلاق .

و فى قوله تعالى : « صالح المؤمنين » أقوال : ١- عن مجاهد وأسماء بنت عميس وابن عباس وابن سيرين : هوالامام أمير المومنين على ابن ابيطالب عليه السلام

٢- عن سفيان والعلاء بن زيد وقتادة : هم الانبياء عليهم السلام

٣- عن سعيد بن جبير : كل من يصلح ايمانه وعمله ، وبرىء من النفاق.وقال الزجاج : صالح هنا ينوب عن الجميع كماتقول : يفعل هذا الخير من الناس تريد كل خير . وقال أبومسلم : هو صالحو المؤمنين على الجمع ، وسقطت الوا و فى المصحف لسقوطها فى اللفظ .

٤ - عن ابن زيد : هم الملائكة .

٥ - عن السدى : هم أصحاب محمد صلى الله عليه وآله وسلم .

٦- عن الضحاك : أى خيارالمؤمنين .

اقول : و الاول هوالمؤيد بالروايات الكثيرة الواردة عن طريق العامة و قد أورد نانبذة منها فى بحث النزول ، وعن طريق أهل بيت الوحى عليهم السلام وعليه جمهور المحققين .

٥- (عسى ربه ان طلقكن أن يبدله أزواجاً خيراً منكن مسلمات مؤمنات قانتات تائبات عابدات سائحات ثيبات وابكاراً)

فى قوله تعالى : « خيراً منكن » أقوال : ١- قيل : أى أكثر منكن .

٢ - قيل : أى أفضل منكن . ٣ - قيل : أى أصلح منكن .

٤ - قيل : اريد بالخير : ضد الشر وذلك من فقدن تلك الصفات فهن شرور

أقول : والاخير هو ظاهر السياق . ان الخير - فى الاصل - : ضد الشر ، و قد يقابل به الضر اذا اريد به الاسم ، و يراد به الوصف لوجاه للتفاضل .

وفى قوله تعالى : « مسلمات » أقوال : ١ - قيل : مستسلمات لأمر الله تعالى و رسوله و لكل ما أمرهن أزواجهن به . ٢ - عن سعيد بن جبير : أى مخلصات . ٣ - قيل : أى مقرات بالاسلام ، ومظهراته .

أقول : وعلى الاخير أكثر المفسرين .

وفى « مؤمنات » أقوال : ١ - قيل : أى مصدقات بما أمرن به و نهين عنه .

٢ - قيل : أى يعتقدن بما يظهرنه ، و يعلمن بما يعتقدنه .

٣ - قيل : أى مصدقات لله و رسوله ، مستحقات للثواب والتعظيم .

٤ - قيل : أى مصدقات فى أفعالهن وأقوالهن . ٥ - قيل : أى مخلصات.

أقول : والثانى هو حقيقة الايمان من غير تناف بينه وبين غيره .

وفى « قانتات » أقوال : ١ - قيل : أى مطيعات لله تعالى ولازواجهن .

٢ - عن قتادة : أى ساكتات عن الخنا والفضول .

٣ - قيل : أى خاضعات متذللات لامر الله تعالى ، مطيعات لازواجهن ،

أقول : والاخير هو الانسب بمعناه اللغوى .

وفى « تائبات » أقوال : ١ - قيل : اى تائبات من ذنوبهن ، و راجعات إلى الله تعالى فى كل حال . ٢ - قيل : أى راجعات إلى أمر الرسول ، تاركات لمحاب أنفسهن . ٣ - قيل : أى نادمات على تقصير وقع منهن .

أقول : والثانى هو الانسب بخيريتهن .

وفى « عابدات » أقوال : ١ - قيل : أى عابدات لله تعالى بما تعبدهن به من الفرائض و السنن على الاخلاص . ٢ - قيل : أى كثيرات العبادة لله تعالى ، و قال ابن عباس : كل عبادة فى القرآن فهو التوحيد . ٣ - قيل : أى متذللات للرسول

ﷺ بالطاعة.

أقول: وعلى الاول أكثر المفسرين.

و في «سائحات» أقوال: ١- عن ابن عباس و الحسن و ابن جبير و قتادة والضحاك: أي صائمات. ٢- عن زيد بن أسلم ويمان و الجبائي و ابن زيد: أي مهاجرات، و قيل: لاسياحة في امة محمد ﷺ الاالهجرة لقوله تعالى: «السائحون».

٣- قيل: أي سائحات في طاعة الله جل وعلا، وماضيات فيها.

أقول: والاخير هو الانسب بمعناه اللغوي.

٦- (ياأيها الذين آمنوا قوا أنفسكم و أهليكم ناراً وقودها الناس والحجارة عليها ملائكة غلاظ شداد لايعصون الله ما أمر هم ويفعلون مايؤمرون)

في قوله تعالى: «قوا أنفسكم وأهليكم» أقوال: ١- عن مجاهد و قتادة: أي قوا أنفسكم بأفعالكم و أقوالكم و نياتكم و اتقوا الله تعالى، و قوا أهليكم بوصيتكم اياهم بتقوى الله جل وعلا، واذا رأيتم انهم يعصون الله فلابدمن ردعكم اياهم وزجر تهاعنها.

٢- عن الضحاك: قوا أنفسكم، و أهلو كم فليقوا أنفسهم ناراً.

٣- عن ابن عباس: قوا أنفسكم بطاعة الله جل وعلا و اتقوا الله جل وعلا، و أمروا أهليكم بالذكر والطاعة، وبالحمل على الدعاء، فينجيكم و اياهم من النار.

فعلينا أن نطيع الله تعالى بالصبر و نقي أنفسنا عن الانهماك في معصية الله والشهوات و اتباع الهواء، ونقي أهلينا نارجهنم بدعائهم إلى طاعة الله و تعليمهم الفرائض ونهيهم عن القبائح وحثهم على أفعال الخير، وردعهم عن الشر.

٤- قيل: أي علموهم وأدبوهم، وقال مقاتل بن حيان: و هوأن يؤدب الرجل المسلم نفسه وأهله و يعلمهم الخير وينهاهم عن الشر، فذلك حق على المسلم أن يفعل بنفسه وأهله وعبيده وإمائه في تأديبهم و تعليمهم.

أقول: والتعميم هو المستفاد من الروايات الآتية فانتظر.

و فى « أنفسكم » قولان : أحدهما ـ اريد بالانفس : الاشخاص و الافراد شخصاً وفرداً . ثانيهما ـ الانفس تعم الاولاد لان الولد بعض منه كما دخل فى قوله تعالى: « ولا على أنفسكم أن تأكلوا من بيوتكم » النور : ٦١) فلم يفرد بالذكر إفراد سائر القرابات . . .

أقول : وعلى الاول أكثر المفسرين .

وفى « أهليكم » أقوال : ١ ـ قيل : الأهل : هو الذى بينه و بين الرجل تعلق روحانى سواء اتصل به إتصالاً جسمانياً أم لا كما قال تعالى في ابن نوح عليه السلام « انه ليس باهلك » هود : ٤٦) .

فكل من تعلق بالانسان تعلقاً روحانياً يجب عليه وقايته و حفظه كوقاية نفسه و حفظها ، فيشمل الاهل الاولاد والازواج و العشيرة و أهل البلد والدين ، فالموعظة والارشاد والامر بالمعروف والنهى عن المنكر من وظائف الامة المسلمة فلا يختص الاهل بالزوجة والاولاد للزوج و الوالدين بل يشمل لكل مقود لقائده، و كل مسوس لسائسه من جو الاسرة وجو المجتمع الاسلامى .

٢ ـ قيل : الأهل : العشيرة والقبيلة .

٣ ـ قيل : الأهل : الذى يخص برجل من بين نسبه وقومه .

٤ ـ قيل : الاهل: النساء ومن يختص بالانسان من الاولاد والعشيرة والاقرباء

٥ ـ قيل : الأهل : النساء والاولاد فقط .

٦ ـ قيل : الأهل : كل من فى عيال الرجل ونفقته من الزوجة ، و الولد والاخ والاخت والاصدقاء والاحبة والمصاحب لقول النبى صلى الله عليه وآله وسلم : « أيقظوا صواحب الحجر » فيدخل هذا فى عموم قوله تعالى : « وتعاونوا على البر و التقوى »

٧ ـ عن مقاتل : ذلك حق عليه فى نفسه وولده و أهله و عبيده وإمائه .

٨ ـ قيل : يعم الاهل جميع ما ذكر لعموم الحديث : « كلكم راع كلكم مسئولون عن رعيته » فالامام راع على الناس . والرجل راع على أهل بيته ، و المرأة راعية على بيت زوجها ، وعبد الرجل راع على مال سيده ، و الكل مسئول

فاذا طهّرتم أنفسكم عن دنس المعاصي و إتباع الاهواء ، فانصحوا اخوانكم حتى يأتمّون بهدايتكم فالنفس مقدم على غيرها ثم على الترتيب كما قال تعالى : « و انذر عشيرتك الاقربين » الشعراء : ٢١٤)

اقول : والاخير هو المؤيد بالروايات الواردة فانتظر .

و في « الناس » أقوال : ١ ـ قيل : هم كفار الانس . ٢ ـ قيل : هم كفار الجن . ٣ ـ قيل : العموم ، ولم يذكر الجن لانهم يتبعون الانس .

اقول : وان كان على الاول أكثر المفسرين ولكن الاخير غير بعيد .

وفي « الحجارة » أقوال : ١ ـ قيل : اريد بالحجارة : الآلهة التي كانوا يعبدونها من الاصنام وصور الملائكة والسلاطين المنحوتة لقوله تعالى : « انكم وماتعبدون من دون الله حصب جهنم انتم لها واردون » الانبياء : ٩٨) وقوله : « واما القاسطون فكانوا لجهنم حطبا » الجن : ١٥) .

فكلما عبده الكافر يصير حجارة سواء كان صنما أو شيطاناً أو ملكاً أم سلطاناً ، فتصير بصورة الحجارة فتحرق العابد والمعبود في جهنم ، فنارهم أنفسهم .

٢ ـ قيل : الحجارة : هي الحجارة الاخروية النارية المحرقة لاتطفىء أبداً

٣ ـ قيل : حطب تلك النار الناس وحجارة الكبريت ، وهي تزيد في قوة النار ، وهي مفرطة الحرارة تتقد بما ذكر لاكنار الدنيا تتقد بالحطب ونحوه .

اقول : والاخير هو المؤيد بالرواية الآتية من غير تناف بينه وبين غيره ، فتدبر جيداً .

وفي « غلاظا » أقوال : ١ ـ قيل : الغلاظ : الغلظة وهي خشونة العمل كما قال : « و اغلظ عليهم » ٢ ـ قيل : أي خشونة الخلق ، وهذا معنى غليظ القلب لا يرحمون اذا استرحموا ، وخلقوا من الغضب وحبّب إليهم عذاب الكافرين كما حبب لبني آدم أكل الطعام والشراب .

٣ ـ قيل : تعم خشونة العمل والخلق

اقول : والاخير هو ظاهر الاطلاق والنكرة والجمع .

وفي « شداد » أقوال : قيل : أي الشديد القوى في عزمه وفعله وبطشه. ٢- قيل : الشدة على غيره خلاف الفتور والمداراة على الغير .

٣ - قيل : شداد الابدان وضخامة أجسامهم ، قال ابن عباس : مابين منكبي الواحد منهم مسيرة سنة وقوة الواحد منهم أن يضرب بالمقمع ، فيدفع بتلك الضربة سبعين ألف انسان في قعر جهنم .

٤ - قيل : أي غلاظ في أخذهم النار ، شداد عليهم ، يقال : فلان شديد على فلان أي قوي عليه يعذبه بانواع العذاب وهم الزبانية التسعة عشر وأعوانهم .

أقول : والثاني هو الانسب بظاهر السياق من غير تناف بينه وبين غيره .

٧- (يا أيها الذين كفروا لاتعتذروا اليوم انما تجزون ماكنتم تعملون)

في الاعتذار وقته أقوال : ١ - قيل : الاعتذار التوبة و وقته بعد الموت ، فيقال لهم بعد موتهم : ان التوبة غير مقبولة منكم اذ لاتقبل التوبة عند الموت فكيف بعده ؟

٢ - قيل : الاعتذار :التوبة وذلك اذا وقعت الواقعة ورأوا يوم الفزع الاكبر تابوا ، فلا يلتفت إلى معاذيرهم ، فيقال لهم : ان التوبة غير مقبولة يومئذ فلا تعتذروا اذ لا عذر مقبولا لكم بناء على ان « تجزون » يدل على الجزاء الذى سيتحقق .

٣- قيل : الاعتذار : التوبة وذلك اذا رأوا العذاب عند دخولهم النار ،فيقال لهم : لاتعتذروا عندئذ اذ لاعذر مقبولاً حينئذ .

٤ - قيل : الاعتذار : عدم التقصير بانا لم نكن قاصدي الكفر و المعاصي بل أضلنا غيرنا ، وذلك بعد دخولهم في النار فيقال لهم : لاتعتذروا اذ ليس هذا بعذر لانكم لم تكونوا مضطرين بالكفر والعصيان .

٥ - قيل : انهم يريدون بالاعتذار عدم التقصير ، فيقال لهم قبل أن يعتذروا لاتعتذروا اذ لا عذر لكم وهذا بعد دخولهم في النار .

أقول : وعلى الاخير أكثر المحققين .

٨- (يا أيها الذين آمنوا توبوا الى الله توبة نصوحاً عسى ربكم أن يكفر عنكم سيئاتكم ويدخلكم جنات تجرى من تحتها الانهار يوم لا يخزى الله النبى والذين آمنوا معه نورهم يسعى بين أيديهم وبأيمانهم يقولون ربنا أتمم لنا نورنا و اغفرلنا انك على كل شى قدير)

فى «توبة نصوحاً» أقوال : ١ ـ عن ابن عباس و مجاهد والضحاك : التوبة النصوح : أن يتوب الرجل من العمل السيىء أو ترك الطاعة ثم لا يعود إليه أبداً ، ولا يريد أن يعود إليه ثانياً بعد التوبة ، و هى التوبة الصادقة كما لا يعود اللبن إلى الضرع .

٢ ـ عن قتادة: أى توبة صادقة ناصحة خالصة لوجه الله تعالى لا بلقلقة اللسان فقط كما يقال: عسل ناصح اذا خلص من الشمع ، ويقال : نصح أى أخلص له القول .

و عن ابن زيد : التوبة النصوح: الصادقة يعلم انها صدق ندامة على خطيئته، و حب الرجوع إلى طاعته فهذا النصوح .

٣ ـ قيل : لا تصح التوبة الا بنصيحة النفس والمؤمنين لان من صحت توبته أحب أن يكون للناس مثله .

فتوبة النصوح : توبة تنصح الناس أى تدعوهم إلى مثلها لظهور أثرها فى صاحبها ، و استعماله الجد والعزيمة فى العمل على مقتضياتها .

وعن سعيد بن المسيب : توبة تنصحون بها أنفسكم .

٤ ـ قيل : التوبة النصوح : هى التى تنصح صاحبها بترك العود إلى ما تاب منه ، والنصح : تحرّى فعل أو قول فيه صلاح صاحبه

٥ ـ قيل : النصح هو الخياطة ، والمنصح والنصاح : الابرة ، والنصاح : خيط الخياط كانت التوبة سميت نصوحاً لامرين : لانها تخيط ما يخرق الذنب فالتوبة تحكم طاعة التائب و توثقها كما يحكم الخياط الثوب بخياطته و يوثقه . ولانها تجمع بين التائب و بين اولياء الله و تلصقه بهم كما يجمع الخياط الثوب و يلصق بعضه ببعض .

٦ ـ عن الكلبى : التوبة النصوح أن يستغفر باللسان ، و يندم بالقلب ، و يمسك بالبدن ، والاقلاع عن الذنب والاطمينان على انه لايعود .

٧ ـ عن سعيدبن جبير : توبة النصوح : توبة مقبولة ، ولا تقبل مالم يكن فيها ثلاث : خوف أن لاتقبل ، ورجاء أن تقبل ، و إدمان الطاعات . . .

٨ ـ عن أبى بكر الوراق : التوبةالنصوح أن تضيق عليك الارض بمارحبت وتضيق عليك نفسك .

٩ ـ عن الفضيل بن عياض : التوبة النصوح : أن يكون الذنب بين عينيه ، فلا يزال كأنه ينظر إليه .

وقال ابن السماك :التوبة النصوح : أن تنصب الذنب الذى أقللت فيه الحياء من الله تعالى أمام عينك وتستعدّ لمنتظرك .

١٠ ـ قيل : التوبة النصوح : هى التى لايحتاج معها إلى توبة .

١١ـ عن أبى بكر الدقاق المصرى: التوبة النصوح : هى ردّ المظالم، واستحلال الخصوم ، و إدمان الطاعات .

١٢ ـ عن الحسن : التوبة النصوح : أن يبغض التائب الذنب الذى أحبه ، و يستغفر منه اذا ذكره .

١٣ ـ قيل : التوبة النصوح:هى التى لايثق بقبولها ، ويكون على وجل منها.

١٤ ـ عن القرظى : التوبة النصوح لها شرائط أربعة : الاستغفار باللسان ، والاقلاع بالابدان ، وإضمارترك العود بالجنان ، ومهاجرة سيّء الخلان .

١٥ ـ عن سفيان الثورى : لتوبة النصوح علائم أربع : القلة والعلة والذلة والغربة .

١٦ ـ عن أبى بكر الواسطى : هى توبة لالفقد عوض لان من أذنب فى الدنيا لرفاهية نفسه ثم تاب طلباً لرفاهيته فى الاخرة ، فتوبته على حفظ نفسه لالله تعالى أو خوفاً منه جل وعلا .

١٧ ـ عن ابن مسعود : التوبة النصوح هى التى تكفّر كل سيئة .

١٨ ـ عن حذيفة : التوبة النصوح بحسب الرجل من القرآن يتوب من الذنب لم يعود فيه .

١٩ ـ عن سهل بن عبدالله التستری : هی التوبة لاهل السنة والجماعة لان المبتدع لاتوبة له لقوله ﷺ : « حجب الله على كل صاحب بدعة أن يتوب »

٢٠ ـ عن رويم : التوبة النصوح : أن تكون لله تعالى وجهاً بلاقفاء ، كما كنت له عند المعصية قفابلا وجه .

٢١ ـ عن فتح الموصلی : علامة التوبة ثلاث : مخالفة الهوى و كثرة البكاء و مكايدة الجوع والظمأ .

٢٢ ـ عن ذی النون المصری : لتوبة النصوح ثلاث علائم : قلة الكلام وقلة الطعام و قلة المنام .

٢٣ ـ عن انس بن مالك : أن يكون لصاحبها دمع مسفوح ، و قلب عن المعاصی جموح .

٢٤ ـ عن شقيق : هو أن يكثر صاحبها لنفسه الملامة ، ولا ينفك من الندامة لينجو من آفاتها بالسلامة .

٢٥ ـ عن الجنيد : التوبة النصوح هو أن ينسى الذنب فلا يذكره أبداً لان من صحت توبته صار محباً لله تعالى ومن أحب الله نسی مادون الله تعالى .

و غيرها من الاقوال التی انتهت إلى نيف و ثلاثين قولاً لم أجد لها فائدة فی ذكرها .

أقول : والاول منها هو المؤيد بالروايات الآتية فانتظر .

و فی قوله تعالى : « يوم لا يخزی الله النبی » أقوال : ١ ـ قيل : أی لا يعذّبه بدخول النار ، ولايذله بذلك بل يعزّه بادخاله ﷺ الجنة .

٢ ـ قيل : أی لايشوره فيما يريده من الشفاعة بل يشفعه فی ذلك .

٣ ـ قيل : أی لايكسّر الله تعالى نبيه ﷺ ولا يخفّه ولا يذلّه ولايهينه بجعل المؤمنين محرومين من الكرامة وخلفه ما وعدهم من الوعد الجميل .

اقول : ولكل وجه بلامنافاة بينها فتدبر .

وفى اتمام النور « يقولون ربنا أتمم لنانورنا » أقوال : ١ ـ عن مجاهد و الحسن : انهم قائلون ذلك على انه تعالى عصمهم اذاطفى نور المنافقين خوفاً من زواله كما هوداب كل انسان .

٢ ـ قيل : ان الاخلاص والنفاق من صفات الباطن لايعرفها الا الله تعالى ، فيجوز أن يدعو المؤمن بما هوحاصل له مثل « اهدنا »

٣ ـ قيل : أتمم لنانورنا أى وفقنا للطاعة التى هى سبب النور .

٤ ـ قيل : يمكن أن يدعوبه من هوأدنى منزلة لان النورعلى قدرالايمان و مراتب الاعمال ، فيسئلون إتمامه تفضلاً لا مجازاة لا نقطاع التكليف و العمل يومئذ .

وذلك اذا رأوا نقصاً فى نورهم لانه حسب الايمان وصالح العمل اولما جاء فى صحائف أعمالهم من ذكرسيئاتهم ، فيسئلون ربهم أن يتم ، لهم نورهم ويغفر لهم .

اقول : وعلى الاخير أكثر المحققين .

٩ـ (يا أيهاالنبى جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم وماواهم جهنم وبئس المصير)

فى قوله تعالى : « جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم» أقوال : ١ـ قيل: أى جاهد الكفار والمنافقين بالقول و الحجة و البرهان ، و اشدد على الفريقين بالانذار والوعيد ، وبالانتهار والمقت .

٢ـ عن مجاهد : أى جاهد الكفار بالحرب و القتال ، و المنافقين بالانذار و الوعيد الذى يردعهم عن النفاق لابالحرب ، و اشدد عليهم بالقول و التوبيخ و الملامة .

٣ـ قيل : جاهد الكفار والمنافقين بالقتال والحرب حيث كان فى عسكر الكفار جماعة من المنافقين يقاتلون معه صلى الله عليه وآله وسلم و أصحابه ، واشدد على الفريقين بتقطيع دابرهم .

٤- عن الحسن : اريد بالجهاد : التشديد على الكفار و المنافقين باقامة الحدود عليهم لان أكثر من يصيب الحد فى ذلك الزمان المنافقون .

٥ - قيل : اريد بالجهاد : بذل الجهد فى إصلاح الامر من جهتهم و دفع شرهم ، ففى الكفار ببيان الحق وتبليغه ان آمنوا، و الا فالحرب و القتال ، وفى المنافقين باستمالتهم وتأليف قلوبهم حتى تطمئن قلوبهم إلى الايمان .

٦ - قيل : اريد با لجهاد : التشديد فى دين الله تعالى ، فأمره ﷺ أن يجاهد الكفار بالسيف والمواعظ الحسنة والدعاء إلى الله جل وعلا ، والمنافقين بالغلظة ، وإقامة الحجة ، وأن يعرفهم أحوالهم فى الاخرة وانهم لانورلهم يجوزون به الصراط مع المؤمنين .

٧ - عن ابن عباس : أى جاهد الكفار بالحرب والقتال و جاهد على عليه السلام المنافقين بالسيف واشدد انت وعلى عليه السلام على الفريقين .

اقول : وعلى الاول أكثر المفسرين والاخير هو المؤيد بالرواية الآتية .

١٠- (ضرب الله مثلا للذين كفروا امرات نوح وأمرات لوط كانتاتحت عبدين من عبادنا صالحين فخانتاهما فلم يغنيا عنهما من الله شيئا و قيل ادخلا النار مع الداخلين)

فى اسم إمرأة نوح وامرأة لوط أقوال : ١ - عن مقاتل : ان إسم امرأة نوح عليه السلام و الهة ، و إسم امرأة لوط والعة .

٢ - قيل : إسم إمرأة لوط واهلة .

٣ - عن الضحاك عن عائشة : ان جبرئيل نزل على النبى ﷺ فاخبره : ان اسم امرأة نوح واغلة ، و اسم امرأة لوط والهة .

اقول : وليس لنا دليل قاطع على ذلك ، أما مقاتل فقوله مدفوع عندنا ، و أما عائشة فكيف يمكن أن يثق عاقل بقول من كانت تخون وتظاهر على النبى ﷺ و ان السورة بصدد توبيخها و تفضيحها بنفاقها و جعلتها من زمرة الكفرة كامرأة نوح وامرأة لوط .

وفى قولهتعالى : « فخانتاهما » أقوال : ١ ـ عن ابن عباس : كانت امرأةنوح كافرة تقول لقومه : انهمجنون ، و اذاآمن بنوح عليه السلام أحد أخبرت الجبابرة من قوم نوح به ، وكانت امرأة لوط اذانزل به ضيف دخنت لتعلم قومها انه قد نزلبه ضيف لما كانوا عليه من اتيان الرجال ، وقيل :كانت تدل على نزولضيف ابراهيم عليه السلام .

٢ ـ قيل :كانت خيانتهما فى الدين بعدم الطاعة والعبادة .

٣ ـ قيل : كانت خيانتهما نشوزهما عن زوجهما ، ومابغت امرأةنبى قط .

٤ ـ عن عكرمة والضحاكوالسدى : كانتا كافرتين ، وقيل: كانتامشركتين.

٥ ـ قيل : كانتا منافقتين .

٦ ـ عن الضحاك : خيانتهما النميمة اذا اوحى الله تعالى إليهماشيئاً أفشتاه إلى المشركين .

اقول : وعلىالاول أكثر المفسرين .

وفى قوله تعالى : « و قيل ادخلا النارمع الداخلين » أقوال : ١ ـ قيل : أى يقال لهما يوم القيامة : ادخلا النار مع سائر الداخلين لا وصلة بينهم و بين الانبياء من قوم نوح وقوم لوط ، أومن كل قوم .

٢ ـ قيل : أى قيل لهما عند موتهما و هذا عذاب روحى قبل يوم القيامة.

٣ ـ قيل : أى قيل لهما فى القبر فروحهما مع سائر أرواح الكفرة تعذب بناربرهوت إلى أن تقوم القيامة .

اقول : وعلى الاول أكثر المفسرين .

١١ـ (وضرب الله مثلاللذين آمنوا امرات فرعون اذ قالت رب ابن لى عندك بيتا فى الجنة ونجنى من فرعون وعمله ونجنى من القوم الظالمين)

فى « امرأة فرعون » قولان : أحدهما ـ هى آسية بنت مزاحم و هى التى آمنت بموسى عليه السلام .

و ذلك لما عاينت المعجزة من عصا موسى عليه السلام وغلبته السحرة آمنت ،فلما

ظهر لفرعون ايمانها نهاها، فأبت فأوتد يديها ورجليها بأربعة أوتاد وألقاها في الشمس ثم أمر أن يلقى عليها صخرة عظيمة فلما قرب أجلها رأت مكانها في الجنة .

ثانيهما - هي آسية عمة موسى عليه السلام آمنت به .

وذلك لما اطلع فرعون على ايمان إمرأته خرج على الملأ فقال لهم : ما تعلمون من زوجتي آسية ؟ فأثنوا عليها ،فقال لهم انها تعبد رباً غيري ، فقالوا له : اقتلها فأوتدلها اوتاداً وشد يديها ورجليها ، فقالت : « رب ابن لي عندك بيتا في الجنة » و وافق ذلك حضور فرعون ، فضحكت حين رأت بيتها في الجنة ، فقال فرعون : ألا تعجبون من جنونها؟ انا نعذ بها وهي تضحك ، فقبض روحها ،فالقيت الصخرة على جسدها وليس فيه روح .

وعن سلمان الفارسي رضوان الله تعالى عليه : كانت آسية تعذب بالشمس ، فاذا أذاها حر الشمس أظلتها الملائكة بأجنحتها :

وقيل :كان فرعون يسمّر يديها و رجليها في الشمس ، و وضع على ظهرها رحى ، فأطلعها الله تعالى حتى رأت مكانها في الجنة .

اقول : والاول هو المؤيد بالروايات الواردة . . .

وفي « رب ابن لي عندك بيتافي الجنة » أقوال : ١ - قيل : أي طلبت القرب من الله تعالى ، والبعد عن عدوه ، أي ابن لي بيتاً قريباً من رحمتك .

٢ - قيل : أرادت بذلك أعلى موضع الجنة أي ابن لي بيتافي أعلى درجات المقربين منك لكون الجنة دار القرب من الله تعالى وجوار رب العالمين وأعلاها مسكن الانبياء والمرسلين .

٣ - قيل : أي ابن لي بيتاً في مكان لايتصرف فيه الا باذنك وهو الجنة ولما طلبت أريت بيتها في الجنة يبنى من درة ، فنجاها الله تعالى أكرم نجاة فرفعها إلى الجنة ، فهي تأكل وتشرب وتتنعم

اقول : ولكل وجه والاوجه هو الثاني .

وفي « نجني من فرعون وعمله » أقوال : ١ - عن ابن عباس : أي من نفس

فرعون وعمله أى الجماع . ٢ ـ قيل : أى من عمله السيىء بأن أعمل عمله من الكفر و الطغيان والمعصية التى تدعو ضرورة المصاحبة و المعاشرة إلى الشركة فيها والتلبس بها .

٣ ـ قيل : تعنى بفرعون شخصه و بعمله كفره .

٤ ـ عن أبى العالية : أى من ظلمه وعذابه وشماتته .

أقول: وعلى الثانى أكثر المحققين .

وفى « نجنى من القوم الظالمين » أقوال : ١ ـ عن الكلبى : تريد أهل مصر.

٢ ـ عن مقاتل : تريد بهم القبط ، وهم وثنيو مصر .

٣ ـ قيل : أى أنقذنى من عمل القوم الكافرين بك ومن عذابهم .

أقول : وعلى الأخير أكثر المفسرين .

١٢ - (و مريم ابنت عمران التى أحصنت فرجها فنفخنا فيه من روحنا وصدقت بكلمات ربها وكتبه وكانت من القانتين)

فى « أحصنت فرجها » أقوال : ١ـ قيل : الاحصان العفاف أى حفظت فرجها عن مساس الرجال مطلقا حراماً وحلالاً ٢ ـ قيل : وعن الفواحش و عفت عن الحرام . ٣ ـ قيل : إحصان الفرج : طهارة الثوب ، فاريد فرج القميص أى لم يعلّق بثوبها ريبة ، وفروج القميص أربعة : الكمّان والاعلى والاسفل، فالمراد بالفرج هنا : الجيب ، فالمعنى : منعت جيب درعها جبرئيل عليه السلام و كل ما كان فى الدرع من خرق أوفتق فانه يسمى فرجاً و كذلك كل صدع وشق فى حائط او فرج سقف فهو فرج .

أقول : و على الاول جمهور المحققين .

وفى « فنفخنا فيه من روحنا » أقوال : ١ ـ عن قتادة : أى فنفخ جبرائيل عليه السلام بأمرنا فى جيبها من روحنا . ٢ ـ قيل : نفخ جبرائيل فى فرجها ، و خلق الله تعالى منه المسيح . ٣ ـ قيل : أى خلقنا المسيح فى بطنها ونفخنا فيه الروح حتى صار حياً ، فالضمير فى « فيه » يعود إلى المسيح .

٤ ـ قيل : حيث نفخ جبرئيل عليه السلام في جيب درعها بخلق الله تعالى فعله الواصل إلى فرجها ، فحملت بعيسى عليه السلام .

اقول : وعلى الثاني أكثر المفسرين .

و في « بكلمات ربها » أقوال : ١ ـ عن مقاتل : اريد بالكلمات عيسى ، و انه نبى وعيسى كلمة الله تعالى . ٢ ـ قيل : اريدبها الشرائع التى شرعها الله جلو علا للعباد بكلماته المنزلة ، لقو له تعالى : « يريدون أن يبد لو ا كلام الله » الفتح : ١٥)

٣ ـ قيل : اريد بها قول جبرئيل عليه السلام : انما أنا رسول ربك الاية .

٤ ـ قيل : صدقت أى آمنت بعيسى وهو كلمة الله .

٥ ـ قيل : كلمات الله : صحف ابراهيم وغيره ، وقيل : جميع ما كلّم الله به ، و أوحاه إلى انبيائه و ملائكته .

٦ ـ قيل : صدقت بوعد الله تعالى و وعيده وأمره ونهيه .

اقول : وعلى الثانى أكثر المحققين .

وفى « كتبه » أقوال : ١ ـ قيل : أى التوراة والانجيل .

٢ ـ قيل : كتبه : اللوح . ٣ ـ قيل : أى الكتب الاربعة : صحف ابراهيم وزبور داود وتوراة موسى وانجيل عيسى عليه السلام .

٤ ـ قيل : أى و صدقت بكتب الله المنزلة على الانبياء عليهم السلام فالمراد من تصديقها كلمات ربها و كتبه كونها صديقة لقوله تعالى : « ما المسيح بن مريم الا رسول قد خلت من قبله الرسل و امه صديقة » المائدة : ٧٥)

اقول : والاخير هوالانسب بعموم السياق .

وفى « القانتين » أقوال : ١ ـ قيل : أى المطيعين لله تعالى والدائمين على طاعته . ٢ ـ قيل : أى المصلين بين المغرب والعشاء .

٣ ـ قيل : العابدين المخبتين والخاضعين .

اقول : ولكل وجه والاوجه بمعناه اللغوى هوالاخير .

« التفسير والتأويل »

١- (يا أيها النبى لم تحرم ما أحل الله لك تبتغى مرضات أزواجك و الله غفور رحيم)

يا أيها النبى لأىّ علة و سبب تمتنع و تجعل « ما أحل الله لك » من مارية القبطية أمتك ممنوع الانتفاع على نفسك باليمين على ترك المقاربة لان تطلب وتحصل بذلك رضا أزواجك ، فتطيب قلوبهن ، والامر عكس اذ عليهن أن يسعن فى طلب رضاك.

وظاهر العتاب ـ وان كان متوجهاً إلى أزواجه فى الحقيقة ـ نظير العتاب فى قوله تعالى : « عفى الله عنك لم اذنت لهم » التوبة : ٤٣)

فالتحريم هنا هو حرمان النفس ومجرد الامتناع والالتزام بترك ما تكرهه بعض أزواجه، ومنع النفس مما أحله الله تعالى لها غير بعيد من المألوفات البشرية اذ يحلفون على الامتناع عن شىء هو فى أصله حلال ومباح لهم دون أن يعنى انه قصد نقيض حله ، فالامتناع عن الانتفاع ببعض الملاذ من غير اعتقاد انه حكم غير ما حكم الله جل وعلا فلاجناح ، كما لو ألزمت نفسك بترك أكل الفوم والبصل إرضاء لزوجك التى يؤذيها ريحهما أو تكره ريحهما.

وقد جاء التحريم بمعنى حرمان النفس والامتناع فى قوله تعالى : « وحرّمنا عليه المراضع من قبل » القصص : ١٢)

و ذلك لأن الرضاعة لموسى عليه السلام من غير أمها ما كانت محرمة فى شريعة الله تعالى ولا على موسى عليه السلام اذ كان رضيعاً لم يبلغ بعد ، و قد ارتضع نبينا محمد

صلى الله عليه وآله وسلم من غير امه ، وانما التحريم هنا بمعنى الحرمان العملي ، فقد قدر الله جل وعلا لموسى أن يمتنع عن غير امه ، من سائر المرضعات ، وألقى في قلب فرعون أن يختار امه عليه السلام من غير أن يعرفها .

فليس المراد بالتحريم: التحريم الشرعي كيف وقد قال الله تعالى : « ماضل صاحبكم وماغوى و ما ينطق عن الهوى ان هو الا وحي يوحى » النجم : ٢ ـ ٤)

وقال : « وما آتاكم الرسول فخذوه ومانهاكم عنه فانتهوا » الحشر : ٧) ؟

كيف وينهى الله تعالى المؤمنين عن تحريم ما أحل الله جل و علا لهم ، و يجعل ذلك من جملة الاعتداء ، وهو مغضوب عند الله سبحانه في قوله : « ياأيها الذين آمنوا لاتحرموا طيبات ما أحل الله لكم ولاتعتدوا ان الله لا يحب المعتدين» المائدة : ٧٨) ؟

كيف وقد وبخ الله تعالى اليهود العنود و المشركين على تحريم الحلال وتحليل الحرام في قوله جل وعلا : « كل الطعام كان حلاً لبني اسرائيل الا ما حرم اسرائيل على نفسه من قبل أن تنزل التوراة قل فأتوا بالتوراة فاتلوها إن كنتم صادقين فمن افترى على الله الكذب من بعد ذلك فاولئك هم الظالمون » آل عمران : ٩٣ ـ ٩٤) .

و قوله : « قد خسر الذين قتلوا أولادهم سفهاً بغير علم و حرموا ما رزقهم الله افتراء على الله قد ضلوا وماكانوا مهتدين » الانعام : ١٤٠)

وقوله : « قل أرايتم ما أنزل الله لكم من رزق فجعلتم منه حراماً و حلالاً قل آلله أذن لكم أم على الله تفترون » يونس : ٥٩)

امتنع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن انتفاع بعض الملاذ لسببين : أحدهما ـ «تبتغي مرضات أزواجك » ثانيهما ـ ضراراً عن مظاهرة حفصة بنت عمر بن الخطاب ، و عائشة بنت أبي بكر الخائنتين على النبي الكريم صلى الله عليه وآله وسلم اذ تواطاتا على الكيد و الخداع عليه صلى الله عليه وآله وسلم فامتنع عن الانتفاع بمارية القبطية ام ابراهيم دفاعاً عن كيانه ، و كي لاتكدران جو بيت النبوة السامية كما يتبين من الايات التالية ، فقد عمل صلى الله عليه وآله وسلم

واجبه حسب حالته الحاضرة من انتهاك حرمته و انفتاك كرامته حتى آمنه الله جل وعلا بالوحى و كفاه مايهابه ، ورجع إلى ما أحله الله تعالى له ﷺ ، ومن الواجب اذا صدر من امرىء يمين بذلك أن يكفر عنه ، ويتمتع بما أباحه و قد فعل ﷺ .

« والله غفور » غفر لك بامتناعك عن انتفاع ما أحل الله تعالى لك « رحيم» رحم نبيه الكريم ﷺ إذ دفع عنه ﷺ كيدهما وخداعهما عليه ﷺ ،ولم يؤاخذه ﷺ بما فعل .

٢ـ (قد فرض الله لكم تحلة أيمانكم والله مولاكم وهو العليم الحكيم)

قد شرع الله تعالى لكم تحليل أيمانكم كفارة ـ ويتحصّل من هذا ان من حرّم شيئاً من المباح لم يحرم عليه باليمين فعليه الكفارة لليمين لا للتحريم قال الله تعالى : « لا يؤاخذكم الله باللغو فى أيمانكم ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الايمان فكفارته إطعام عشرة مساكين من أوسط ما تطعمون أهليكم أو كسوتهم او تحرير رقبة فمن لم يجد فصيام ثلاثة أيام ذلك كفارة أيمانكم اذا حلفتم » المائدة : ٨٩)

« والله مولاكم » : وليكم والمتولى لا موركم ، و ينصركم بازالة الحظر فيما تحرمونه على أنفسكم ، و بالترخيص لكم فى تحليل أيمانكم بالكفارة ، و يسهل لكم سبل الفلاح فى دنياكم و آخرتكم ، و ينير لكم طرق الهداية ، ويضيىء لكم سبيل الرشاد مما فيه سعادتكم فى معاشكم و معادكم . ولا مولى لغيركم.

قال الله تعالى : « بل الله مولاكم وهو خير الناصرين » آل عمران : ١٥٠)

وقال : « الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور» البقرة:٢٥٧)

وقال : « وان تولوا فاعلموا ان الله مولاكم نعم المولى ونعم النصير » الانفال:٤٠)

وقال : « واعتصموا بالله هو مولاكم فنعم المولى ونعم النصير » الحج :٧٨)

وقال : « ذلك بان الله مولى الذين آمنوا وان الكافرين لا مولى لهم » محمد ﷺ : ١١)

« وهو العليم » : عليم بجميع الاشياء :ظاهرها وخفيها، عليم بحقائق الامور،

عليم بما قالت حفصة لعائشة وماتوا طأتا، عليم باعمال الناس و ما فى صدورهم، عليم بمافيه صلاحكم وفلاحكم، وعليم بما فيه خير كم وسعادتكم فى الدنيا والاخرة «الحكيم»: حكيم فيما يأمر كم به، فلا يأمر كم بشيء الا وفيه صلاحكم وصلاح مجتمعكم، حكيم فيما ينها كم عنه فلا ينها كم عن شيء الا وفيه فساد كم و فساد مجتمعكم وحكيم فى ارادته وتدبيره وجميع أفعاله...

٣ - (واذ أسر النبى الى بعض أزواجه حديثا فلما نبأت به وأظهره الله عليه عرف بعضه وأعرض عن بعض فلما نبأها به قالت من انبأك هذا قال نبأنى العليم الخبير)

واذكر حين أسر النبى الكريم صلى الله عليه وآله وسلم إلى حفصة بنت عمر بن الخطاب - اختباراً لها فى حفظ أسرار الاسرة - امتناعه صلى الله عليه وآله وسلم عن الانتفاع بمارية القبطية وتصدى أبى بكر وعمر أمر الخلافة بعده، وقد طلب منها أن تكتم ذلك و أوصاها أن تخفيهما عن سائر أزواجه - فان السر: هو الحديث الذى تكتمه فى نفسك و تخفيه والاسرار: افشاؤك الحديث إلى غيرك مع ايصائك باخفائه - فخالفت حفصة وعصت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وخانته فى حفظ الاسرار، فلما اخبرت بالسر عائشة و أفشته لها لمصافاة كانت بينهما، وقد كانتاهما متظاهرتين على سائر نساء النبى واعلم الله جل وعلا نبيه صلى الله عليه وآله وسلم بما اذاعته حفصة لصاحبتها عائشة عرف رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بعض ما امرها بكتمانه واخفائه - وهو قصة مارية أو قصة تصدى الخلافة واعرض عن بعض آخر، فلما اخبر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حفصة بما افشته لعائشة، قالت حفصة له صلى الله عليه وآله وسلم: من اخبرك انى افشيت سرك لغيرى؟ - فكأنها ظنت ان عائشة اخبرته صلى الله عليه وآله وسلم بذلك - قال رسول الله: أعلمنى «العليم» بجميع الاشياء «الخبير» بخفايا الامور فلايخفى عليه شيء.

٤ - (ان تتوبا الى الله فقد صغت قلوبكما وان تظاهرا عليه فان الله هو مولاه وجبريل وصالح المؤمنين والملائكة بعد ذلك ظهير)

قل يا ايها النبى صلى الله عليه وآله وسلم لحفصة بنت عمر بن الخطاب، ولعائشة بنت ابى بكر

انتما في خيار : إما التوبة إلى الله تعالى عن الخيانة وايذاء النبي الكريم صلى الله عليه وآله وسلم وإما المظاهرة على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بالكيد والخداع . . . إن تتوبا إلى الله جل و علا ـ يقبلها ـ ان قد مالت قلوبكما عن الحق إلى الباطل ، عن الهداية إلى الضلالة عن الصواب إلى الخطاء ، عن الاستقامة إلى الاعوجاج ، عن الايمان إلى الكفر و النفاق ، عن الصلاح إلى الفساد ، عن استرضاء النبي الكريم صلى الله عليه وآله وسلم الى السعي في ايذائه صلى الله عليه وآله وسلم وعن حفظ أمانة أسرة النبوة السامية إلى الخيانة بافشاء أسرارها ، فاغمضتما اللعن والعذاب على من آذى النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، وما اعتنيتما ان ايذاء النبي صلى الله عليه وآله وسلم في حد الكفر اذ قال الله تعالى : « ان الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله في الدنيا والاخرة وأعد لهم عذابا مهينا » الاحزاب : ٥٧)

وقال : « والذين يؤذون رسول الله لهم عذاب أليم » التوبة : ٦١)

وان ايذاء المؤمنين إثم مبين فكيف بايذاء الرسول صلى الله عليه وآله وسلم قال الله تعالى: « والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا فقد احتملوا بهتاناً وإثماً مبينا » الاحزاب : ٥٨)

و إن تعاونا على خلاف رسول الله الاعظم صلى الله عليه وآله وسلم بما يسوئه ، و ما يوجب غيظه من الكيد والخداع . . . فاعلما : ان الله القادر المتعال هو مولا رسوله صلى الله عليه وآله وسلم وحاميه ، وجبرئيل الامين معينه ، و خليفته بالحق على أمير المؤمنين ناصره ، فلا يضرّه ذلك التظاهر منكما : حفصة بنت عمر ، وعائشة بنت أبي بكر على نبينا صلى الله عليه وآله وسلم والملائكة بعد ولاية الله جل وعلا ، و إعانة روح القدس ، و نصرة وصيه بعينونه صلى الله عليه وآله وسلم فكأنهم يد واحدة على من يعاديه صلى الله عليه وآله وسلم فماذا يفيد تظاهر حفصة وعائشة على من هؤلاء ظهر له .

ان الشرط الثاني مع جزائه في معنى قوله تعالى « قل ادعوا شركاء كم ثم كيدون فلا تنظرون ان ولي الله الذي نزّل الكتاب وهو يتولى الصالحين »

الاعراف : ١٩٥ ـ ١٩٦)

وقوله : « وينصرك الله نصراً عزيزاً » الفتح : ٣)

وقوله : « انهم يكيدون كيداً وأكيد كيداً فمهّل الكافرين أمهلهم رويداً» الطارق : ١٥ ـ ١٧)

وقوله : « وما كيد الكافرين الا في ضلال » غافر : ٢٥)

وقوله : « وان يريدوا أن يخدعوك فان حسبك الله هوالذى أيدك بنصره وبالمؤمنين » الانفال : ٦٢)

وقوله : « والله يعصمك من الناس ان الله لايهدى القوم الكافرين » المائدة : ٦٧)

٥ - (عسى ربه ان طلقكن أن يبدله أزواجاً خيراً منكن مسلمات مؤمنات قانتات تائبات عابدات سائحات ثيبات وأبكاراً)

عسى رب النبى الكريم صلى الله عليه وآله وسلم إيا كن يا معاشر نسائه صلى الله عليه وآله وسلم أن يبد لكن الله تعالى لرسوله صلى الله عليه وآله وسلم زوجات وفيهن خير تمام الخير ـ عكس ماكان فيكن من الشر اذ كنتن توذين النبى صلى الله عليه وآله وسلم وهن « مسلمات » مقرّات بالاسلام « مؤمنات» يعتقدن بما يعترفن ، ويعملن بما يعتقدنه « قانتات » خاضعات متذللات لامر الله تعالى، مطيعات لازواجهن « تائبات » راجعات إلى أمر النبى الكريم صلى الله عليه وآله وسلم تاركات لمحاب أنفسهن « عابدات » لله تعالى باخلاص « سائحات » سائمات فى طاعة الله تعالى ، وماضيات فى عباداته . . .

وهن إما ثيبات تزوجن من قبل وإما باكرات لم تصل إليهن يد بعد .

٦ - (ياأيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم ناراً وقودها الناس والحجارة عليها ملائكة غلاظ شداد لايعصون الله ما أمرهم ويفعلون مايؤمرون)

يا أيها الذين آمنوا بالله تعالى ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم وباليوم الاخر أحفظوا أنفسكم بطاعة الله جل وعلا و أحرسوها بترك معاصى الله من عذاب نار جهنم ، و أهليكم بالنصح والموعظة والارشاد ، والامر بالمعروف والنهى عن المنكر ، والتعليم بفرائض الله تعالى وسنن نبيه صلى الله عليه وآله وسلم و التأديب بالاداب الاسلامية . . .

فعلينا الامة المسلمة ان نعلّم أولادنا وأزواجنا وأقاربنا وإخواننا فى الدين

مالا يستغنون عنه فى الاسلام . . .

قال الله تعالى : « وكان يأمر أهله بالصلاة والزكاة » مريم : ٥٥)

وقال : « وامر أهلك بالصلاة واصطبر عليها » طه : ١٣٢)

وقال : « كنتم خير امة اخرجت للناس تامرون بالمعروف و تنهون عن المنكر وتؤمنون بالله » آل عمران : ١١٠)

وقال : « وأنذر عشيرتك الاقربين » الشعراء ٢١٤)

فعلينا أن نقى أنفسنا وأهلينا ـ بالايمان و صالح العمل ـ نارجهنم حطبها الكافرون والحجارة ـ الوقود : اسم لما توقد به من النار من حطب ونحوه وهذا أشد ما يكون من العذاب ، فكأن الكافرين والمنافقين حطب جهنم . فيشتعلون فى جهنم بأنفسهم .

قال الله تعالى : « واما القاسطون فكانوا لجهنم حطبا » الجن : ١٥)

وقال : « فى الحميم ثم فى النار يسجرون » المؤمن : ٧٢)

وقال : « ان الذين كفروا لن تغنى عنهم أموالهم ولا اولادهم من الله شيئا واولئك هم وقود النار » آل عمران : ١٠)

وقال : « فاتقوا النار التى وقودها الناس والحجارة اعدت للكافرين » البقرة : ٢٤)

ولايخفى ان النار نتيجة تنغيص العيش وضياع أمر الاسرة والشقاق والنزاع المتوالى تحرق المجتمع البشرى . فان الاسرة اذا كانت مفككة الاوصال ، غير مجتمعة الرأى لاتطيع المرأة زوجها ، ولا الولد أباه كانت سائرة على نهج نظام الله تعالى فى الكون ونظام الاجتماع أساسه الاسرة ، فنتيجة المنافرات والمشاجرات والاكدار ، والتنغيص المحرقات للقلوب فى الدنيا هى النار فى الاخرة و هى الخسران المبين .

قال الله تعالى : « قل ان الخاسرين الذين خسروا أنفسهم و أهليهم يوم القيامة ألاذلك هو الخسران المبين لهم من فوقهم ظلل من النار و من تحتهم ظلل

ذلك يخوّف الله به عباده ياعباد فاتقون » الزمر : ١٥ ـ ١٦)

على النار وأهلها ملائكة تلى أمرها وهم الزبانية والخزان غلاظ الخلق و الافعال والاقوال أشداء على أصحاب النار لاترحم على أحد منهم لايعصون الله تعالى ما أمرهم الله جل وعلا بهمن الغلظة والشدة على الكافرين وأذنابهم المنافقين ، و يفعلون ما يؤمرون به من غير خلاف فى أمره من زيادة او نقيصة فانهم ملتزمون بكل ما امروا به .

قال الله تعالى : « واما من اوتى كتابه بشماله فيقول ياليتنى لم اوت كتابيه ولم ادرما حسابيه ياليتها كانت القاضية ماأغنى عنى ماليه هلك عنى سلطانيه خذوه فغلوه ثم الجحيم صلّوه ثم فى سلسلة ذرعها سبعون ذراعاً فاسلكوه انه كان لايؤمن بالله العظيم ولايحض على طعام المسكين » الحاقة : ٢٧ ـ ٣٤)

وقال : « يوم يرون الملائكة لابشرى يومئذ للمجرمين » الفرقان : ٢٢)

وقال : « ساصليه سقر وما ادراك ماسقر لاتبقى ولاتذر لوّاحة للبشر عليها تسعة عشر وما جعلنا أصحاب النار الاملائكة و ما جعلنا عدتهم الاّ فتنة للذين كفروا » المدثر: ٢٦ ـ ٣١)

وقال : « اذا القوا فيها سمعوا لها شهيقا وهى تفور تكاد تميّز من الغيظ كلما القى فيهافوج سئلهم خزنتها ألم ياتكم نذير قالوا بلى قدجاء نا نذير فكذبنا وقلنا مانزّل الله من شيء » الملك : ٧ ـ ٩)

وقال : « وسيق الذين كفروا إلى جهنم زمراًحتى اذا جاؤها فتحت أبوابها وقال لهم خزنتها ألم ياتكم رسل منكم يتلون عليكم آيات ربكم وينذرونكم لقاء يومكم هذا قالوا بلى ولكن حقت كلمة العذاب على الكافرين قيل ادخلوا أبواب جهنم خالدين فيها فبئس مثوى المتكبرين» الزمر : ٧١ ـ ٧٢)

وقال : « وقال الذين فى النار لخزنة جهنم ادعوا ربكم يخفف عنا يوماًمن العذاب قالوا اولم تك تاتيكم رسلكم بالبينات قالوا بلى قالوا فادعوا و ما دعاؤا الكافرين الا فى ضلال » المؤمن : ٤٩ ـ ٥٠)

وقال : « والملائكة وهم لايستكبرون يخافون ربهم من فوقهم ويفعلون ما يؤمرون » النحل : ٤٩ ـ ٥٠)

٧ - (يا أيها الذين كفروا لاتعتذروا اليوم انما تجزون ماكنتم تعملون)

يا ايها الذين كفروا بالله ورسوله ﷺ واليوم الاخر انكم استحققتم هذا العذاب على تلك الكيفية لاتعتذروا اليوم بغلاظ الملائكة وشدادهم ، انما تجزون بهذا العذاب على قدر ما كنتم تعملون فى الحياة الدنيا ، فقد فات أوان الاعتذار ولات حينئذ ساعة مندم واعتذار .

قال الله تعالى : « ويل يومئذ للمكذبين انطلقوا إلى ما كنتم به تكذبون انطلقوا إلى ظل ذى ثلاث شعب لاظليل ولايغنى من اللهب انها ترمى بشرر كالقصر كانه جمالت صفر ويل يومئذ للمكذبين هذا يوم لاينطقون ولايؤذن لهم فيعتذرون » المرسلات : ٢٨ ـ ٣٦)

وقال : « وأسروا الندامة لما رأوا العذاب وجعلنا الاغلال فى أعناق الذين كفروا هل يجزون الا ماكانوا يعملون » سباء : ٣٣)

٨ - (يا أيها الذين آمنوا توبوا الى الله توبة نصوحاً عسى ربكم أن يكفر عنكم سيئاتكم ويدخلكم جنات تجرى من تحتها الانهار يوم لا يخزى الله النبى والذين آمنوا معه نورهم يسعى بين أيديهم وبايمانهم يقولون ربنا أتمم لنا نورنا واغفرلنا انك على كل شىء قدير)

يا ايها الذين آمنوا بالله تعالى ورسوله ﷺ وباليوم الاخر إرجعوا إلى الله جل وعلا من ذنوبكم ، وإلى طاعة الله ، و ما يرضاه عنكم رجوعاً لا تعودون إليها أبداً .

التوبة النصوح : هى توبة صادقة خالصة ينصح الانسان بها نفسه ، و يندم بها صاحبها عما فرط ، ويعتزم على عدم العودة دائماً .

« عسى ربكم » للترجى معنيان : أحدهما ـ يقع فى موقع القطع والبت كما هو دأب العظماء و ذوى الكمال و الفضيلة فى الاجابة بكلمة الترجى . ثانيهما

تعليم للعباد في كونهم بين الخوف والرجاء .

قال الله تعالى : « وتوبوا إلى الله جميعاً أيه المؤمنون لعلكم تفلحون » النور : ٣١)

وقال : « فاما من تاب وآمن وعمل صالحاً فعسى أن يكون من المفلحين» القصص : ٦٧)

« أن يكفر » يمحو « عنكم سيئاتكم » ويحطها ويعفو عنها « و يدخلكم» الله « جنات » بساتين « تجري من تحتها الانهار »

قال الله تعالى : « وهو الذي يقبل التوبة عن عباده و يعفوا عن السيئات » الشورى : ٢٥)

وقال: « ليدخل المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ويكفر عنهم سيئاتهم وكان ذلك عندالله فوزاً عظيماً » الفتح : ٥)

وقال : « من تاب وآمن وعمل عملا صالحاً فاولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات» الفرقان : ٧)

« نورهم » : نور المؤمنين : نور ايمانهم ، نور صالح أعمالهم ، نوراهتداءهم ونور ولايتهم بأهل بيت الوحي عليهم السلام بين قدامهم ، و جانب أيمانهم كل حسب درجات الايمان ، و صالح الاعمال ، و على قدر اهتداءهم و ولائهم ، فتظهر تلك الانوار وتشع ، فيهدون بها إلى الجنة ونعيمها حتى ينزلوا منازلهم .

« يقولون » هؤلاء المؤمنون : « ربنا أتمم لنا نورنا » حيث تتفاوت الانوار حسب الايمان والولاء فيسئلون إتماماً تفضلا ، مضافاً إلى مايرون من طفيء نور الكافرين وأذنابهم المنافقين .

و لا يخفى: ان من لوازم معية المؤمنين بالرسول ملازمتهم له صلى الله عليه وآله وسلم و طاعتهم له من غير مخافة و مشاقة في الدنيا فهم لا يفارقون الرسول صلى الله عليه وآله وسلم و لا يفارقهم يوم القيامة لان الانسان يحشر مع من أحب .

قال الله تعالى : « ومن يطع الله والرسول فاولئك مع الذين انعم الله عليهم

من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن اولئك رفيقاً » النساء : ٦٩)

« واغفرلنا » : واستر علينا ذنوبنا ، ولاتفضحنا بها بعقوبتك ايانا عليهاوانك على كل شيء قدير » على اتمام النور والغفران كما انك قدير على الاطفاء والعذاب .

٩ ـ (يا أيها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم وماواهم جهنم وبئس المصير)

يا أيها النبي قاتل الكفار بالسيف ـ بعدما دعوتهم إلى الله تعالى وتمردهم عن قبولها ـ حتى يكون الدين لله وحده ، واقطع دابر المتكبرين حتى لاتكون فتنة بين المجتمع البشري ، وجاهد المنافقين بالموعظة و الارشاد ، ثم بالانذار والوعيد ، وتقرير سوء مصيرهم ، و وبال أمرهم ، وعذبهم وعنفهم بفضيحة عاجلة تعقبهم ، و تبين خبث سريرتهم ، و سوء طواياهم و مأواهم جهنم و بئس المصير مصيرهم جهنم لما فيها من أنواع العذاب والعقاب .

قال الله تعالى : « وقاتلوهم حتى لاتكون فتنة ويكون الدين لله فان انتهوا فلا عدوان الا على الظالمين » البقرة : ١٩٢)

و قال : « يا أيها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار و ليجدوا فيكم غلظة » التوبة : ١٢٣)

وقال : « وقطعنا دابر الذين كذبوا باياتنا وماكانوا مؤمنين » الاعراف: ٧٢)

وقال في المنافقين : « والله يشهد ان المنافقين لكاذبين ـ فاحذرهم قاتلهم الله انى يؤفكون » المنافقون : ١ ـ ٤)

و قال : « ان الله جامع المنافقين والكافرين في جهنم جميعا ـ ان المنافقين في الدرك الأسفل من النار و لن تجد لهم نصيراً » النساء : ١٤٠ ـ ١٤٥)

و قال : « لاتعتذروا قد كفرتم بعد ايمانكم ان نعف عن طائفة منكم نعذب طائفة بانهم كانوا مجرمين ـ ولعنهم الله ولهم عذاب مقيم » التوبة : ٦٦ ـ ٦٨)

و قال : « يا أيها النبي جاهد الكفار و المنافقين واغلظ عليهم ـ سنعذبهم

مرتين ثم يردون إلى عذاب عظيم » التوبة : ٧٣ ـ ١٠١)

١٠ (ضرب الله مثلاً للذين كفروا امرات نوح و امرات لوط كانتا تحت عبدين من عبادنا صالحين فخانتاهما فلم يغنيا عنهما من الله شيئا و قيل ادخلا النار مع الداخلين)

مثّل الله جل وعلا حال حفصة بنت عمر بن الخطاب و عائشة بنت أبى بكر فى أنهما يعاقبان بنفاقهما ولايحاباان بما بينهما و بين النبى الكريم صلى الله عليه وآله وسلم من النسبة و المواصلة بحال امرأة نوح وامرأة لوط اذ خانتا على زوجيهما النبيين ، فلم يغن نوح ولوط ذلكما النبيان المرسلان عن زوجتيهما بحق النكاح والصحبة من عذاب الله تعالى و نكاله شيئاً يسيراً لكونهما خارجتين عن مدار الا يمان و خيانتهما على زوجيهما النبيين ، فعمّهما العذاب بالغرق والصيحة فى الدنيا و نار جهنم فى الاخرة ، و يقال لهما فيها : ادخلا نار جهنم مع الداخلين من الكفار و المنافقين ، وقد كانتا فى عصمة نبيين عظيمى الشأن متمكنتين من تحصيل خيرى الدنيا والاخرة وحيازة سعادتيهما .

قال الله تعالى فى إمرأة نوح عليه السلام : « فاذا جاء أمرنا وفار التنور فاسلك فيها من كل زوجين اثنين وأهلك الا من سبق عليه القول منهم ولا تخاطبنى فى الذين ظلموا انهم مغرقون » المؤمنون : ٢٧)

وقال فى إمرأة لوط : « ولما أن جائت رسلنا لوطاً سيء بهم وضاق بهم ذرعاً وقالوا لاتخف ولاتحزن انا منجوك وأهلك الا امرأتك كانت من الغابرين انا منزلون على أهل هذه القرية رجزاً من السماء بما كانوا يفسقون ولقد تركنا منها آية بينة لقوم يعقلون » العنكبوت : ٣٣ ـ ٣٥)

١١ (وضرب الله مثلاً للذين آمنوا امرات فرعون اذ قالت رب ابن لى عندك بيتاً فى الجنة ونجنى من فرعون وعمله ونجنى من القوم الظالمين)

ضرب الله تعالى مثلا للذين آمنوا امرأة فرعون ، وهى آسية بنت مزاحم كانت فى الدنيا تحت أعدى أعداء الله و اطغاها و لكنها بالايمان والطاعة والتقوى

قالت بما ترى لنفسها كرامة عند الله جل وعلا من غير ريبة لها في ذلك إذقالت: رب ابن لي بيتا في أعلى درجات المقربين منك في الجنة من مسكن الانبياء و المرسلين ، ومنزل الأوصياء والمعصومين ونجني من فرعون الطاغي وشره وعمله الفاسد فان المصاحبة و المعاشرة تدعو إلى الشركة في العقيدة والعمل ، و نجني من القوم الذين ظلموا على أنفسهم بالكفر والعصيان اذ جعلوها عرضة لسخط الله تعالى وعذابه ، ويدعون الناس إلى الشرك والعصيان .

كما قال حبيب النجار بالايمان والطاعة والتقوى بالكرامة عند الله جل و علا ، اذقال تعالى حكاية عنه : « اني آمنت بربكم فاسمعون قيل ادخل الجنة قال ياليت قومي يعلمون بما غفرلي ربي وجعلني من المكرمين » يس : ٢٥ ـ ٢٧)

وقال : « ان أكرمكم عند الله أتقاكم » الحجرات : ١٣)

وقال حكاية عن مؤمن آل فرعون : « وقال الذي آمن يا قوم اتبعون أهدكم سبيل الرشاد ـ ويا قوم مالي أدعوكم إلى النجوة و تدعونني إلى النار تدعونني لا كفر بالله واشرك به ما ليس لي به علم و انا أدعوكم إلى العزيز الغفار » المؤمن: ٣٨ ـ ٤٢) وما ورد في المقام فمن باب الجرى والانطباق .

١٢- (و مريم ابنت عمران التي أحصنت فرجها فنفخنا فيه من روحنا وصدقت بكلمات ربها وكتبه وكانت من القانتين)

و ضرب الله تعالى مثلاً للذين آمنوا حال مريم بنت عمران بما لها من الكرامة عند الله جل وعلا بالايمان والطاعة والتقوى والعفاف اذ حفظت فرجها من دنس المعصية ، فأرسلنا جبرئيل إليها فنفخ فيها روحاً من أرواحنا و ألقاها إليها .

قال الله تعالى : « و التي أحصنت فرجها فنفخنا فيها من روحنا و جعلناها وابنها آية للعالمين » الانبياء : ٩١)

و قال : « انما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله و كلمته ألقاها إلى مريم وروح منه » النساء : ١٧١)

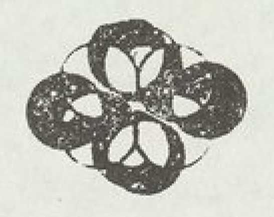
و إضافة الروح إليه تعالى لانه مصدرها وموجدها . والمراد ان الله تعالى

منح الحياة لوليدها المسيح تماماً كما منح الحياة لآدم عليه السلام كما قال : « فاذا سويته ونفخت فيه من روح » الحجر : ٢٩) .

وقال : « اذ قالت الملائكة يامريم ان الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى ابن مريم ـ ان مثل عيسى عندالله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون » آل عمران : ٤٥ ـ ٥٩)

« و صدقت » مريم « بكلمات ربها » مما أوحى الله تعالى إلى أنبيائه عليهم السلام « و كتبه » المنزلة عليهم عليهم السلام « و كانت من القانتين » الخاضعين ، و من عداد المواظبين على طاعة الله جل وعلا .

قال الله تعالى : « يا مريم اقنتي لربك واسجدي وار كعي مع الراكمين» آل عمران : ٤٣)



﴿ جملة المعانى ﴾

٥٢٣٠ - (يا أيها النبى لم تحرم ما أحل الله لك تبتغى مرضات أزواجك والله غفور رحيم)

يا أيها النبى لاىّ سبب تجعل ما أحل الله لك ممنوع الانتفاع على نفسك باليمين لان تطلب بذلك رضا أزواجك ، والله غفر لك من ذلك ، رحيم بك .

٥٢٣١- (قد فرض الله لكم تحلة أيمانكم والله مولاكم وهو العليم الحكيم)

قد شرع الله تعالى لكم أيها المؤمنون تحليل أيمانكم كفارة ، والله وليكم بازالة الحظر ـ فيما تحرمونه على أنفسكم باليمين ـ بالكفارة ، وهو العليم بحقائق الامور ، الحكيم فيما يشرع لكم .

٥٢٣٢ - (و اذ اسر النبى الى بعض ازواجه حديثا فلما نبات به واظهره الله عليه عرف بعضه و أعرض عن بعض فلما نبأها به قالت من أنباك هذا قال نبأنى العليم الخبير)

و اذكر حين أسر النبى ﷺ إلى حفصة اختباراً لها إمتناعه ﷺ عن الانتفاع بمارية ام ابراهيم، و تصدّى أمر الخلافة بعده ﷺ من لايليق بها، فلما أخبرت حفصة عائشة بالسر ، وأظهر الله تعالى ما أفشته على نبيه ﷺ واطلعه به عرّف النبى ﷺ بعض ما أمرها بكتمانه ، و أعرض عن بعض آخر ، فلما أخبر رسول الله ﷺ حفصة بما أفشته لعائشة قالت حفصة له ﷺ : من أخبرك بذلك قال رسول الله ﷺ : أخبرنى العليم بجميع الاشياء ، الخبير بخفاياها .

٥٢٣٣ - (ان تتوبا الى الله فقد صغت قلوبكما وان تظاهرا عليه فان الله هو مولاه و جبرئيل وصالح المؤمنين والملائكة بعد ذلك ظهير)

قل يا أيها النبى لحفصة و عائشة : إن تتوبا إلى الله تعالى يقبلها إذ قدمالت قلوبكما عن الحق إلى الباطل ، وإن تعاونا على رسول الله ﷺ بالايذاء والكيد والخديعة ، فاعلما : ان الله القادر العزيز الجبار هو مولى نبيه وحاميه ، وجبرئيل وصالح المؤمنين ناصره ، والملائكة بعد ذلك معينه ، فلا يضرّه تظاهرهما .

٥٢٣٤ - (عسى ربه ان طلقكن أن يبدله أزواجاً خيراً منكن مسلمات مؤمنات قانتات تائبات عابدات سائحات ثيبات وأبكاراً)

عسى رب النبى ﷺ إن طلّق رسوله إيا كن يا معشر نسائه ﷺ أن يبدل لكن الله لرسوله زوجات خيراً منكن ، وهن مقرّات بالاسلام ، يعتقدن بما يعترفن ، و يعملن بما يعتقدنه ، خاضعات مطيعات لأزواجهن ، راجعات إلى أمر النبى عابدات لله باخلاص ، سائحات فى طاعة الله تعالى ، وهن إما ثيبات تزوجن من قبل، و إما باكرات لم تزوجن بعد .

٥٢٣٥ - (يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم و أهليكم ناراً و قودها الناس و الحجارة عليها ملائكة غلاظ شداد لا يعصون الله ما أمرهم و يفعلون ما يؤمرون)

يا أيها الذين آمنوا بالله و رسوله و باليوم الاخر أحفظوا أنفسكم بطاعة الله وصالح الاعمال ، و أهليكم بالنصح والارشاد من عذاب نارجهنم حطبها الكفار والحجارة ، على النارو أهلها ملائكة غلاظ الخلق و الأفعال و الاقوال ، أشداء لا ترحم عليهم ، لايعصون الله تعالى ما أمرهم الله به ، و يفعلون ما يؤمرون به من الغلظة والشدة على الكافرين وأذنابهم المنافقين .

٥٢٣٦ - (ياأيها الذين كفروا لاتعتذروا اليوم انما تجزون ماكنتم تعملون)

يا أيها الذين كفروا بالله و رسوله انكم استحققتم هذا العذاب على تلك الكيفية لا تعتذروا اليوم بغلاظ الملائكة وشدادهم ، انما تجزون بهذا العذاب حسب اقتضاء ما كنتم تعملون فى الحياة الدنيا .

٥٢٣٧ - (يا أيها الذين آمنوا توبوا الى الله توبة نصوحاً عسى ربكم

أن يكفر عنكم سيئاتكم و يدخلكم جنات تجرى من تحتها الانهار يوم لا يخزى الله النبى و الذين آمنوا معه نورهم يسعى بين أيديهم و بايمانهم يقولون ربنا أتمم لنا نورنا و اغفرلنا انك على كل شيء قدير)

يا أيها الذين آمنوا بالله ورسوله واليوم الاخر إرجعو إلى الله تعالى بالطاعة وصالح الاعمال من ذنوبكم رجوعاً لا تعودون إليها أبدا ، عسى ربكم بالتوبة أن يبدّل عنكم سيئاتكم حسنات ، و يدخلكم بساتين تجرى من تحتها الانهار يوم لا يذلّ نبيه ﷺ و الذين آمنوا ، نور المؤمنين يسعى بين قدامهم ، و جانب أيمانهم ، يقولون هؤلاء المؤمنون : ربنا أتمم لنا نورنا ، واستر علينا ذنوبنا انك على كل شيء قدير على إتمام النور والغفران .

٥٢٣٨ - (يا أيها النبى جاهد الكفار والمنافقين و اغلظ عليهم وماواهم جهنم وبئس المصير)

يا أيها النبى قاتل الكفار بالسيف و الحرب عند تمردهم عن قبول دعوة الحق ، وجاهد المنافقين بالانذار والارشاد ، و اشدد عليهم ، ومأواهم جهنم وبئس المصير مصيرهم جهنم .

٥٢٣٩ - (ضرب الله مثلاً للذين كفروا امرات نوح و امرات لوط كانتا تحت عبدين من عبادنا صالحين فخانتاهما فلم يغنيا عنهما من الله شيئاو قيل ادخلا النار مع الداخلين)

ضرب الله تعالى الامرأتين وما انتهت إليه حالهما مثلا للذين كفروا ليعتبروا به و يعلموا أنهم لا ينفعهم الاتصال بالصالحين من عباده و انهم بخيانتهم النبى ﷺ من أهل النار لا محالة ، كامرأة نوح و امرأة لوط كانتا تحت عبدين من عبادنا صالحين فخانتاهما ، فلم يغن عبدان عن زوجتيهما من عذاب الله شيئا و قيل لهما ادخلا فى نار جهنم مع الذين دخلوا فيها بكفرهم وعصيانهم .

٥٢٤٠ - (و ضرب الله مثلا للذين آمنوا امرأة فرعون اذ قالت رب ابن لى عندك بيتاً فى الجنة و نجنى من فرعون وعمله ونجنى من القوم الظالمين)

ضرب الله تعالى مثلاً للذين آمنوا امرأة فرعون و هى آسية بنت مزاحم ، ولكنها بالايمان وصالح العمل ترى لنفسها كرامة عند الله تعالى اذ قالت : رب ابن لى بيتا فى أعلى درجات المقربين منك فى الجنة من مسكن الانبياء ، و نجنى من فرعون الطاغى و شره و عمله الفاسد ، و نجنى من القوم الذين ظلموا على انفسهم بالكفر والعصيان .

٥٢٢١ - (و مريم ابنت عمران التى أحصنت فرجها فنفخنا فيه من روحنا وصدقت بكلمات ربها وكتبه وكانت من القانتين).

و ضرب الله تعالى مثلا للذين آمنوا حال مريم بنت عمران بمالها من الكرامة عند الله جل وعلا بالايمان والتقوى اذ حفظت فرجها من دنس المعصية ، فارسلنا إليها جبرئيل فنفخ فيها روحاً من أرواحنا و ألقاها إليها ، وصدقت مريم بما أوحى الله تعالى إلى الانبياء عليهم السلام و كتبه المنزلة عليهم وكانت من عدد المواظبين على طاعة الله تعالى .

﴿ بحث روائي ﴾

في الكافي: باسناده عن زرارة عن أبي جعفر عليه السلام قال: سئلته عن رجل قال لامرأته: أنت عليّ حرام، فقال: لو كان لي عليه سلطان لا وجعت رأسه، و قلت له: الله أحلّها، فمن حرّمها عليك أنه لم يزد على أن كذب، فزعم ان ما أحل الله له حرام، ولا يدخل عليه طلاق ولا كفارة، فقلت له: فقول الله عزوجل: «يا أيها النبي لم تحرّم ما أحل الله لك تبتغي مرضات أزواجك والله غفور رحيم قد فرض الله لكم تحلة أيمانكم»

فجعل عليه فيه الكفارة، فقال: انما حرّم عليه جاريته مارية و حلف أن لا يقربها، و انما جعل عليه الكفارة في الحلف، ولم يجعل عليه في التحريم.

و في وسائل الشيعة: علي بن جعفر في كتابه عن أخيه موسى بن جعفر عليه السلام قال: سئلته عن الرجل يقول لامرأته: أنت عليّ حرام، قال: هي يمين يكفّرها قال الله تعالى لمحمد صلى الله عليه وآله وسلم: «يا أيها النبي لم تحرّم ما أحل الله لك تبتغي مرضات أزواجك والله غفور رحيم قد فرض الله لكم تحلة أيمانكم والله مولاكم» فجعلها يميناً فكفّرها نبي الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: و سئلته بما يكفر يمينه؟ قال: اطعام عشرة مساكين، فقلت: كم إطعام كل مسكين؟ فقال: مدّ مدّ قال: و سئلته عن هذه الاية: أو كسوتهم للمساكن، فقال: ثوب يواري به عورته.

اقول: هذا محمول على الحلف لمامرّ أو على التقية أو على الاستحباب.

و فيه: عن عبدالله بن سنان عن أبي عبدالله عليه السلام قال في رجل قال: امرأته طالق، ومماليكه أحرار إن شربت حراماً أو حلالاً من الطلا أبداً، فقال: أما

الحرام فلا يقربه أبداً ، إن حلف أو لم يحلف ، و أما الطلا فليس له أن يحرّم ما أحل الله عزوجل قال الله عزوجل : « يا أيها النبى لم تحرّم ما أحل الله لك » فلا تجوز يمين فى تحريم حلال ولا تحليل حرام ولا قطيعة رحم

أقول : قوله عليه السلام : « من الطلا » الطل : اللبن .

وفى الكافى : باسناده عن محمد بن قيس قال : قال أبو جعفر عليه السلام : قال الله عزوجل لنبيه صلى الله عليه وآله : « يا أيها النبى لم تحرّم ما أحل الله لك ـ قد فرض الله لكم تحلة أيمانكم » فجعلها يميناً و كفرها رسول الله صلى الله عليه وآله قلت : بما كفّر ؟ قال أطعم عشرة مساكين لكل مسكين مدّ ، قلنا : فمن وجد الكسوة ؟ قال : ثوب يوارى به عورته .

و فى الفقيه : قال : قال الصادق عليه السلام : انى لاكره للرجل أن يموت ، و قد بقيت عليه خلة من خلال رسول الله صلى الله عليه وآله ، فلم يأتها فقلت له : تمتّع (تمتع خ) رسول الله صلى الله عليه وآله ؟ قال : نعم ، و قرأ هذه الاية : « و اذ أسرّ النبى إلى بعض أزواجه حديثاً إلى قوله ـ ثيبات وأبكاراً » .

و فى البرهان : و من مختصر وسيط الواحدى الشهرزورى عن ابن عباس قال : أردت أن أسئل عمر بن الخطاب ، فمكثت سنتين فلما كنا بمنزل (بمرّ خ) الظهران و ذهب ليقضى حاجته ، فجاء وقد قضى حاجته ، فذهبت اصبت عليه من الماء ، فقلت : يا أمير المؤمنين من المرأتان اللتان تظاهرتا على رسول الله صلى الله عليه وآله ؟ قال : عائشة و حفصة .

و فى الصحيح البخارى : عن ابن عباس قال : لم أزل حريصاً أن أسئل عمر عن المرأتين من أزواج النبى اللتين قال الله : « إن تتوبا فقد صغت قلوبكما » حتى حج عمر ، و حججت معه ، فلما كان ببعض الطريق عدل عمر وعدلت معه بالاداوة ، فتبرّز ثم أتى فصببت على يديه فتوضأ ، فقلت : يا أمير المؤمنين من المرأتان من أزواج النبى صلى الله عليه وآله اللتان قال الله : « إن تتوبا إلى الله فقد صغت قلوبكما » ؟ فقال : واعجبالك يابن عباس هما عائشة وحفصة .

ثم أنشأ يحدثني، فقال: كنا معشر قريش نغلب النساء، فلما قدمنا المدينة وجدنا قوماً تغلبهم نساؤهم، فطفق نساؤنا يتعلمن من نسائهم، فغضبت على إمرأتي يوماً، فاذا هي تراجعني فانكرت أن تراجعني، فقالت: ما تنكر من ذلك؟ فوالله إن أزواج النبي ﷺ ليراجعنه وتهجره إحداهن اليوم إلى الليل قلت: قد خابت من فعلت ذلك منهن وخسرت.

قال: وكان منزلي بالعوالي وكان لي جار من الأنصار كنا نتناوب النزول إلى رسول الله ﷺ فينزل يوماً، فيأتيني بخبر الوحي وغيره وأنزل يوماً فآتيه بمثل ذلك.

قال: وكنا نحدث ان غسان تنعل الخيل لتغزونا، فجاء يوماً فضرب علي الباب، فخرجت إليه فقال: حدث أمر عظيم، فقلت: أجاءت غسان؟ قال: أعظم من ذلك طلق رسول الله ﷺ نساءه قلت في نفسي: قد خابت حفصة وخسرت قد كنت أرى ذلك كائناً فلما صلينا الصبح شددت علي ثيابي ثم انطلقت حتى دخلت على حفصة، فاذا هي تبكي، فقلت: أطلقكن رسول الله ﷺ؟ قالت: لا أدرى هوذا معتزل في المشربة، فانطلقت فأتيت غلاماً أسود، فقلت: استأذن لعمر فدخل ثم خرج إلي، فقال: قد ذكرتك له فلم يقل شيئاً، فانطلقت إلى المسجد فاذا حول المسجد نفر يبكون فجلست إليهم.

ثم غلبني ما أجد، فانطلقت فأتيت الغلام، فقلت: استأذن لعمر، فدخل ثم خرج فقال: قد ذكرتك له فلم يقل شيئاً، فوليت منطلقا، فاذا الغلام يدعوني فقال: ادخل فقد أذن لك، فدخلت فاذا النبي ﷺ متكيء على حصير قد رأيت أثره في جنبه، فقلت: يا رسول الله أطلقت نساءك؟ قال: لا قلت: الله أكبر لو رأيتنا يارسول الله، وكنا معشر قريش نغلب النساء، فلما قدمنا المدينة وجدنا قوماً تغلبهم نساؤهم فطفق نساؤنا يتعلمن من نسائهم، فغضبت يوماً على إمرأتي، فاذا هي تراجعني فأنكرت ذلك فقالت:

ما تنكر؟ فوالله ان أزواج النبي ﷺ ليراجعنه وتهجره إحداهن اليوم

إلى الليل فقلت : قد خاب من فعل ذلك منهن، فدخلت على حفصة ، فقلت: أتراجع إحدا كن رسول الله و تهجره اليوم إلى الليل ؟ قالت : نعم فقلت : قد خابت من فعلت ذلك منكن وخسرت أتأمن إحدا كن أن يغضب الله عليها لغضب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فاذا هي قد هلكت فتبسم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم

فقلت لحفصة : لاتراجعي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ولا تسئليه شيئاً وسليني مابدالك ولا يغرنك إن كانت جارتك أوسم منك وأحب إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فتبسم اخرى فقلت : يارسول الله أستأنس؟ قال : نعم ، فرفعت رأسي فما رأيت في البيت إلا اهبة ثلاثة ، فقلت : يارسول الله ادع الله أن يوسع على امتك فقد وسع على فارس والروم وهم لايعبدون الله، فاستوى جالساً وقال : أو في شك أنت يابن الخطاب اولئك قوم قد عجلت لهم طيباتهم في الحياة الدنيا ، وكان قد أقسم أن لا يدخل على أزواجه شهراً ، فعاتبه الله في ذلك وجعل له كفارة اليمين .

أقول : و من غير خفي ان الرواية لاتذكر ما أسره النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلى بعض أزواجه ولماهو بعض النباء الذي عرفه ، وما هو الذي أعرض عنه شأن من الشأن مع كونها ظاهرة في ان المراد بالتحريم في الاية هو تحريم عامة أزواجه صلى الله عليه وآله وسلم، وذلك لاينطبق عليها ، وفيها قوله تعالى: « لم تحرم ما أحل الله لك تبتغي مرضات أزواجك » مضافاً إلى انه لاتبين به وجه التخصيص في قوله تعالى : «ان تتوبا إلى الله فقد صغت قلوبكما وان تظاهرا عليه . . الخ » .

وفي تفسير القمي : باسناده عن أبي بصير قال : سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول : « إن تتوبا إلى الله فقد صغت قلوبكما وإن تظاهرا عليه فان الله هو مولاه وجبريل وصالح المؤمنين » قال : صالح المؤمنين علي عليه السلام .

أقول : وقد اوردنا نبذة من كثير الروايات الواردة في بحث النزول عن طريق العامة ما يمس بالمقام فراجع .

و في الفقيه : قال : و سئل الصادق عليه السلام عن قول الله عز وجل : « قوا أنفسكم و أهليكم نارا » كيف نقيهن قال : تأمروهن وتنهونهن ؟ قيل له : انا نأمرهن

و تنها هن فلا يقبلن ، فقال : اذا أمرتموهن و نهيتموهن فقد قضيتم ماعليكم .

و فى المحاسن : باسناده عن سليمان بن خالد قال : قلت لأبى عبد الله عليه السلام : ان لى أهل بيت و هم يسمعون منى ، أفأدعوهم إلى هذا الامر ؟ فقال : نعم ، إن الله يقول فى كتابه : « يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم و أهليكم ناراً وقودها الناس والحجارة »

وفى الكافى : باسناده عن عبدالاعلى مولى آل سام عن أبى عبدالله عليه السلام قال : لما نزلت هذه الاية « يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارا » جلس رجل من المسلمين يبكى ، وقال : أنا عجزت عن نفسى كلفت أهلى ، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حسبك أن تأمرهم بما تأمرهم به نفسك وتنهاهم عما تنهى عنه نفسك .

وفيه : باسناده عن أبى بصير فى قول الله عزوجل : « قوا أنفسكم وأهليكم ناراً » قلت ، كيف أقيهم ؟ قال : تأمرهم بما أمر الله وتنهاهم عما نهاهم الله ، فان أطاعوك كنت قد وقيتهم ، وإن عصوك كنت قد قضيت ما عليك .

وفيه : باسناده عن أبى بصير عن أبى عبدالله عليه السلام فى قول الله عزوجل : « قوا أنفسكم وأهليكم ناراً » كيف نقى أهلنا؟ قال : تأمرونهم وتنهونهم .

و فى الدر المنثور : عن على بن أبيطالب فى قوله : « قوا أنفسكم و أهليكم ناراً » قال : علموا أنفسكم وأهليكم الخير وأدبوهم .

وفيه : عن زيدبن أسلم قال : تلا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم هذه الاية : « قوا أنفسكم وأهليكم ناراً » فقالوا : يارسول الله كيف نقى أهلنا ناراً ؟ قال : تأمرونهم بما يحبه الله وتنهونهم عما يكره الله .

وفى الكافى : باسناده عن جميل بن دراج عن أبى عبد الله عليه السلام قال دخل عليه الطيار فسئله وأنا عنده فقال له : جعلت فداك أرايت قول الله عزوجل : « يا أيها الذين آمنوا » فى غير مكان من مخاطبة المؤمنين أيدخل فى هذه المنافقون قال : نعم يدخل فيه المنافقون والضلال ، و كل من أقر بالدعوة الظاهرة .

و فى رواية : عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال : « كلكم راع و كلكم مسئول

عن رعيته ، فالامام الذى على الناس راع وهو مسئول عنهم والرجل راع على أهل بيته وهو مسئول عنهم »

و فيها : قال صلى الله عليه وآله وسلم : « مانحل والد ولداً أفضل من أدب حسن »

و فيها : قال صلى الله عليه وآله وسلم : « حق الولد على الوالد أن يحسن اسمه و يعلّمه الكتابة ويزوّجه اذا بلغ »

و فيها : قال صلى الله عليه وآله وسلم : « مروا أبناءكم بالصلاة لسبع و اضربوهم عليها لعشر و فرّقوا بينهم فى المضاجع »

و فيها : قال صلى الله عليه وآله وسلم : « رحم الله امرأ قام من الليل فصلّى فأيقظ أهله فان لم تقم رشّ وجهها بالماء ، رحم الله امرأة قامت من الليل تصلّى و أيقظت زوجها فاذا لم يقم رشّت على وجهه من الماء »

و فى الاحتجاج : عن الامام أمير المؤمنين عليه السلام قال ـ فى حديث ـ : ولقد مر رنامعه يعنى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بجبل ، فاذا الدموع يخرج من بعضه فقال له النبى صلى الله عليه وآله وسلم ما يبكيك يا جبل ؟ فقال : يا رسول الله كان عيسى مرّ بى و هو يخوّف الناس بنار وقودها الناس والحجارة ، فأنا أخاف أن أكون من تلك الحجارة قال له : لاتخف تلك حجارة الكبريت فقرّ الجبل و سكن .

وفى الكافى : باسناده عن جابر عن أبى جعفر عليه السلام قال : قال النبى صلى الله عليه وآله وسلم أخبرنى الروح الامين ان الله لا اله غيره، اذاوقف الخلائق وجمع الاولين والاخرين أتى بجهنم تقاد بألف زمام أخذ بكل زمام ألف ملك من الغلاظ الشداد الحديث

وفى الصحيفة السجادية : ـ فى باب الدعاء الثالث فى الصلاة على حملة العرش إلى أن قال ـ : « والذين لا يعصون الله ما أمرهم و يفعلون ما يؤمرون والذين يقولون : سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار والزبانية الذين اذا قيل لهم : خذوه فغلوه ثم الجحيم صلّوه ابتدروا اسراعاً ولم ينظروه » .

و فى العيون : ـ فيماجاء عن الامام على بن موسى الرضا عليه السلام فى هاروت وماروت ـ قال عليه السلام : ان الملائكة معصومون محفوظون من الكفر و القبائح

بألطاف الله تعالى قال الله تعالى فيهم : « لا يعصون الله ما أمرهم و يفعلون ما يؤمرون » .

و في الكافي : باسناده عن أبي بصير قال : قلت لابي عبدالله عليه السلام : « يا أيها الذين آمنوا توبوا إلى الله توبة نصوحاً » ؟ قال : هو الذنب الذي لا يعود فيه أبداً قلت : وأينا لم يعد؟ فقال : يا ابامحمد ان الله يحب من عباده المفتن التواب.

و فيه : باسناده عن أبي الصباح الكناني قال : سئلت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله عزوجل : « يا أيها الذين آمنوا توبوا إلى الله توبة نصوحاً » قال : يتوب العبد من الذنب ثم لا يعود فيه قال محمد بن فضيل : سئلت عنها أباالحسن عليه السلام فقال : يتوب من الذنب ثم لايعود فيه ، وأحب العباد إلى الله المفتنون التوابون.

و في تفسيرالقمي : عن محمد بن الفضيل عن أبي الحسن عليه السلام في قوله : « يا أيها الذين آمنوا توبوا إلى الله توبة نصوحا » قال : يتوب العبد ثم لا يرجع فيه و إن أحب عباد الله إلى الله المتقي التائب .

وفي الدر المنثور : عن ابن عباس قال : قال معاذبن جبل : يا رسول الله ما التوبة النصوح ؟ قال : أن يندم العبد على الذنب الذي أصاب ، فيعتذر إلى الله ثم لا يعود إليه كمالايعود اللبن إلى الضرع .

و في معاني الاخبار : باسناده عن أحمد بن هلال قال : سئلت أبا الحسن الاخير عليه السلام عن النصوح ماهي ؟ فكتب عليه السلام : أن يكون الباطن كالظاهر و أفضل من ذلك .

وفيه : باسناده عن أبي بصير عن أبي عبدالله عليه السلام في قول الله عز و جل : « توبوا إلى الله توبة نصوحاً » قال : هوصوم يوم الاربعاء والخميس والجمعة .

أقول : ومن شرائط التوبة النصوح أن يصوم من أراد التوبة تلك الايام ثم يتوب ، وسيأتي البحث تفصيلا إنشاء الله تعالى فانتظر .

وفي الكافي : باسناده عن معاوية بن وهب قال : سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول : اذا تاب العبد توبة نصوحاً أحبه الله ، فستر عليه في الدنيا والاخرة فقلت :

و كيف يستر عليه ؟ قال : ينسى ملكيه ما كتبا عليه من الذنوب ، و يوحى إلى جوارحه : اكتمى عليه ذنوبه ، و يوحى إلى بقاع الارض اكتمى ما كان يعمل عليك من الذنوب ، فيلقى الله حين يلقاه و ليس شىء يشهد عليه بشىء من الذنوب.

وفى الخصال : فيما علّم أمير المؤمنين عليه السلام أصحابه من الاربعمأة باب مما يصلح للمسلم فى دينه و دنياه : باب التوبة مفتوح لمن أرادها ، فتوبوا إلى الله توبة نصوحاً عسى ربكم أن يكفر عنكم سيئاتكم .

و فى الكافى : باسناده عن صالح بن سهل الهمدانى قال : قال أبوعبدالله عليه السلام فى قوله : « يسعى نورهم بين أيديهم وبأيمانهم » أئمة المؤمنين يوم القيامة يسعى (يسعون ظ) بين أيدى المؤمنين وبأيمانهم حتى ينزلوهم منازل أهل الجنة .

و فى المجمع : و قال أبوعبد الله عليه السلام : يسعى ائمة المؤمنين يوم القيامة بين أيديهم وبأيمانهم حتى ينزلوهم منازلهم فى الجنة .

و فى تفسير القمى : فى رواية أبى الجارود عن أبى جعفر عليه السلام فى الاية من كان له نور يومئذ نجى ، و كل مؤمن له نور .

و فى البرهان : عن ابن عباس فى قوله تعالى : « يوم لا يخزى الله النبى » قال : لا يعذب الله محمداً صلى الله عليه وآله « والذين آمنوا معه » : لا يعذب الله على بن أبى طالب و فاطمة والحسن والحسين و حمزة و جعفر « نورهم يسعى » يضيىء على الصراط لعلى و فاطمة مثل الدنيا سبعين مرة فيسعى نورهم بين أيديهم و يسعى عن أيمانهم وهم يتبعونه فيمضى أهل بيت محمد أول مرة على الصراط مثل البرق الخاطف ، ثم يمضى قوم مثل عدو الفرس ثم قوم مثل شد الرجل ، ثم قوم مثل المشى ثم قوم مثل الحبو ، ثم قوم مثل الزحف ، و يجعله الله على المؤمنين عريضاً ، وعلى المذنبين دقيقا يقول الله تعالى : « يقولون ربنا اتمم لنا نورنا » حتى نجتاز به على الصراط قال : فيجوز أمير المؤمنين عليه السلام فى هودج من الزمرد الاخضر ، و معه فاطمة على نجيب من الياقوت الاحمر وحولها سبعون ألف حوراء كالبرق اللامع .

وفيه : بالاسناد عن جابر بن عبدالله الانصارى قال : كنت ذات يوم عندالنبى (ص) إذ أقبل بوجهه على على بن أبيطالب (ع) فقال : ابشر يا أبا الحسن ؟ قال : بلى يا رسول الله قال : هذا جبرئيل يخبرنى عن الله جل جلاله انه قداعطى شيعتك و محبيك سبع خصال : الرفق عند الموت ، والانس عند الوحشة ،والنور عند الظلمة ، و الامن عند الفزع ، والقسط عند الميزان ، والجواز على الصراط و دخول الجنة قبل الناس « نورهم يسعى بين أيديهم وبأيمانهم »

و فى أمالى الطوسي : قدس سره باسناده عن ابن عباس قال : لمانزلت : « يا أيها النبى جاهد الكفار و المنافقين » قال النبى (ص) لاجاهدن العمالقة يعنى الكفار والمنافقين ، وآتاه جبرئيل قال : أنت أوعلى (ع) .

اقول : أى أنت تجاهد الكفار وعلى (ع) يجاهد المنافقين و يؤيد ما روى عن الامام جعفر بن محمد (ع) قال : فجاهد رسول الله (ص) الكفار وجاهد على (ع) المنافقين جهاد رسول الله (ص) .

و فى البرهان : عن شرف الدين النجفى رفعه عن أبى عبدالله (ع) انه قال فوله تعالى : « ضرب الله مثلا للذين كفروا إمرأة نوح و امرأة لوط » الاية : مثل ضربه الله سبحانه لعائشة وحفصة أن تظاهرتا على رسول (ص) وأفشتا سره .

وفيه : بالاسناد عن داود بن فرقد عن أبى عبدالله (ع) في قوله عزوجل : « و ضرب الله مثلا للذين آمنوا امرأة فرعون » الاية انه قال : هذا مثل ضربه الله لرقية بنت رسول الله (ص) التى تزوجها عثمان بن عفان قال : و قوله : « نجنى من فرعون » عمله » يعنى من الثالث « عمله « نجنى من القوم الظالمين » يعنى به بنى امية .

وفيه : بالاسناد المتقدم عن أبى عبدالله (ع) انه قال : « ومريم ابنت عمران التى أحصنت فرجها » مثل ضربه الله لفاطمة (ع) و قال : ان فاطمة أحصنت فرجها ، فحرم الله ذريتها على النار .

وفيه عن أبى عبدالله (ع) فى قوله عزوجل : « و مريم ابنت عمران التى

احصنت فرجها » قال : هذا مثل ضربه الله لفاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم

وفى المجمع : عن أبى موسى عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم قال : كمل من الرجال كثير ، و لم يكمل من النساء الا أربع : آسية بنت مزاحم امرأة فرعون ، ومريم بنت عمران ، و خديجة بنت خويلد ، وفاطمة بنت محمد صلى الله عليه وآله وسلم .

و فى الخصال : عن ابن عباس قال : خط رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أربع خطط فى الارض ، و قال : أتدرون ما هذا ؟ قلنا : الله ورسوله أعلم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أفضل نساء أهل الجنة خديجة بنت خويلد ، و فاطمة بنت محمد ، و مريم بنت عمران ، وآسية بنت مزاحم إمرأة فرعون .

و فى الدر المنثور : عن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : أفضل نساء أهل الجنة خديجة بنت خويلد ، و فاطمة بنت محمد صلى الله عليه وآله وسلم و مريم بنت عمران ، وآسية بنت مزاحم امرأة فرعون مع ما قص الله علينا من خبرهما فى القرآن « قالت رب ابن لى عندك بيتا فى الجنة »

وفيه : عن سعد بن جنادة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : ان الله زوجني فى الجنة مريم بنت عمران و امرأة فرعون واخت موسى .

اقول : و قدوردت روايات فى قتل فرعون زوجته آسية لما اطلع أنها آمنت بالله تعالى وحده ولكنها اختلفت فى كيفية قتلها .

ففى بعضها أ ان فرعون لما اطلع على ايمانها كلفها بالرجوع إلى الكفر، فأبت الا الايمان ، وتدلها أربعة أوتاد و أضجعها على صدرها و جعل على صدرها رحى و استقبل بها عين الشمس .

و فى بعضها : أمر بها أن ترمى عليها بصخرة عظيمة حتى ترضح تحتهافعمل بها ذلك حتى قبضت .

و فى بعضها : لما أحضرت للعذاب دعت بما حكى الله تعالى عنها فى كلامه من قولها : « رب ابن لى عندك بيتا فى الجنة » الخ فاستجاب الله جل و علا لها و رأت بيتها فى الجنة وانتزعت منها الروح ، و القيت الصخرة على جسدها ، وليس فيه روح .

﴿ بحث فقهي ﴾

قال الله تعالى : « يا أيها النبي لم تحرّم ما احل الله لك تبتغي مرضات أزواجك والله غفور رحيم قد فرض الله لكم تحلة أيمانكم والله مولاكم وهو العليم الحكيم » التحريم : ١ - ٢)

وقد اختلفت كلمات فقهاء العامة اختلافاً كثيراً في رجل يقول لزوجته: « أنت عليّ حرام » حتى انتهت إلى سبعة وعشرين قولا :

أحدها - قال أبو حنيفة : إن نوى الطلاق فواحدة بائنة الا أن ينوى ثلاثاً ، وإن نوى ثنتين فواحدة ، وان نوى الظهار كان مانوى ، وإن لم ينو طلاقاً ولا غيره فهو يمين ، وكان الرجل مولياً من إمرأته .

ثانيها - قال الشافعي في أحد أقواله : إن نوى الطلاق ، فما أراد من أعداده وإن نوى واحدة فهي رجعية .

ثالثها - قال الشافعي أيضاً : انه ليس بشيء لايمين ولاغيره ، ولكن تجب فيه الكفارة .

رابعها - قال الشافعي ثالثاً : ليس بطلاق حتى ينوى ، و إن أراد تحريمها بلا طلاق ، فعليه كفارة يمين وليس بمول .

خامسها - قال مالك في أحد أقواله : انه طلاق بائن .

سادسها - قال مالك أيضاً : انه في المدخول بها ثلاث ، و ينوى في غير المدخول بها .

سابعها - قال مالك ثالثاً : لايكون التحريم يميناً في شيء الا أن يحرم

امراته فيلزمه الطلاق وهو ثلاث الا أن ينوى واحدة او ثنتين ، فيكون مانوى .

ثامنها ـ قال أحمد بن حنبل : انه ظهار ففيه كفارة الظهار .

تاسعها ـ عن عمر بن الخطاب انه قال : انه طلاق رجعى .

عاشرها ـ منهم من قال : انه طلاق ثلاث .

الحاديعشر ـ منهم من قال : انه يمين يكفرها .

الثانى عشر ـ منهم من قال : ان التحريم يمين ، وان المحرم للشيء على نفسه قد اقتضى لفظه ايجاب الامتناع منه كالاشياء المحرمة ، وذلك فى معنى النذر وقول القائل : لله على أن لا افعل ذلك. فلما كان النذر يميناً بالسنة واتفاق الفقهاء وجب أن يكون تحريم الشيء بمنزلة النذر ، فتجب فيه كفارة يمين اذا حنث كما تجب فى النذر .

الثالث عشر ـ منهم من قال : انه بمنزلة تحريم الماء والطعام فلاشيء الا اذا قارنه باليمين فعليه كفارة اليمين .

الرابع عشر ـ منهم من قال : انه طلاق ثلاث ، ولا ينوى بحال ولا فى محل وإن لم يدخل .

الخامس عشر : منهم من قال : انه طلاق ثلاث فى المدخول بها ، وطلاق واحد فى غيرها .

السادس عشر ـ منهم من قال : انه طلاق سواء نوى الظهار ام لا .

السابع عشر ـ منهم من قال : ان التحريم يمين اذا لم تقارنه نية الطلاق فاذا حرّم رجل إمرأته فيكون بمنزلة قوله لها : والله لا أقربك فيكون مولياً ، و أما اذا حرّم غير إمرأته من المأكول والمشروب وغيرهما فانه بمنزلة قوله : والله لا آكل منه ، و والله لأشرب منه و نحو ذلك لقوله تعالى : « لم تحرّم ما أحل الله لك » ثم قال : « قد فرض الله لكم تحلة ايمانكم » فجعل التحريم يميناً فصارت اليمين فى مضمون لفظ التحريم، ومقتضاه فى حكم الشرع فاذا اطلق كان محمولا على اليمين الا أن ينوى غيرها فيكون مانوى فاذا حرّم إمرأته ، و أراد

الطلاق كان طلاقاً لاحتمال اللفظ له ، و كل لفظ يحتمل الطلاق ويحتمل غيره ، فانه متى أراد به الطلاق كان طلاقاً مع مقارنة الدلالة على ارادة الطلاق .

الثامن عشر - منهم من قال : انه طلاق فان ارتجعها لم يجزله وطؤها حتى يكفّر كفار الظهار .

التاسع عشر - منهم من قال: إن نوى ثلاثاً فثلاث ، وان نوى واحدة فواحدة وإن نوى يميناً فيمين ، وإن لم ينوشيئاً فلا شيء عليه .

العشرون - منهم من قال : انه طلاق وله نيته ولايكون أقل من واحدة .

الحادى و العشرون - منهم من قال :عليه عتق رقبة وإن لم يجعلها ظهاراً

الثانى والعشرون - منهم من قال : إن نوى ثلاثاً فثلاث ، وان نوى واحدة فواحدة بائنة ،وإن نوى يميناً فهى يمين يكفّرها ، وإن لم ينوفرقة ولا يميناً فليس بشيء هى كذبة .

الثالث والعشرون - منهم من قال : انه مانوى ، وان لم ينو شيئاً فهو يمين

الرابع والعشرون - منهم من قال : انه ثلاث ، ولايسئل عن النية .

الخامس والعشرون - منهم من قال : ان نوى ظهاراً لم يكن ظهاراً لان الظهار أصله بحرف التشبيه .

السادس والعشرون - منهم من قال : إن نوى يميناً فهى يمين يكفّرها و الا فلا سواء نوى غيرها أم لا .

السابع والعشرون - منهم من قال : ان نوى ظهاراً كان ظهاراً والا فلا

فى الجامع لاحكام القرآن للقرطبى- بعد أن ذكر نبذة من تلك الاقوال - قال : قال علماؤنا : سبب الاختلاف فى هذا الباب انه ليس فى كتاب الله ولافى سنة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ولاظاهر صحيح يعتمدعليه فى هذه المسئلة فتجاذبها العلماء لذلك .

اقول: ولعمرى ليس فى الاعراض عن أهل بيت الوحى و من عنده علم الكتاب الا الشقاق والخلاف ، فتجاذب النفس بكل شيء الا الحق قال الله تعالى:

« فماذا بعد الحق الآ الضلال فأنى تصرفون » يونس : ٣٢)

وأما فقهاء الشيعة الامامية الاثنى عشرية فيستضيؤن بنور خيرة الله تعالى أئمة الهدى المعصومين عن الزلل والخطاء، وهم عترة النبى الكريم صلى الله عليه وآله وسلم وانهم أحد الثقلين تركهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فينا لنهتدى بهم ونستنبط بما ورد عن طريقهم مالم نجد صراحاً فى الكتاب المجيد :

ان المراد بالتحريم : اليمين لايجاب الله تعالى فى الاية التالية كفارة يمين باطلاق لفظ التحريم على ان اليمين تحريم للمحلوف عليه ، فاذا حرّم الرجل إمرأته فهى يمين لابد من كفارة اليمين، وهى اطعام عشرة مساكين : كل مسكين مد ،أو كسوتهم بثوب يوارى به عورتهم .

وان اليمين تنعقد على المباح المتساوى ، ولو فرض رجحان شىء منه لبعض العوارض انعقدت على الاقوى .

يستدل على وجوب تعليم الاباء أولادهم ونساؤهم الدين الحق ، والخير و امرهم بأوامر الله تعالى ، ونهيهم عن نواهيه، وتأديبهم بآداب الحسنة ، والاخلاق الفاضلة بقوله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم ناراً »

التحريم : ٦)

مؤيدين ذلك بقوله تعالى : « وامر أهلك بالصلاة واصطبر عليها »

طه : ١٣٢)

ويدل على وجوب ذلك للاقارب والعشيرة و ان للاقرب فالاقرب منا مزية فى لزومنا تعليمهم وأمرهم بالايمان وصالح الاعمال قوله تعالى : « وأنذر عشيرتك الاقربين » الشعراء : ٢١٤)

واستدل بعض الفقهاء على وجوب القتال بالحرب و السيف ، و الغلظة على الكفار والمنافقين ، وعلى النهى عن مقارنتهم ومعاشرتهم و توليهم بقوله تعالى : « ياايها النبى جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم » التحريم : ٩)

واستدل بعض العامة بنكاح إمراة فرعون بزوجها الكافر ، و تزويج نوح و

لوط عليهما السلام بامر أتيهما الكافرتين على جواز نكاح المؤمنين بالكافرات والعكس .

وهذامردود بقوله تعالى : « ولاتنكحوا المشركات حتى يؤمن ـ ولاتنكحوا المشركين حتى يؤمنوا » البقرة : ٢٢١)فالمنع مستمر المدى فى الدين الاسلامى سواء قلنا بجوازه قبل الاسلام ام كان لغرض بل اغراض آخر كتجويز النبى صلى الله عليه وآله وسلم بحفصة وعائشة وقد ظهر نفاقهما بكرات مع الحظر على ذلك فتدبر واغتنم .



﴿ بحث مذهبي ﴾

و قد كان الخلاف قديماً و حديثاً في مشرعية النبي صلى الله عليه وآله وسلم فيما سوى القرآن الكريم ، فذهب إلى النفي طائفة ، و إلى الاثبات آخرون :

و استدل النافون بقوله تعالى : « لم تحرم ما أحل الله لك ـ قد فرض الله لكم تحلة أيمانكم » التحريم : ١ ـ ٢) مؤيدين ذلك بقوله تعالى : « عفا الله عنك لم أذنت لهم حتى يتبين لك » التوبة : ٤٣)

اقول : ان الآيتين الاوليين ليستا بصدد مشرعية النبي الكريم صلى الله عليه وآله وسلم ولا بصدد تشريعه في الدين الاسلامي وهو صلى الله عليه وآله وسلم صاحب الشريعة .

و ذلك لان تحريم الحلال والعكس على ضربين :

أحدهما ـ الاعتقاد بثبوت حكم التحريم في الحلال كالاعتقاد بثبوت حكم التحليل في الحرام فهو حرام محظور وبدعة و تشريع و هذا لا يمكن من معصوم أبداً .

ثانيهما ـ الامتناع من المباح مطلقاً أو مؤكداً باليمين مع اعتقاد حلّه ، و هذا مباح و جائز بلا خلاف اذ لو كان ترك المباح والامتناع عنه غير جائز لاستحالت حقيقة الحلال بالوجوب لا المباح ، و ما وقع من النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان من نوع الثاني من امتناعه صلى الله عليه وآله وسلم عن مارية التي كانت مملوكة له صلى الله عليه وآله وسلم لم يجب عليه صلى الله عليه وآله وسلم وقد سبق آنفا ـ في البحث الفقهي ـ ان المراد بالتحريم اليمين .

و قال بعض المحققين : ان نسبة التحريم إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مجاز فالمعنى لم تكون سبباً لتحريم الله تعالى عليك ما أحل الله لك بحلفك على تركه . واما

الاية الاخيرة فالكلام فى محله .

و أما المثبون فاستدلوا بقوله تعالى : « وما ينطق عن الهوى » النجم : ٣)

وبقوله تعالى : « وما آتاكم الرسول فخذوه ومانهاكم عنه فانتهوا » الحشر:٧)

أقول: وقد أشبعنا الكلام فى محله فراجع .

وقد اختلفت كلمات العلماء فى تكليف الملائكة فى الحياة الدنيا والاخرة واختيارهم فيه وعدمه ، ذهب إلى كل فريق :

فيستدل السابقون الاولون ـ على أنهم مكلفون بتكاليف فى الدنيا والاخرة هم ملتزمون بما يكلفون به ، ومختارون فيما يمتثلون من أوامر الله تعالى وفيما يتركون عمانهوا عنه ، و ان عصمتهم لا تسلب عنهم الاختيار كيف و ان الانبياء والمرسلين وأئمة أهل البيت كانواهم معصومين من غير نفى الاختيار عنهم ـ بقوله تعالى : « لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون » التحريم : ٦) مع دلالته على عصمتهم عن فعل القبيح ، و انهم لا يخالفون الله تعالى فى أمره لا صغيرة ولا كبيرة و يمتثلون كل ما أمرهم به .

و بقوله تعالى : « و اذقال ربك للملائكة انى جاعل فى الارض خليفة قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ـ واذ قلنا للملائكة اسجدوا لادم فسجدوا الا ابليس أبى واستكبر وكان من الكافرين » البقرة : ٣٠ ـ ٣٤)

و بقوله تعالى : « و يرسل عليكم حفظة حتى اذا جاء أحدكم الموت توفته رسلنا وهم لا يفرطون » الانعام : ٦١)

و بقوله تعالى : « ان تستغيثون ربكم فاستجاب لكم انى ممدكم بالف من الملائكة مردفين » الانفال : ٩)

و بقوله تعالى : « وله معقبات من بين يديه و من خلفه يحفظونه من أمر الله » الرعد : ١١)

و بقوله تعالى : « يخافون ربهم من فوقهم و يفعلون ما يؤمرون » النحل: ٥٠) وفيه دلالة على ان الملائكة مكلفون مدارون على الامر والنهى و الوعد

و الوعيد كسائر المكلفين و انهم بين الخوف والرجاء.

وغيرها من الايات الكريمة...

و بقصة نجاة ملك من الملائكة بيد الامام سيد الشهداء حسين بن علي عليه السلام

في اوائل المقالات: للشيخ المفيد رضوان الله تعالى عليه قال: «ان الملائكة مكلفون و موعودون و متوعدون قال الله تبارك و تعالى: «و من يقل منهم انى اله من دونه فذلك نجزيه جهنم كذلك نجزى الظالمين» و أقول: انهم معصومون مما يوجب لهم العقاب بالنار وعلى هذا القول جمهور الامامية وسائر المعتزلة و أكثر المرجئة و جماعة من أصحاب الحديث، و قد أنكر قوم من الامامية أن يكون الملائكة مكلفين، و زعموا انهم إلى الاعمال مضطرون، و وافقهم على ذلك جماعة من أصحاب الحديث» انتهى كلامه.

وأما الاخرون ففي المجمع: في قوله تعالى: «لا يعصون الله ما أمرهم و يفعلون ما يؤمرون» قال الجبائي: انما عنى لايعصونه و يفعلون ما يأمرهم به في دار الدنيا لان الاخرة ليست بدار تكليف وانما هي دار جزاء، وانما أمرهم الله تعالى بتعذيب أهل النار على وجه الثواب لهم بان جعل سرورهم و لذاتهم في تعذيب أهل النار كما جعل سرور المؤمنين و لذاتهم في الجنة. انتهى كلامه

وفي تفسير الفخر: قال في ذيل الاية: وفيه إشارة إلى أن الملائكة مكلفون في الاخرة بما أمرهم الله تعالى به وبما ينهاهم عنه، والعصيان منهم مخالفة للامر والنهي.

و في الميزان: قال ـ بعد أن ذكر ما قال الفخر ـ: و فيه أن الاية و غيرها مما تصف الملائكة بمحض الطاعة من غير معصية تشمل الدنيا والاخرة فلا وجه لتخصيص تكليفهم بالاخرة.

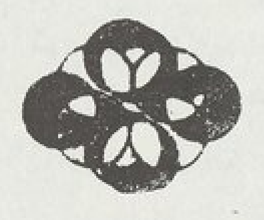
ثم ان تكليفهم غير سنخ التكليف المعهود في المجتمع الانساني بمعنى تعليق المكلف ـ بالكسر ـ إرادته بفعل المكلف ـ بالفتح ـ تعليقا اعتباريا يستتبع الثواب والعقاب في ظرف الاختيار، وإمكان الطاعة والمعصية بل هم خلق من خلق

الله لهم ذوات طاهرة نورية لا يريدون الا ما أراد الله ولا يفعلون الا ما يؤمرون قال تعالى : « بل عباد مكرمون لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون » الانبياء:٢٧)

و لذلك لا جزاء لهم على أعمالهم من ثواب او عقاب فهم مكلفون بتكليف تكويني غير تشريعي مختلف باختلاف درجاتهم قال تعالى : « ومامنا الا له مقام معلوم » الصافات : ١٦٤)

وقال عنهم : « وماتتنزل الا بامر ربك له مابين أيدينا وما خلفنا » مريم: ٦٤) انتهى كلامه .

أقول : و قد أشبعنا الكلام في ترجمة الملائكة فراجع .



﴿ التوبة وفضلها ﴾

قال الله تعالى : « يا ايها الذين آمنوا توبوا إلى الله توبة نصوحاً عسى ربكم أن يكفّر عنكم سيئاتكم ويدخلكم جنات تجرى من تحتها الانهار يوم لايخزى الله النبى والذين آمنوا معه نورهم يسعى بين أيديهم وأيمانهم ربنا اتمم لنانورنا واغفرلنا انك على كل شيء قدير » التحريم:٨)

ومن غرر الايات الكريمة فى التوبة ما تقرأه ، فلابد من البحث فيهاحسب ما يقتضيه المقام .

وقد وردت روايات كثيرة فى فضل التوبة ، وان بابها على مصراعيه مفتوح على وجه عبادالله تعالى فى كل لحظة إلى ان تطلع الشمس من قبل المغرب ، فتوبتهم مقبولة وسيئاتهم بحسنات مبدّلة .

وكفاك فى فضل التوبة إطلاقاً ـ مذنباً كان التائب ام لا ـ ان الله تعالى يقول : « ان الله يحب التوابين ويحب المتطهرين » البقرة : ٢٢٢)

ووجوبها على المذنب واضح عندمن له بصيرة باستضاءة القرآن ونورالايمان فالافضل ان يترك العبد مايجب عليه التوبة .

فى الكافى : عن ابى العباس البقباق قال : قال ابو عبدالله عليه السلام قال : امير المؤمنين عليه السلام : ترك الخطيئة ايسر من طلب التوبة، وكم من شهوة ساعة اورثت حزناً طويلا ، والموت فضح الدنيا ، فلم يترك لذى لبّ فرجاً .

قوله عليه السلام : « الموت فضح الدنيا » لكشفه عن مساويها وغرورها ، وعدم وفائها لاهلها .

وفيه : باسناده عن ابى عبيدة الحذاء قال : سمعت ابا جعفر عليه السلام يقول: ان الله تعالى اشد فرحاً بتوبة عبده من رجل اضل راحلته وزاده فى ليلة ظلماء فوجدها فالله اشد فرحاً بتوبة عبده من ذلك الرجل براحلته حين وجدها .

وفيه : باسناده عن أبى جميلة قال : قال ابو عبدالله عليه السلام : ان الله يحب العبد المفتن التواب ، ومن لايكون ذلك منه كان فضل .

قوله عليه السلام : « ذلك » أى المعصية .

وفى الصحيفة السجادية : قال الامام على بن الحسين زين العابدين عليه السلام : « والحمد لله الذى دلّنا على التوبة التى لم نفدها الا من فضله ، فلولم نعتدد من فضله الا بها لقد حسن بلاؤه عندنا ، وجل إحسانه إلينا ، وجسم فضله علينا ، فما هكذا كانت سنّته فى التوبة لمن كان قبلها ، لقد وضع عنا مالاطاقة لنابه ، و لم يكلّفنا الا وسعاً ، ولم يجشّمنا الا يسراً ولم يدع لاحد مناحجة ولاعذر » .

وفى نهج البلاغة : قال الامام أمير المؤمنين على عليه السلام - فى خطبة الاستسقاء : « ان الله يبتلى عباده عند الاعمال السيئة بنقص الثمرات وحبس البركات ، و إغلاق خزائن الخيرات ليتوب تائب ، ويقلع مقلع ، و يتذكر متذكر ، و يزدجر مزدجر ، وقد جعل الله سبحانه الاستغفار سبباً لدرور الرزق ورحمة الخلق فقال سبحانه : « استغفروا ربكم انه كان غفاراً يرسل السماء عليكم مدراراً ويمددكم باموال وبنين ويجعل لكم جنات ويجعل لكم أنهاراً » .

فرحم الله امرءاً استقبل توبته واستقال خطيئته وبادر منيّته » الخطبة .

وفى ثواب الاعمال : باسناده عن المسعودى قال : قال أمير المؤمنين عليه السلام : من تاب تاب الله وامرت جوارحه أن تستر عليه و بقاع الارض أن تكتم عليه ، وانسيت الحفظة ماكانت تكتب عليه .

وفيه : باسناده عن جعفر بن محمد عليه السلام عن أبيه عن آبائه عليهم السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : ان لله عزوجل فضولا من رزقه ينحله من يشاء من خلقه، والله باسط يديه عند كل فجر لمذنب الليل هل يتوب ، فيغفر له ويبسط يديه عند مغيب

الشمس لمذنب النهار هل يتوب فيغفر له .

وفى الكافى : باسناده عن جابر عن أبى جعفر عليه السلام قال : سمعته يقول: التائب من الذنب كمن لاذنب له ، والمقيم على الذنب وهو مستغفر منه كالمستهزىء

وفيه : باسناده عن أبى القداح عن أبى عبدالله عليه السلام قال : ان الله عزوجل يفرح بتوبة عبده المؤمن اذا تاب كما يفرح أحدكم بضالته اذا وجدها .

وفى رواية: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: « التائب حبيب الله والتائب من الذنب كمن لاذنب له »

وفى رواية: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « الله أفرح بتوبة العبد المؤمن من رجل نزل فى أرض دوية مهلكة معه راحلته عليها طعامه وشرابه فوضع رأسه ، فنام نومة فاستيقظ وقد ذهبت راحلته فطلبها حتى اذا اشتد عليه الحر والعطش ، أوماشاء الله قال : أرجع إلى مكانى الذى كنت فيه فأنام حتى اموت ، فوضع راسه على ساعده ليموت ، فاستقيظ فاذا راحلته عنده عليها زاده و شرابه ، فالله تعالى اشد فرحاً بتوبة العبد المؤمن من هذا براحلته »

وفى الفقيه : قال الصادق عليه السلام : شفاعتنا لاهل الكبائر من شيعتنا ، فأما التائبون فان الله يقول : ما على المحسنين من سبيل .

وفيه : قال امير المؤمنين على عليه السلام :لاشفيع انجح من التوبة .

وفى التوحيد: باسناده عن محمدبن ابى عمير قال : سمعت موسى بن جعفر عليه السلام يقول : من اجتنب الكبائر من المؤمنين لم يسئل عن الصغائر قال الله تعالى « ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم وندخلكم مدخلا كريماً قال : قلت : فالشفاعة لمن تجب ؟ فقال حدثنى ابى عن آبائه عن على عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : انما شفاعتى لاهل الكبائر من امتى ، فاما المحسنون فما عليهم من سبيل قال ابن أبى عمير: فقلت له : يابن رسول الله فكيف تكون الشفاعة لاهل الكبائر و الله تعالى يقول : « ولايشفعون الا لمن ارتضى » و من يرتكب الكبائر لايكون مرتضى ؟

فقال : يا أبا أحمد ما من مؤمن يذنب ذنبا الا ساءه ذلك وندم عليه ، و قد قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : كفى بالندم توبة ، وقال : من سرته حسنته وسائته سيئته فهو مؤمن ، فمن لم يندم على ذنب يرتكبه ، فليس بمؤمن و لم تجب له الشفاعة ـ إلى أن قال ـ : قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم : لا كبير مع الاستغفار ولاصغير مع الاصرار

و في وسائل الشيعة : بالاسناد عن جابر عن أبي جعفر عليه السلام في قول الله عزوجل : « ولم يصرّوا على مافعلوا وهم يعلمون» قال : الاصرار أن يذنب الذنب فلا يستغفر الله ، ولايحدث نفسه بالتوبة فذلك الاصرار .

وفي تفسير الطبري : في قوله تعالى:«هل ينظرون الا أن تاتيهم الملائكة .. الاية » الانعام : ١٥٨) عن صفوان بن عسال قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : ان باب التوبة مفتوح من قبل المغرب ، عرضه مسيرة سبعين عاماً ، فلا يزال مفتوحاً حتى تطلع الشمس من قبله ثم قرأ : « هل ينظرون الاية »

وفي العيون : باسناده عن الامام علي بن موسى الرضا عليه السلام عن آبائه عليهم السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : مثل المؤمن عندالله تعالى كمثل ملك مقرب و ان المؤمن عندالله الاعظم من ذلك ، وليس شيء أحب إلى الله تعالى من مؤمن تائب ومؤمنة تائبة .

وفي الخصال: باسناده عن حفص بن غياث قال : قال ابوعبدالله عليه السلام : لا خير في الدنيا الا لرجلين : رجل يزداد في كل يوم إحساناً ، و رجل يتدارك ذنبه بالتوبة وأنى له بالتوبة والله لوسجد حتى ينقطع عنقه ماقبل الله منه الا بولايتنا أهل البيت .

و في وسائل الشيعة : عن الامام علي بن موسى الرضا عليه السلام عن آبائه عليهم السلام قال :قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : إعترفوا بنعم الله ربكم وتوبوا إلى الله من جميع ذنوبكم فان الله يحب الشاكرين من عباده .

وفي العيون : باسناده عن سهل بن اليسع قال : سمع الرضا عليه السلام بعض أصحابه يقول : لعن الله من حارب عليا عليه السلام فقال له : قل الا من تاب وأصلح، ثم

قال : ذنب من تخلف عنه ولم يتب أعظم من ذنب من قاتله ثم تاب .

وفي رواية : قال الامام أمير المؤمنين علي عليه السلام : « ما من شيء أحب إلى الله من شاب تائب »

وفي ثواب الاعمال : باسناده عن السكوني عن جعفر بن محمد عن أبيه عن آبائه عليهم السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : ان لله فضولا من رزقه ينحله من شاء من خلقه ، والله باسط يده عند كل فجر لمذنب الليل هل يتوب ، فيغفر له ، ويبسط يده عند مغيب الشمس لمذنب النهار هل يتوب ، فيغفر له .



﴿ كلام قرآني و روائي في حقيقة التوبة ﴾

وما يستفادمن الايات الكريمة والروايات الواردة في حقيقة التوبة: ضرورة الندم على مامضى من الذنوب جهلاً ، وترك الزلة في الحال ، و اعادة الفرائض لو تركها ، و ردّ المظالم لو ظلم ، و إذابة النفس في الطاعة كما ذابت في المعصية من غير عودة إلى الحال الاولى مستقبلاً ، كل ذلك قبل ذهاب الفرصة .

قال الله تعالى : « انما التوبة على الله للذين يعملون السوء بجهالة ثم يتوبون من قريب فاولئك يتوب الله عليهم و كان الله عليماً حكيما و ليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى اذاحضر أحدهم الموت قال انى تبت الان ولا الذين يموتون وهم كفار اولئك اعتدنالهم عذاباً أليما ـ ان المنافقين في الدرك الاسفل من النار ولن تجدلهم نصيراً الا الذين تابوا و أصلحوا و اعتصموا بالله و أخلصوا دينهم لله فاولئك مع المؤمنين وسوف يؤت الله المؤمنين أجراً عظيما » النساء : ١٧ـ١٤٦)

وقال : « ان الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات والهدى من بعدما بيناه للناس في الكتاب اولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون الا الذين تابوا و أصلحوا و بينوا فاولئك اتوب عليهم وأنا التواب الرحيم » البقرة : ١٥٩ ـ ١٦٠)

وقال : « ان الذين كفروا بعد ايمانهم ثم ازدادوا كفراً لن تقبل توبتهم و اولئك هم الضالون » آل عمران : ٩٠)

وقال : « انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله و يسعون في الارض فساداً أن يقتلوا او يصلبوا ـ الا الذين تابوا من قبل ان تقدروا عليهم فاعلموا ان الله غفور رحيم » المائدة : ٣٣ ـ ٣٤)

و قال : « و اذا جاءك الذين يؤمنون باياتنا فقل سلام عليكم كتب ربكم على نفسه الرحمة انه من عمل منكم سوءاً بجهالة ثم تاب من بعده و أصلح فانه غفور رحيم » الانعام : ٥٤)

وقال : « ثم ان ربك للذين عملوا السوء بجهالة ثم تابوا من بعد ذلك و أصلحوا ان ربك من بعدها غفور رحيم » النحل : ١١٩)

و قال : « و انى لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحاً ثم اهتدى » طه : ٨٢)

فى الكافى : باسناده عن أبى بصير عن أبى عبدالله عليه السلام قال: سئلته عن قول الله عزوجل : « إذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فاذا هم مبصرون» قال هو العبد يهم بالذنب ثم يتذكر فيمسك فذاك قوله : « تذكروا فاذاهم مبصرون»

وفيه : باسناده عن على الاحمسى عن أبى جعفر عليه السلام قال : والله ما ينجو من الذنب الا من أقر به قال : وقال ابوجعفر عليه السلام : كفى بالندم توبة .

أقول : قوله عليه السلام :« كفى بالندم توبة » ليس معناه ان الندم وحده توبة . بل انه على وزان قوله عليه السلام : « الحج عرفة » ليس معناه : ان غيرها ليس من الاركان و انما المراد انه أكبر الاركان و أهمها

وفيه : باسناده عن ربعى عن أبى عبدالله عليه السلام قال : قال أمير المؤمنين عليه السلام : ان الندم على الشر يدعو إلى تركه .

وفيه : عن بعض الاصحاب عن أبى عبدالله عليه السلام قال : سمعته يقول :ان الرجل ليذنب الذنب فيدخله الله به الجنة قلت : يدخله الله بالذنب الجنة ؟ قال : نعم انه ليذنب فلا يزال منه خائفاً ماقتاً لنفسه ، فيرحمه الله فيدخله الجنة .

وفى الكشاف: عن جابر بن عبدالله قال : ان اعرابياً دخل مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقال : اللهم انى استغفرك و أتوب إليك ، و كبر فلما فرغ من صلاته قال له على عليه السلام : يا هذا ان سرعة اللسان بالاستغفار توبة الكذابين ، و توبتك تحتاج إلى التوبة ، فقال : يا أمير المؤمنين عليه السلام و ما التوبة ؟ قال : إسم يقع على ستة معان :

١ ـ على الماضى من الذنوب الندامة . ٢ ـ و لتضييع الفرائض الاعادة . ٣ ـ ورد المظالم . ٤ ـ و إذابة النفس فى الطاعة كما ربيتها فى المعصية . ٥ ـ و إذاقة النفس مرارة الطاعة كما أذقتها حلاوة المعصية . ٦ ـ و البكاء بدل كل ضحك ضحكته .

أقول : قوله عليه السلام: « و اذاقة النفس مرارة الطاعة » يشير إلى قوله تعالى « و استعينوا بالصبر والصلاة وانها لكبيرة الا على الخاشعين » البقرة : ٤٥)

و الا فالمؤمنون خاشعون فى طاعاتهم قال الله تعالى : « قد أفلح المؤمنون الذين هم فى صلاتهم خاشعون » المؤمنون : ١ ـ ٢)

و فى تفسير العياشى : عن على بن دراج الاسدى قال : دخلت على أبى جعفر عليه السلام فقلت له : انى كنت عاملاً لبنى امية ، فأصبت مالاً كثيراً فظننت ان ذلك لايحل لى ؟ قال : فسئلت عن ذلك غيرى ؟ قال : قلت : قد سئلت ، فقيل لى ان أهلك ومالك و كل شيء لك حرام ، قال : ليس كما قالوا لك قال : قلت : جعلت فداك فلى توبة ؟ قال : نعم توبتك فى كتاب الله : « قل للذين كفروا إن ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف »

و فى وسائل الشيعة : بالاسناد عن محمد بن مسلم عن أحدهما عليهما السلام فى قول الله عزوجل : « من جائه موعظة من ربه فانتهى فله ما سلف » قال : الموعظة: التوبة .

﴿ تحقيق فى حقيقة التوبة ﴾

وقد جائت كلمات الحكماء والمتكلمين ، و المفسرين ، و المحدثين ، و علماء الاخلاق و اللغويين فى حقيقة التوبة بما لاينبغى الغفلة عنها لما فيها من النكات و الدقائق لمن يتدبر ، فنشير إلى أهمها ، فعلى القارىء الخبير التدبر فيها :

و من الحكماء : من قال : ان للتوبة أركاناً ثلاثة على سبيل الترتيب و الانسجام : أولها ـ العلم بقبح الذنوب و مفاسد المعاصى ، و بانها توجب الحجب بين العبد ومولاه ، وان لها تبعات من الهلاك والدمار فى الحياة الدنيا و العذاب والنار فى الاخرة .

ثانيها ـ التأثر و التألم و التأسف بعد العلم بذلك ، فيندم حينئذ على ما فعل منها .

ثالثها ـ العمل حالاً بالايمان والطاعة وصالح العمل ، و ترك ما كان عليه من الكفر و المعصية وفاسد العمل و الاقلاع عنها تماماً ، و مستقبلاً بالعزم على ترك الذنوب والمعاصى أبداً ، وماضياً بقضاء مافات عنه لوكان قابلا للجبر والقضاء

ومنهم : من قال : الاستغفار والتوبة من غير إقلاع توبة الكذّابين .

ومنهم : من قال : زلّة واحدة بعد التوبة أقبح من سبعين قبلها .

ومن المتكلمين : من قال : ماهيّة التوبة هى : الندم والعزم ، و ذلك لان التوبة هى الانابة والرجوع ، ولا يمكن أن يرجع الانسان عما فعله الاّ بالندم عليه والعزم على ترك معاودته ، وما يتوب الانسان منه ، إما أن يكون فعلا قبيحا

وإما أن يكون إخلالا بواجب ، فالتوبة من الفعل القبيح هي أن يندم عليه ، ويعزم الا يعود إلى مثله ، وعزمه على ذلك هو كراهيته لفعله ، و التوبة من الاخلال بالواجب هي أن يندم على اخلاله بالواجب ، ويعزم على أداء الواجب فيما بعد .

اقول : فالتوبة متقومة من جزئين : ندم خاص وعزم خاص .

ومنهم : من قال : ان حقيقة التوبة : هي الندم على فعل المعصية ، و ان العزم على تركها ليس بمأخوذ في حقيقتها ، ثم جعل بعضهم العزم شرطاً للتوبة، وبعضهم لازماً لها مع اتفاقهم بان النادم غير العازم ، وان العازم مع عدم الندم ليس بتائب ، وانما الخلاف في ان عدم صحة توبته لزوال ماهو جزء حقيقة التوبة او لزوال شرطها ولازمها .

في اوائل المقالات : قال الشيخ المفيد رضوان الله تعالى : « ان حقيقة التوبة هو الندم على مافات على وجه التوبة إلى الله عزوجل ، وشرطها هو العزم على ترك المعاودة إلى مثل ذلك الذنب في جميع حياته ، فمن لم يجمع في توبته من ذنبه ما ذكرناه ، فليس بتائب ، وإن ترك فعل امثال ما سلف منه من معاصي الله عزوجل ، وهذا مذهب جمهور أهل العدل ولست اعرف فيه لمتكلمي الامامية ما احكيه . وعبد السلام الجبائي ومن اتبعه يخالفون فيه » انتهى كلامه .

اقول : فالعزم عنده شرط في التوبة .

وان العزم لازم عند بعضهم وليس بجزء من التوبة ، وجزء منها عند الاخرين بحيث لو ندم على ما سلف من القبيح ، ومنع عن العزم صحت توبته عن الاولين دون الاخرين .

وفي نهج المسترشدين : قال العلامة الحلّي قدس سره : « « البحث التاسع في التوبة : وهي الندم على المعصية و العزم على ترك المعاودة ، إذ لولاه لكشف عن كونه غير نادم » .

و سئل بعض : عن الرجل يتوب من الشيء و يتركه ثم يخطر ذلك الشيء بقلبه أو يراه أويسمع به ، فيجد حلاوته ، فقال : الحلاوة طبع البشرية ولابدمن

الطبع ، و ليس له حيلة الا أن يرفع قلبه إلى مولاه بالشكوى و ينكره بقلبه ، ويلزم نفسه الانكار ولايفارقه ، ويدعو الله أن ينسيه ذلك ويشغله بغيره من ذكره و طاعته ، قال : وإن غفل عن الانكار طرفة عين أخاف عليه أن لايسلم و تعمل الحلاوة في قلبه ، ولكن مع وجد ان الحلاوة يلزم قلبه الانكار و يحزن ، فانه لايضره .

ومن المفسرين : من قال : التوبة هى الرجوع عن كل خصلة رذيلة تبعد الانسان عن الله جل وعلا ، فيعم للذنوب الظاهرة ، والعيوب الباطنة ، والاخلاق الذميمة .

ومنهم : من قال : التوبة هي تبديل الخواطر السيئة ، والحركات المذمومة والافعال الفاسدة بالنيات الحسنة والحركات المحمودة ، والافعال الصالحة لقوله تعالى : « الا من تاب وآمن وعمل عملا صالحاً فاولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات» الفرقان : ٧٠) فتحقق هذا التبديل ما استبدلوا ما كانوا عليه من قبل .

ومنهم : من قال : التوبة هى ترك المعاصى فى الحال ، والعزم على تركها فى الاستقبال ، وتدارك ماسبق من التقصير فى ما ضى الاحوال . . .

ومنهم : من قال : التوبة : أن لايعود التائب ولو تقطع بالسيف ، وأحرق بالنار . وأسقط من الشاهق .

ومنهم : من قال : التوبة هى ترك الذنب على أحد الوجوه ، وهو أبلغ وجوه الاعتذار ، فان الاعتذار على ثلاثة اوجه : أحدها - أن يقول المعتذر : لم أفعل ذلك . ثانيها - أن يقول : فعلت لاجل ذلك . ثالثها - أن يقول : فعلت واسأت ، وقد أقلعت ولا رابع لذلك والثالث هو التوبة لان التوبة فى الشرع هى ترك الذنب لقبحه ، والندم على ما فرط منه ، والعزيمة على ترك المعاودة ، و تدارك ما أمكنه أن يتدارك من الاعمال بالاعادة ، فمتى اجتمعت هذه الشرائط الاربعة ، فقد كملت التوبة ، فالتوبة هى الرجوع عما كان مذموماً فى الشرع إلى ماهو محمود فى الدين .

ومنهم : من قال : التوبة : أن لايجد الانسان حلاوة الذنب فى القلب عند ذكره .

ومنهم : من قال : التوبة الانتقال من الاحوال المذمومة إلى الاحوال المحمودة .

ومن المتاخرين: من قال : ان التوبة ليست بندم ، بل هو تمهيد لها ، و إعداد فحسب ، فعند ما تخضع النفس للشر ، يحدث فيها نوع من الصدع وهى تجد من غير مرية ـ فى حرارة الندم المؤلمة وسيلتها لتلتئم ، وتقف من جديد مستجمعة وتحمل منذئذ أمانتها مع مزيد من الطاقة والحماس .

ومن المؤسف اننا لا نستغل دائماً هذه الامكانة المتاحة لنا ، فليس من النادر ، بل كثيراً مايحدث أن تهبط هذه الهزة العابرة فجأة إلى درجة الصفر ، وأن تخبوا النار التى اشتعلت فى بعض اللحظات ـ بسرعة ، فتصبح دون أثر فى الارادة ودون غد فى السلوك ، واذن فليست التوبة ثمرة ضرورية للندم ، وهو لايستتبعها كنتيجة مبدئية .

ان الندم أثر طبيعى للصراع ولكنه ليس جزاه ، أما التوبة فهى على عكس ذلك تماماً : انها ليست أثراً طبيعياً ، بل هى جزاء ، وجزاء أخلاقى بالمعنى الحقيقى يفترض تدخل الجهد ، انها واجب جديد يفرضه الشرع علينا ، على إثر تقصير فى الواجب الاولى : « وتوبوا إلى الله جميعاً أيها المؤمنون لعلكم تفلحون » و« يا أيها الذين آمنوا توبوا إلى الله توبة نصوحاً » وهى واجب ملح وعاجل ، حتى انه لايصادف إرجاءاً إلا عرّضه للخطر زوال فائدته .

وأول الاخطار يتمثل فى أن استمرار الارادة فى موقفها الخاطىء ينشىء فى كل لحظة خطأ جديداً ، والله يقول فى صفة المتقين : « ولم يصرّوا على ما فعلوا» ورغبة الانسان فى أن يغتنم فى حاضره كل الشهوات المتاحة ، وأن يؤجل محو كل ذنوبه إلى أن يتوب توبة صادقة مع النزع الاخير ـ ليست سوى وهم باطل ، فان القرآن يؤكد : « وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى إذا حضر أحدهم

الموت قال انى تبت الآن »

وبين التوبة العاجلة ، والتشبث بالموقف المذنب هنالك الحل البليد الذى يتمثل فى أن يأسف الانسان على الماضى ، ثم يؤخر إصلاحه إلى حين ، و هنا مكمن الخطر لان القرآن ينص على أن مغفرة الذنب ليست الا لمن يتوبون من فورهم، أو بعد قليل : « انما التوبة على الله للذين يعملون السوء بجهالة ثم يتوبون من قريب » و« والذين اذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم » و الحق ان النبى ﷺ قد فسّر هذا النص بحيث يوافق أجل التوبة فسحة الحيات ، فقال : « ان الله عز وجل ليقبل توبة العبد مالم يغرغر »

ولكن اذا كان أجل الحياة مجهولا لنا ، وهو غالبا مايحين على حين غرة ، فمن الحكمة أن نستبق الساعة أعنى : أن نكون دائماً على أهبة السفر ، وأن نحسب باستمرار حسابه ، وفى ذلك يقول الغزالى : « فمهما وقع العبد فى ذنب ، فصار الذنب نقداً ، والتوبة نسيئة كان هذا من علامات الخذلان »

ونحن نقول : ان التوبة جزاء إصلاحى ، ولكن كيف نتصور أن موقفاً لاحقاً يمكن أن يصلح موقفاً فى الماضى . . ؟ . .

ان كل شيء يتوقف على التحديد الذى نعطيه للكلمات ، فاذا كانت الكلمة - يتوب - تعنى يأسف على الشر الذى اقترفه ، ويعزم الايعود إليه فان ذلك لايكفى بداهة لرفع آثار العمل المقترف ،وعليه فان التوبة بهذا المعنى لاتؤدى وظيفتها الاصلاحية فى الاخلاق الاسلامية ، ففى هذه الاخلاق يقصد - بالتوبة - فى الواقع موقف للارادة أكثر تعقيداً ، موقف ينظر إلى الماضى والحاضر والمستقبل، ويتجلى فى الافعال لافى اتخاذ خط سلوك جديد فحسب ، ولكن أيضاً فى إعادة تجديد البناء الذى تهدم بصورة منهجية .

وتعبير القرآن تعبير بنّاء جداً فى هذا الصدد ، فهو يضيف دائماً إلى كلمة - تاب - كلمات اخرى مثل : « وأصلح - أو - أصلحوا » او قوله : « ثم اتقوا واحسنوا فهو مجموع من الشروط التى جعلها ضرورية لكسب الغفران الموعود .

وأول دليل على التوبة النصوح هو الواجب الآني المعجل الذى بدونه تصبح فكرة التوبة متناقضة ، هذا الواجب ينحصر فى العدول السريع عن الذنب، أعنى: ايقاف الشر الذى كان المذنب يوشك أن يجترحه .

ثم تأتى من بعد ذلك عمليتان ايجابيتان تكملان هذا الدليل هما : إصلاح الماضى ، وتنظيم مستقبل أفضل ، وفكرة الاصلاح هى وحدها التى تبقى غامضة ،لا يستطاع تحديدها كمفهوم له معنى وحيد ، وهى تبدولنا - فى الواقع - تغير من طبيعتها تبعاً لنوع الخطأ الواجب إصلاحه .

فاذا كان الخطأ فى واجب أهمل ، ومازال الأمر به قائماً ، فان الاصلاح ينبغى أن يتمثل فى قضاء حقيقى ، ذى طابع أخلاقى، فكلمة -أصلح - هنا تعنى- تدرك- فالعمل الناقص يجب أن يعاد ، ويؤدى بطريقه مناسبة آجلا أوعاجلا، والله سبحانه يقول : « واذكر ربك اذا نسيت » ويقول: « فعدة من أيام أخر » ولكن حين تكون الحالة شراً ايجابيا حدث فعلا ، فكيف نصلح ما لا يقبل الاصلاح ؟ . . هنا يظهر معنى آخر للكلمة ، فان - أصلح - لن تعنى - أعاد - بل - عوض - واذا كان مستحيلا أن نبطل الخطأ فى ذاته ، فمن الممكن على الاقل أن نمحو آثاره، بأداء أفعال ذات طبيعة مناقضة ، وها هو القرآن يعلمنا أن : « الحسنات يذهبن السيئات وان اولئك الذين « خلطوا عملا صالحاً وآخر سيئاً عسى الله أن يتوب عليهم ان الله غفور رحيم خذمن أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها »

ومع ذلك ان السنة قدميزت هنا نوعين من الخطأ الواجب إزالته : الاخطأ التى تنتهك واجباً شخصياً ، ويطلق عليه : حق الله ، وذلك كان يعكف المرء على شهواته عصياناً لخالقه ، والأخطاء التى تضر بحق الغير ويطلق عليه حق العباد ،و فى الحقيقة ان حق الله يوجد فى جميع واجباتنا إما فى حالة خالصة ، وإما مختلطاً بحق آخر انسانى وعلى ذلك ، فان جميع أشكال التوبة ، على ما علمنا رسول الله ﷺ وهى المشار إليها حق الان ليست قادرة على محو كبائرنا الآمن حيث هى انتهاك لتلك الشريعة المقدسة ، فاذا استتبعت الجريمة - فضلا عن ذلك - أضرار

تلحق باخواننا ، فلن يتم إصلاحها الا بادخال عنصر جديد.

لقد أسفنا على ما اقترفنا من شر ، و دعونا الله أن يغفره لنا ، و عزمنا ألا نعود إليه ، واستفرغنا طاقتنا فى مقابلة الفعل السيئ بأعمال طيبة ، كل هذا جميل ومأمور به ، وحبيب إلى الله تعالى ، ولكنه يظل عاجزاً عن ان ينشيء توبة كاملة إذ يجب أن نحصل على إبراء صريح ومحدود من اولئك الذين أسانا إليهم فضلا عن الندم والاهتداء .

والرسول ﷺ يقول : « من كانت له مظلمة لاحد من عرضه أو شيء ، فليتحلله منه اليوم ، قبل ألا يكون دينار ولا درهم إن كان له عمل صالح أخذ منه بقدر مظلمته ، وإن لم تكن له حسنات أخذ من سيئات صاحبه فحمل عليه »

ومنهم : من قال : ان حقيقة التوبة أن تضيق عليك الارض بما رحبت، حتى لايكون لك قرار ، ثم تضيق عليك نفسك كما اخبر الله تعالى فى كتابه بقوله : « وضاقت عليهم الارض بما رحبت وضاقت عليهم أنفسهم وظنوا أن لاملجأ من الله الا إليه ثم تاب عليهم »

ومن المحدثين : من قال : ان من اعظم أركان التوبة هو الندامة ، ثم ترك المعصية ، ثم العزم على أن لايعود إليها أبداً ، ثم التدارك لما أمكنه من حقوق الله تعالى وحقوق العباد .

ومنهم : من قال : التوبة أن يرجع الانسان عن القبيح والاخلال بالواجب بالندم عليهما ، والعزم أن لايعود ، وإن كان لعبد فيه حق ، فلابد من التفصّى على طريقه .

ومنهم : من قال : التوبة صدق العزيمة على ترك الذنوب ، والانابة بالقلب إلى علام الغيوب .

وقال الجنيد : دخلت على السّرى يوماً ، فوجدته متغيراً فسألته فقال : دخل علىّ شاب ، فسألنى عن التوبة ، فقلت : ألا تنسى ذنبك فقال : بل التوبة ألا تذكر ذنبك . قال الجنيد : فقلت له : ان الامر عندى ما قاله الشاب . قال : كيف؟

قلت : لانى اذا كنت فى حال الجفاء فنقلنى إلى حال الصفاء فذكر الجفاء فى حال الصفاء جفاء فسكت السّرى .

ومن علماء الاخلاق : من قال التوبة هى تنزيه القلب عمافيه فساده من الكفر بالايمان ،وتزكية النفس عن اشتهائها إلى الشهوات والمعاصى بالطاعة وصالح العمل .

ومنهم : من قال : التوبة هى أن يتوب العبد ثم يستقيم فى التوبة حتى لا يكتب من زمرة أصحاب الشمال ، ثم يرتقى من تطهير الجوارح عن المعاصى إلى تطهير الجوارح عما لايعنى ، فلا يسمح بكلمة فضول و لا حركة فضول ، ثم ينتقل للرعاية والمحاسبة من الظاهر إلى الباطن ، وتستولى المراقبة على الباطن و هو التحقق بعلم القيام بمحوخواطر المعصية عن باطنه ثم خواطر الفضول ، فاذا تمكن من رعاية الخطرات عصم عن مخالفة الاركان والجوارح وتستقيم توبته .

قال الله تعالى لنبيه ﷺ : « فاستقم كما امرت ومن تاب معك ولا تطغوا انه بما تعملون بصير » هود : ١١٢) وانما المراد بهم التائبون والاستقامة على توبتهم .

ومنهم : من قال : التوبة هى أن يتوب العبد من التوبة و هذا معنى قول رابعة : استغفرالله العظيم من قلة صدقى فى قولى : استغفرالله .

ومنهم : من قال : التوبة هى ان تتوب عن كل شيء سوى الله تعالى .

ومنهم : من قال : التوبة أن تنصب الذنب الذى اقللت فيه الحياء من الله تعالى أمام عينك وتستعد لمنتظرك .

ومنهم : من قال : التوبة : توبة لايتاب منها .

ومنهم : من قال : اذا ذكرت الذنب ثم لاتجد حلاوته عند ذكره ، فذاك حقيقة التوبة .

ومن اللغويين : من قال : التوبة الرجوع عما مضى من القبائح والذنوب و العزم على أن لايعود إلى مثلها فى المستقبل ،فيشترط فى الندم من المعاصى العزم

على تركها فى مستقبل الزمان، فان الندم انما هو الرجوع عما مضى ، والعزم على ما يستقبل ، فلو لم يجتمعا لم تكن توبة .

ومنهم : من قال : التوبة فى اللغة : الرجعة ، وفى اصطلاح الشرع : الرجوع عن الكفر إلى الايمان ، عن الضلالة إلى الهدى ، عن الباطل إلى الحق ، عن المعصية إلى الطاعة ، وعن الغفلة إلى الحضرة ، والرجوع عن كل ما يبعد الانسان عن الله تعالى إلى قربه فى الدنيا والاخرة .



﴿ شرائط التوبة ﴾

اعلم ان شرائط التوبة تختلف باختلاف المعاصى و أنواع الذنوب :

و ذلك لان ما يتوب منه المكلف إما أن يكون فيه حق لغيره من حقوق الناس سواء كانت مالية ام عرضية او نفسيّة . . .

و إما أن يكون فيه حق الله تعالى أوحق أوليائه من الكفر وترك الولاية..

و إما لاحق فيه لادمى كترك الصلاة وافطار الصوم فى شهر رمضان من غير عذر وترك الجهاد والامر بالمعروف والنهى عن المنكر وما اليها من الفرائض ... وكشرب الخمر والزنا والقمار وما اليها من النواهى . . . باعتبار

فالشروط للنوع الاول امور ثلاثة : الندم ، و أداء الحقوق اطلاقاً بالمال لو كانت مالية ، وبالاعتذار والاسترضاء او بالاستغفار لو لم يكن الاعتذار والاسترضاء ممكنين لو كانت عرضية كالغيبة والافتراء والسبّ والتهمة وما اليها . . . وبالدية أو القصاص لو كانت نفسية ، والعزم على أن لا يعود إلى ما فعل قطّ .

والشروط للنوع الثانى امور أربعة : الندم ، والاستغفار ، والاعتقاد بخلاف ما كان عليه من قبل ، والعزم على أن لا يعود إلى مامضى أبداً .

والشروط للنوع الثالث فتختلف طاعة و معصية ففى الاولى أربعة امور : الندم ، و قضاء مافات لو كان قابلاً للجبر ، والامتثال بما امر ، والعزم على أن لا يعود إلى ما فعل من قبل . وفى الثانية ثلاثة امور : الندم ، وترك مامضى ، والعزم على عدم العود إليه أبداً .

وقد تجتمع الحقوق فتزيد الشروط حسب تراكم الحقوق . . . فتدبر واغتنم

وهنا كلمات غير منقحة عن بعض الاعلام نشير إلى أهمها :

فمنهم : من قال : ان التوبة يجمعها امور أربعة : الا ستغفار باللسان ، و الاقلاع بالابدان ، و إضمار ترك العود بالجنان ، ومهاجرة سيئ الاخوان .

ومنهم : من قال : ان التوبة التى لاتعلق لحق آدمى فيها لها ثلاثة شروط أن يقلع عن المعصية بالتمام ، وأن يندم على مافعله ، وأن يعزم أن لا يعود اليها أبداً ، ولوكان عليه حق آدمى ، فالشروط أربعة مضافاً إلى ما سبق ، وهوأن يبرأمن حق صاحبه ، فالحق ان كان مالاً فبردّه إلى صاحبه ، وان كان عرضاً فيطلب العفو اويسترضى عنه و يستحله و إن كان نفساً فيستقص منه .

فاذا حصلت هذه الشروط فالله تعالى عالم باسرار القلب ، فيقبل التوبة واذا فقد أحد منها فلن تقبل .

و منهم : من قال : ان صورة التوبة أن يندم العاصى عن القبيح على أن لا يعود إلى أمثاله فى القبح ان كانت التوبة عن قبيح ، أما إن كانت توبة عن الاخلال بالواجب ، فان صورته أن يندم عن هذا الاخلال ، و يعزم على أن لا يعود إلى مثله .

فيشترط لصحة التوبة أمران : الندم على مافات ، والعزم على عدم التكرار فى المستقبل فان ندم، ولم يعزم اوعزم ولم يندم لم تكن له توبة ، ولابد من اقتران العزم بالندم ، فلا يصح أن يندم المرء اليوم و يعزم غداً لضرورة وجود العزم بان التوبة فى حقيقتها هى اعلان بذل الوسع فى تلافى ما سبق ، و هذا لا يكون الا بالعزم .

و منهم : من قال : لا يشترط اجتماع العزم مع الندم فى التوبة إذ قد يندم الانسان عن الماضى ويكون ذاهلاً عن المعصية فى المستقبل ، و مثل هذا لا يصح أن نعدّه غير باذل لوسعه فى تلافى ما حصل منه .

و فى **أوائل المقالات** للشيخ مفيد رضوان الله تعالى : « ان من شرط التوبة إلى الله سبحانه من مظالم العباد الخروج إلى المظلومين من حقوقهم بأدائها إليهم او باستحلالهم منها على طيبة النفس بذلك و الاختيار له ، فمن عدم منهم

صاحب المظلمة ، و فقده خرج إلى أوليائه من ظلامته أو استحلّهم منها على ما ذكرناه ، و من عدم اولياء حقق التوبة بالخروج إليهم (بالعزم على الخروج خ) متى وجدهم و استفرغ الوسع في ذلك بالطلب في حياته والوصية له بعد وفاته ، ومن جهل أعيان المظلومين اومواضعهم حقق العزم والنية في الخروج من الظلامة اليهم متى عرفهم وجهدوأجهد نفسه في إلتماسهم فاذاخاف فوت ذلك بحضور أجله، وصى به على ما قدمناه ، و من لم يجد طولاً لردّ المظالم سئل الناس الصلة له ،و المعونة على ما يمكنه من ردّها أو آجر نفسه ان نفسه ذلك ، و كان طريقاً إلى استفادة ما يخرج به من المظالم إلى أهلها .

والجملة في هذا الباب انه يجب على الظالمين استفراغ الجهد مع التوبة في الخروج من مظالم العباد فانه اذاعلم الله ذلك منهم قبل توبتهم وعوض المظلومين عنهم إذا عجز التائبون عن ردّ ظلامتهم،وان قصر التائبون من الظلم فيما ذكرناه كان أمرهم إلى الله عزوجل فان شاء عاقبهم ، وإن شاء تفضل عليهم بالعفو والغفران و على هذا اجماع أهل الصلاة من المتكلمين والفقهاء .

من قتل مؤمناً على وجه التحريم لدمه دون الاستحلال ثم أراد التوبة مما فعله فعليه أن يسلم نفسه إلى أولياء المقتول ، فان شاؤا استقادوا ـ القود:القصاص منه و إن شاؤا الزموه الدية ، و ان شاؤا عفوا عنه ، و ان لم يفعل ذلك لم تقبل توبته ، و ان فعله كانت توبته مقبولة وسقط عنه بها عقاب ما جناه ، و بهذا نطق القرآن ، وعليه انعقد الاجماع ، و انما خالف فيه شذاذ من الحشوية و العوام ، و أما القول فيمن استحل دماء المؤمنين ، و قتل منهم مؤمناً على الاستحلال فان العقل لايمنع من توبته وقبول التوبة منه لكن السمع ورد عن الصادقين من أئمة الهدى عليهم السلام انه من فعل ذلك لم يوفق للتوبة أبداً ، و لم يتب على الوجه الذى يسقط عنه العقاب به مختاراً غير مجبر ولا مضطر كما ورد الخبر عنهم عليهم السلام ان ولد الزنا لا ينجب ، ولا يختار عند بلوغه الايمان على الحقيقة ، و إن أظهره على كل حال ، و انما يظهره على الشك فيه او النفاق دون الاعتقاد له على الانقياد

(الايقان خ) و كما ورد الخبر عن الله عزوجل فى جماعة من خلقه ان مآلهم إلى النار و انهم لا يؤمنون به أبداً ، ولا يتركون الكفر به و الطغيان ، و على هذا القول اجماع الفقهاء من أهل الامامة ، و رواة الحديث منهم و الاثار ، و لم أجد لمتكلميهم فيه مقالاً احكيه فى جملة الاقوال » انتهى كلامه .

وجدير بنا أن نذكر بعض ما ينبغى أن يقوم به الشخص عند إرادته التوبة، فانه مامن عبد ـ عدا المعصومين عليهم السلام ـ الا و قد أذنب ، وماعليه الا أن يتوب من ذنبه عاجلا كى لاتتراكم عليه المعاصى فيسود قلبه ، فيعمى اذ ذاك عن رؤية الحق والواقع .

و ان التوبة على نوعين : عملى وعبادى ، أما العملى فهو إرجاع الحق إلى صاحبه ، والسعى فى جلب رضاه ، وقضاء مافاته من العبادات . . .

وأما العبادى فقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم :

« مامن عبد أذنب ذنبا فقام فتطهر وصلى ركعتين و استغفر الله الاغفر له و كان حقيقا على الله أن يقبله » لانه تعالى قال : « ومن يعمل سوءاً أو يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفوراً رحيما »

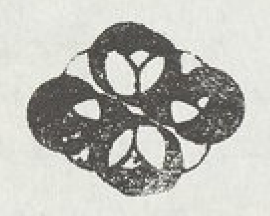
و فى الاقبال : خرج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فى اليوم الثانى من شهر ذى القعدة فخاطب الناس قائلاً : يا أيها الناس من منكم يروم التوبة ؟ فقالوا : كلنا نروم التوبة ، فقال : اغتسلوا وتوضأوا وصلّوا أربع ركعات و اقرؤا فى كل ركعة سورة الفاتحة مرة واحدة وسورة التوحيد ثلاث مرات والمعوذتين مرة واحدة ، واستغفروا بعد الانتهاء من الصلاة سبعين مرة و قولوا : لا حول و لا قوة الا بالله العلى العظيم سبع مرات ، ثم قولوا : يا عزيز يا غفار اغفرلى ذنوبى و ذنوب جميع المؤمنين والمؤمنات فانه لا يغفر الذنوب الا أنت .

ثم قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : مامن أحد من امتى يأتى بهذا العمل الا ومناد يناديه من السماء عن الله تعالى : عبدى استأنف العمل ، فقد غفرت لك ، و ان ملكا آخر ينادى من تحت العرش : بوركت أنت ومن يلوذبك و ذراريك ، وملك

آخر يقول : سوف يرضى عنك خصماؤك يوم القيامة ، وآخر يقول : يا عبد الله، ستموت على الايمان ولا تعدم الايمان ،ويفرّج لك فى قبرك و ينوّر قبرك ،وآخر ينادى : سوف يغفر لأبويك و ذريتك و يوسع لك فى رزقك ، و ان عزرائيل يخاطبه ، فيقول : سوف أرفق بك عند قبضى روحك .

ثم سئل سائل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لو ان رجلا جاء بهذا العمل فى غير ذى القعدة ما نتيجة ذلك ؟ فقال صلى الله عليه وآله وسلم : عين ماكان له من النتيجة فى شهر ذى القعدة ثم قال : ان جبريل قد علمنى هذا العمل عند معراجى إلى السماء .

و فى الارشاد : للديلمى رحمة الله تعالى عليه قال عليه السلام : مامن عبد أذنب ذنباً ، فقام فتطهر و صلّى ركعتين و استغفر الله الا غفر له ، وكان حقاً على الله أن يقبله لانه سبحانه قال : « و من يعمل سوءاً أو يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفوراً رحيما »



﴿ بواعث التوبة و موانعها ﴾

و من البديهى ان للتوبة بواعث تحث الانسان على التوبة إلى الله تعالى، والانقلاع عن المعاصى، وتجاهها موانع تمنعه عن ذلك، بل تدعوه إلى الاقتراف و الانهماك فى الشهوات . . .

أما البواعث فأهمها امور ثلاثة :

أحدها ـ العلم ـ وهو الذى يسمى مبدأ للتوبة ـ بمفاسد الذنوب فى النفس وفى المجتمع البشرى، و بتبعاتها فى الحياة الدنيا من الهلاك والدمار، و هذا العلم يحصل بالتدبر فيما جرى على طغاة الامم السابقة، وعلى كل مذنب وطاغ فى كل وقت ومكان . . .

ثانيها ـ المعرفة بضرر المعاصى فى الاخرة من أهوال القيامة و نارها و عذابها و جحيمها، و طريق حصول هذه المعرفة هو التدبر فى الايات القرآنية النازلة فى الوعيد والتوبيخ والتهديد وعقاب المذنبين و مجتمعهم.

قال الله تعالى : « او لم يسيروا فى الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين كانوا من قبلهم كانوا هم أشد منهم قوة و آثاراً فى الارض فاخذهم الله بذنوبهم و ما كان لهم من الله من واق » غافر : ٢١)

و قال : « ان الذين كفروا لن تغنى عنهم أموالهم ولا اولادهم من الله شيئا و اولئك هم وقود النار كدأب آل فرعون والذين من قبلهم كذبوا بآياتنا فأخذهم الله بذنوبهم والله شديد العقاب قل للذين كفروا ستغلبون و تحشرون إلى جهنم وبئس المهاد » آل عمران : ١٠ ـ ١٢)

وقال : « وما كنا مهلكى القرى الا وأهلها ظالمون » القصص : ٥٩)

وقال : « واتقوا فتنة لاتصيبن الذين ظلموا منكم خاصة واعلموا ان الله شديد العقاب » الانفال : ٢٥)

و قال : « ولو ترى اذ يتوفى الذين كفروا الملائكة يضربون وجوههم و أدبارهم ـ فاخذهم الله بذنوبهم ان الله قوى شديد العقاب » الانفال : ٥٠ـ ٥٢)

وقال : « فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة او يصيبهم عذاب أليم » النور : ٦٣) وغيرها من الايات الكريمة . . .

فالذنوب سموم مهلكة للدين ، مفوتة لحياة الابد ، حائلة بين العبد ومولاه ومبعدة الخلق عن الخالق ، تتبعها معيشة ضنكاً . . .

فمن حصل له هذا العلم والمعرفة يحصل له حال تألم قلبه ، فاذا شعر بفوات محبوبه متعقباً بالهلاك والعذاب تألم ، فينبعث من هذا الالم فى القلب حالة اخرى تسمى إرادة وقصداً إلى فعل له تعلق بالحال بترك الذنب الذى كان له ملابساً ، و بالاستقبال بالعزم على ترك الذنب المفوت للمحبوب إلى آخر العمر بل إلى الابد وبالماضى بتلافى مافات بالجبر والقضاء إن كان قابلا للجبر .

ثالثها ـ التدبر ـ وهو الذى يسمى منتهى للتوبة ـ فى حصيلة التوبة ونتائجها الدنيوية من العيش الهنيىء والعزة والفلاح . . . وآثارها الاخروية من نجاة عذاب الاخرة والتنعم من نعيمها .

فالعلم مبدأ والتدبر منتهى لتلك الخيرات والسعادة الحاصلة من التوبة فتدبر و اغتنم .

قال الله تعالى : « وان استغفروا ربكم ثم توبوا إلى الله يمتعكم متاعاً حسناً إلى أجل مسمى ويؤت كل ذى فضل فضله ـ وياقوم استغفروا ربكم ثم توبوا إليه يرسل السماء عليكم مدراراً ويزدكم قوة إلى قوتكم ولاتتولوا مجرمين » هود : ٣ ـ ٥٢)

وقال : « وتوبوا إلى الله جميعاً أيه المؤمنون لعلكم تفلحون » النور: ٣١)

وقال : « ياأيها الذين آمنوا توبوا إلى الله توبة نصوحاً عسى ربكم أن يكفر عنكم سيئاتكم ويدخلكم جنات تجرى من تحتها الانهار يوم لايخزى الله النبى والذين آمنوا معه نورهم يسعى بين أيديهم وبايمانهم يقولون ربنا أتمم لنا نورنا واغفر لنا انك على كل شيء قدير » التحريم : ٨)

وقال : « الذين يحملون العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم ويؤمنون به ويستغفرون للذين آمنوا ربنا وسعت كل شيء رحمة و علماً فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك وقهم عذاب الجحيم » غافر : ٧)

فشتان بين الفريقين : التائبون الذين تستغفرلهم الملائكة ، و المذنبون الذين تضرب الملائكة و جوههم و أدبارهم فى الحياة الدنيا و تغلظ عليهم فى الاخرة .

فلابد من انتباه القلب فى التوبة من رقدة الغفلة ، ورؤية العبد ماهو عليه من سوء الحالة ، وانما يصل إلى هذه الجملة بالتوفيق للاصغاء إلى مايخطر بباله من زواجر الحق سبحانه يسمع قلبه ، فان فى الخبر النبوى عنه صلى الله عليه وآله وسلم : «واعظ كل حال الله فى قلب كل امرىء مسلم » وفى الخبر : « ان فى بدن المرء لمضغة اذا صلحت صلح جميع البدن ألا وهى القلب و اذا فسدت فسد جميع البدن ألا وهى القلب » .

و اذا أفكر العبد بقلبه فى سوء صنيعه ، وأبصر ماهو عليه من ذميم الافعال سنحت فى قلبه إرادة التوبة و الاقلاع عن قبيح المعاملة ، فيمدّه الحق سبحانه بتصحيح العزيمة ، والاخذ فى طرق الرجوع ، والتأهّب لاسباب التوبة .

و أول ذلك هجران إخوان السوء ، فانهم الذين يحملونه على ردّ هذا القصد ، وعكس هذا العزم ، و يشوشون عليه صحة هذه الارادة ، ولايتمّ ذلك له الاّ بالمواظبة على المشاهدوالمجالس التى تزيده رغبة فى التوبة ، وتوفّر دواعيه إلى إتمام ماعزم عليه ، مما يقوّى خوفه ورجاءه ، فعند ذلك تنحلّ عن قلبه عقدة الاصرار على ماهو عليه من قبيح الفعال ، فيقف عن تعاطى المحظورات ، ويكبح

نفسه بلجام الخوف عن متابعة الشهوات ، فيفارق الزلة فى الحال ، ويلزم العزيمة على ألا يعود إلى مثلها فى الاستقبال ، فان مضى على موجب قصده ، ونفذ على مقتضى عزمه ، فهو الموفق حقاً ، وإن نقض التوبة مرة او مرات ، ثم حملته إرادته على تجديدها ، فقد يكون مثل هذا كثيراً ، فلا ينبغى قطع الرجاء عن توبة أمثال هؤلاء ، فان لكل أجل كتاباً .

وقد حكى عن أبى سليمان الدارانى انه قال : إختلفت إلى مجلس قاص ، فأثر كلامه فى قلبى ، فلمّا قمت لم يبق فى قلبى شىء ، فعدت ثانياً ، فسمعت كلامه ، فبقى من كلامه فى قلبى أثر فى الطريق ثم زال ، ثم عدت ثالثاً ، فوقر كلامه فى قلبى ، و ثبت حتى رجعت إلى منزلى ، و كسرت آلات المخالفة و لزمت الطريق .

وأما الموانع : فكثيرة أهمها الاستكبار ، وبه ماتاب الشيطان اذ به تمرد .

قال الله تعالى : « قال فاهبط منها فما يكون لك أن تتكبر فيها فاخرج انك من الصاغرين » الاعراف : ١٣) .

وقال فى قوم نوح حكاية عنه: « وانى كلما دعوتهم لتغفر لهم جعلوا أصابعهم فى آذانهم واستغشوا ثيابهم وأصرّوا واستكبروا استكباراً ـ فقلت استغفروا ربكم انه كان غفارا ـ ولاتزد الظالمين الاّ ضلالاً » نوح : ٧ـ٢٤)

ومن الضرورة ان النفس البشرية اذا توغل فيها الشرك وتمكّن فيها الكفر، وأحاطت بها خطيئتها ، وضلّت على علم ، فاذا أرادت التوبة وجدت مايحول بينها وبين قبول الحق و الخير الاّ اذا أحسّت النفس بألم الذنب فيحملها ذلك على تركه ، ومحو أثره المدنس لها بعمل صالح يحدث فيها أثراً مضاداً للأثر الاول ، وبهذا تؤهل صاحبها للمغفرة وترك العقوبة على الذنب إذ تكون النفس قد زكت وطهرت من الادناس كما فى قوله تعالى : « قد أفلح من زكاها وقد خاب من دساها » .

ومثل النفس فى ذلك مثل الثوب الابيض تصيبه بعض الاوساخ فيبادر صاحبه إلى غسله ، فينظف ويزول أثر ذلك الدنس ولكن اذا تراكمت عليه الاقذار مدة

طويلة حتى تخللت جميع خيوطه و تمكنت منها تعذر تنظيفه واعادته إلى حاله الاولى فالواجب اذاً على العبد اذا علم انه ارتكب مايجب عنه التوبة دوام الانكسار وملازمة التنصّل والاستغفار: كماقيل : استشعار الوجل إلى الاجل و كان من سنة النبى الكريم ﷺ دوام الاستغفار ويقول : «انه ليغان على قلبى فاستغفر الله فى اليوم سبعين مرة»

قوله ﷺ : « ليغان » الغين:الغيم ، وغينت السماء تغان : اذا أطبق عليها الغيم . وهذا تعليم لنا

فالتمادى فى الفسق والانغماس فى البغى والانهماك فى الشهوات موانع أن تميل النفس إلى التوبة ، فان التمادى فى الجرائم والموبقات حجب الانوار الالهية عنها، ولا تستشعر بما فيه شقائها وهوانها وهلاكها وعذابها، فلايفيدها النصح والارشاد .

ومن أهم البواعث على التوبة : هو شعور التائب بعظمة من عصاه وماله من السلطان عليه ، و كون مصيره إليه إن لم يبطل هذا الشعور من العاصى بالسيئات المكررة ، والا فلن تقع التوبة منه ، وأما اذاكان الشعور و بقى فى الانسان يبعث فى قلبه الهيبة والعظمة والخشية بعد مفارقة الذنب بسلطان الالهى ، ويحدث فى روحه انفعالا مما فعل وندماً على صدوره عنه ، فتذكر الوعيد على ذلك الذنب و مايترتب عليه من العقوبة فى الدنيا والاخرة ، فتتنبه النفس على مافعلت ، فتقوم حينئذ بأعمال تضاد ذلك السيئة التى تابت منها ، وتمحوأثرها بالتوبة و حصيلتها و هى العمل الصالح .

التوبة والتكامل

وتوبة المعصومين عليهم السلام

ومن البديهي ان الانسان ليس هذا البدن فحسب كما يتوهمه المادي الحمقاء وانما الانسان هو نفس حسّاسة، وروح فيّاضة، وعقل وشعور، وإحساسات وأمان وعواطف وميول...

وان النفس الانسانية أشبه شيء بقطعة حجر فيها معادن خسيسة لاقيمة لها وفيها الذهب الثمين... وان الكيماوي يجري على هذه القطعة أنواع العمليات والصناعات، ويضعها في أنواع المحاليل كي يظفر بالذهب الخالص.

وان الاعضاء المادية التي تشكل هذا البدن تساعد الانسان لبلوغ الغاية التي خلقه الله تعالى لاجلها، وهي معرفة خالقه، والعبادة له وحده، والانجذاب نحو المبدإ الاعلى وحبور وسرور «وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون»

ولايستطيع أحد أن يدخل في عالم جديد: عالم بعيد عن المادة الا بجناحي التكامل: جانب سلبي من ترك المعاصي، وجانب ايجابي من تصفية النفس عن كدورات الذنوب وتزكيتها عن أدران الشهوات بالرجوع إلى الله تعالى وطاعته فلا بد للتوبة من الجانبين: ترك الذنوب، والرجوع إلى الله جل وعلا بالطاعة وصالح العمل.

وان التدبر في الايات القرآنية يلهمنا ان التوبة أول مرتبة من مراتب الكمال الانساني اذادني بالكفر والعصيان، وبهذا المبدأ السامي ترقى النفس

الانسانية من الدنائة والانانية إلى التجرد ، من الذلة إلى العزة ، من عالم الظلمة إلى عالم النور ، من الضلالة إلى الهدى ، من الشقاء إلى السعادة ، من الفساد إلى الصلاح ، من النقمة إلى النعمة ، ومن الهلاك والعذاب إلى النجاة والرفاه ، وتخلى النفس من الادران والاوساخ متحلية بالكمال ، وبالتوبة تصفو النفس رويداً رويداً عما علق بها رديء الصفات ، وذمائم الاخلاق ، فتتوجه نحو مكارم الصفات ، وفضائل الاخلاق ، وتتمرن عليها لتكون لها طبيعة ثانية : طبيعة فيها من المكارم والفضائل ما يجعل الانسان جديراً ليتنعم « مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن اولئك رفيقا » النساء : ٦٩)

ولا يبلغ أحد تلك الدرجات العالية الا بالتوبة اذ بها تطهر النفوس وتزكى فطوبى لمن وعاها ، وأقبل عليها ، فاصلح بها نفسه ، ولا تأخذه لومة لئيم ، ولا تشغله امنية شيطان.

ومن وفق إلى هذه التجربة المنجية ، فقد شعر بتلك المتجليات القدسية و الكمال النفسى نادماً على مافرط فى جنب الله جل وعلا متأسفاً على مافعل بالتوبة والاستغفار ، وتلافى مافات .

وان التوبة ركن أصيل لتطهير النفس عن رذيلة الكفر والعصيان ، واحيائها اذا ماتت بالتلوث بأنواع الموبقات حين تدنت رويداً رويداً إلى أن صارت من زمرة البهائم .

وان التوبة وسيلة عظمى لنيل الاولياء بأوج العظمة ، واقصى مرتبة الكمال وما ذكرناه يظهر لك : أن لا يبدأ التكامل النفسى اطلاقاً الا بالتوبة مع جناحيها ترك الذنوب اطلاقاً ـ سواء ارتكبها كاكثر التائبين أم لم يرتكبها كالاولياء والمعصومين ـ والرجوع إلى الله تعالى بالطاعة وصالح العمل .

ومن هنا قيل : التوبة أول مقام من مقام الانبياء والمرسلين ، وأول منزل من منازل الاولياء والمؤمنين

قال الله تعالى : « وتوبوا إلى الله جميعاً أيه المؤمنون لعلكم تفلحون »

(النور : ٣١)

وقال : « قل هو ربى لا اله الا هو عليه توكلت وإليه متاب » الرعد : ٣٠)

وقال بعض الظرفاء : ان التوبة أصل كل مقام ، وقوام كل فضيلة ، ومفتاح كل حال ، وهى أول المقامات ، وهى بمثابة الارض للبناء فمن لا ارض له لا بناء له ومن لا توبة له لا حال ولا مقام له ولا فضل .

وقال بعضهم : توبة العوام من الذنوب ، وتوبة الخواص من الغفلة ، و توبة الانبياء والمرسلين من رؤية عجزهم عن امتثال ما يليق بساحة قدس الله جلّ جلاله

فى الكافى : باسناده عن زيد الشحام عن أبى عبدالله عليه السلام قال : كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يتوب إلى الله عزوجل فى كل يوم سبعين مرّة ، فقلت : أكان يقول : أستغفر الله وأتوب إليه ؟ قال : لا ولكن كان يقول : أتوب الى الله قلت : ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان يتوب ولا يعود ونحن نتوب ونعود ، فقال : الله المستعان .

قوله عليه السلام « كان يقول : أتوب إلى الله » أى كان صلى الله عليه وآله وسلم يقول : « لا استغفر الله وأتوب إلى الله »

ومن غير خفى على الخبير المتدبر : ان توبة النبى الكريم صلى الله عليه وآله وسلم واستغفاره والائمة لم يكن عن ذنب لعصمتهم عليهم السلام بل هو من باب حسنات الابرار سيئات المقربين بل كان الاستغفار والتوبة عبادة فى نفسهما .

و فى رواية : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لابى ذر رضوان الله تعالى عليه : يا أباذر ان حقوق الله جل ثناؤه أعظم من أن يقوم بها العباد ، وإن نعم الله أكثر من أن يحصيها العباد ولكن أمسوا وأصبحوا تائبين .

أقول : وهذا باب شريف ينفتح لك منه معانى اعتراف الانبياء والائمة المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين بذنوبهم وبكائهم وتضرّعهم وانابتهم وتوبتهم واستغفارهم .

وفى الصحيفة السجادية : قال الامام زين العابدين على بن الحسين عليهما السلام

« اللهم انه يحجبنى عن مسئلتك خلال ثلاث ، وتحدونى عليها خلة واحدة : يحجبنى أمر أمرت به فأبطات عنه ، ونهى نهيتنى عنه فأسرعت إليه ، ونعمة أنعمت بها علىّ

فقصرت فى شكرها ، ويحدونى على مسئلتك تفضّلك على من أقبل بوجهه إليك ووفد بحسن ظنّه إليك ، إذ جميع إحسانك تفضّل ، وإذ كل نعمك ابتداء .

فها أنا ذا إلهى واقف بباب عزّك وقوف المستسلم الذليل ، وسائلك على الحياء منى سؤال البائس المعيل مقرّ لك بأنى لم أستسلم وقت إحسانك الاّ بالاقلاع عن عصيانك ولم أخل فى الحالات كلها من امتنانك ، فهل ينفعنى يا إلهى إقرارى عندك بسوء ما اكتسبت وهل ينجينى منك اعترافى لك بقبيح ما ارتكبت ؟ أم أوجبت لى فى مقامى هذا سخطك ، أم لزمنى فى وقت دعائى مقتك ؟ سبحانك لا أيئس منك وقد فتحت لى باب التوبة إليك ، بل أقول :

مقال العبد الذليل الظالم لنفسه المستخف بحرمة ربه الذى عظمت ذنوبه فجلت ، وأدبرت أيامه فولت حتى اذا رأى مدة العمل قد انقضت ، وغاية العمر قد انتهت ، وأيقن انه لا محيص له منك ولا مهرب له عنك ، تلقّاك بالانابة ، وأخلص لك التوبة ، فقام إليك بقلب طاهر نقىّ ، ثم دعاك بصوت حائل خفىّ

قد تطا طألك فانحنى ، ونكّس رأسه فانثنى ، قد أرعشت خشيته رجليه ، و غرّقت دموعه خدّيه ، يدعوك :

بيا أرحم الراحمين ، ويا أرحم من انتابه المسترحمون ، ويا أعطف من أطاف به المستغفرون ، ويا من عفوه أكثر من نقمته ، ويا من رضاه أوفر من سخطه ويا من تحمّد إلى خلقه بحسن التجاوز ، ويا من عوّد عباده قبول الانابة ، ويا من استصلح فاسدهم بالتوبة ، ويا من رضى من فعلهم باليسير ، و يا من كافى قليلهم بالكثير ، ويا من ضمن لهم إجابة الدعاء و يا من وعدهم على نفسه بتفضله حسن الجزاء .

ما أنا بأعصى من عصاك فغفرت له ، وما أنا بألوم من اعتذر إليك فقبلت منه وما أنا بأظلم من تاب إليك فعدت عليه ، أتوب إليك فى مقامى هذا توبة نادم على ما فرط منه ، مشفق مما اجتمع عليه ، خالص الحياء مما وقع فيه ، عالم بان العفو عن الذنب العظيم لا يتعاظمك ، وأن التجاوز عن الاثم الجليل لا يستصعبك ، و أن

احتمال الجنايات الفاحشة لايتكأدك، وأن أحب عبادك إليك من ترك الاستكبار عليك ، وجانب الاصرار ولزم الاستغفار ، وأنا أبرء إليك من أن أستكبر وأعوذبك من اصر ،واستغفرك لما قصّرت فيه ، وأستعين بك على ما عجزت عنه .

اللهم صلّ على محمد وآله ، وهب لى ما يحجب عليّ لك ، وعافنى مما استوجبه منك ، وأجرنى ممايخافه أهل الاساءة ، فانك مليء بالعفو ، مرجوّ للمغفرة ، معروف بالتجاوز، ليس لحاجتى مطلب سواك ، ولا لذنبى غافر غيرك حاشاك ، و لاأخاف على نفسى الاّ إياك انك أهل التقوى وأهل المغفرة ، صل على محمد وآل محمد ، واقض حاجتى وأنجح طلبتى ،واغفر ذنبى ، وآمن خوف نفسى ، انك على كل شيء قديروذلك عليك يسير آمين رب العالمين »

ومن أشعار الامام سيد الشهداء الحسين بن على عليهما السلام يقول :

إله لا إله لنا سواه　　رؤف بالبرية ذو امتنان
أوحده باخلاص و حمد　　و شكر بالضمير وباللسان
و أسئله الرضا عنى فانى　　ظلمت النفس فى طلب الأمان
و أفنيت الحياة و لم أصنها　　و زعت إلى البطالة والتوان
إليه أتوب من ذنبى و جهلى　　وإسرافى و خلعى للعنان

أقول : ولعمرى ان كل ذلك تعليم وتأديب لنا العصاة الجهلة المغترّة بجهلنا .

﴿أقسام التوبة وتوبة الله تعالى﴾

ان القرآن الكريم يدعو كل انسان مكلف إلى الاستغفار و التوبة إلى الله جل جلاله ، سواء كان كافراً و مشركاً أم مسلماً منافقاً ، أو فاسقاً مذنباً أم كان مؤمناً مخلصاً ، أو نبياً مرسلا ووليا مطاعاً .

اذ يقول في الكافرين والمشركين : «لقد كفر الذين قالوا ان الله ثالث ثلاثة ـ أفلا يتوبون إلى الله ويستغفرونه والله غفوررحيم» المائدة : ٧٣ ـ ٧٤)

ويقول «ان الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات والهدى من بعد ما بيناه للناس في الكتاب اولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون الا الذين تابوا وأصلحوا وبيّنوا فاولئك أتوب عليهم وأنا التواب الرحيم» البقرة : ١٥٩ ـ ١٦٠)

و يقول «فان تبتم فهو خير لكم ـ فان تابوا و أقاموا الصلاة و آتوا الزكاة فاخوانكم في الدين ونفصّل الايات لقوم يعلمون» التوبة : ٣ ـ ١١)

ويقول في المنافقين والفاسقين : «يحلفون بالله ما قالوا و لقد قالوا كلمة الكفر و كفروا بعد اسلامهم ـ فان يتوبوا يك خيراً لهم» التوبة : ٧٤)

ويقول : «ان المنافقين في الدرك الاسفل من النار ولن تجدلهم نصيراً الاّ الذين تابوا وأصلحوا واعتصموا بالله وأخلصوا دينهم لله فاولئك مع المؤمنين وسوف يؤت الله المؤمنين أجراً عظيماً» النساء : ١٤٥ ـ ١٤٦)

ويقول : «والذين يرمون المحصنات ـ واولئك هم الفاسقون الاّ الذين تابوا من بعد ذلك وأصلحوا فان الله غفوررحيم» النور : ٤ ـ ٥)

ويقول في المؤمنين : «وتوبوا إلى الله جميعاً أيه المؤمنون لعلكم تفلحون» النور : ٣١)

ويقول : « يا أيها الذين آمنوا توبوا إلى الله توبة نصوحاً » التحريم : ٨)

ويقول فى النبى الكريم صلى الله عليه وآله وسلم : « فاصبر ان وعد الله حق واستغفر لذنبك وسبح بحمد ربك بالعشى والابكار » غافر : ٥٥)

ويقول : « فسبح بحمد ربك واستغفره انه كان توابا » النصر : ٣)

فالخطاب عام فى الاشخاص ، والدعوة شاملة للاحوال ، فلا ينفك أحد عنه البتة .

أما وجوب التوبة على فرق الثلاث الاولى فظاهر ، وأما وجوبها على المؤمنين فانهم لايخلون عن معصية ما إما بجوارحهم ، و اما الهمّ عليها بالقلب ، فان خلوا عن الهم ، فلا يخلون عن وساوس شياطين الجن والانس بايراد الخواطر المتفرقة المذهلة عن ذكر الله تعالى ، والقصور فى معرفة الله تعالى والعلم بصفاته العليا حسب طاقتهم ، و كل ذلك نقص وذنب لابد من التوبة إلى الله تعالى .

و أما الانبياء والاوصياء فذنوبهم ليست كذنوب المؤمنين ، و لهذا ورد : « ان حسنات الابرار سيئات المقربين »

فذنب كل أحد انما هو بحسب قدره ومنزلته عندالله جل وعلا ، و ان الله تعالى يخص أولياءه بالمصائب ليأجرهم عليها من غير ذنب .

فى المنظومة الشمسية : قال :

و توبة عمْ و خصْ و أخصْ　　فالعم بالذنب و خصّها يخصْ
بترك الاولى والأخص التوب من　　توجّه بغير حق قد زكن

قوله : « عم » مخفف عام و « خصّ » مخفف خاص « فالعم » أى توبة العوام تختص بالذنوب « خصّها » أى توبة الخواص تختص بترك الاولى كتوبة بعض الانبياء و « الاخص » هو « التوب من توجه بغير حق » تعالى شأنه « قد زكن » كتوبة نبينا خاتم الانبياء صلى الله عليه وآله وسلم .

وقد سئل بعض الظرفاء عن التوبة فقال : التوبة من شيء ذمّه العلم إلى ما مدحه العلم ، وهذا وصف يعمّ الظاهر والباطن لمن كوشف بصريح العلم لانه لا

بقاء للجهل مع العلم، كما لابقاء لليل مع طلوع الشمس، وهذا يستوعب جميع أقسام التوبة بالوصف الخاص والعام، وهذا العلم يكون علم الظاهر والباطن بتطهير الظاهر والباطن بأخص أوصاف التوبة وأعم أوصافها.

وفي مصباح الشريعة: قال الامام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام: التوبة حبل الله ومدد عنايته، ولا بد للعبد من مداومة التوبة على كل حال، فتوبة الانبياء من اضطراب السر، وتوبة الاولياء من تلوين الخطرات، و توبة الاصفياء من التنفيس، وتوبة الخلص من الاشتغال بغير الله وتوبة العالم من الذنوب.

ولكل واحد منهم معرفة وعلم في أصل توبته ومنتهى أمره، فتوبة العالم أن يغسل باطنه من الذنوب بماء الحسرة والاعتراف بجنايته دائماً، واعتقاد الندم على ما مضى والخوف على ما بقي من عمره، ولا يستصغر ذنوبه فتحمله ذلك إلى الكسل ويديم البكاء والأسف على مافاته من طاعة الله تعالى، ويحبس نفسه عن الشهوات، ويستغيث إلى الله ليحفظه على وفاء توبته، ويعصمه من العود إلى ما سلف ويروض نفسه في ميدان الجهاد والعباد، ويقضي الفوائت من الفرائض ويرد المظالم ويعتزل قرناء السوء، ويسهر ليله ويظمأ نهاره، ويتفكر دائماً في عاقبته، و يستعين بالله سائلا منه الاستقامة في سرائه وضرائه، ويثبت عند المحن والبلاء كي لا يسقط عن درجة التوابين، فان ذلك طهارة من ذنوبه وزيادة في عمله ورفعة في درجاته.

وأما توبة الله تعالى اذ قال: «فمن تاب من بعد ظلمه وأصلح فان الله يتوب عليه ان الله غفور رحيم» التوبة: ٣٩) فالمراد قبول التوبة والعفو عن سيئات التائب، واسقاط العقاب عنه.

وهذا معنى قوله تعالى: «الم يعلموا ان الله هو يقبل التوبة عن عباده ويأخذ الصدقات وان الله هو التواب الرحيم» التوبة: ١٠٤)

التواب مبالغة أي رجاع على عباده بقبول عذر التائب عن فعله القبيح، و عفوه ومغفرته لهم على ما عصوا وأذنبوا، الله تعالى «تواب» كثير الرجوع إلى العبد لكثرة رجوعهم إليه جل وعلا.

وان التوبة بمعنى الرجوع ، فاذا اطلق على العبد فمعناه رجوعه عما كان عليه من الكفر والمعصية والعجز والحاجة إلى الله تعالى ، واذا اطلق على الله جل وعلا فمعناه رجوعه سبحانه عن العقاب . . .

وفي معاني الاخبار : باسناده عن علي بن عقبة عن أبيه عن أبي عبدالله عليه السلام في قول الله عزوجل : « ثم تاب عليهم » قال : هي الاقالة .



﴿التوبة والاستغفار والانابة﴾

فى الفرق بين الثلاثة وبين الاوبة كلمات وأقوال من الاعلام نشير إلى أهمها:

فى التبيان : قال : « ان الفرق بين التوبة والاستغفار : ان الاستغفار طلب المغفرة بالدعاء او التوبة اوغيرهما من الطاعة ، والتوبة : الندم على القبيح مع العزم على أن لايعود إلى مثله فى القبيح او الاخلال بالواجب . والاستغفار مع الاصرار على القبيح لايصح ولايجوز »

وفى تفسير الكاشف : قال : « الفرق بين الاستغفار والتوبة ان الاستغفار طلب العفو عما مضى بصرف النظر عما يأتى ، أما التوبة فهى طلب الغفران عن الماضى مع العهد على ترك المعاصى فى المستقبل »

ومنهم من قال : الفرق بين التوبة والانابة : ان التائب يرجع إلى الله تعالى خوفاً من العقوبة ، والمنيب يرجع الى الله تعالى حياء منه وشوقاً إليه .

ومنهم من قال : ان العبد اذا صدق فى توبته صار منيباً لان الانابة ثانى درجة التوبة .

ومنهم من قال : ان التوبة لاهل البداية ، وهى الرجوع عن المعصية إلى الطاعة ، عن الباطل إلى الحق ، عن الكفر إلى الايمان ، عن النفاق إلى الاخلاص عن الضلالة إلى الهدى ، وعن الظلمة إلى النور ، والأوبة للمتوسط وهى الرجوع من الدنيا إلى الاخرة، وان الانابة لاهل النهاية، وهى الرجوع عما سوى الله تعالى إليه جل وعلا .

ومنهم من قال : التوبة على ثلاثة أقسام : فأولها التوبة ، وأوسطها الانابة

وآخرها الاوبة ، فجعل التوبة بداية ، والاوبة نهاية ، والانابة واسطة بينهما .

والمعنى : ان من تاب خوفاً من العقاب فهو صاحب التوبة ، ومن تاب طمعاً فى الثواب فهو صاحب الانابة ، ومن تاب مراعاة للامر فقط ، فهو صاحب الاوبة .

ومنهم من قال : التوبة صفة المؤمنين قال الله تعالى : « و توبوا إلى الله جميعاً أيه المؤمنون » والانابة صفة الاولياء قال الله جل و علا : « و جاء بقلب منيب » والاوبة صفة الانبياء قال سبحانه : « نعم العبد انه أواب »

ومنهم من قال : تستقيم التوبة بمراقبة الباطن وبمحاسبة الظاهر، ومراعاة السّر ، وبسياسة العمل بالعلم، فاذااستقامت التوبة صدق العبد فى توبته فصارمنيباً لان الانابة ثانى درجة التوبة .

ومنهم من قال : المنيب الراجع عن كل شىء يشغله عن الله تعالى إلى الله

ومنهم من قال : الانابة: الرجوع من الله تعالى إلى الله جل وعلا لا من شىء غيره إلى الله ، فمن رجع من غيره إليه ضيع أحد طرفى الانابة و المنيب على الحقيقة : من لم يكن له مرجع سواه ، فيرجع إليه من رجوعه ، ثم يرجع من رجوع رجوعه ، فيبقى شبحاً لاوصف له قائماً بين يدى الحق مستغرقاً فى عين الجمع ، ومخالفة النفس ورؤية عيوب الافعال ، والمجاهدة فى مراقبة السّر والعلن ومراعاة الظاهر والباطن ، ومحاسبة الاقوال والافعال ...

وغيرها من الكلمات والاقوال . . .

أقول : ولكل ما أشرنا إليه وجه ، ولكنه ليس بحقيقة ما أردناه و أمّا **الحقيقة** :

ففى الصحيفة السجادية : قال الامام سيد الساجدين زين العابدين على بن بن الحسين عليه السلام فى باب التوبة ـ : « اللهم إن يكن الندم توبة إليك فأنا أندم النادمين، وإن يكن الترك لمعصيتك إنابة فأنا أوّل المنيبين ، وإن يكن الاستغفار حطّة للذنوب فانى لك من المستغفرين »

وقد أشار الامام سيد الشهداء الحسين بن على عليه السلام إلى حقيقة الانابة فى أشعاره ويقول :

عليك بصرف نفسك عن هواها　　فما شيء ألذ من الصلاح
تأهب للمنية حين تغدو　　كأنك لاتعيش إلى الرواح
فكم من رائح فينا صحيح　　نعته نعاته قبل الصباح
وبادر بالانابة قبل موت　　على مافيك من عظم الجناح
فليس أخو الرزانة من تجافى　　ولكن من تشمّر للفلاح

و في **تحف العقول**: عن كميل بن زياد انه قال لامير المؤمنين عليه السلام: العبد يصيب الذنب، فيستغفر الله فقال: يا ابن زياد التوبة، قلت: ليس؟ قال: لاقلت: كيف؟ قال: ان العبد إذا اصاب ذنباً قال: استغفر الله بالتحريك قلت: وما التحريك؟ قال: الشفتان واللسان يريد أن يتبع ذلك بالحقيقة قلت: و ما الحقيقة؟ قال: تصديق القلب وإضمار أن لاتعود إلى الذنب الذى استغفر منه قلت: فاذا فعلت ذلك فأنا من المستغفرين؟ قال: لالانك لم تبلغ إلى الاصل بعد قلت: فأصل الاستغفار ماهو؟ قال: الرجوع الى التوبة عن الذنب الذى استغفرت منه وهى أول درجة العابدين وترك الذنب والاستغفار اسم واقع لستة معان: اولها الندم على ما مضى والثانى العزم على ترك العود إليه أبداً، والثالث أن تؤدّى إلى المخلوقين حقوقهم حتى تلقى الله عزوجل أملس ليس عليك تبعة، والرابع أن تعمد إلى كل فريضة عليك ضيّعتها فتؤدّى حقها والخامس أن تعمد إلى اللحم الذى نبت على السحت فتذيبه بالاحزان حتى يلصق الجلد بالعظم وينشو بينهما لحم جديد، والسادس أن تذيق الجسم ألم الطاعة كما أذقته حلاوة المعصية فعند ذلك تقول: استغفر الله.

سئل بعض الظرفاء: عن التوبة؟ فقال: تسئلنى عن توبة الانابة أو عن توبة الاستجابة؟ فقال السائل: ما توبة الانابة؟ فقال: أن تخاف من الله عزوجل من أجل قدرته عليك قال: فما توبة الاستجابة؟ قال: أن تستحى من الله لقربه منك وهذا الذى ذكره من توبة الاستجابة اذا تحقق العبد بها ربما تاب فى صلاته من كل خاطر يلمّ به سوى الله تعالى ويستغفر الله منه، وهذه توبة الاستجابة لازمة لبواطن أهل القرب.

﴿ وجوب التوبة قبل ذهاب الفرصة ﴾

و قد اختلفت الكلمات في وجوب التوبة على العصاة وعدمه عقلاً و إن ثبت نقلا ، فذهب إلى كل فريق :

وقال المثبتون : لا ريب ان الشرع يوجب ذلك و أما العقل فالقول فيه انه لا يخلو المكلف إما أن يعلم أن معصيته كبيرة ، أو يعلم أنها صغيرة ، أو يجوز فيها كلا الامرين ، فان علم كونها كبيرة وجب عليه في العقول التوبة منها لان التوبة مزيلة لضرر الكبيرة،وإزالة المضار واجبة في العقول ، و إن جوّز كونها كبيرة وجوّز كونها صغيرة لزمه ايضاً في العقل التوبة منها ، لانه يأمن بالتوبة من مضرّة مخوفة ، و فعل ما يؤمن من المضارّ المخوفة واجب ، و إن علم ان معصيته صغيرة ، وذلك كمن عصى ثم علم باخبار نبي أن معصيته صغيرة محبطة

وقال بعضهم : ان التوبة منها واجبة في العقول لانه إن لم يتب كان مصراً والاصرار قبيح .

و في نهج المسترشدين : قال الحلي قدس سره : « وهي ـ التوبة ـ واجبة لانها دافعة للضرر ، فان كانت عن ظلم لم تتحقق الا بالخروج إلى المظلوم أو إلى ورثته عن حقه اوالاستيهاب ، فان عجز عزم عليه ، و إن كانت عن إضلال لم تتحقق الا بعد إرشاد الضال ، وإن كانت عن فعل مختص به ـ كشرب الخمر ـ كفى الندم والعزم المتقدمان ، و إن كانت عن ترك واجب كالزكاة لم تتحقق الا بفعله ، ولو لم يجب القضاء كفى الندم والعزم كالعيدين »

اقول : ان التوبة واجبة على كل مكلف عقلاً ونقلاً ، أما العقل فانها وسيلة

سعادة و فلاح و كرامة . . . وتركها شقاء و ضلال و هوان ، فيحكم العقل باتيان ما فيه سعادة و ترك مافيه شقاء و إليها يشير قوله تعالى : « و توبوا إلى الله جميعاً أيها المؤمنون لعلكم تفلحون » النور : ٣١) و قوله تعالى : « وأن استغفروا ربكم ثم توبوا إليه يمتعكم متاعاً حسناً إلى أجل مسمى و يؤت كل ذي فضل فضله و ان تولوا فاني أخاف عليكم عذاب يوم كبير » هود : ٣) و أما النقل فكثير تقرأه في هذا الباب . . .

و ذهب النافون الى انه لاتجب التوبة على العصاة اذ يجوز أن يخلو الانسان من التوبة عن الذنب ، ومن الاصرار عليه ، لان الاصرار عليه هو العزم على معاودة مثله ، والتوبة منه أن يكره معاودة مثله مع الندم على ما مضى ، و يجوز أن يخلو الانسان من العزم على الشيء و من كراهته .

أقول : و فساده معه فتدبر .

و أما التوبة قبل ذهاب الفرصة فقال الله تعالى : « انما التوبة على الله للذين يعملون السوء بجهالة ثم يتوبون من قريب فاولئك يتوب الله عليهم و كان الله عليماً حكيما و ليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى اذا حضر أحدهم الموت قال انی تبت الآن » النساء : ١٧ ـ ١٨)

في نهج البلاغة : قال امام المتقين أمير المؤمنين علي عليه السلام : « ما أهمني أمر أمهلت بعده حتى اصلي ركعتين و أسئل الله العافية »

هذا فتح لباب التوبة وتطريق إلى طريقها ، و تعليم للنهضة إليها والاهتمام بها ، و معنى الكلام ان الذنب الذي لا يعاجل الانسان عقيبه بالموت ينبغي للانسان ألا يهتم به ، أي لا ينقطع رجاؤه عن العفو ، و تأميله الغفران ، و ذلك بأن يقوم إلى الصلاة عاجلا ، ويستغفر الله ، ويندم ويعزم على ترك المعاودة ، ويسئل الله العافية من الذنوب و العصمة من المعاصي والعون على الطاعة ، فانه إذا فعل ذلك بنية صحيحة ، و استوفى شرائط التوبة سقط عنه عقاب ذلك الذنب .

وفي هذا الكلام تحذير عظيم من مواقعة الذنوب لانه اذا كان هذا هو محصول

الكلام ، فكأنه قد قال : الحذر الحذر من الموت المفاجيء قبل التوبة ، ولاريب ان الانسان ليس على ثقة من الموت المفاجيء قبل التوبة ، انه لا يفاجئه و لا يأخذه بغتة ، فالانسان اذاكان عاقلا بصيراً يتوقى الذنوب والمعاصى غاية التوقى.

و فى احقاق الحق : قال الامام جعفربن محمد الصادق عليه السلام : «تأخير التوبة إغترار ، و طول التسويف حيرة ، والاعتداء على الله هلكة ، والاصرارعلى الذنب من مكر الله «ولا يأمن مكر الله الا القوم الخاسرون» .

و فى رواية : عن أبى الدرداء فقال : خطب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فى يوم جمعة فقال: «ياأيها الناس ! توبوا إلى الله قبل أن تموتوا ،وبادروابالاعمال الصالحة قبل أن تشغلوا ، و أصلحوا الذى بينكم وبين ربكم ، تسعدوا ، و أكثروا من الصدقة ترزقوا ، و امروا بالمعروف تحصنوا ، و انهوا عن المنكر تنصروا ، يا أيها الناس إن أكيسكم أكثركم ذكراً للموت ، و إن أحزمكم أحسنكم استعداداً ، ألا و إن من علامات العقل التجافى من دار الغرور والانابة إلى دار الخلود ، والتزود لسكنى القبور والتأهب ليوم النشور»

و فى تفسير العياشى : عن أبى عمرو الزبيرى عن أبى عبد الله عليه السلام قال: رحم الله عبداً تاب إلى الله قبل الموت ، فان التوبة مطهرة من دنس الخطيئة و منقذة من شفا الهلكة فرض الله بها على نفسه لعباده الصالحين فقال : «كتب ربكم على نفسه الرحمة» .

و فى العلل : باسناده عن العيص بن القاسم قال : سمعت أبا عبدالله عليه السلام يقول : اتقوا الله وانظروا لانفسكم ، فان أحق من نظر لها انتم لو كان لاحدكم نفسان فقدم إحداهما ، و جرب بها استقبل التوبة بالاخرى كان ، و لكنها نفس واحدة إذا ذهبت ، فقد والله ذهبت التوبة إن أتاكم منا آت ليدعوكم إلى الرضا منا ، فنحن نشهدكم انا لانرضى انه لا يطيعنا اليوم و هو وحده ، وكيف يطيعنا اذا ارتفعت الروايات والاعلام .

و فى نهج البلاغة : قال الامام على عليه السلام : «نحن نريد ألانموت حتى

نتوب ، نحن لا نتوب حتى نموت »

و من أشعار مولانا سيد الشهداء الحسين بن على عليه السلام :

تعالج با لطبيب كل داء ... و ليس لداء دينك من علاج
سوى ضرع إلى الرحمن محض ... بنية خائف و يقين راج
و طول تهجد بطلاب عفو ... بليل مد لهم الستر داج
و إظهار الندامة كل وقت ... على ما كنت فيه من اعوجاج
لملك أن تكون غداً حظياً ... ببلغة فائز و سرور ناج

و فى الدر المنثور : عن عبدالله بن عمرو بن العاصى. ان رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم قال : الهجرة خصلتان : إحداهما ـ أن تهجر السيئات ، والاخرى أن تهاجر إلى الله و رسوله ، و لا تنقطع الهجرة ما تقبل التوبة ، و لا تزال التوبة مقبولة حتى تطلع الشمس من المغرب فاذا طلعت طبع على كل قلب بما فيه و كفى الناس العمل .

وروى انه أتى علياً عليه السلام رجل فقال: يا على ؟ أخبرنى ما واجب ؟ و ما أوجب ؟ و ما عجيب ؟ و ما أعجب ؟ ، وما صعب ؟ وما أصعب ؟ و ما قريب ؟ و ما أقرب ؟ فقال عليه السلام :

فرض على الناس أن يتوبوا ... و لكن ترك الذنوب أوجب
و الدهر فى صرفه عجيب ... و غفلة الناس فيه أعجب
و الصبر فى النائبات صعب ... لكن فوت الثواب أصعب
و كلما يرتجى قريب ... و الموت من كل ذاك أقرب

فلامرية فى وجوب التوبة على الفور لكون المذنب عرضة للهلاك و نزول العذاب عليه وتبعات الذنوب ، مضافاً إلى ان الموت لبالمرصاد فى كل وقت و آن ، فالبدار البدار إلى التوبة قبل أن تعمل سموم الذنوب بالنفس و ما يتعلق بها.

و فى رواية : قال رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم : «من ترك المبادرة إلى التوبة بالتسويف كان بين خطرين عظيمين : أحدهما ـ أن يترا كم الظلمة عن قلبه من المعاصى حتى

يصير دينا و طبعاً فلايقبل المحو . والثانى أن يعاجله المرض او الموت فلايجد مهلة للاشتغال بالمحو »

اقول : و لذلك ورد فى الخبر : « ان أكثر صياح أهل النار التسويف » فيجب على الخاطىء أن يتوب و هو قريب عهد بالخطيئة و يمحو أثرها بالتوبة قبل أن تسلّط عليه نفسه ، و قبل أن يترا كم الرين على قلبه بحيث لا يقبل المحو كالثوب الموسّخ الذى لا يزول وسخه بالصابون الاّ أن يخرق .



﴿ التوبة النصوح ﴾

ان التدبر فى الايات الكريمة والروايات الواردة فى التائبين يلهمنا انهم على طوائف أربع :

الاولى : و هم الذين يتوبون و ينوون أن لا يعودوا إلى مامضى ابداً و يستقيمون إلى آخر عمرهم ،فيتدار كون ما فرط من أمرهم ، ولا يحدثون أنفسهم بالعود إلى ذنوبهم الا الزلات التى لا ينفك عنها الانسان عادة وهى التوبة النصوح و هذا مأخوذ من النصح أى الخالص لله تعالى خالياً عن الشوائب ، والتندم على ما مضى و التحزن عليه و هو روح التوبة .

فى تحف العقول : و قيل للامام أمير المؤمنين على عليه السلام : ما التوبة النصوح ؟ فقال عليه السلام : ندم بالقلب و استغفار باللسان والقصد على أن لا يعود .

و فى معانى الاخبار : باسناده عن أبى عبدالله عليه السلام قال : التوبة النصوح أن يكون باطن الرجل كظاهره و أفضل .

و قال الصدوق رضوان الله تعالى عليه : و قد روى : ان التوبة النصوح هو أن يتوب الرجل من ذنب ، و ينوى أن لا يعود إليه أبداً .

و فى الصحيفة السجادية : قال سيد الساجدين زين العابدين على بن الحسين عليهما السلام : « اللهم انى أتوب إليك فى مقامى هذا من كبائر ذنوبى و صغائرها و بواطن سيئاتى و ظواهرها ، و سوالف زلاتى و حوادثها ، توبة من لا يحدث نفسه بمعصية ، ولا يضمر أن يعود فى خطيئة و قد قلت يا إلهى فى محكم كتابك انك تقبل التوبة عن عبادك ، و تعفو عن السيئات ، و تحب التوابين ، فاقبل توبتى

كما وعدت ، واعف عن سيئاتي كماضمنت ، و أوجب لي محبتك كما شرطت ،و لك يا رب شرطي الا أعود في مكروهك ، و ضماني أن لا أرجع في مذمومك ، و عهدي أن أهجر جميع معاصيك ـ إلى أن قال ـ: اللهم أيما عبد تاب إليك وهو في علم الغيب عندك فاسخ لتوبته ، و عائد في ذنبه و خطيئته ، فاني أعوذبك أن أكون كذلك ، فاجعل توبتي هذه توبة لا أحتاج بعدها إلى توبة ، توبةموجبة لمحو ما سلف والسلامة فيمابقي ـ إلى أن قال ـ:اللهم و اني أتوب اليك من كل ما خالف إرادتك ، أوزال عن محبتك من خطرات قلبي و لحظات عيني ، وحكايات لساني ، توبة تسلم بها كل جارحة على حيالها من تبعاتك و تأمن مما يخاف المعتدون من أليم سطواتك »

أقول : و لعمري هذا تعليم لنا كيف و هو عليه السلام من خيرة الله تعالى الذين قال فيهم : « و جعلناهم أئمة يهدون بامرنا و أوحينا إليهم فعل الخيرات و اقام الصلاة و ايتاء الزكاة و كانوا لنا عابدين » الانبياء : ٧٣) ؟ .

الطائفة الثانية : و هم الذين يسلكون طريق الاستقامة في امهات الطاعات و كبائر الفواحش كلها الا انهم قد لا ينفكون عن ذنوب تعتريهم لاعن عمد و تجريد قصد ، ولكن يبتلي بها في مجاري أحوالهم من غير أن يقدموا عزماً على الاقدام عليها و لكنهم إذا أقدموا الاموا أنفسهم و ندموا وحددوا عزمهم على عدم العود ، و هذه رتبةعالية،وإن كانت نازلة عن الاولى ، و هي أغلب أحوال التائبين، لان الشر معجون بطينة الادمي قلما ينفك عنه .

قال الله تعالى : « الذين يجتنبون كبائر الاثم والفواحش الا اللمم ان ربك واسع المغفرة » النجم : ٣٢)

و قال : « و الذين اذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم و من يغفر الذنوب الا الله و لم يصرّوا على ما فعلوا وهم يعلمون » آل عمران : ١٣٥)

و في رواية : المؤمن كالسنبلة تفيء أحياناً و تميل أحياناً .

الطائفة الثالثة : و هم الذين يتوبون ويستمرّون على الاستقامة مدة ثم تغلبهم الشهوات فى بعض الذنوب ، فيقدمون عليها عن قصد و صدق شهوة بعجزهم عن قهر الشهوة الاّ أنهم مع ذلك مواظبون على الطاعات ، و تاركون جملة من السيئات مع القدرة والشهوة ، و انما قهرتهم هذه الشهوة الواحدة أو الشهوتان ، و هم يودّون قمعها ويقولون : « ياليتنا لم نفعل و سنتوب » و لكنهم يسوّفون نفسه فى التوبة يوماً بعد يوم .

قال الله تعالى : « و آخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملاً صالحاً و آخر سيئاً عسى الله أن يتوب عليهم ان الله غفور رحيم » التوبة: ۱۰۲)

الطائفة الرابعة : و هم الذين يتوبون ويستقيمون مدة ثم يعودون إلى مقارفة الذنب من غير أن يحدثوا فى أنفسهم بالتوبة ، و من غير أن يتأسفوا على فعلهم بل ينهمكون انهماك الغافل فى اتباع الشهوات ، فهذا أقبح حال التائبين وأمرهم إلى مشيئة الله جل و علا .

قال الله تعالى : « وآخرون مرجون لامر الله إما يعذّبهم و اما يتوب عليهم والله عليم حكيم » التوبة : ۱۰۶)

و هذه التوبة غير واجبة القبول فانها توبة لسانية فاقدة لروحها حيث ان التوبة عملية تطهير للنفس لها اصول تقتضى الايمان الكامل و العلم بالذنب ، و الاقرار به ، والندم عليه والعزم على عدم العودة اليه والعمل الصالح ، فليست التوبة باللسان فقط .

فى وجوب قبول التوبة

و كون الثواب عليها تفضلا ام استحقاقا

وقد اختلفت كلمات الاعلام قديماً و حديثاً فى وجوب قبول التوبة من التائب على الله تعالى و عدمه ، و فى أن الثواب عليها أيكون على سبيل التفضل، أم استحقاق التائب به ، ذهب إلى كل فريق :

و استدل الاولون بقوله تعالى : « انما التوبة على الله للذين يعملون السوء بجهالة ثم يتوبون من قريب فاولئك يتوب الله عليهم » النساء : ١٧)

فاوجب الله تعالى قبول التوبة لهؤلاء على نفسه لقوله تعالى :« كتب ربكم على نفسه الرحمة انه من عمل منكم سوءاً بجهالة ثم تاب من بعده و أصلح فانه غفور رحيم » الانعام : ٥٤)

فى نهج البلاغة : قال مولى الموحدين أمير المؤمنين على عليه السلام : « ما كان الله عزوجل ليفتح على عبد باب الشكر و يغلق عنه باب الزيادة ، و لا ليفتح على عبد باب الدعاء و يغلق عنه باب الاجابة ، ولا ليفتح عليه باب التوبة و يغلق عنه باب المغفرة »

وفيه : قال الامام على عليه السلام : « من اعطى أربعاً لم يحرم أربعاً : من اعطى الدعاء لم يحرم الاجابة، ومن اعطى التوبة لم يحرم القبول ، و من اعطى الاستغفار لم يحرم المغفرة ، و من اعطى الشكر لم يحرم الزيادة »

قال السيد الرضى رضوان الله تعالى عليه : و تصديق ذلك فى كتاب الله تعالى

قال فى الدعاء : « ادعونى استجب لكم »

وقال فى الاستغفار : « من يعمل سوءاً أو يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجدالله غفوراً رحيما »

و قال فى الشكر : « لئن شكرتم لازيدنكم »

و قال فى التوبة : « انما التوبة على الله للذين يعملون السوء بجهالة ثم يتوبون من قريب فاولئك يتوب الله عليهم و كان الله عليماً حكيما »

و ذهب الاخرون إلى أن قبول التوبة فضل من الله عز و جل و ليس بواجب عقلاً لجواز إسقاط التوبة و عقوبة المعاصى، ولولا ان السمع ورد باسقاط العقوبة عن التائبين لجاز فى العقل بقاء التائبين على استحقاقها ، فلو عاقب الله تعالى التائب ما كان ظالماً .

و استدلوا بقوله تعالى : « ثم يتوب الله من بعد ذلك على من يشاء ـ و آخرون مرجون لامر الله إما يعذبهم و إما يتوب عليهم » التوبة : ٢٧ ـ ١٠٦)

و ذلك لان الله تعالى علّق قبول التوبة على مشيئته و لو كان واجبا لم يعلقه عليها .

أقول : و كما ان ليس كل توبة صحيحة فكذلك ليس كل توبة واجب القبول ، و بالنظر فى طوائف التائبين الذين أشرنا إليهم آنفاً يظهر لك حقيقة الامر و ان التوبة و إن كانت من خواصّها تطهير القلب عن أدناس الذنوب كخاصية الصابون والماء من إزالة الوسخ عن الثوب والعطش عن الكبد ، و لكن اذا اشتدّ الوسخ على الثوب ، وصار العطش طبيعة ثانية لانسان بمرض و نحوه لاتسهل ازالتهما بالصابون والماء بل قد لا يمكن الازالة إذغاص الوسخ لطول تراكمه فى تجاويف الثوب و خلله، فلا يقوى الصابون على قلعه ، و كذلك الذنوب اذا تراكمت حتى تصير طبعاً ورينا على القلب و هذا القلب إما لا يتوب و لو تاب فما كانت توبته الاّ باللسان . . .

و تشير إلى هذا القلب آية التوبة التى استدل بها النافون وهم الطائفة الرابعة

اشرنا إليهم آنفا فراجع .

و أما التوبة الصحيحة والندم الذى يمحوبه ظلمة السيئة عن وجه القلب ، و تزكى بترك الذنوب ، و تطهر بالطاعة و صالح العمل ، و استضىء بنور الله جل وعلافهى مقبولة كتب الله تعالى على نفسه بقبولها ويثاب التائب على طريق الاستحقاق لكونها طاعة مقبولة يثاب بها .

فى تفسير التبيان قال الشيخ قدس سره : «ان التوبة طاعة يستحق بها الثواب بلا خلاف و يسقط العقاب عندها بلاخلاف الا ان عندنا يسقط ذلك تفضلا من الله تعالى بورود السمع بذلك و عند المعتزلة العقل يوجب ذلك » .

و فى الكافى : باسناده عن محمد بن مسلم عن أبى جعفر عليه السلام قال : يا محمد بن مسلم ذنوب المؤمن اذا تاب منها مغفورة له ، فليعمل المؤمن لما يستأنف بعد التوبة والمغفرة ، أما والله انها ليست الا لاهل الايمان قلت : فان عاد بعد التوبة والاستغفار من الذنوب وعاد فى التوبة ؟!

فقال : يا محمد بن مسلم أترى العبد المؤمن يندم على ذنبه و يستغفر منه و يتوب ثم لا يقبل الله توبته ؟ الحديث .

و فى تفسير سهل بن عبد الله تسترى : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : لكل ذنب توبة الا لاصحاب البدع والاهواء ، وانى منهم برى وهم منى برآؤ و ان الله تعالى حجز عنهم التوبة أى ضيق عنهم التوبة .

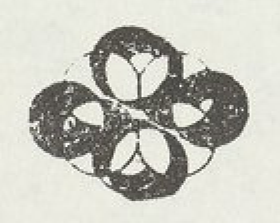
و فى رواية : عن أبى فروة انه أتى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال : أرأيت رجلا عمل الذنوب كلها ، ولم يترك حاجة ولاداجة ، فهل له من توبة ؟ فقال صلى الله عليه وآله وسلم : أ أسلمت ؟ فقال : نعم قال صلى الله عليه وآله وسلم : فافعل الخيرات و اترك السيئات ، فيجعلها الله لك خيرات كلها ، قال : و غدراتى و فجراتى ؟قال :نعم فمازال يكبّر حتى توارى.

وفى رواية اخرى : جاء شيخ كبير هرم قد سقط حاجباه على عينيه فقال : يا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم رجل غدر و فجر و لم يدع حاجة و لا داجة الا اقتطفها بيمينه لو قسمت خطيئته بين أهل الارض لأوبقتهم فهل له من توبة؟ فقال

النبی ﷺ : أ أسلمت ؟ قال : أما أنا فاشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له و ان محمداً عبده و رسوله، فقال النبی ﷺ : فان الله غافر لك ما كنت كذلك و مبدّل سيئاتك حسنات ، فقال يا رسول الله ! و غدراتی و فجراتی ؟ فقال : و غدراتك و فجراتك ، فولّی الرجل يكبّر و يهلل .

و قال الامام سيد الشهداء الحسين بن علی عليهما السلام فی اشعاره :

فان الله تواب رحيم ولی قبول توبة كل غاو
أؤمل أن يعافينی بعفو و يسخن عين ابليس المناو
و ينفعنی بموعظتی و قولی و ينفع كل مستمع و راو
ذنوبی قد كوت جنبی كيا الا ان الذنوب هی المكاو
وليس لمن كواه الذنب عمداً سوی عفو المهيمن من مداو



توبة الثلاثة :

الحر ونباش القبر وأبي لبابة

ولما كان فى توبة الثلاثة حث و ترغيب للمذنبين عليها فلابد من ذكرها إجمالا :

أما توبة الحر بن يزيد الرياحى - وهو من أصحاب عمر بن سعد من جيوش يزيد بن معاوية عليهما الهاوية - فلما رأى الحر يوم عاشوراء ان القوم قد صمموا على قتال الحسين ابن على عليهما السلام قال لعمر بن سعد : أى عمراً مقاتل انت هذا الرجل؟ قال : اى والله قتالاً شديداً أيسره أن تسقط الرؤس و تطيح الايدى قال : أفمالكم فيما عرضه عليكم رضى ؟ قال عمر : أما لوكان الامر إلىّ لفعلت ولكن أميرك قد أبى .

فأقبل الحر حتى وقف من الناس موقفاً ، ومعه رجل من قومه يقال له قرة بن قيس ، فقال له: ياقرة هل سقيت فرسك اليوم؟ قال : لا قال : فما تريد أن تسقيه؟ قال قرة : وظننت والله انه يريد أن يتنحى فلا يشهد القتال فكره أن أراه حين يصنع ذلك ، فقلت له : لم اسقه وانا منطلق لاسقيه ، فاعتزل ذلك المكان الذى كان فيه ، فوالله لوانه اطلعنى على الذى يريد لخرجت معه إلى الحسين عليه السلام فأخذ يدنو من الحسين قليلا قليلا ، فقال له المهاجر بن أوس ماتريد يابن يزيد تريد أن تحمل فلم يجبه وأخذه مثل الافكل وهى الرعدة .

فقال له المهاجر إن أمرك لمريب والله مارأيت منك فى موقف قط مثل هذا

ولو قيل لى : من أشجع أهل الكوفة ماعدوتك ، فما هذا الذى أرى منك ؟ فقال له الحر : انى والله أخير نفسى بين الجنة والنار ، فوالله لاأختار على الجنة شيئا ولو قطعت وحرقت ثم ضرب فرسه ، ولحق بالحسين عليه السلام فقال له : جعلت فداك يابن رسول الله انا صاحبك الذى حبستك عن الرجوع وساير تك فى الطريق ، و جعجعت بك فى هذا المكان ، وظننت ان القوم يردون عليك ما عرضته عليهم ، ولا يبلغون منك هذه المنزلة ، والله لو علمت انهم ينتهون بك إلى ما أرى ما ركبت مثل الذى ركبت ، فانى تائب إلى الله مما صنعت ، فترى لى من ذلك توبة؟فقال له الحسين عليه السلام :

نعم يتوب الله عليك انت حرّ من نار جهنم كما سمتك امك حراً فانزل قال فأنا لك فارساً خير منى راجلا اقاتلهم لك على فرسى ساعة ، وإلى النزول اخرما يصير امرى ، فقال له الحسين عليه السلام : فاصنع يرحمك الله ما بدالك فاستقدم أمام الحسين عليه السلام :فقال ياأهل الكوفة لامكم الهبل والعبر،أدعوتم هذا العبد الصالح حتى اذا جاءكم اسلمتموه وزعمتم انكم قاتلوا أنفسكم دونه ثم عدوتم عليه لتقتلوه و أمسكتم بنفسه ، وأخذتم بكظمه و احطتم به من كل جانب لتمنعوه التوجه فى بلاد الله العريضة ، فصار كالاسير فى أيديكم لايملك لنفسه نفعاً ولايدفع عنها ضراً وحلأتموه ونساءه وصبيته وأهله عن ماء الفرات الجارى يشربه اليهود و النصارى والمجوس ، وتمرغ فيه خنازير السواد وكلابه ، فهاهم قد صرعهم العطش بئس ما خلفتم محمداً صلى الله عليه وآله وسلم فى ذريته لاسقاكم الله يوم الظماء فحمل عليه رجال يرمونه بالنبل ، فأقبل حتى وقف أمام الحسين عليه السلام ثم قاتل حتى قتل .

وأما نباش القبور : ففى أمالى الصدوق رضوان الله تعالى عليه باسناده عن عبد الرحمن بن غنم الدوسى قال : دخل معاذ بن جبل على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم باكياً فسلم فرد صلى الله عليه وآله وسلم ثم قال : ما يبكيك يا معاذ ؟ فقال : يا رسول الله ان بالباب شاباً طرى الجسد نقىّ اللون حسن الصورة ، يبكى على شبابه بكاء الثكلى على ولدها يريد الدخول عليك ، فقال النبى صلى الله عليه وآله وسلم : ادخل على الشاب يامعاذ ، فادخله عليه

فسلم فرد ﷺ ثم قال : مايبكيك ياشاب ؟ قال : كيف لاأبكي وقد ركبت ذنوباً ان اخذني الله عزوجل ببعضها ادخلني نارجهنم ولاأراني إلا سيأخذني بها ولايغفر لي أبداً ، فقال رسول الله ﷺ هل أشركت بالله شيئاً ؟

قال : أعوذ بالله أن اشرك بربي شيئاً ، قال : أقتلت النفس التي حرّم الله ؟قال لا فقال النبي ﷺ : يغفر الله لك ذنوبك ، وإن كانت مثل الجبال الرواسي قال الشاب : فانها أعظم من الجبال الرواسي ، فقال النبي ﷺ : يغفر الله لك ذنوبك وإن كانت مثل الارضين السبع وبحارها ورمالها وأشجارها وما فيها من الخلق ، قال: فانها أعظم من الارضين السبع وبحارها ورمالها وأشجارها وما فيها من الخلق فقال النبي ﷺ يغفر الله لك ذنوبك وإن كانت مثل السموات ونجومها ومثل العرش والكرسي.

قال : فانها أعظم من ذلك ، قال: فنظر النبي ﷺ كهيئة الغضبان ثم قال ويحك يا شاب ذنوبك أعظم أم ربك ، فخرّ الشاب لوجهه ، وهو يقول : سبحان الله ربي ماشيء اعظم من ربي ، ربي أعظم يانبي الله من كل عظيم .

فقال النبي ﷺ : فهل يغفر الذنب العظيم الا الرب العظيم ؟ قال الشاب لاوالله يارسول الله ثم سكت الشاب ، فقال النبي ﷺ :ويحك ياشاب ألا تخبرني بذنب واحد من ذنوبك ؟ قال : بلى اخبرك اني كنت انبش القبور سبع سنين اخرج الاموات وانزع الاكفان ، فماتت جارية من بعض بنات الانصار ، فلماحملت إلى قبرها ودفنت وانصرف عنها أهلها وجنّ عليهم الليل أتيت قبرها ، فنبشتها ثم استخرجتها ، ونزعت ما كان عليها من أكفانها وتركتها متجردة على شفير قبرها ومضيت منصرفاً فأتاني الشيطان ، فأقبل يزينها لي ويقول :

أما ترى بطنها وبياضها ؟ أما ترى وركيها ؟ فلم يزل يقول لي : هذا حتى رجعت عليها ، ولم أملك نفسي حتى جامعتها ، وتركتها مكانها ، فاذا أنا بصوت من ورائي يقول : ياشاب ويل لك من ديان يوم الدين يوم يقفني و اياك كما تركتني عريانة في عساكر الموتى ونزعتني من حفرتي و سلبتني اكفاني وتركتني أقوم جنبة إلى حسابي ، فويل لشبابك من النار فما أظن اني أشمّ ريحة الجنة أبداً فما

،ترى لي يارسول الله ؟ فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم :

تنح عني يا فاسق اني أخاف ان احترق بنارك فما اقربك من النار ثم لم يزل صلى الله عليه وآله وسلم يقول و يشير إليه حتى أمعن من بين يديه ، فذهب فأتى المدينة فتزود منها ثم أتى بعض جبالها ، فتعبد فيها ولبس مسحاً وغل يديه جميعاً الى عنقه ، و نادى يارب ! هذا عبدك بهلول بين يديك مغلول يارب ! أنت الذي تعرفني و زل مني ماتعلم سيدي يارب! اني اصبحت من النادمين ، وأتيت بنبيك تائباً فطردني وزادني خوفاً فاسئلك باسمك وجلالك وعظمة سلطانك أن لا تخيب رجائي سيدي ولا تبطل دعائي ولا تقنطني من رحمتك ، فلم يزل يقول ذلك أربعون يوماً وليلة تبكي له السباع والوحوش، فلما تمت له أربعون يوماً وليلة رفع يديه الى السماء.

وقال : اللهم ما فعلت في حاجتي إن كنت استجبت دعائي وغفرت خطيئتي فاوح إلى نبيك ، وإن لم تستجب لي دعائي و لم تغفرلي خطيئتي و أردت عقوبتي فعجل بنار تحرقني اوعقوبة في الدنيا تهلكني وخلصني من فضيحة يوم القيامة، فانزل الله تبارك وتعالى على نبيه صلى الله عليه وآله وسلم : « والذين اذا فعلوا فاحشة » يعني الزنا « أو ظلموا انفسهم » يعني بارتكاب ذنب أعظم من الزنا ونبش القبور وأخذ الاكفان « ذكروا الله واستغفروا لذنوبهم » يقول : خافوا الله فجعلوا التوبة « ومن يغفر الذنوب الا الله » يقول عزوجل : أتاك عبدي يامحمد تائباً فطردته ، فأين يذهب ، وإلى من يقصد ، ومن يسئل أن يغفر له ذنبا غيري ثم قال عزوجل : « ولم يصروا على مافعلوه وهم يعلمون » يقول :لم يقيموا على الزنا ونبش القبور ، وأخذ الاكفان « اولئك جزاؤهم مغفرة من ربهم وجنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها و نعم أجر العاملين »

فلما نزلت هذه الاية على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم خرج وهو يتلوها ويتبسم فقال لاصحابه من يدلني على ذلك الشاب التائب ؟ فقال معاذ : يارسول الله ! بلغنا انه في موضع كذا و كذا ، فمضى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم باصحابه حتى انتهوا إلى ذلك الجبل فصعدوا إليه يطلبون الشاب فاذاهم بالشاب قائم بين صخرتين مغلولة يداه إلى عنقه

وقد اسود وجهه وتساقطت أشفار عينيه من البكاء ، وهو يقول : سيدى قد أحسنت خلقى وأحسنت صورتى فليت شعرى ماذا تريد بى أفى النار تحرقنى ؟ أوفى جوارك تسكننى ؟

اللهم انك قد أكثرت الاحسان إلى ، وأنعمت على ، فليت شعرى ماذا يكون آخر أمرى إلى الجنة تزفنى ؟ أم الى النار تسوقنى ؟ اللهم إن خطيئتى أعظم من السموات والارض ، ومن كرسيك الواسع ، وعرشك العظيم ، فليت شعرى تغفر خطيئتى ، أم تفضحنى بها يوم القيامة؟ فلم يزل يقول : نحو هذا وهو يبكى ويحثو التراب على رأسه ، وقد أحاطت به السباع ، و صفت فوقه الطير ، و هم يبكون لبكائه .

فدنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فاطلق يديه من عنقه ونفض التراب عن رأسه ، وقال: يا بهلول ! أبشر فانك عتيق الله من النار ثم قال صلى الله عليه وآله وسلم لاصحابه : هكذا تدار كوا الذنوب كما تدارکها بهلول أبشر فانك عتيق الله من النار ثم تلا عليه ما أنزل الله عزوجل فيه وبشره بالجنة .

و أما توبة ابى لبابة : ففى تفسير القمى فى قوله تعالى : «و آخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملا صالحاً وآخر سيئاً عسى الله أن يتوب عليهم ان الله غفوررحيم » قال : نزلت فى أبى لبابة بن عبد المنذر ، وكان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لما حاصر بنى قريظة قالوا له ابعث لنا أبالبابة نستشيره فى أمرنا ، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : يا أبالبابة إئت حلفاءك و مواليك ، فاتاهم فقالوا له : يا بالبابة ماترى ؟ أننزل على حكم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال : انزلوا واعلموا أن حكمه فيكم هو الذبح و أشار إلى حلقه ثم ندم على ذلك فقال : خنت الله ورسوله ، ونزل من حصنهم و لم يرجع إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ومر إلى المسجد وشد فى عنقه حبلا ثم شده إلى الاسطوانة التى كانت تسمى اسطوانة التوبة كانت تسمى اسطوانة التوبة ، فقال لا احله حتى أموت أو يتوب الله على ، فبلغ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال : أما لو أتانا لاستغفرنا الله له ، فاما اذا قصد إلى ربه فالله أولى به ، و كان أبولبابة يصوم النهار

ويأكل بالليل مايمسك رمقه وكانت بنته تأتيه بعشائه، وتحلّه عند قضاء الحاجة فلما كان بعد ذلك ورسول الله في بيت ام سلمة نزلت توبته، فقال: ياام سلمة قد تاب الله على أبي لبابة، فقالت: يارسول الله! أفأؤذنه بذلك؟

فقال: لتفعلن فاخرجت رأسها من الحجرة فقالت: ياأبالبابة أبشر قدتاب الله عليك، فقال: الحمدلله، فوثب المسلمون يحلّونه، فقال: لا والله حتى يحلّني رسول الله ﷺ بيده فجاء رسول الله ﷺ فقال: يا أبالبابة قد تاب الله عليك توبة لوولدت من امك يومك هذا لكفاك، فقال: يارسول الله أفأتصدّق بمالي كلّه؟ قال: لاقال: فبثلثيه؟ قال: لاقال: فبنصفه؟ قال: لاقال: فبثلثه؟ قال: نعم فانزل الله: «وآخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملاصالحاً وآخرسيئاًعسى اللهأن يتوب عليهم ان اللهغفور رحيم خذ من أموالهم صدقة ـ إلى قوله ـ ان الله هو يقبل التوبة عن عباده ويأخذ الصدقات وان الله هوالتواب الرحيم»

وفي الدر المنثور: عن سعيدبن المسيب: ان بني قريظة كانوا حلفاء لابي لبابة، فاطلعوا إليهوهو يدعو إلى حكم رسول الله ﷺ فقالوا: ياأبالبابة أتأمرنا أن ننزل، فاشار بيده إلى حلقه انه الذبح، فأخبر عنه رسول الله ﷺ بذلك فقال له رسول الله ﷺ أحسبتان الله غفل عن يدك حين تشير إليهم بها إلى حلقك؟ فلبث حتى غزا رسول الله ﷺ تبوك وهي غزوة العسرة فتخلف عنه أبولبابة فيمن تخلف، فلما قفل رسول الله ﷺ منها جاءه أبولبابة يسلمعليه، فأعرض عنهرسول الله ﷺ.

ففزع أبولبابة، فارتبط بسارية التوبة التي عند باب ام سلمة سبعاً من بين يوم وليلة في حرّ شديد لايأكل فيهن ولايشرب قطرة، وقال: لايزال هذا مكاني حتى افارق الدنيا أويتوب عليّ فلم يزل كذلك حتى ما يسمع الصوت من الجهدو رسول الله ﷺ ينظر اليه بكرة وعشية ثم تاب الله عليه، فنودي ان الله قدتاب عليك، فارسل إليه رسول الله ﷺ ليطلق عنه رباطه، فأبى أن يطلقه أحدالاّ رسول الله ﷺ فجاءه رسول الله ﷺ فاطلقه عنه بيده فقال أبولبابة حين أفاق

يا رسول الله انى اهجر دارقومي التى اصبت فيها الذنب وانتقل إليك فاساكنك ، وانى اختلع من مالى صدقة إلى الله ورسوله ﷺ فقال : يجزى منك الثلث فهجر أبولبابة دارقومه وساكن رسول الله ﷺ وتصدق بثلث ماله ثم تاب ، فلم يرمنه فى الاسلام بعد ذلك إلا خيرحتى فارق الدنيا .

وفى تفسير ابن كثير : ان قوله تعالى : « يا ايها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول » نزل فى أبى لبابة هارون بن عبد المنذر الانصارى من بنى عوف بن مالك ، وذلك ان رسول الله ﷺ حاصر يهود قريظة إحدى و عشرين ليلة فسئلوا رسول الله ﷺ الصلح على ماصالح عليه اخوانهم من بنى النضير على أن يسيروا على اخوانهم باذرعات واريحا من أرض الشام فأبى الله يعطيهم ذلك الا أن ينزلوا على حكم سعدبن معاذ فأبوا وقالوا : أرسل إلينا أبالبابة ، و كان مناصحاً لهم لان عياله وولده وماله كانت عندهم ، فبعثه رسول الله ﷺ فأتاهم فقالوا : يا أبالبابة ماترى أنزل على حكم سعد ؟ فاشار أبولبابة إلى حلقه أى انه الذبح ، فلا تفعلوا قال : والله مازالت قدماى حتى علمت انى قد خنت الله ورسوله فنزلت هذه الاية فلما نزلت شدّ نفسه على سارية من سوارى المسجد ، وقال : والله لا أذوق طعاماً ولاشراباً حتى أموت أو يتوب الله علىّ ، فمكث سبعة أيام لايذوق فيها طعاماً حتى خرّ مغشياً عليه ثم تاب الله عليه .

فقيل : يا أبالبابة قديتب عليك فقال : لاوالله لااحل نفسى حتى يكون رسول الله هو الذى يحلّنى فجاءه فحلّه بيده ثم قال أبولبابة : ان من تمام توبتى أن أهجر دارقوم التى اصبت فيها الذنب ، وأن اتخلّع من مالى فقال رسول الله ﷺ يجزبك الثلث أن تتصدق به .

﴿التوبة غير المقبولة﴾

ان المستفاد من الايات الكريمة والروايات الواردة : ان ليس كل توبة صحيحة مقبولة اطلاقاً ، فان الكافر اذا تاب و أسلم من غير ندامة على كفره ، و كذلك العاصي اذا تاب من غير ندامة على ذنبه و كان مصمماً على اتيانه والظالم اذا تاب من غير ردّ الحقوق إلى أصحابها ، و من أذنب عالماً مرّة بعد اخرى ثم تاب لعجزه عن اتيانه بكبر او مرض أو اذا حضره الموت . . . فتوبتهم غير مقبولة .

قال الله تعالى : « كتب ربكم على نفسه الرحمة انه من عمل منكم سوءاً بجهالة ثم تاب من بعده و أصلح فانه غفور رحيم » الانعام : ٥٤)

و قال : « و ليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى اذا حضر أحدهم الموت قال اني تبت الآن ولا الذين يموتون وهم كفار » النساء : ١٨)

و قال : « ثم ان ربك للذين عملوا السوء بجهالة ثم تابوا من بعد ذلك و أصلحوا ان ربك من بعدها لغفور رحيم» النحل : ١١٩)

و قال : « الذين تابوا و أصلحوا واعتصموا بالله و أخلصوا دينهم لله فاولئك مع المؤمنين » النساء : ١٤٦) و غيرها من الايات . . .

في الكافي : باسناده عن زرارة عن أبي جعفر عليه السلام : لم يكن للعالم توبة و كانت للجاهل توبة .

و في وسائل الشيعة : بالاسناد عن شيخ من النخع قال : قلت لابي جعفر عليه السلام : اني لم أزل والياً منذ زمن الحجاج إلى يومي هذا ، فهل لي من توبة ؟

قال : فسكت ، ثم عدت عليه، فقال : لا حتى تؤدى إلى كل ذى حق حقه.

و اما توبة من كان كافراً ثم تاب و أسلم و ندم على كفره ، و لكنه بقي على كبيرة او يصر على صغيرة ، و كذلك المذنب اذا تاب و ندم على كبيرة و بقى على كبيرة اخرى كمن تاب على شرب الخمر و بقى على أكل الربا مثلا و هكذا . . . ففى قبولها كلمات مختلفة . . .

قيل : ان التوبة على كبيرة مقبولة ، و إن اعتقد التائب قبح ما يقيم على غيرها من كبائر الاثم اذا اختلفت الدواعى المتروك والمعزوم ، و اذا اتفقت الدواعى فيه ، فلاتصح التوبة ولا تقبل منه .

و قيل : لا تصح التوبة من قبيح مع الاقامة على ما يعتقد قبحه ، و إن كان حسنا فى الواقع فضلا عن أن يكون قبيحاً .

اقول : انها غير صحيحة ولا مقبولة لعدم صدق التوبة عليها حقيقة .

فى اوائل المقالات : قال الشيخ المفيد رضوان الله تعالى عليه : « لا يصلح (لا يصح ظ) التوبة من شيء من الافعال قبل وجودها سواء كانت مباشرة أو متولدة أو من فعل سبباً أوجب به مسبباً ثم ندم على فعل السبب قبل وجود المسبب فقد سقط عنه عقابه ، و عقاب المسبب و إن لم يكن نادماً فى الحقيقة على المسبب ليس لانه مصر عليه او متهاون به لكن لانه لا يصح له الندم مما لم يخرج إلى الوجود و التوبة مما لم يفعله غير انه متى خرج إلى الوجود ، و لم يمنعه مانع من ذلك فان التوبة منه واجبة اذا كان فاعله متمكنا .

و هذا مذهب جمهور أصحاب التولد، وقد خالفهم فيه نفر من أهله وزعموا ان التوبة من السبب توبة من المسبب ، و قال بعضهم انه بفعله السبب يكون كالفاعل للمسبب ، و لذلك يجب عليه التوبة منه ، والقولان جميعاً باطلان لان التوبة من الشيء لا يكون توبة من غيره ، و قد ثبت ان السبب غير المسبب و لان السبب قد يوجد ولا يخرج المسبب إلى الوجود بمانع يمنعه منه » انتهى كلامه .

﴿التوبة و تكفير السيئات و ازالة العقوبة﴾

قال الله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا توبوا إلى الله توبة نصوحا عسى ربكم أن يكفّر عنكم سيئاتكم » التحريم : ٨)

و قال : « من تاب و آمن و عمل عملا صالحاً فاولئك يبدّل الله سيئاتهم حسنات و كان الله غفوراً رحيما » الفرقان : ٧٠)

و قال : « فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك وقهم عذاب الجحيم » غافر:٧)

في الكافي : باسناده عن محمد بن مسلم عن أبي جعفر عليه السلام قال: من كان مؤمنا فعمل خيراً في ايمانه ثم أصابته فتنة فكفر ثم تاب بعد كفره كتب له و حسب له كل شيء كان عمله في ايمانه ، ولا يبطله الكفر اذا تاب بعد كفره .

و في وسائل الشيعة : بالاسناد عن أبي بصير عن أبي عبد الله عليه السلام قال : سمعته يقول : أوحى الله إلى داود النبي عليه السلام يا داود ان عبدي المؤمن من اذا أذنب ذنبا ثم رجع و تاب من ذلك الذنب و استحيى مني عند ذكره غفرت له ، و أنسيته الحفظة و أبدلته الحسنة ، ولا ابالي و أنا أرحم الراحمين .

وفي رواية : عن ابن مسعود قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : من أحسن في الاسلام لم يؤاخذ بما عمل في الجاهلية ، و من أساء في الاسلام أخذ بالاول والآخر .

و في رواية اخرى : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : الاسلام يجبّ ما قبله ، والتوبة تجبّ ما كان قبلها .

و في نهج المسترشدين : قال : « « هل سقوط العقاب بالتوبة واجب أو

تفضل ؟ المعتزلة على الاول ، والمرجئة و. جماعة على الثانى و هو الاقرب .

لنا :أنه لو وجب السقوط لكان اما لوجوب قبولها ، أو لزيادة ثوابها والقسمان باطلان : أما الاول : فلانه يلزم أن من أساء إلى غيره بأعظم الاساء ات ثم اعتذر إليه وجب قبول عذره ، والثانى باطل بالاجماع ، فكذا المقدم ، و أما الثانى :فلما مرّ من بطلان التحابط .

احتجوا : بانه لولم يجب السقوط لقبح تكليف العاصى بعد عصيانه ، والتالى باطل بالاجماع ، فالمقدم مثله .

بيان الملازمة : انه لو كلف بعد العصيان لكانت الفائدة اما الثواب أوغيره والثانى باطل اجماعاً ، والاول محال هنا للتناهى بين استحقاق الثواب والعقاب ، ولا مخاص للعاصى من استحقاق العقاب حينئذ ، وكان يقبح تكليفه .

والجواب : المنع من دوام عقاب الفاسق ، والمنع من عدم المخلص ،لجواز العفو ، أو كثرة الطاعات و زيادتها على العقاب » انتهى كلامه .

و فى شرح النهج : قال ابن أبى الحديد : « فاما القول فى ان التوبة تسقط العذاب فعندنا ان العقل يقتضى قبح العقاب بعد التوبة ـ و احتج أصحابنا بقبح عقوبة المسيء إلينا بعد ندمه و اعتذاره و تنصّله و العلم بصدقه و العلم بانه عازم على ألاّ يعود »

أقول : ان تكفير السيئات و إسقاط عقابها بالتوبة الصحيحة مما لا مرية فيه نظراً لصراحة القرآن الكريم والسنة المتواترة فى ذلك ، و أما تكفيرها و إسقاط عقابها بها اطلاقاً ، فلن تلتزم به آية ولا رواية و لا عاقل فضلاً عن فاضل خبير ، إذ أقل نتيجة لهذا الالتزام هو اجتراء أصحاب الكبائر ، و أهل الاصرار فى الصغائر على اقتراف الذنوب والآثام من غير مبالاة ، فيرتكب العاصى ماترغب إليه نفسه الخبيثة بصورة مستمرة عبر الليالى والايام بل على مرّ الساعات والآنات مقتنعاً بنفسه انه سيتوب و يعمل صالحاً فان التوبة توجب تكفير السيئات و «ان الحسنات يذهبن السيئات »

و من غير بعيد ان عمر بن سعد ـ مع اعترافه بمآثم قتل مولانا الحسين بن علي عليه السلام ـ كان ممن يميل إلى هذا المذهب المنحرف السخيف في قوله: فان صدقوا فيما يقولون انني ـ أتوب إلى الرحمن من سنتين فلا توجب التوبة إطلاقاً لتكفير السيئات و اسقاط عقوبتها العدم تبدل العاصي بالتوبة الكاذبة عن حاله الفاسدة السابقة إلى حالة حسنة جديدة بهذه التوبة حيث ان هذا التبديل بالاعمال هو أثر طبعي لتبدل الشخص بالتوبة من كفر و نفاق و عمل فاسد ـ كانت معاكسة للفطرة و سواء السبيل ـ إلى ايمان و اخلاص و عمل صالح موافقة للفطرة و النهج المستقيم.



﴿نتائج التوبة و آثارها الدنيوية و الاخروية﴾

اعلم انه بالتدبر فى التوبة نجدلها آثاراً فى النفوس و حصيلة فى المجتمع البشرى و لها نتائج دنيوية و اخروية ، و خاصة التوبة النصوح ، فانها تلين النفس، و تخرجها من طبيعتها وشراستها إلى اللين لان النفس با لرجوع إلى خالقها و محاسبتها و مراقبتها تصفو وتنطفىء نيرانها المتأججة التى تحرقها و تحرق المجتمع البشرى بمتابعة الهوى ، و تبلغ بطمأنيتها محل الرضا و مقامه و تطمئن مجارى الاقدار . . .

و من ثمرات التوبة النصوح حصول الرضا للتائب ، اذ ما تخلف عبد عن الرضا الا بتخلفه عن التوبة النصوح ، فاذاً تجمع التوبة النصوح حال الصبر ، و مقام الصبر و حال الرضا و مقام الرضا ، و ان الخوف و الرجاء مقامان شريفان من مقامات أهل اليقين ، وهما كائنان فى صلب التوبة النصوح لان خوفه حمله على التوبة ، و لو لا خوفه ما تاب ، و لو لا رجاؤه ما خاف ، فالرجاء و الخوف يتلازمان فى قلب المؤمن ، ويعتدل الخوف و الرجاء للتائب المستقيم فى التوبة.

و اذا جمع مقام التوبة تلك المقامات كلها فقد جمع مقام التوبة : حال الزجر و الانتباه والتيقظ ، و مخالفة النفس ، و التقوى والمجاهدة و رؤية عيوب النفس والافعال ، والانابة والصبر على الطاعة و ترك المعصية والرضا والمحاسبة والمراقبة والرعاية والشكر و الخوف والرجاء . . .

و اذا صحت التوبة تزكت النفس و تطهرت من أدناس الذنوب و انجلت القلب ، اذ بالتوبة يمحو أثر الذنب من لوح القلب و يتبدل التائب من حال إلى

حال جديد: حال البعد عن الله جل و علا إلى حال القرب منه، حال الاعراض إلى حال الرجوع ، حال الكفر بالله تعالى إلى حال الايمان به ، و حال المعصية إلى حال الطاعة . . .

و لهذا التحول إلى الايمان و الطاعة ، و لهذا التبدل إلى الرجوع والقرب بالتوبة فضل تطهيرهم من جميع الذنوب التى سلفت قال الله تعالى : « قل للذين كفروا إن ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف » الانفال : ٣٨)

و من نتائج التوبة حب الله تعالى للتائب و هذا رضوان الله جل و علا أكبر من كل شيء .

فى الكافى : عن ابن أبى عمير عن بعض أصحابنا رفعه قال : ان الله عز و جل أعطى التائبين ثلاث خصال لو أعطى خصلة منها جميع أهل السماوات والارض لنجوا بها : قوله عز و جل : « ان الله يحب التوابين و يحب المتطهرين » فمن أحبّه الله لم يعذّبه ، و قوله : « الذين يحملون العرش و من حوله يسبّحون بحمد ربهم و يستغفرون للذين آمنوا ربنا وسعت كل شيء رحمة و علما فاغفر للذين تابوا و اتبعوا سبيلك وقهم عذاب الجحيم ربنا و أدخلهم جنات عدن التى و عدتهم و من صلح من آبائهم و أزواجهم و ذرياتهم انك انت العزيز الحكيم وقهم السيئات ومن تق السيئات يومئذ فقد رحمته و ذلك هو الفوز العظيم » و قوله عز وجل : « و الذين لايدعون مع الله إلها آخر و لايقتلون النفس التى حرّم الله الاّ بالحق ولا يزنون و من يفعل ذلك يلق أثاماً يضاعف له العذاب يوم القيامة و يخلد فيها مهاناً الاّ من تاب و آمن و عمل عملا صالحاً فاولئك يبدّل الله سيئاتهم حسنات و كان الله غفوراً رحيما » و قال رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم : « التائب حبيب الله » و قال صلى الله عليه و آله و سلم : « ان الله يحب الشاب التائب »

و من حصيلة التوبة : التوفيق للطاعة فى كل وقت و للذكر فى كل آن فان الذنوب بمنزلة القيود والاغلال تمسك الانسان من الطاعة مع أن الذنوب توجب قساوة القلب و يسوّده و تجرّ الانسان إلى الشقاء المهلك و ان المتلطخ بالذنوب

كالمتلطخ فى النجاسة لا يمكن القرب من الله تعالى الا بالتوبة .

وفى تحف العقول : سئل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن علامة التائب فقال صلى الله عليه وآله وسلم :

و أما علامة التائب فاربعة : النصيحة لله فى عمله ، و ترك الباطل ، و لزوم الحق ، والحرص على الخير .

و فى تفسير العياشي : عن أبى عمرو الزبيرى عن أبى عبد الله عليه السلام قال: رحم الله عبداً تاب إلى الله قبل الموت ، فان التوبة مطهرة من دنس الخطيئة ، و منقذة من شفا الهلكة فرض الله بها على نفسه لعباده الصالحين فقال : « كتب ربكم على نفسه الرحمة انه من عمل منكم سوءاً بجهالة ثم تاب من بعده و أصلح فانه غفور رحيم »



﴿كلمات قصار فى التوبة﴾

غرر حكم و در ر كلم حول التوبة عن مولى الموحدين امير المؤمنين على بن أبى طالب عليه السلام نشير إلى ما يسعه المقام :

١ ـ قال الامام على عليه السلام : « أفضل من طلب التوبة ترك الذنب »

٢ ـ قال عليه السلام : « التوبة ندم بالقلب ، واستغفار باللسان ، و ترك بالجوارح ، و إضمار أن لا يعود »

٣ ـ قال عليه السلام : « من ندم فقد تاب ، من تاب فقد أناب »

٤ ـ قال عليه السلام : « لا خير فى الدنيا الاّ لاحد رجلين : رجل أذنب ذنوبه فهو يتدار كها بالتوبة ، و رجل يجاهد نفسه على طاعة الله سبحانه »

٥ ـ قال عليه السلام : « بادروا و الابدان صحيحة ، و الا لسن فصيحة ، و التوبة مسموعة ، والاعمال مقبولة »

٦ ـ قال عليه السلام : « التوبة تستنزل الرحمة »

٧ ـ قال عليه السلام : « التوبة تطهر القلوب و تغسل الذنوب »

٨ ـ قال عليه السلام : « يسير التوبة والاستغفار يمحص المعاصى والاصرار »

٩ ـ قال عليه السلام : « إخلاص التوبة تسقط الحوبة »

١٠ ـ قال عليه السلام : « بالتوبة تمحص السيئات »

١١ ـ قال عليه السلام : « بالتوبة تكفر الذنوب »

١٢ ـ قال عليه السلام : « حسن التوبة يمحو الحوبة »

١٣ ـ قال عليه السلام : « اعملوا و العمل ينفع ، والدعاء يسمع و التوبة ترفع »

١٤ _ قال عليه السلام : « التوبة منجاة »

١٥ _ قال عليه السلام : « بادروا فى مهل البقية و أنف المشية ، و انتظار التوبة وانفساح الحوبة »

١٦ _ قال عليه السلام : « المؤمن منيب مستغفر تواب »

١٧ _ قال عليه السلام : « التنزه عن المعاصى عبادة التوابين »

١٨ _ قال عليه السلام : « الندم أحد التوبتين »

١٩ _ قال : « اياك أن تسلف المعصية وتسوف بالتوبة ، فتعظم لك العقوبة »

٢٠ _ قال عليه السلام : «ألاتائب من خطيئته قبل حضور منيته »

٢١ _ قال عليه السلام فى ذم المنافق : « ان عرضت له معصية واقعها بالاتكال على التوبة ، إن عزم على التوبة سوّفها وأصرّ على الحوبة ، إن عوض ظن انه قد تاب إن ابتلى ظن وارتاب ، إن مرض أخلص وأناب ، إن صح نسى عاد واجترأ على مظالم العباد »

٢٢ _ قال عليه السلام : « تقية المؤمن فى قلبه وتوبته فى اعترافه »

٢٣ _ قال عليه السلام : « ثمرة التوبة إستدراك فوارط النفس »

٢٤ _ قال عليه السلام : « جاهد نفسك و قدّم توبتك تفز بطاعة ربك »

٢٥ _ قال عليه السلام : « شافع المذنب إقراره ، و توبته اعتذاره »

٢٦ _ قال عليه السلام : « من لم يقبل التوبة عظمت خطيئته »

٢٧ _ قال عليه السلام : « مسوّف نفسه بالتوبة من هجوم الأجل على أعظم الخطر »

٢٨ _ قال عليه السلام : « لا دين لمسوّف بتوبته »

٢٩ _ قال عليه السلام : فى المنافقين : « يكره الموت لكثرة ذنوبه ولا يتركها فى حياته يسلف الذنوب و يسوّف بالتوبة »

تمت سورة التحريم والحمد لله رب العالمين
و صلى الله على محمد خاتم الانبياء والمرسلين
و على أهل بيته الطيبين الطاهرين

فهرس ماجاء في تفسير سورة التغابن

يدور البحث حولها على فصلين :

الاول : في عناوين تفسير السورة وفيها ثمان عشرة بصيرة :



الفصل الثاني : في مواضيع الحكم القرآنية و المعارف الاسلامية

المبحوث عنها في سورة التغابن وفيها ثلاث بصائر :

الاولى : وفيها خمسة امور :

البصيرة الثانية : وفيها امور ثمانية :

البصيرة الثانية : وفيها ثمانية امور :

فهرس ما جاء في تفسير سورة الطلاق

يدور البحث حولها على فصلين :

الاول : في عناوين تفسير السورة وفيها تسع عشرة بحيرة :



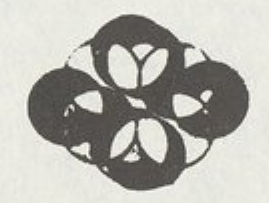
الفصل الثاني : في مواضيع الحكم القرآنية و المعارف الأسلامية المبحوث عنها في سورة الطلاق وفيها

بصيرة واحدة : وفيهاستة امور :

فهرس ماجاء في تفسير سورة التحريم

يدور البحث حولها على فصلين :

الاول : في عناوين تفسير السورة وفيها ثمان عشرة بصيرة :



الفصل الثانى: فى مواضيع الحكم القرآنية و المعارف الاسلامية المبحوث عنها فى سورة التحريم وفيها

بصيرة واحدة: وفيها ستة عشر أمراً:





